



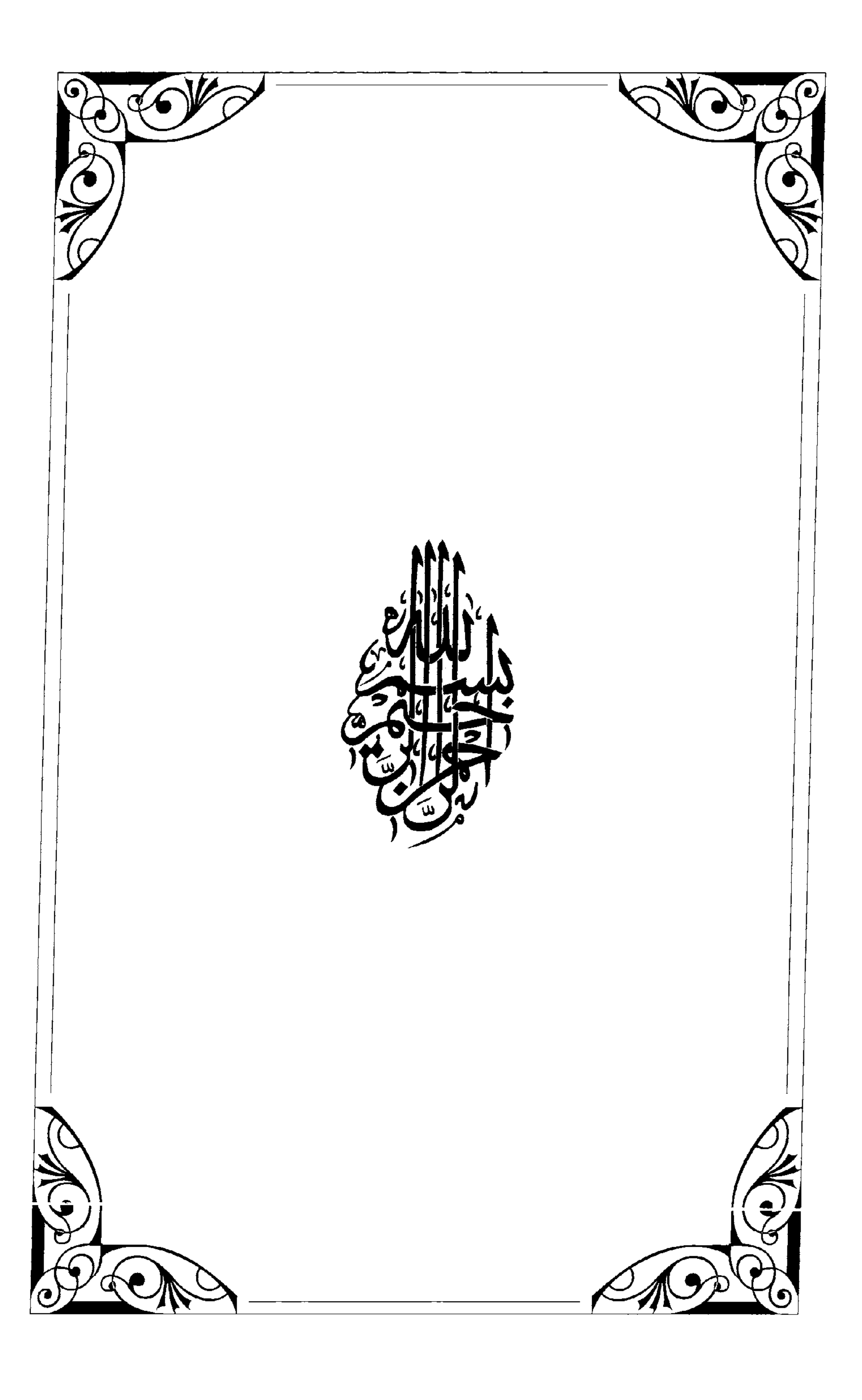
تناضل العمال لشرح فضائل الأعمال

تأليف
الإمام شمس الدين السفاريني
محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي
المولود سنة ١١١٤ والمتوفى سنة ١١٨٨هـ
رحمه الله تعالى

تحقيق الشيخ
محمد عصام الشطي الدمشقي الحنبلي

المجلد الثاني

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر


بسم الله الرحمن الرحيم

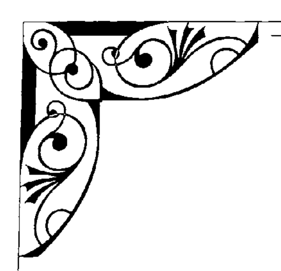


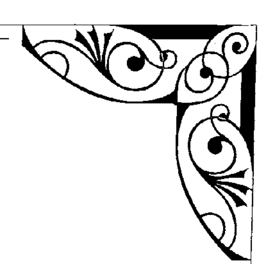
تناضل العمال

لشرح

فضائل الأعمال

(٢)





طَبْعَة خَاصَّة

الكِتَاب طُبِع عَلَى نَفَقَةِ

وِزَارَةُ الأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ

وَهُوَ يُوَزَّع مَجَّاناً وَلَا يَجُوز بَيْعه

turathuna@islam.gov.qa

إِدَارَةُ الشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّة

ص. ب: ٤٢٢

ISBN 978-9933-564-08-7





الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

قامت بعمليات التنضيد الضوئي والإخراج الفني والطباعة

دار النوادر

لبنان - بيروت

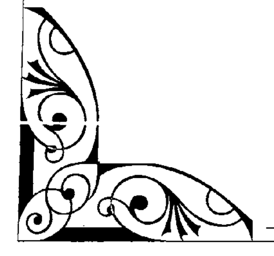
ص.ب: 4462/14

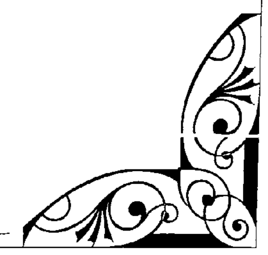
هاتف: 009611652528

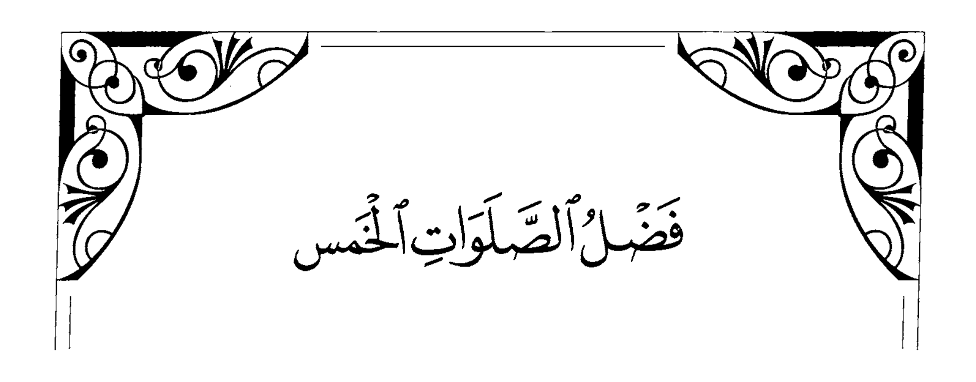
فاكس: 009611652529

E_mail: info@daralnawader.com

Website: www.daralnawader.com







فَضْلُ ٱلصَّلَوَاتِ ٱلْخَمس

أي: هذا باب فضل الصلوات المكتوبة على كل مسلم مكلَّف من حر أو عبد، ذكرٍ أو أنثى، غير الحائض والنفساء.

وذكر الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ في هـذا البـاب خمسة أحاديث:

ٱلْحَدِيثُ ٱلْأَوَّلُ

٤١ ـ عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَرَأَيْـتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَٰلِكَ يُبْقِـي مِنْ دَرَنِهِ؟» قَالُوا: لا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَٰلِكَ مِثْلُ الـصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا». رواه البخاري، ومسلم[1].

(عن أبي هريرة) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ **أنه سمع رسـولَ الله ﷺ يقول: أرأيتم)** معشرَ الصحابة ومَنْ بعدهم من أمة الإجابة، فهو استفهامُ تقريـر متعلق بالاستخبار؛ أي: أخبروني **(لو أن نهرًا)**.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

قال الطيبي: لفظة (لو) تقتضي أن تدخل على الفعل، وأن يجاب، لكنه وضع الاستفهام موضعه تأكيدًا وتقريرًا، والتقدير: لو ثبت نهر، لما بقي كذا[1].

والنهر ـ بفتح الهاء وسكونها ـ: ما بين جنبتي الوادي، سمي بذلك؛ لسَعَته، وكذلك سُمي النهار لسَعَة ضوئه.

(بباب): وهو الفرجة في ساتر يتوصَّل به من داخل إلى خارج، ومن خارج إلى داخل، **(أحدِكم)** معشرَ المخاطبين ومَنْ بعدهم من سائر المسلمين، **(يغتسل فيه)**؛ أي: في ذلك النهر الذي على باب أحدِكم، غير بعيد منكم، يحصل الاغتسال والتنظيف من غير مشقة؛ لقرب النهر؛ لكونه على الباب، فيغتسل فيه المرء **(كلَّ يوم)** من أيام الأسبوع **(خمسًا)** من المرات، وفي لفظ: «خمس مرات»[2].

(ما تقول) بإفراد المخاطب، والمعنى: ما تقول أيها السامع؟ ولأبي نعيم في «المستخرج على مسلم»[3]، وكذا للإسماعيلي، والجوزقي[4]: «ما تقولون؟» بصيغة الجمع[5].

(ذلك): الإشارةُ في ذلك إلى الاغتسال.

---

(١) انظر: «الكاشف عن حقائق السنن» للطيبي (٣/ ٨٦٤).

(٢) رواه مسلم (٦٦٧).

(٣) رواه أبو نعيم في «المسند المستخرج على صحيح مسلم» (١٤٩٣).

(٤) في الأصل: «الزورقي»، والتصويب من «فتح الباري».

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ١١).

قال ابن مالك: فيه شاهد على إجراء فعل القول مجرى فعل الظن، وشرطه أن يكون مضارعًا مسندًا إلى المخاطب، متصلًا بالاستفهام[1].

(**يُبقي**) بضم التحتية، وفي رواية: «هل يَبقى» بفتح المثناة التحتية[2].

(**من درنه**)؛ أي: وسخه، فالدرنُ: الوسخُ، وقد يطلق الدرن على الحبّ الصغار الذي يحصل في بعض الأجساد، زاد مسلم: «شيئًا»[3].

وفي رواية: «هل يَبقى من درنه شيءٌ»، برفع (شيء)[4]، وهذا على رواية فتح التحتية، و(شيءٌ): فاعل، وأما على رواية نصب (شيئًا)، فبضم (يُبقي)، والفاعل ضمير يعود على الاغتسال، و(شيئًا): مفعول به.

(**قالوا: لا يُبقي**) ذلك الاغتسال (**من درنه**)؛ أي: المغتسل من ذلك النهر الذي على بابه خمس مرات في كل يوم (**شيئًا**) ـ بضم (يُبقي)، ونصب (شيئًا) على المفعولية ـ، ولمسلم: «لا يَبقى» بفتح أوله، و(شيءٌ) بالرفع[5].

(**قال**) ﷺ: (**فذلك**)، الفاء جواب (شيء) محذوف؛ أي: إذا تقرر

---

(١) انظر: «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح» لابن مالك (ص: ١٥٠).

(٢) رواه مسلم (٦٦٧).

(٣) في رواية مسلم كما في الطبعة التركية (٢/ ١٣١ ـ ١٣٢): «هل يَبقى من درنه شيءٌ»، والرواية التي ذكرها المصنف هي التي وقف عليها ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ١١).

(٤) انظر الحاشية السابقة.

(٥) رواه مسلم (٦٦٧).

ذلك عندكم، فهو (**مثل الصلوات**)، وفائدة التمثيل التأكيد، وجعل المعقول كالمحسوس.

قال الطيبي: في هذا الحديث مبالغة في نفي الذنوب؛ لأنهم لم يقتصروا في الجواب على (لا)، بل أعادوا اللفظ تأكيدًا[1].

وقال ابن العربي: وجهُ التمثيل: أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه، ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تُبقي ذنبًا إلا أسقطته. انتهى[2].

ولهذا قال: فكذلك مثل الصلوات (**الخمس يمحو الله**) سبحانه وتعالى (**بهنّ**) إذا فُعِلْنَ على الوجه المشروع؛ من الركوع والسجود والخشوع (**الخطايا**)؛ أي: الذنوب، وظاهر هذا يشمل الصغيرة والكبيرة.

وقال ابن بطال: يؤخذ من الحديث: أن المراد: الصغائرُ خاصة؛ لأنه شبه الخطايا بالدرن، والدرن صغيرٌ بالنسبة إلى ما هو أكبر منه من القروح والجراحات. انتهى[3].

وهذا مبني على أن المراد بالدرن في الحديث: الحَب، والظاهر أن المراد به: الوسخ؛ لأنه هو الذي يناسبه الاغتسال والتنظف، وقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ التصريحُ بذلك، وهو فيما أخرجه البزار، والطبراني بإسناد لا بأس به من طريق عطاء بن يسار: أنه سمع أبا سعيد ﷺ

---

(١) انظر: «الكاشف عن حقائق السنن» للطيبي (٣/ ٨٦٥).

(٢) انظر: «عارضة الأحوذي» لابن العربي (١٠/ ٣١٥).

(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢/ ١٥٧).

يحدث: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أرأيت لو أن رجلًا كان له معتمل، وبين منزله ومعتمله خمسة أنهار، فإذا انطلق إلى معتمله، عمل ما شاء الله، فأصابه الوسخ أو العرق، فكلما مر بنهر، اغتسل منه...» الحديث[1].

ولهذا قال القرطبي: ظاهر الحديث: أن الصلوات الخمس تستقل بتكفير جميع الذنوب، وهو مشكل[2].

وفي «صحيح مسلم» من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الصلوات الخمس كمثل نهرٍ جارٍ غَمْرٍ ـ أي: بفتح الغين المعجمة وإسكان الميم بعدهما راء، هو الكثير ـ على باب أحدِكم يغتسل منه كلَّ يوم خمس مرات»[3].

(رواه)؛ أي: الحديث المشروح أبو عبدالله محمدُ بنُ إسماعيل **(البخاري، و)** أبو الحسين **(مسلمُ)** بنُ الحجاج[4].

* * *

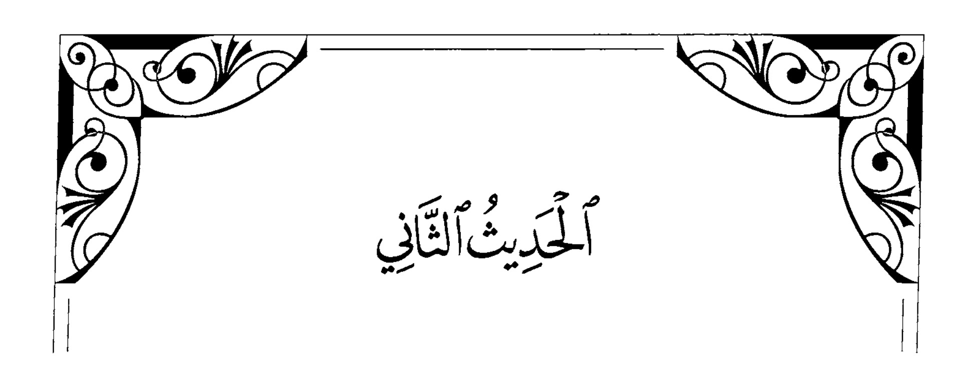
---

(١) رواه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» للهيثمي (٣٤٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٤٤٤)، وتتمة الحديث عند البزار: «فكذلك الصلاة، كلما عمل خطيئة فدعا واستغفر غُفر له ما كان قبلها»، وتتمته عند الطبراني: «فكذلكَ الصَّلواتُ، كلَّما عملَ خطيئةً أو ما شاء اللَّه ثمَّ صلى صلاةً استغفرَ غُفِرَ له ما كان قبلَها».

(٢) انظر: «المفهم» للقرطبي (٢/ ٢٩٦)، وفيه: «وليس الأمر كذلك» بدل «وهذا مشكل».

(٣) رواه مسلم (٦٦٨).

(٤) تقدم تخريجه.



الحديث الثاني

٤٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ». رواه مسلم[(١)].

(عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يقول) هذه الصيغة تفيد كثرةَ القول منه ﷺ، ومقول القول هو قوله: **(الصلوات الخمس)** المكتوبةُ، **(والجمعةُ)**؛ أي: صلاتها **(إلى الجمعة، ورمضانُ)**؛ أي: صيام شهر رمضان **(إلى رمضانَ)** ثانٍ يليه **(مكفراتٌ)** وماحياتٌ **(ما بينهن)** من الذنوب **(إذا اجتُنبت الكبائرُ)**، وهو كلُّ ذنب فيه حَدٌّ أو كَفَّارةٌ، زاد شيخ الإسلام ابنُ تيمية: أو جاء فيه وعيدٌ بلعن، أو نفيُ إيمان[(٢)]. **(رواه مسلم)** في «صحيحه»[(٣)].

لما كان الحديث السابق ظاهرهُ يشمل محوَ الصغائر والكبائر، وهو

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١١/ ٦٥٨).

(٣) تقدم تخريجه.

مشكِل، أراد الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ إزالة ظاهر الإشكال بإيراد هذا الحديث الصحيح؛ إيضاحًا للحال، وقطعًا للنزاع والجدال، فيحمل المطلق على المقيد في المقال؛ كما هو مقرر عند ذوي الفهوم والإفضال.

فإن قلت: الصغائر من الذنوب مكفَّرة بنفس اجتناب الكبائر بالنص القرآني، وإذا كان كذلك، فما الذي تكفره الصلواتُ الخمس، وما عُطف عليها؟

فالجواب: ما ذكره السراج البلقيني: أن السؤال غيرُ وارد؛ لأن مراد الله تعالى أن تجتنبوا؛ أي: في جميع العمر، ومعناه: الموافاة على هذه الحالة من وقت الإيمان أو التكليف إلى الموت، والذي في الحديث: أن الصلوات ونحوها تكفر ما بينها؛ أي: في يومها وجمعتها وعَامِها، إذا اجتنبت الكبائر في ذلك اليوم، أو في تلك الجمعة، أو في ذلك العام، فعلى هذا لا تعارض بين الآية الكريمة والحديث. انتهى(1).

وعلى فرض ورود السؤال، فالتخلص منه بحمد الله سهل؛ وذلك أنه لا يتم اجتناب الكبائر إلا بفعل الصلوات الخمس، فمن لم يفعلها، لم يعدّ مجتنبًا للكبائر؛ لأن تركها من الكبائر، فيتوقف التكفيرُ على فعلها، وكذا الجمعة، وصيام رمضان.

وقد فصّلوا أحوال الإنسان بالنسبة إلى ما يصدر منه من كبيرة وصغيرة، فقالوا: تنحصر أحواله في خمسة:

---

(1) نقله ابن حجر في «فتح الباري» (2/ 12).

أحدها: أن لا يصدر منه شيء البتة، فهذا يعارض رفع الدرجات له؛ لعدم ما تكفره الصلوات ونحوها.

ثانيها: يأتي بصغائر بلا إصرار، فهذا يكفّر عنه جزمًا.

ثالثها: مثلها، لكن مع الإصرار، فلا تكفر صغائر هذا إذا قلنا: الإصرارُ على الصغائرِ يصيرها كبائر.

رابعها: أن يأتي بكبيرة واحدة، وصغائر.

خامسها: أن يأتي بكبائر وصغائر، وهذا فيه نظر، فيحتمل حيث لم يجتنب الكبائر، تكفر عنه الصغائر فقط، ويحتمل أن لا تكفر شيئًا أصلًا؛ لأن تكفير الصغائر مقيد باجتناب الكبائر، وهذا غير مجتنبها، والبلقيني رجح الثاني، قال: لأن مفهوم المخالفة إذا لم تتعين جهته، لا يُعمل به، فهنا لا تكفّر شيئًا، إما لاختلاط الكبائر والصغائر، أو لتمحيض الكبائر، أو تكفير الصغائر، فلم تتعين جهة مفهوم المخالفة؛ لدورانه بين الفصلين، فلا يُعمل به. قال: ويؤيده أن مقتضى تجنب الكبائر أن هناك كبائر، ومقتضى ما اجتنبت الكبائر أن لا كبائر[1]، وهذا كله منظور فيه، وغير محرَّر.

وقال النووي: معناه ـ أي: حديث مسلم المشروح ـ: أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر، فإنها لا تغفر، وليس المراد أن الذنوب تغفر ما لم تكن كبيرة، فإن كانت، لا يغفر شيء من الصغائر، فإن هذا، وإن كان محتملًا، فسياق الأحاديث يأباه.

قال: وقد يقال: إذا كفر الوضوء، فماذا تكفر الصلاة، وإذا كفرت

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

الصلاة، فماذا تكفر الجمعات ورمضان، وكذا يوم عرفة، وعاشوراء، وموافقة تأمين الملائكة؟ قال: والجواب: ما أجاب به العلماء: أن كل واحدة من هذه المذكورات صالح للتكفير، فإن وجد ما يكفره من الصغائر، كفره، وإن لم يصادف صغيرة ولا كبيرة كتبت به حسنات، ورفعت به درجات، وإن صادف كبيرة، أو كبائر، ولم يصادف صغيرة، رجونا أن يخفف من الكبائر[1]. انتهى.

واعترضه ابن سيد الناس من وجهين:

الأول: أن تكفير الذنوب، والثوابَ المترتب على الطاعات، أمرٌ توقيفي ليس للنظر فيه مجال.

الثاني: أن النص الوارد باجتناب الكبائر يردّه، والذي نقله المحققون: أن الكبائر لا يكفرها إلا التوبة[2].

وقال القرطبي، وبعض المتأخرين: لا بُعد في أن يكون بعض الأشخاص يكفر له بذلك الكبائر والصغائر؛ بحسب ما يحضره من الإخلاص، وَيَرِدُ

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣/ ١١٢ ـ ١١٣)، وفيه: قَالَ القَاضِي عِيَاض: هَذَا المَذكُور فِي الحَدِيث مِنْ غُفْرَان الذُّنُوب مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَة هُوَ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة، وَأَنَّ الْكَبَائِر إِنَّمَا تُكَفِّرهَا التَّوْبَة، أَو رَحْمَة اللَّه تَعَالَى وَفَضْله. انتهى.

أقول: وهذا هو القول الفصل في الموضوع، فالمداومة بإخلاص على الوضوء والصلاة والصيام وغيرها من الطاعات، دليل على التوبة من الذنوب الصغيرة والكبيرة، لذلك ترتجى مغفرتها برحمة الله ومغفرته وفضله.

(٢) انظر: «النفح الشذي» لابن سيد الناس (٤/ ١٥٨).

عليه من الإحسان والآداب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[1].

وقال بعض العلماء: من له صغائر فقط بلا إصرار، كُفِّرت باجتناب الكبائر إلى موافاة الموت على الإيمان، ومن له صغائر مع الإصرار، فهي التي تكفَّر بالأعمال الصالحة؛ كالصلوات والصوم وصوم يوم عرفة وعاشوراء، أو من له الكبائر والصغائر، فالمكفَّر عنه بالأعمال الصالحة الصغائرُ فقط، ومن له كبائر فقط، فيكفر منها على قدر ما كان يكفِّر من الصغائر.

فإن قيل: يلزم من جعل الصغائر مكفَّرة بالمذكورات عند اجتناب الكبائر اجتماعُ سببين على مسبب واحد، وهو ممتنع.

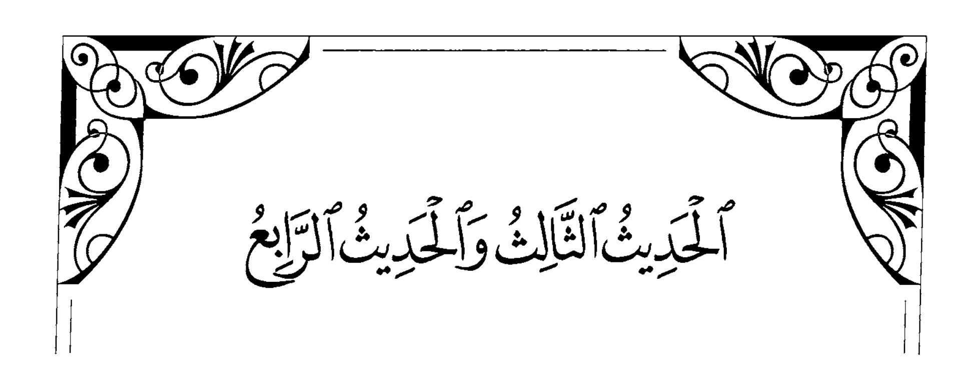
فالجواب: أنه لا مانع من ذلك في الأسباب؛ لأنها علامات، لا عللٌ مؤثرات، كما في اجتماع أسباب الحدث. والله أعلم[2].

* * *

---

(١) انظر: «المفهم» للقرطبي (١/ ٤٩٢).

(٢) قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. فالحساب يوم القيامة قائم على وزن دقيق، فلا يظلم العبد فيه، وتحتسب له كل صغيرة وكبيرة من الإحسان والإساءة، ولو كانت متناهية في الصغر.



الحديث الثالث والحديث الرابع

٤٣ ـ عن عثمانَ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلاةِ، فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلاةِ الْمَكْتُوبَةِ، فَصَلّاهَا [مَعَ النَّاس، أو] مَعَ الجَمَاعَةِ، أَوْ فِي المَسْجِدِ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ»[1].

٤٤ ـ وقال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَمَّ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالى، فَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ الْمَكْتُوبَاتُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ»[2].

أخرجهما مسلم، وقد أخرج البخاري الأخير بمعناه[3].

(عن) أبي عمرٍو أميرِ المؤمنين: **(عثمانَ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: من توضأ، فأسبغَ الوضوءَ)**: الإسباغُ في اللغة: الإتمام؛ كما تقدَّم.

(ثم مشى) من مسكنه **(إلى)** أداءِ **(الصلاةِ المكتوبة)**؛ أي: المفروضةِ من الصلوات الخمسِ، **(فصلاها [مع الناس أو][4] مع الجماعة، أو)** قال:

(١) رواه مسلم (٢٣٢)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) رواه مسلم (٢٣١).

(٣) رواه البخاري (١٦٠).

(٤) ما بين معكوفتين من «صحيح مسلم» (٢٣٢).

فصلاها **(في المسجد)**؛ يعني: مع الجماعة، **(غفر الله له ذنوبَه)**: ظاهرُهُ: صغيرها وكبيرها، وقد تقدم تفصيلُ ذلك.

(و) عن أميرِ المؤمنين عثمانَ بنِ عفانَ ـ أيضًا ـ ﷺ **(قال: قال رسولُ الله ﷺ من أتم الوضوء)** الشرعيَّ **(كما أمره الله تعالى)** في قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟﴾ [المائدة: ٦]، **(فالصلواتُ الخمسُ)**، والجمعةُ **(المكتوباتُ)**؛ أي: المفروضات **(كفاراتٌ)**؛ أي: ماحيات، أو ساترات **(لِما)**؛ أي: للذنوبِ الصغائرِ الواقعةِ **(بينهن. أخرجهما)**؛ أي: هذا الحديث، والذي قبله **(مسلم)** في «صحيحه»، من حديث عثمان بن عفان ﷺ[(١)].

(وقد أخرج البخاري) الحديث **(الأخير)** منهما **(بمعناه)** ولفظه: عن عثمان ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ عند انصرافنا من صلاتنا، أراه قال العصر، فقال: «ما أدري أحدثكم أو أسكت» قال: فقلنا: يا رسول الله! إن كان خيرًا فحدثنا، وإن كان غير ذلك فالله ورسوله أعلم، قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ فَيُتِمُّ الطَّهُورَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهَا»[(٢)].

وفي رواية عن عثمان ﷺ قال: والله لأحدثنكم حديثًا لولا آية في كتاب الله ما حدثتكموه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يُصَلِّي الصَّلاةَ إلا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلاةِ الَّتِي تَلِيهَا»، رواه

---

(١) تقدم تخريجهما.

(٢) بل هذه الرواية عند مسلم (٢٣١/ ١٠)، ورواية البخاري هي التي تليها.

البخاري ومسلم[1].

قال عروة: الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا﴾ الآية. اهـ من البخاري[2].

وفي رواية لمسلم: قال عثمان ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِـنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَـا إلا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِـيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»[3]، والله أعلم.

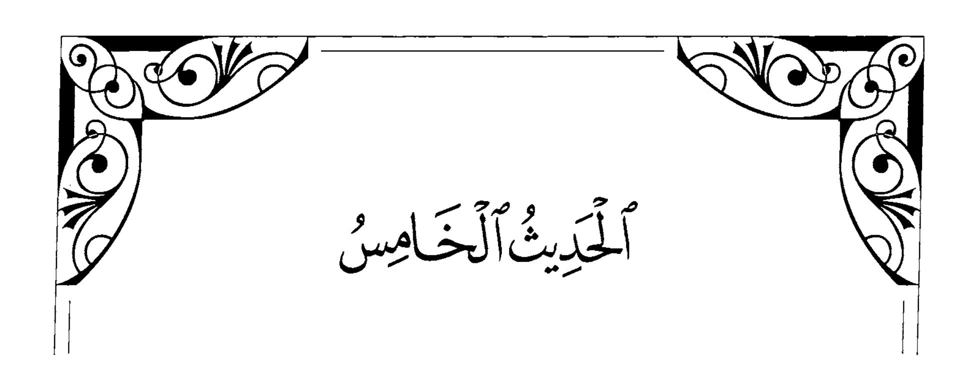
* * *

---

(١) رواه البخاري (١٦٠)، ومسلم (٢٢٧).

(٢) رواه البخاري (١٦٠). ورواه مسلم (٢٢٧/ ٦).

(٣) رواه مسلم (٢٢٨).



الحديث الخامس

٤٥ ـ عن أبي أُمَامَةَ ﷺ قال: سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

(**عن أبي أمامة**) واسمه صُدَيّ ـ بضم الصاد وفتح الدال المهملتين وتشديد الياء التحتية، وتقدمت ترجمته قريبًا في أول الحديث التاسع من باب فضل المشي إلى الصلاة ـ (ﷺ **قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب**)، يقال: خطب الخاطب على المنبر خَطابة بالفتح وخُطبة بالضم، وذلك الكلام خطبة أيضًا، أو هي الكلام المنثور المُسَجَّع ونحوه، ورجل خطيب: حسن الخُطبة بالضم كما في «القاموس»[2].

وأما خِطبة النكاح فبالكسر.

(**في حجة الوداع**) متعلق بـ (يخطب)، وكانت في العاشرة، وسميت

---

(١) رواه الترمذي (٦١٦).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: خطب).

حجة الوداع؛ لأنه ﷺ خطب الناس وودعهم، فقالوا: هذه حجة الوداع، (فقال) عليه الصلاة والسلام: (اتقوا الله) معشر الأمة، من حضر منكم ومن غاب، فالشاهد يعلم الغائب.

والتقوى في اللغة: قلة الكلام، والحاجز بين الشيئين.

واصطلاحًا: التحرز بطاعة الله عن مخالفته، وامتثال أمره واجتناب نهيه.

وهي من جوامع الكلم، فإن التقوى وإن قل لفظها، فهي كلمة جامعة لامتثال كل مأمور، واجتناب كل محذور، والصبر على كل مقدور، فهي تستدعي أن يطاع الله تعالى فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، بقدر الإمكان، ومن ثم شملت خيري الدارين، إذ هي: تَجَنُّبُ كل منهي عنه، وفعل كل مأمور به.

وقد سئل سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن التقوى فقال: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل[1].

وقال عمر بن عبد العزيز: التقوى: ترك ما حرم الله وأداء ما فرض الله، فما رزق بعد ذلك فهو خير إلى خير[2].

وقيل: تقوى الله أن لا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

وقال رجل لشيخه: أوصني بوصية، فقال: أوصيك بوصية الله تعالى للأولين والآخرين: وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ

---

(١) أورده الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٤٢١).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٢٣٠).

﴿وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[النساء: ١٣١].

وتكفي المتقي معية الله تعالى بالحفظ والمعونة والتمكين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨].

(وصلّوا خمسكم): بدأ بها بعد الأمر بالتقوى لأنها آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، **(وصوموا شهركم)**؛ يعني: شهر رمضان الذي صومه أحد أركان الإسلام ومباني الدين، **(وأدوا)**؛ أي: أعطوا وادفعوا **(زكاة أموالكم)** المفروضة عليكم؛ لأنها أحد أركان الدين، ومباني الإسلام، فلا يكمل إيمانكم ولا يتم إسلامكم إلا بذلك، **(وأطيعوا ذا)**؛ أي: صاحب **(أمركم)** من خليفة وسلطان وسائر نوابهما حيث لم يأمروكم بمعصية مولاكم الذي خلقكم وسوّاكم، فإن أمروكم بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

(تدخلوا): مجزوم بحذف النون في جواب الأمر، والواو فاعل، و**(جنة ربكم)**: مفعول ومضاف إليه.

(رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)، ورواه أيضًا ابن حبان والحاكم في صحيحيهما وصححاه[1].

وأخرج الإمام أحمد بإسناد حسن وأبو يعلى الموصلي والبزار عن الحارث مولى عثمان بن عفان ﷺ قال: جَلَسَ عُثْمَانُ يَوْمًا وَجَلَسْنَا مَعَهُ، فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ، فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ أَظُنُّهُ سَيَكُونُ فِيهِ مُدٌّ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: «وَمَنْ تَوَضَّأَ وُضُوئِي ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى صَلاةَ الظُّهْرِ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصُّبْحِ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٥٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٩).

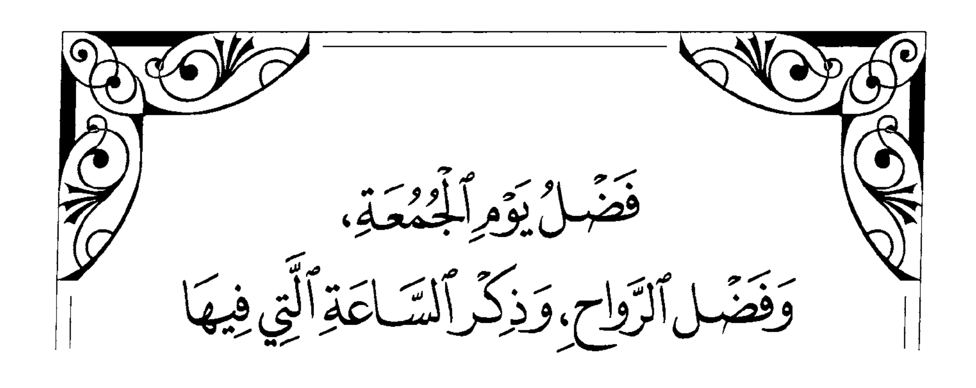
غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الظُّهْرِ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الْمَغْرِبِ، ثُمَّ لَعَلَّهُ أَنْ يَبِيتَ يَتَمَرَّغُ لَيْلَتَهُ، ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الصُّبْحَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الْعِشَاءِ، وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ»، قَالُوا: هَذِهِ الْحَسَنَاتُ، فَمَا الْبَاقِيَاتُ يَا عُثْمَانُ؟ قَالَ: هُنَّ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ[1].

وروى الطبراني بإسناد جيد عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس من جاء بهنَّ مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن، وركوعهن، وسجودهن، ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلًا، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه، وأدى الأمانة»، قيل: يا نبي الله! وما أداء الأمانة؟ قال: «الغسل من الجنابة، إن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها»[2]. والله الموفق.

□□□

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٧١)، والبزار في «مسنده» (٤٠٥)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٩)، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجاله رجال الصحيح غير الحارث بن عبد مولى عثمان، وهو ثقة.

(٢) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٧)، وقال: رواه الطبراني في «الكبير»، وإسناده جيد. ورواه أبو داود (٤٢٩).



فَضۡلُ يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ، وَفَضۡلُ ٱلرَّوَاحِ، وَذِكۡرُ ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي فِيهَا

أي: هذا باب فضل الجمعة ويومها وليلتها، وما يلحق بذلك من الرواح إلى صلاتها، وذكر الساعة التي في يومها.

(الجمعة): بتثليث الميم ـ حكاه ابن سيده[1] ـ، والأصل الضم، وهي مشتقة من الاجتماع، إما لاجتماع الناس للصلاة، أو لجمعها بالجماعات، أو لجمع طين أبينا آدمَ عليه السلام فيها، أو لأن الله جمع فيها خلقه ـ كما يأتي في الحديث العاشر ـ، وقيل: لأنه عليه السلام جمع مع حواء في الأرض فيها، وفيه خبر مرفوع. وقيل: لما جمع فيها من الخير.

قيل: إن أول من سماه يوم الجمعة كعب بن لؤي[2]، وكان اسمه

---

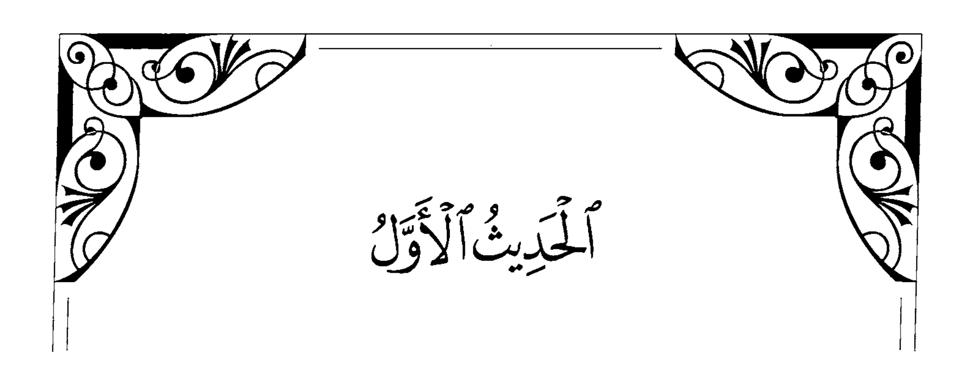
(١) انظر: «المحكم» لابن سيده (١/ ٣٥٠).

(٢) هو من جدود النبي ﷺ، فنسبه الشريف هو: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان بن أدد بن زند بن يرى بن إعراق الثرى، قالت أم سلمة ﵂: زند هو الهميسع، ويرى هو نبت، وإعراق الثرى هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

القديم يوم العروبة، وهو أفضل أيام الأسبوع.

وذكر الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ في هـذا البـاب أحدَ عشرَ حديثًا.

* * *



الحديث الأول

٤٦ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا». رواه مسلم(١).

---

(١) رواه مسلم (٨٥٤/ ١٧)، وللحديث ألفاظ أخرى أطول وأشمل، نذكر منها رواية مالك في «الموطأ»: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى الطُّورِ، فَلَقِيتُ كَعْبَ الأَحْبَارِ، فَجَلَسْتُ مَعَهُ، فَحَدَّثَنِي عَنِ التَّوْرَاةِ وَحَدَّثْتُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ فِيمَا حَدَّثْتُهُ أَنْ قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ؛ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلا الْجِنَّ وَالإِنْسَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ». قَالَ كَعْبٌ: ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ، فَقُلْتُ: بَلْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، فَقَرَأَ كَعْبٌ التَّوْرَاةَ، فَقَالَ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَلَقِيتُ بَصْرَةَ بْنَ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيَّ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مِنَ الطُّورِ، فَقَالَ: لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ مَا خَرَجْتَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى مَسْجِدِي هَذَا، وَإِلَى مَسْجِدِ إِيلِيَاءَ، أَوْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»، يَشُكُّ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: =

(عن أبي هريرةَ ﷺ: أن النبي ﷺ قال: خير يوم طلعَتْ عليه الشمس يوم الجمعة).

زعم الشيخ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلام: أن تفضيل الأزمنة والأمكنة بعضِها على بعض ليس لذواتها، وإنما هو بسبب ما يقع فيها من وجوه الخيرات. انتهى[1].

وفي هذا المقال نظرٌ، وقد ردَّه الإمام المحقِّق ابنُ القيم وقال: بل فضيلَتُها لمعنًى خصَّها الله به، وشرَّفها وميَّزها على غيرها.

وفي عموم هذا الحديث دليلٌ لمن قال: إن يوم الجمعة أفضلُ من يوم عرفة، وقد قاله بعضُ علمائنا وعلماء الشافعية، والحقُّ أنه أفضل أيام الأسبوع، وأفضلُ أيام السنة: يومُ النحر، أو يومُ عرفة.

= ثُمَّ لَقِيتُ عَبْدَاللَّهِ بْنَ سَلامٍ، فَحَدَّثْتُهُ بِمَجْلِسِي مَعَ كَعْبِ الأَحْبَارِ وَمَا حَدَّثْتُهُ بِهِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقُلْتُ: قَالَ كَعْبٌ: ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ. قَالَ: قَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ سَلامٍ: كَذَبَ كَعْبٌ، فَقُلْتُ: ثُمَّ قَرَأَ كَعْبٌ التَّوْرَاةَ، فَقَالَ: بَلْ هِيَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ سَلامٍ: صَدَقَ كَعْبٌ. ثُمَّ قَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ سَلامٍ: قَدْ عَلِمْتُ أَيَّةَ سَاعَةٍ هِيَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتَ لَهُ: أَخْبِرْنِي بِهَا، وَلا تَضَنَّ عَلَيَّ، فَقَالَ عَبْدُاللَّهِ ابْنُ سَلامٍ: هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: وَكَيْفَ تَكُونُ آخِرَ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي»، وَتِلْكَ السَّاعَةُ سَاعَةٌ لا يُصَلَّى فِيهَا؟ فَقَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ سَلامٍ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ، فَهُوَ فِي صَلاةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ؟» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَهُوَ ذَلِكَ. «موطأ مالك» (١/ ١٠٨).

(١) انظر: «قواعد الأحكام» لابن عبد السلام (١/ ٣٨).

(فيـه)؛ أي: فـي يـوم الجمعـة **(خلـق آدمُ)** عليـه الـسلام مـن أَدمـة الأرض، ونفخ فيه الروح، وقال الله تعالى: إنَّ آدمَ لا يصلُح أن يكون وحـدَه، ولكن نخلق له قريناً مثلَه، فألقى عليه السُّباتَ، فأخذ إحدى أضلاعه، وسـماه امرأةً؛ لأنها من المرء أخذت، فقربها إلى آدم عليه السلام، فقال آدم: عظمٌ من عظامي، ولحم من لحمي، وقال الله تعالى لهما: أثمروا وأكثـروا واملـؤوا الأرض، وتسلَّطوا على أنوان البحار، وطير الـسماء، والأنعـام والـدواب، وعشب الأرض وشجرها وثمرها، ورأى كل ما خلـق، فـإذا [هـو] حـسن جدًّا، وكان مساء، وكان صباح يـوم الجمعـة؛ كمـا فـي «المعـارف» لابـن قتيبة[1]، والتوراة.

والمشهور أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام بعد العصر من نهار يـوم الجمعة.

(وفيه)؛ أي: في يوم الجمعة **(أُدخِل الجنة)**؛ لأنه سـبحانه وتعـالى لمـا خلق آدمَ عليه السلام من الأرض، ألقاه على باب الجنة ـ كما جاء في بعض الآثار ـ أربعين صباحًا، فجعل إبليسُ يُطيف به، ويقول: لأمرٍ ما خُلِقتَ، فلمـا رآه أجوفَ، علم أنه لا يتمالك، فقال: لئن سُلِّطتُ عليه لأهلكَنَّه، ولئن سُـلِّط

---

(١) انظر: «المعارف» لابن قتيبة (ص: ١١)، وتتمته: «فكمل كـل أعمـال الله التـي عمل، ثم استراح في اليوم السابع من خليقته، فبركه وطهره... إلخ».

قلت: هذا الكلام من الإسرائيليات، وأورده ابن قتيبة في كتابـه المـذكور تحـت عنوان: (مبدأ الخلق). وليس له أصـل شـرعي مـن كتـاب أو سـنة، ولا يـصلح للاستدلال، بل هو مستنكر أشد الاستنكار، فتعـالى الله عـن الحاجـة للاسـتراحة.

والأنوان: واحدها نون، وهو الحوت.

علي لأعصينَّه.

وفي هذا استئناس لمن يقول: إن خلق آدم لم يكن في الجنة، وإنما كان في الأرض؛ لما خلق منه، وهو التراب والطين الآسن، فمن المعلوم الذي لا ينازع فيه مسلم أن الله تعالى خلق آدم من تربة هذه الأرض، وأخبر أنه تعالى خلقه من سلالة من طين، وأنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون.

فالصلصال: الذي له صلصلة ليبسه، وقيل: هو الذي تغيرت رائحته، من قولهم: صَلَّ اللحمُ: إذا تغير.

والحمأ: الطين الأسود المتغير.

والمسنون: المصبوب، وهذه كلها أطوار للتراب.

وما فوق السموات ليس بمكان للطين الأرضي المتغير الرائحة الذي قد أنتن من تغيره، وإنما محلُّ هذا الأرضُ، التي هي محلُّ التغيرات الفاسدات، وأما ما فوق الأفلاك، فلا يلحقه تغير ولا نتن، ولا فساد ولا استحالة! وبهذه الأمور ونحوها استدلّ من زعم أن الجنة التي أُهبط منها آدم عليه السلام ليست هي جنة الخلد، وإنما هي جنة في بعض صحارى اليمن، كما عليه طوائف من أهل العلم.

وجواب الذين يثبتون أنها جنة المأوى عن هذه الشبهة المذكورة من جملة شبههم: إنا وإن سلمنا أن خلق آدم قد كمل في الأرض، لم يمتنع أن يصعده الله سبحانه إلى السماء لأمر دبره وقدره، ثم يعيده إلى الأرض، فقد أصعد المسيح عليه السلام إلى السماء، ثم ينزله إلى الأرض قبل يوم القيامة، وقد أُسري ببدن سيدنا رسول الله ﷺ وروحِه إلى فوق السموات.

ووجه استئناس القائلين بأنه كمل خلق آدم في الأرض، ثم أصعده إلى السماء، فدخل الجنة بعد صعوده، وكان دخوله الجنة يوم الجمعة، وأما إذا كان خلق في الجنة، فكيف يكون دخل الجنة يوم الجمعة، وهو إنما خلق فيها؟ والله تعالى أعلم[1].

(**وفيه**)؛ أي: في يوم الجمعة (**أُخرج**) ـ بضم أوله مبنيًّا لما لم يسم فاعله ـ؛ أي: أخرجه الله تعالى بعدما أكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن قربانها والأكل منها.

(**منها**)؛ أي: من الجنة، وكان خروجه عليه السلام من الجنة آخر النهار في الساعة التي مات فيها، ولا تقوم الساعة ـ يعني: القيامة العظمى ـ إلا في يوم الجمعة، وإنما سمي يوم القيامة بالساعة؛ لسرعة مجيئه، وبغتته للعالم في لمحة البصر.

فإن قيل: أيُّ فضيلة في إخراج آدم عليه السلام من الجنة ليوم الجمعة، وفي إقامة الساعة فيه؟

فالجواب: قد قيل: إن هذه القضايا المعدودات ليست لذكر فضيلة يوم الجمعة، فإخراجُ آدم من الجنة وقيامُ الساعة لا يعدّ فضيلة، وإنما هو

---

(١) قد نجد في معطيات العلوم الحديثة تفسيرًا لما كان يحير علماء القرون الماضية، وخاصة ما أثبتته الرحلات الفضائية من تشابه الكواكب والأقمار، بعد أن تم اختبار تربة القمر والمريخ وغيرهما من الأجرام السماوية والنيازك المتساقطة على الأرض، ولم يعد للتساؤلات التى طرحها الشارح ـ رحمه الله ـ أي: معنى، فالعناصر الموجودة في أديم الأرض لها مثيل في ما تم اختباره حتى الآن.

لبيان ما وقع فيه من الأمور العظيمة، وماذا سيقع؛ ليتأهب العبد فيه بالأعمال الصالحة؛ لنيل رحمة الله تعالى، ودفعِ نقمته، والحقّ ما قال ابن العربي وغيره: الجميعُ من الفضائل؛ فإن خروج آدم عليه السلام من الجنة هو سبب وجود الذرية، وهذا النسل العظيم، ووجود المرسلين والأنبياء والصالحين والعلماء والأولياء والصديقين، ولم يخرج آدم عليه السلام من الجنة طردًا، بل لقضاء أوطاره، ثم يعود إليها؛ بخلاف إبليس؛ فإنه خرج طردًا ملعونًا مبعودًا من رحمة الله. وأما قيام الساعة، فهو سبب لتعجيل إجزاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وغيرهم، وإظهار كرامتهم وشرفهم[1].

وأطال المقال في هذا المجال الإمامُ المحقق ابنُ القيم[2]، وأبدى من الحكم ما تقرّ به العيون، وتنشرح به الصدور، والله ولي الأمور.

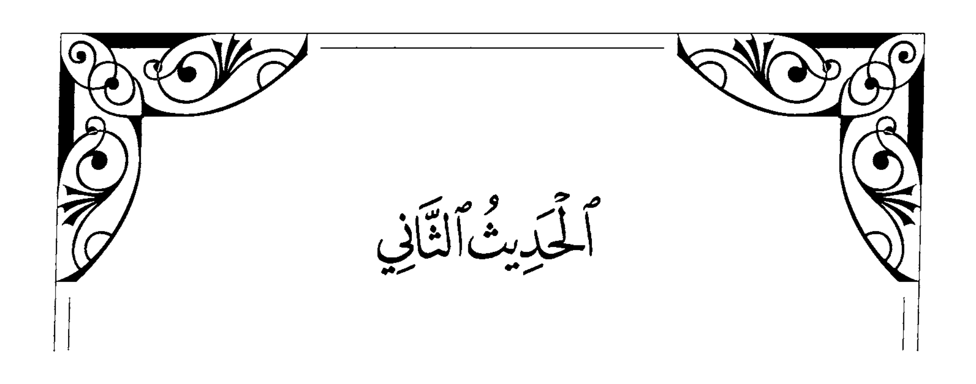
(رواه مسلم) في «صحيحه»، ورواه ـ أيضًا ـ الإمامُ أحمد، والترمذي[3].

* * *

(١) انظر: «عارضة الأحوذي» لابن العربي (٢/ ٢٧٥).

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (١/ ٣٧٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٤٠١)، والترمذي (٤٨٨).



الحديث الثاني

٤٧ ـ عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلاةِ فيه؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ أَرَمْتَ؟ ـ قَالَ: يَقُولُونَ: بَلِيتَ ـ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ»، وقال بعضهم: «أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاء». رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه[1].

(عن أَوسِ بنِ أوسٍ ﷺ)، ويقال: ابن أبي أوسٍ الثقفي، وهو والدُ عمرِو بنِ أوس، وقيل: إن أوسَ بنَ أوسٍ غيرُ أوسِ بنِ أبي أوس.

قال في «جامع الأصول» في ترجمة أبي عمرٍو أوسِ بن حذيفة بن ربيعة ابن أبي سلمة الثقفي: وقد جعله ابنُ معين أوس بن أبي أوس، وقال: هما واحد، وزعم أن أبا أوس كنيةُ حذيفة، وقال غيره: هما اثنان، الأول أوس ابن أوس، روى عنه ابنه عمرو، وأبو الأشعث الصنعاني، وعطاء والد يعلى،

---

(١) رواه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٦٣٦).

والثاني صحابي أيضًا ﷺ قليل الحديث، روى عنه ابنُه، وابنُ ابنه عثمان بن عبدالله، وعبد الملك بن المغيرة.

نزل الطائف، وكان وفد على النبي ﷺ في وفد ثقيف[1].

(قال) أوسُ بنُ أوسٍ ﷺ: **(قال رسول الله ﷺ: إنَّ من أفضل أيامكم)** التي تمر بكم وتعدّونها، فالإضافة لأدنى ملابسة، **(يومَ الجمعة)**، فهو أفضل أيام الأسبوع، كما أن أفضل أيام العام يوم النحر، ويوم عرفة، وأفضل ليالي العام ليلةُ القدر، وأفضل الأعشار عشرُ ذي الحجة، ما خلا ليلةَ القدر، فأيام عشر ذي الحجة أفضلُ من أيام عشر رمضان الأخير، وليالي عشر رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة؛ لمحل ليلة القدر، وليلة الإسراء بالنسبة إلى النبي ﷺ أفضلُ من ليلة القدر. **(فيه)**؛ أي: في يوم الجمعة **(خُلق)** أبونا **(آدمُ)** عليه السلام، **(وفيه قُبض)** بعد أن عاش في الدنيا بعد هبوطه من الجنة ألفَ سنة، وقال ابن عباس ﷺ: ألف سنة إلا ستين عامًا التي كان وهبها لابنه داود[2]، على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام.

ومات آدمُ عليه السلام يومَ الجمعة آخرَ النهار، فالساعةُ التي مات فيها، هي الساعة التي أخرج فيها من الجنة، فلما مات، نزلت الملائكة مع أكفانه ولوازمه من التجهيز، وصلى عليه ابنه الوصيّ شيثٌ عليه السلام بأمر جبريل عليه السلام، وأمره أن يكبر عليه ثلاثين تكبيرة، وقيل: أربعًا.

وفي الخبر: صلى عليه شيث مع الملائكة بعدد كل صلاة تصلى على

---

(١) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ١٥٠ ـ ١٥١).

(٢) انظر: «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٤/ ٢٤٥).

كل مسلم من أولاده الموتى إلى يوم القيامة، كذا قيل!! ودفنه في أبي قبيس، وهو أول جبل خلق في الأرض، ولهذا السر دفن فيه، ثم أخرجه نوح زمن الطوفان، وحمله في السفينة، بأمر الله، ثم أعاده إلى مكانه[١].

وذكر أهل التاريخ في تاريخ مكة المشرفة: أن نوحًا دفن آدم ـ على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ـ بعد الطوفان بمنى بمسجد الخيف[٢]، قيل: إن سرته تحت المنارة التي فوق الباب الكبير الآن.

وقد ذكر بعض العلماء من المتصوفة: أنه كان نائمًا في مسجد الخيف، ورأسه على عتبة الباب الكبير، وكان مجاورًا بمكة، قال: فرأيت فيما يرى النائم كأني أتكلم مع أبي آدم ـ صفي الله ـ تارة، وأسلم عليه تارة.

قال أهل التاريخ: وعاشت حواء؛ أي: بعد موت آدم عليه السلام، مئة سنة وسبعًا وتسعين سنة، وقيل: عاشت بعد آدم سبع سنين وستة أشهر، وقيل: عاشت سبعًا وتسعين سنة؛ كما في «كشف الأسرار»[٣].

(وفيه)؛ أي: في يوم الجمعة تكون **(النفخةُ في الصور)**. قال القرطبي

---

(١) حبذا لو أرشدنا الشارح إلى مصادر هذه الأقاويل، لو كان لها سند صحيح، وحكم هذه الأخبار أنها مجرد حكايات وأساطير ما دامت لم تثبت بنص شرعي، من قرآن أو سنة صحيحة، والله أعلم.

(٢) انظر: «البستان الجامع» للأصفهاني (ص: ٥٧)، و«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٣٦٤)، و«تاريخ مكة المشرفة» لابن الضياء (ص: ١٩١)، و«عمدة القاري» للعيني (٤/ ٤٩).

(٣) لم أعرفه، فقد أحصيت ما يزيد عن مئة كتاب بهذا الاسم في مختلف العلوم والفنون.

في «التذكرة»[1]: قال علماؤنا: الأمم مجتمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيلُ عليه السلام[2].

وفي حديث عند الإمام أحمد رجالُه ثقات عن النبي ﷺ: أنه قال: «النافخان في السماء الثانية رأسُ أحدهما بالمشرق ورجلاه بالمغرب ـ أو قال: رأس أحدهما بالمغرب ورجلاه بالمشرق ـ ينتظران متى يؤمران أن ينفخا في الصور، فينفخا»[3]، وأخرجه الحاكم من حديث ابن عمرو[4].

قال القرطبي: هذا يدل أن مع إسرافيل ملكًا آخر، فلعل له قرنًا آخر ينفخ فيه[5]، وقد جاء مصرحًا به في حديث ابن ماجه عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن صاحِبَي الصور بأيديهما قرنان ملاحظان

---

(١) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين أبو عبدالله القرطبي المالكي، المتوفى سنة إحدى وسبعين وستمئة. انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٣٩٠).

(٢) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص: ٤٨٨).

(٣) رواه الإمام أحمد على الشك، فإن كان عن أبي مرية، فهو مرسل، ورجاله ثقات، وإن كان عن عبدالله بن عمرو فهو متصل مسند، ورجاله ثقات. انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/ ٣٣٠). وقال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٦٩): أخرجه الحاكم من حديث عبدالله بن عمرو بغير شك. قال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢/ ٤١٠): منكر.

(٤) رواه الحاكم كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٢٩٨).

(٥) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص: ٤٨٨).

النظر متى يؤمران»[1].

وفي حديث عند الطبراني بإسناد حسن عن عبدالله بن الحارث قال: كنت عندَ عائشةَ وعندها كعبُ الأحبار، فذكر إسرافيل، فقالت عائشة ﵂: أخبرني عن إسرافيل، فقال كعب: عندكم العلم، قالت: أجلْ أخبرني، قال: له أربعة أجنحة: جناحان في الهواء، وجناح قد تسربلَ به، وجناح على كاهله، والقلمُ على أذنه، فإذا نزل الوحي، كتب القلم، ثم درست الملائكة، وملك الصور جاثٍ على إحدى ركبتيه وقد نصب الأخرى، فالتقم الصورَ، محنيٌّ[2] ظهرُه، [شاخصٌ بصره إلى إسرافيل]، وقد أُمر إذا رأى إسرافيلَ ضمَّ جناحيه أن ينفخ في الصور، فقالت عائشة: هكذا سمعتُ رسول الله ﷺ يقول[3].

قال الحافظ ابن حجر: هذا يدل على أن النافخَ غيرُ إسرافيل، فليحملْ على أنه ينفخ النفخةَ الأولى إذا رأى إسرافيلَ ضمَّ جناحه، ثم ينفخ إسرافيلُ النفخة الثانية، وهي نفخة البعث[4].

والصور كهيئة القرن ينفخ فيه، قال وَهْبُ بْنُ مُنَبِّه: خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفة الزجاجة، ثم قال للعرش: خذ الصور فتعلق به، ثم

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٧٣). قال الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه» عنه: منكر، وقال في «صحيح وضعيف الجامع الصغير» (١٨٧٢) عنه: ضعيف.

(٢) في الأصل: «فحنى»، والمثبت من «المعجم الأوسط» للطبراني.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٢٨٣)، وانظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/ ٣٣١).

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣٦٩).

قال: كن، فكان إسرافيل، فأمره أن يأخذ الصور، فأخذه، وبه ثقوب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة، لا تخرج روحان من ثقب واحد، وفي وسط الصور كوةٌ كاستدارة السماء والأرض، فإسرافيل واضع فمه على تلك الكوة، ثم قال له الرب تعالى: وكّلتك بالصور، فأنت للنفخة، وللصيحة، فدخل إسرافيلُ في مقدم العرش، فأدخل رجله اليمنى تحت العرش، وقدَّم اليسرى، ولم يطرِفْ منذ خلقه الله، ينتظر ما يؤمر به.

أخرجه أبو الشيخ في كتاب «العظمة»[1]، وذكره الحافظ السيوطي في «البدور السافرة»[2].

وأخرج الإمام أحمد في «المسند»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «البعث»، والطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أَنْعَمُ وصاحبُ الصور قد التقمَ القرنَ، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر؟» قالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»[3].

وأخرجه الإمام أحمد ـ أيضًا ـ، والطبراني بسند جيد من حديث زيدِ

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣٨٩).

(٢) انظر: «البدور السافرة» للسيوطي (ص: ٨٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٨٦٧٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٦٦٣)، ورواه البيهقي في «البعث» (ص: ١٩) من حديث أبي سعيد، وقد روي هذا الحديث بألفاظ متقاربة عن ابن عباس، وأبي هريرة، وزيد بن أرقم.

ابنِ أرقمَ ﷺ، ولفظه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى السَّمْعَ مَتَى يُؤْمَرُ؟» قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»[1].

* **تنبيه:**

النفخات ثلاثة:

الأولى: نفخة الفزع لتغير نظام هذا العالم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥]؛ أي: من ردّ ومردّ، وقال: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧]، فسَّر الزمخشري المستثنى في هذه الآية بمن ثَبَّتَ الله قلبَه من الملائكة، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملَك الموت[2]، وقيل غيرُ ذلك.

وإنما حصل الفزع لشدة ما يقع من الهول عند تلك النفخة؛ لأنه إذا نفخ في الصور نفخة الفزع، تزلزلت الأرض، وتحركت السماء، وتناثرت النجوم، وتفجرت البحار، وذهلت المراضع، ووضعت الحوامل، وعُطلت العِشار؛ أي: النوق الحوامل؛ أي: تُركت هملًا بلا رعاة، واختلطت الإنس والجن والدواب والوحوش، وهاج بعضهم في بعض كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ الآيات [الحج: ١].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٧٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٠٧٢).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/ ٣٩١).

الثانية: نفخة الصعق، وفيها هلاكُ كلِّ شيء، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزمر: ٦٨] وقد فُسر الصعق بالموت.

قال الإمام أبو حامدٍ الغزاليّ: حدثني مَنْ لا أشك في علمه ومعرفته: أن الاستثناء في قوله: ﴿... فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، واقعٌ عليه سبحانه خاصة، ولو كان ثَمَّ أحدٌ، لأجابه سبحانه حين يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[غافر: ١٦]، فيقول: لك يا واحد يا قهار[(١)].

وقد أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟»[(٢)].

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر ﷺ مرفوعًا: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[(٣)].

وقيل: الاستثناء في الآية الكريمة لمن لا يخلق للفناء مما في الجنة من الحور العين والخزان، وكذلك النار وما فيها من الحيات والعقارب، فما خلقه الله للبقاء لا يلحقه الفناء، وهو الحق؛ كما نص عليه الإمام أحمد ﷺ.

---

(١) نقله السفاريني في «البحور الزاخرة» (١/ ٥٩٨).

(٢) رواه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧/ ٢٣).

(٣) رواه مسلم (٢٧٨٨/ ٢٤).

الثالثة: نفخة البعث، وقد جاء في الكتاب العزيز عدة آيات تدل عليها، منها: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزمر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[ق: ٤١-٤٢]، قال المفسرون: المنادي هو إسرافيلُ عليه السلام، ينفخ في الصور، وينادي: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة! إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

وقيل: ينفخ إسرافيل، وينادي جبريل، والمكان القريب: صخرة بيت المقدس، قاله جماعة من المفسرين.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»، قالوا: يا أبا هريرةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإنْسَانِ شَيْءٌ إِلا يَبْلَى إِلا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(١)].

وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا: «يأكلُ الترابُ كلَّ الإنسانِ إلا عَجْبَ ذَنَبِهِ مثلَ حبةِ خردلٍ، منه تنبتون»، رواه الإمام أحمد بسند حسن[(٢)].

وأخرج ابن أبي داود في «البعث» من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥/ ١٤١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٨).

قال: «ينفخ في الصور، والصورُ كهيئة القرن، فصعق من في السموات ومن في الأرض، وبين النفختين أربعون عامًا، فيمطر الله في تلك الأربعين مطرًا، فينبتون من الأرض كما ينبت البقلُ، ومن الإنسان عظمٌ لا تأكله الأرض، عَجْبُ ذنبه، ومنه يركَّب جسده يوم القيامة»[1].

والمراد بما بين النفختين: نفخة الصعق، ونفخة البعث، وأما نفخة الفزع: فقد قيل: إنها نفخة الصعق، والذي اختاره ابن العربي وغيره: أنها غيرها، وأن النفخات ثلاثة[2]، وأغرب ابنُ حزم، فزعم أن النفخ في الصور يقع أربعَ مرات[3].

والنفخات كلها تكون يومَ الجمعة، ولهذا قال: **(وفيه)**؛ أي: يوم الجمعة **(الصعقةُ)**؛ أي: نفخة الصعقة، أو أثر النفخة، وهو الموت لجميع العالم سوى ما استُثني، ثم قال ﷺ: **(فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه)**.

قال أبو طالب المكي أقلُّ الإكثار من الصلاة عليه ثلاثمئة مرة[4]، فلا يعدُّ مَنْ صلَّى عليه دونَ الثلاثمئة في يومه مُكثرًا، والإكثارُ الحقيقي ألفُ مرة فصاعدًا.

ثم علَّل اختصاصَ يوم الجمعة بالإكثار بقوله: **(فإن صلاتكم)** عليَّ يومَ الجمعة، وكذا ليلتها **(معروضةٌ علي)**؛ فإنه يوم مشهود، تشهده الملائكة،

---

(١) رواه ابن أبي داود في «البعث» (ص: ٤٣).

(٢) انظر: «عارضة الأحوذي» لابن العربي (٩/ ٢٦٨).

(٣) نقله ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٦٩).

(٤) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (١/ ١٢١).

ولن يصلي عليه ﷺ أحد إلا عرضت صلاته عليه حين يفرغ منها، **(قالوا: يا رسولَ الله! كيف تعرض صلاتنا)** التي نصليها **(عليك، وقد أَرَمْت)** ـ بفتح الهمزة والراء وسكون الميم ـ **(قال)** الراوي: **(يقولون)**؛ يعني الصحابةَ المخاطبين بذلك ﷺ: **(بَليت)**؛ أي: ذهبت واضمَحْلَلت، **(فقال)** ﷺ مجيبًا لقولهم: **(إن الله ﷻ حَرَّم على الأرض)**؛ أي: منع على الأرض أن تأكل **(أجساد الأنبياء)** عليهم الصلاة والسلام.

(وقال بعضهم)؛ أي: بعض الرواة: حرَّم على الأرض **(أن تأكل أجساد الأنبياء)**[١]، وفي لفظ: «أن تأكل أجسادنا»[٢].

(رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه) في سننهم، ورواه ابن حبان في «صحيحه»[٣].

قوله: **(أرمت)**: أي: صرت رميمًا، وروي: **(أُرِمْت)** ـ بضم الهمزة وكسر الراء ـ. قال البيهقي: له شواهد[٤]، قال الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه «الصارم المنكي»: ذكر البيهقيُّ حديثين عن ابن مسعود، وأبي أمامة رضي الله عنهما.

قال الحافظ ابنُ عبدِ الهادي: وله شواهدُ أجودُ مما ذكرها البيهقي،

---

(١) وهذا لفظ رواية النسائي وابن ماجه.

(٢) أورده الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤/ ١١٠) بلفظ: «إنا معاشر الأنبياء حرم الله على الأرض أجسادنا أن تأكلها».

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٩١٠).

(٤) انظر: «حياة الأنبياء بعد وفاتهم» للبيهقي (ص: ٩٠).

منها: ما رواه ابن ماجه من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا عليَّ من الصلاة يومَ الجمعة؛ فإنه مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدًا لن يصلي عليّ إلا عُرضت عليّ صلاتُه حتى يفرغ منها، قال: قلت: وبعد الموت! قال: وبعدَ الموت، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[1].

ورواه أبو جعفر محمدُ بنُ جريرٍ الطبريُّ في «تهذيب الآثار»[2].

ومنها: ما رواه أبو داود وغيره: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنتُمْ»[3].

قال الحافظ: وله شواهد مراسيل من وجوه مختلفة يصدق بعضُها بعضًا، فذكر منها ما رواه سعيد بن منصور في «سننه»: حدثنا حبان بن علي، حدثنا محمد بن عجلان عن أبي سعيد مولى المهري[4] قال: قال

---

(١) والحديث بتمامه كما في «سنن ابن ماجه» (١٦٣٧): عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثِرُوا الصَّلاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلاتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا»، قَالَ: قُلْتُ: وَبَعْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: «وَبَعْدَ الْمَوْتِ؛ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأنبِيَاءِ، فَنَبِيُّ اللَّهِ حَيٌّ يُرْزَقُ»، قال الألباني في «صحيح وضعيف ابن ماجه»: ضعيف.

(٢) رواه الطبري في «تهذيب الآثار ـ الجزء المفقود» (٣٥٤).

(٣) رواه أبو داود (٢٠٤٢).

(٤) في الأصل: «المهدي»، والصواب المثبت. انظر: «الصارم المنكي» =

رسول الله ﷺ: «لا تتخذوا بيتي عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلُّوا عليَّ حيث ما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغني»[1].

ومنها: ما رواه سعيد ـ أيضًا ـ عن سهيل بن أبي سهل[2] قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند القبر، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشَّى، فقال: هَلُمَّ إلى العَشاء، فقلت: لا أريده، فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلتَ المسجد فسلِّمْ عليه، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا بيتي عيدًا، ولا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهودَ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ، وصَلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلُغني حيث ما كنتم»، ما أنتم ومن بالأندلس منه إلا سواء[3].

ورواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتاب «فضل الصلاة على النبي ﷺ»[4].

وقال إسماعيل: حدثنا إبراهيم بن الحجاج عن وُهيب عن أيوب السختياني: بلغني ـ والله أعلم ـ: أن مَلَكًا موكَّل بكل من صلى على النبي ﷺ

= (ص: ٢٠٧)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (ص: ٦٤٤).

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٤٨٣٩)، من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٢) كذا في الأصل، و«حديث إسماعيل بن جعفر»، وفي «الصارم المنكي» و«تهذيب الكمال» للمزي (٦/ ٩١): سهيل بن أبي سهيل.

(٣) لم نقف عليه عند سعيد بن منصور، ورواه بنحوه مختصرًا إسماعيل بن جعفر في «حديثه» (ص: ٤٩٩).

(٤) رواه القاضي إسماعيل بن إسحاق في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٣٠).

حتى يبلغه[1].

وفي «سنن النسائي» وغيره عن ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ: أنه قال: «إن لله ملائكةً سياحين يُبلغوني عن أمتي السلام»[2].

قال الحافظ ابن عبد الهادي: هذه أحاديثُ معروفة عند أهل العلم جاءت من وجوه حسان يصدِّق بعضُها بعضًا، وهي متفقة على أن من صلى عليه وسلم من أمته، فإن ذاك يبلغه، ويُعرض عليه، قال الحافظ: وليس في شيء منها أنه ﷺ يسمع صوت المصلي والمسلِّم بنفسه، إنما فيها أن ذلك يُعرض عليه ويبلغه ﷺ تسليمًا.

ومعلوم أنه أراد بذلك الصلاة والسلام الذي أمر الله به، سواء صلى عليه وسلم في مسجده، أو مدينته، أو مكان آخر، وأما من سلم عليه عند قبره، فإنه يردُّ عليه، وذلك كالسلام على سائر المؤمنين[3].

وفي الحديث: «من صلى عليَّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليَّ نائيًا ـ أي: بعيدًا ـ بُلِّغْتُه»، ذكره ابنُ أبي شيبة في «مسنده»[4]، ورواه البيهقي

---

(١) رواه القاضي إسماعيل بن إسحاق في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٢٤).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٩٤). وانظر: «تذكرة الموضوعات» للفتني (ص: ٩٠)، وسيأتي.

(٣) انظر: «الصارم المنكي» لابن عبد الهادي (ص: ٢٠٦ ـ ٢٠٨).

(٤) لم نقف عليه عند ابن أبي شيبة، وعزاه إليه القاضي عياض في «الشفا» (ص: ٥٧٤)، ورواه السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (١/ ١٧٠) من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة بسنده إلى أبي هريرة ﷺ. وانظر: «الرد على الإخنائي» لشيخ الإسلام (ص: ١٤٣).

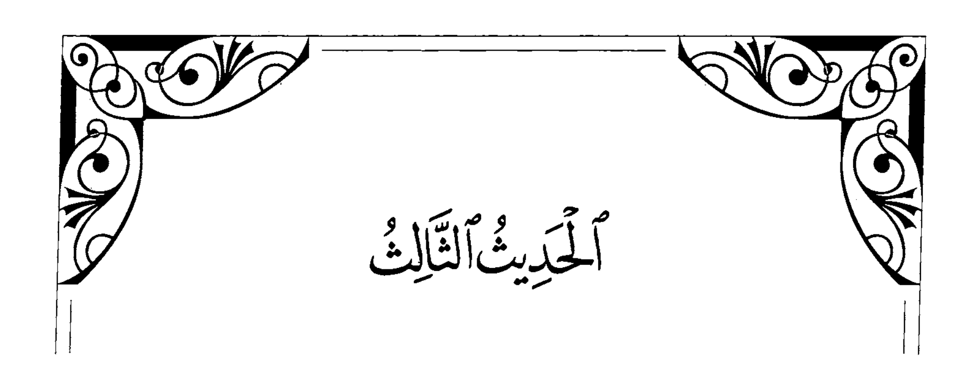
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ، قال: «من صلى عليَّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليَّ نائيًا بُلِّغته»[1].

وأما ما يقولهُ بعض الناس: إنه ﷺ يوم الجمعة وليلتها يسمع بأذنيه صلاةَ من يصلي عليه، فقولٌ بلا علم، باطلٌ[2]، والذي في الأحاديث المعروفة أنه يُبَلَّغ ذلك، ويُعرض عليه، وكذلك السلام تُبلغه إياه الملائكة. والله أعلم.

* * *

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٨٣)، قال الفتني في «تذكرة الموضوعات» (ص: ٩٠): فيه السدي الصغير، كذاب، ولكن للحديث شواهد؛ كحديث: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام». وقد تكلم السيوطي والألباني وغيرهما على هذا الحديث، وتباينت آراؤهما، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية «في مختصر الرد على الأخنائي ـ مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٢٤١): موضوع.

(٢) في هامش الأصل: «قوله: يسمع بأذنيه... إلخ: لا مانع أن يكون السماع للصلاة والسلام من المبلغ، فلا اعتراض على القائل حينئذ، والله أعلم».



الحديث الثالث

٤٨ ـ عن سَلْمَانَ الْفَارِسِيّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ: «مَـنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَتَطَهَّرَ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، ثُمَّ ادَّهَنَ، أَوْ مَسَّ مِـنْ طِيبٍ، ثُمَّ رَاحَ فَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ، فَصَلَّى مَا كُتِبَ لَـهُ، ثُـمَّ إِذَا خَـرَجَ الإِمَامُ أَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى». رواه البخاري[1].

(عن سلمانَ الفارسيِّ) هو أبو عبدالله سلمانُ الفارسـيُّ، ويقـال لـه: سلمان الخير (ﷺ)، مولى رسول الله ﷺ، وكـان يقـول: أنـا سـلمانُ بـنُ الإسلام[2]. وأصلُه من فارس من رامهرمز، ويقال: بل كان أصله من أصفهان من قرية يقال لها: جَيّ[3]، سافر يطلب الدِّين، فدان أولًا بدين النـصرانية،

---

(١) الصيغة التي أثبتُّها للحديث هنا هي ما أورده الضياء في الأصل؛ أي: «كتـاب فـضائل الأعمال»، وهي باللفظ الذي أخرجه البخاري فـي «صـحيحه» (٩١٠)، والفـرق بسيط بينها وبين ما ورد في المخطوط، مما قد يكون خطأً فـي النـسخ، فاقتـضى التنويه.

(٢) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٢/ ٤٨٧).

(٣) يقال: إن الإسكندر قد بناها كما بنى الإسـكندرية فـي مـصر، وبنـى بخراسـان: سمرقند، ومرو، وهراة. وبنى جي، ويقال: إنه دفن بالإسكندرية. انظر: =

وقرأ الكتب، وصبر في ذلك على مشقاتٍ نالته، فأخذه قوم من العرب، فباعوه من اليهود، ثم إنه كوتب، فأعانه رسول الله ﷺ في كتابته.

وفي «مطالع ابن قرقول»[1]: «تداوله بضعة وعشرون ربًّا، من ربٍّ إلى ربٍّ»[2]؛ أي: من مالك إلى مالك، وسيد إلى سيد، حتى سُبي وبيع[3].

وقيل: إنه اشتراه بشرط العتق. ويقال: إنه تداوله بضعةَ عشرَ ربًّا حتى أفضى إلى النبي ﷺ، وأسلم لما قدم النبي ﷺ المدينة، ومنعه الرقُّ عن بدر وأُحد، وأولُ مشاهده الخندقُ ـ وهو الذي أشار به ـ فما بعدها، ولما خطَّ رسول الله ﷺ الخندق، جعل لكل عشرة نفر أربعين ذراعًا، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان، وكان رجلا قويًّا، فقال المهاجرون: سلمانُ منَّا، وقال الأنصار: سلمان منَّا، فقال رسول الله ﷺ: «سلمانُ منَّا أهلَ البيت»[4]. وهو أحدُ الذين اشتاقت إليهم الجنة، ولَّاه عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنهما المدائنَ، وكان

= «الروض المعطار» للحميري (ص: ١٨٦).

(١) «مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ ومسلم والبخاري وإيضاح مبهم لغاتها في غريب الحديث» لابن قرقول: إبراهيم بن يوسف، المتوفى سنة تسع وستين وخمسمئة، وضعه على منوال «مشارق الأنوار» للقاضي عياض. انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٧١٥).

(٢) كذا في «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (١/ ٢٧٨)، ورواه البخاري (٣٩٤٦) بلفظ: «تَدَاوَلَهُ بِضْعَةَ عَشَرَ مِنْ رَبٍّ إِلَى رَبٍّ».

(٣) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٣/ ١٠٦).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠٤٠)، وفيه كثير بن عبدالله المزني، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٣٠): وهو ضعيف.

من المعمَّرين، قيل: عاش مئتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمئة وخمسين سنة، قال ابن الأثير في «جامع الأصول»: والأول أصح[1].

وقال الحافظ أبو الفرج عبدُ الرحمن بن الجوزي في «منتخب المنتخب»: أدرك وصيَّ عيسى عليه السلام، وتوفي في خلافة عثمان ﷺ. قال: وعاش مئتين وخمسين عامًا، وكان يأكل من ضفر الخُوص[2]، ويتصدَّق بعطائه.

ومناقبه كثيرة، وفضائله غزيرة.

أثنى عليه النبي ﷺ ومدحه في كثير من الحديث، ومات بالمدائن سنة خمس وثلاثين، وقيل: اثنتين وثلاثين.

روي له عن رسول الله ﷺ ستون حديثًا، للبخاري منها أربعة مسندة، ولمسلم ثلاثة مسندة.

روى عنه: أبو هريرة، وأنس بن مالك، وغيرهما من الصحابة ﷺ، وغيرهم.

(قال) سلمان ﷺ: **(قال رسول الله ﷺ: من تغسل)** لصلاة الجمعة **(يومَ الجمعة)** فالغسل المشروع في اليوم للصلاة، فلا يصيب السنةَ من اغتسل قبل طلوع الفجر الثاني، وكذا من لم يصلِّ الجمعةَ في الأصح، كما يأتي التنبيه على ذلك. **(وتطهر)**؛ أي: تنظف للجمعة **(بما)**؛ أي: بالذي **(استطاعه من**

---

(١) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٤٤٤ ـ مكتبة الحلواني).

(٢) أي: نسجه، فالخوَّاص: بائع الخُوص وناسجه. انظر: «تاج العروس» للزبيدي (مادة: خوص).

طُهر) من نحو سواك وصابون، وفي الحديث: «وأن يستنَّ»[1]؛ أي: يدلك أسنانه بالسواك، ومن نحو تغيير أثواب مهنته بلبس أثواب نظاف.

وفي «الموطأ» عن يحيى بن سعيد بلغه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته»[2]، وفي حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغتسل يوم الجمعة، ومسَّ من طيب إن كان عنده، ولبس من أحسنِ ثيابه. . . » الحديث، رواه الإمام أحمد، والطبراني، وابن خزيمة في «صحيحه»[3]، ورواةُ الإمام أحمد ثقات.

(ثم) بعد غسله وتنظيفه (ادَّهَنَ) بشيء من الأدهان الطيبة الريح، (أو) قال بدل الدهن: (مَسَّ من طيب) إن كان عنده؛ بأن وجد الطيب، فيمسه، وفي رواية لمسلم: «ويمس من الطيب ما يقدر عليه»[4]، وفي رواية: «ولو من طيب المرأة»[5].

قال القاضي عياض: يحتمل قوله: «ما يقدر عليه» إرادةَ التأكيد؛ ليفعل ما أمكنه، ويحتمل إرادةَ الكثرة، والأولُ أظهر، ويؤيده قوله: «ولو من طيب المرأة»؛ لأنه يكره استعماله للرجل، وهو ما ظهر لونُه وخَفِيَ

---

(١) رواه البخاري (٨٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١١٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٠٠٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٧٥).

(٤) رواه مسلم (٨٤٦/ ٧).

(٥) كذا في مسلم، انظر التعليق السابق.

ريحه، فإباحتهُ للرجل لعدم غيره يدلّ على تأكيد الأمر في ذلك[1].

ويؤخذ من اقتصاره على المسّ الأخذُ بالتخفيف في ذلك.

قال الزين ابن المنيِّر: فيه تنبيه على الرفق، وعلى تفسير الأمر في التطيب بالإجزاء بأقلّ ما يمكن، حتى إنه يجزئ مسه من غير تناول قدر ينقصه؛ تحريضًا على امتثال الأمر فيه. انتهى.

(ثم) بعد الغسل والتنظيف والتطيب **(راحَ)**؛ أي: ذهب وسار وخرج إلى الجامع لأجل صلاة الجمعة، **(فلم يفرق بين اثنين)** جالسين منتظرين خروجَ الإمام لأداء الصلاة بعد استماع الخطبة، **(وصلى ما كُتب)** ـ بضم الكاف مبنيًا لما لم يسم فاعله ـ؛ أي: ما كتبه الله **(له)** من نحو تحية المسجد، وغيرها من النوافل.

وفي لفظ من حديث سلمان ﵁: أنه ﷺ قال: «لا يغتسل رجلٌ يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من الطهور، ويَدَّهن من دهنه، ويمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كُتب له»[2].

(ثم إذا خرج الإمام)، ورقي المنبر، وأخذَ في الخطبة، **(أنصتَ)** مستمعًا للخطبة من الخطيب، **(غُفر له)**، وفي الرواية الأخرى[3] بعد قوله: (ثم يصلي ما كتب له): «ثم ينصت إذا تكلَّم الإمام، إلا غُفر له» ـ بضم الغين المعجمة، مبنيًا لما لم يسم فاعله ـ؛ أي: إلا غفر الله ﷻ له **(ما بينه وبين**

---

(١) انظر: «إكمال المعلم» للقاضي عياض (٣/ ٢٣٦).

(٢) رواه البخاري (٨٨٣).

(٣) أي: رواية سلمان ﵁ السابقة.

الجمعة الأخرى).

(رواه البخاري)، ورواه النسائي، وفي روايته: «ما من رجل يتطهر يوم الجمعة كما أمر، ثم يخرج من بيته حتى يأتي الجمعة، وينصت حتى يقضي صلاته، إلا كان كفارة لما قبله من الجمعة»[1].

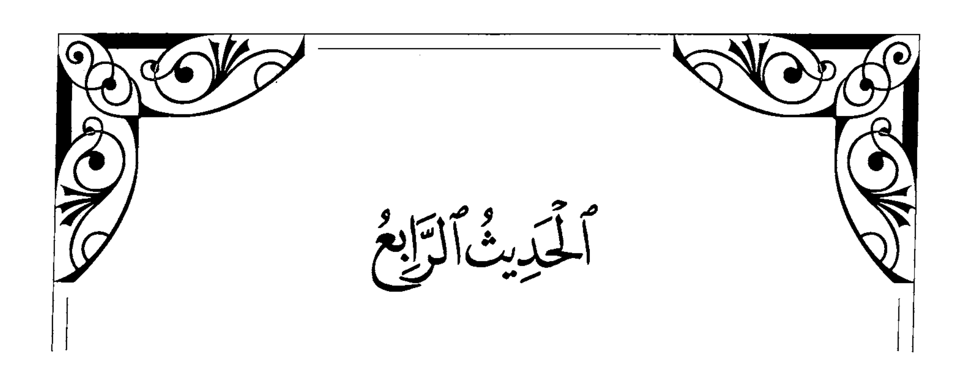
ورواه الطبراني في «معجمه الكبير» بإسناد حسن نحوَ رواية النسائي، وقال في آخره: «إلا كان كفارة لما بينه وبين الجمعة الأخرى ما اجتنبت المقتلة، وذلك الدهرَ كلَّه»[2].

* * *

---

(١) رواه النسائي (١٤٠٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠٨٩).



الحديث الرابع

٤٩ ـ عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ، حَضَرَتِ الْمَلائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ». رواه البخاري ومسلم[1].

(**عن أبي هريرة**) عبدِ الرحمنِ بن صخرٍ (ﷺ: **أن رسول الله ﷺ قال: من اغتسل يومَ الجمعة غُسل جنابة**)؛ أي: كغسل الجنابة، بأنْ يعم بالماء سائر بدنه بشروطه المعلومة. وهذا فيه كالذي قبله: الحثُّ على الغُسل يوم الجمعة للصلاة.

وفي حديث أبي بكرٍ الصدّيقِ الأعظم، وعمرانَ بنِ حُصينٍ ﷺ، قالا: قال رسول الله ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة، كفرت عنه ذنوبه وخطاياه. . .»

---

(١) رواه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠/ ١٠).

الحديث، رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»[1].

وفي «المعجم الكبير» للطبراني بإسناد رواتُه ثقات عن أبي أمامة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن الغسلَ يومَ الجمعة ليسلُّ الخطايا من أصول الشعر استلالًا»[2].

وفي «صحيح مسلم» وغيره عن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «غسلُ يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وسواك، ويمس من الطيب ما قدر عليه»[3].

وأخرج ابن ماجه بإسناد حسن عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا يومُ عيد جعله الله للمسلمين، فمن جاء يوم الجمعة، فليغتسلْ، وإن كان طيب، فليمسَّ منه، وعليكم بالسواك»[4].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٣٩)، و«الأوسط» (٤٤١٣)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٧٤): فيه الضحاك بن مزاحم، ضعفه ابن معين والنسائي، وذكره ابن حبان في «الثقات»، قال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١/ ٢٢٠): موضوع.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٩٦)، قال ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ١٩٨): قال أبي: هذا منكر، الحسن عن أبي أمامة لا يجيء، ووهن أمر مسكين عندي بهذا الحديث. وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٨٥)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٧٤): رجاله ثقات.

(٣) رواه مسلم (٨٤٦/ ٧).

(٤) رواه ابن ماجه (١٠٩٨). قال الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه»: حديث حسن.

* تنبيه:

الغسل يوم الجمعة لها سنَّة، ولا يجب، حكاه ابن عبد البر إجماعًا[1]، ونظر فيه في «المبدع»، قال الترمذي: العمل على أنه مستحب؛ لقول النبي ﷺ في خبر عائشة: «لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا»[2].

قال في «الفروع»: يسن الغسلُ لها؛ أي: الجمعة، أحدثَ بعدَه أو لا، ولو لم يتصل غسله بالرواح؛ خلافًا للإمام مالك، وأفضليته عند مضيه وسبقه بجماع، نص عليه[3].

وذكر جماعة: مَن له زوجة، فالمستحب أن يجامع، ثم يغتسل، نص عليه الإمام أحمد.

وقيل: غسل الجمعة واجب؛ للخبر على من تلزمه، وليس بشرط للصحة، والمعتمد عدمُ الوجوب.

وذكر في «جامع الأصول» حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وعزاه للبخاري، ومسلم، و«موطأ مالك»، و«سنن أبي داود»، والنسائي، وفي بعض ألفاظه: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستن، وأن يمسّ طيبًا إن وجد»، قال عمرو[4]: أما الغسل، فأشهد أنه واجب، وأما

---

(1) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (١٠/ ٧٩، ١٤/ ١٥، ١٦/ ٢١٦).

(2) انظر: «المبدع» لابن مفلح (٢/ ١٦٩)، والحديث رواه البخاري (٩٠٢)، ومسلم (٨٤٧/ ٦).

(3) انظر: «الفروع» لابن مفلح (٢/ ٨٣).

(4) في الأصل: «عمر رضي الله عنه»، والصواب المثبت، وهو عمرو بن سليم الأنصاري، =

الاستنان والطيب، فالله أعلم أواجب هو أم لا، ولكن هكذا في الحديث، كذا عند البخاري[1].

ولفظ مالك من حديث أبي هريرة: أنه كان يقول: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم كغسل الجنابة»[2].

وقد علمت أن الحق أنه سنة لا واجب، وأن المراد بكونه واجبًا: تأكد الاستحباب، يدل له: ما في الصحيحين وغيرهما: أن عمر ﷺ بينا هو يخطب الناس يومَ الجمعة، إذ دخل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين الأولين[3]، وفي رواية أبي هريرة في الصحيحين: إذ دخل عثمانُ بنُ عفانَ ﷺ، فناداه عمر: أية ساعة هذه؟ قال: إني شُغلت اليوم، فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت التأذين، فلم أزدْ على أن توضأت، فقال عمر: والوضوء أيضًا! وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمرُ بالغسل.

ولفظ حديث أبي هريرة: ألم تسمعوا رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا جاء أحدُكم الجمعةَ فليغتسلْ»[4].

= أحد رواة الحديث.

(١) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٧/ ٣٢٣)، والحديث رواه البخاري (٨٨٠)، ومسلم (٨٤٦/ ٥)، ومالك في «الموطأ» (١/ ١٠٢)، وأبو داود (٣٤١)، والنسائي (١٣٧٥).

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٠١).

(٣) رواه البخاري (٨٧٨)، ومسلم (٨٤٥/ ٣) من حديث ابن عمر ﷺ.

(٤) رواه البخاري (٨٨٢)، ومسلم (٨٤٥/ ٤).

وفي البخاري، ومسلم، وأبي داود وغيرهم عن عكرمة: أن ناسًا من أهل العراق جاؤوا، فقالوا: يا ابن عباس! أترى الغسل يوم الجمعة واجب؟ قال: لا، ولكنه أطهر وخير لمن اغتسل، ومن لم يغتسل فليس عليه بواجب، وسأخبركم كيف بدؤوا الغسل: كان الناس مجهودين يلبسون الصوف ويعملون على ظهورهم، وكان مسجدهم ضيقًا مقارب السقف إنما هو عرش، فخرج رسول الله ﷺ في يوم حار، وعَرِقَ الناسُ في ذلك الصوف حتى ثارت منهم رياح آذى بذلك بعضُهم بعضًا، فلما وجد رسولُ الله ﷺ تلك الريح، قال: «أيها الناس! إذا كان هذا اليوم، فاغتسلوا، وليمسَّ أحدُكم أفضلَ ما يجد من دهنه وطيبه»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم جاء الله بالخير، ولبسوا غير الصوف، وكُفوا العملَ، ووسَّعوا مسجدَهم، وذهب بعض الذي كان يؤذي بعضهم بعضًا من العرق[1].

وفي الصحيحين، و«سنن أبي داود»، والنسائي عن عائشة رضي الله عنها نحو هذا: قالت: كان الناس ينتابون الجمعةَ من منازلهم من العوالي، فيأتون في العباء، ويصيبهم الغبار والعرق، فيخرج منهم الريح، فأتى رسولَ الله ﷺ إنسانٌ منهم وهو عندي، فقال النبي ﷺ: «لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا»[2].

وروى أبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث سمرةَ بنِ جندبٍ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من توضأ يومَ الجمعة، فبها ونِعْمَتْ، ومنِ اغتسلَ،

---

(١) رواه البخاري (٨٨٤)، ومسلم (٨٤٨/ ٨)، وأبو داود (٣٥٣). وانظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٧/ ٣٢٦).

(٢) رواه البخاري (٩٠٢)، ومسلم (٨٤٧/ ٦)، وأبو داود (١٠٥٥)، والنسائي (١٣٧٩).

فالغسلُ أفضل»، قال الترمذي: هذا حديث حسن[1].

والله أعلم.

قوله في الحديث: (ثم راح)؛ أي: سار وذهب إلى الجمعة، (في الساعة الأولى)، ماشيًا بعد طلوع الفجر الثاني عند الإمام أحمد، والشافعي، وقيل: بعد صلاة الفجر، وعند أبي حنيفة: بعد طلوع الشمس، وعند مالك: بعد الزوال.

قال في «المطالع»: الروحة: من زوال الشمس إلى الليل، والغدوة: ما قبلها، ومنه: راح وغدا، قال: وتأول مالكٌ ﷺ قولَه ﷺ: «فراح في الساعة الأولى»... إلى آخر ما ذكر، أجزاء من الساعة السادسة؛ إذ لا يستعمل الرواح إلا من وقتها، وذهب غيره إلى أنها من أول النهار، وأن راح يستعمل في معنى سار، أيَّ وقتٍ كان، ومنه: «رحت إليه»[2]، و«راح[3] إلى المسجد»[4]، [و «الرَّواحَ إن كنتَ تريد السنَّة»[5]، ورحتُ أحضر، كلُّه] بمعنى: الذَّهاب والسير. انتهى[6].

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٤)، والترمذي (٤٩٧)، والنسائي (١٣٨٠).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٣٠٠٨) من قول عبد الرحمن بن الحارث، والإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٧) من حديث أبي الأحوص عن أبيه.

(٣) في الأصل: «رائح»، وهو موافق لما في «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (١/ ٣٠١)، والمثبت من «مطالع الأنوار» لابن قرقول.

(٤) رواه أبو داود (٢٤٩٤) من حديث أبي أمامة ﷺ.

(٥) رواه البخاري (١٦٦٠) من قول ابن عمر ﷺ.

(٦) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٣/ ١٩٣).

ولا يخفى أن الساعة الأولى إذا كانت من الزوال أن الساعة الثالثة والرابعة والخامسة منها ما يكون في آخر الوقت، ومنهـ[ـا] ما يكون خارجه، وأين حينئذ الخطبة والصلاة؟ فالحقُّ أن الرواح في الحديث بمعنى المضي والسير.

قال في «القاموس»: وراح للمعروف يَراح [راحةً]: أخذته خفَّة وأريحيَّة، ويده لكذا: خفَّت، ومنه قوله ﷺ: «ومن راح في الساعة الثانية...» الحديث، لم يُرِد رواح النهار، بل المراد: خفَّ إليها[1].

(فكأنما قرب) إلى الله تعالى (بدنة) المراد بها هنا: ناقة، سميت بذلك؛ لأنها تبدن؛ أي: تسمن.

وقال النووي: البدنة: البعير، ذكرًا كان أو أنثى، وشرطها أن تكون في سن الأضحية عند الفقهاء، وعند أهل اللغة، أو أكثرهم: تطلق على الإبل والبقر[2]، سميت بذلك؛ لعظم أبدانها.

قال الدميري: ويشهد لاختصاصها بالإبل: ما روى مسلم عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ... وذكر الحديث المشروح[3].

وقوله: (ما روى مسلم)، فيه قصور، بل هو متفق عليه كما يأتي.

وجمع البدنة: بُدْن، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج: ٣٦]؛ أي: من أعلام دين الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما:

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: روح).

(٢) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣/ ٢٠).

(٣) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ١٦٧).

نفعٌ في الدنيا، وأجرٌ في الآخرة[1].

*** فائدة:**

أول من أهدى البدن إلى البيت الحرام إلياسُ بنُ مضر.

(ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة): واحدةُ البقر، وهو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى، وإنما دخلته الهاء للوحدة، والجمع بقرات، والباقر: جماعة البقر مع رعائها، والبيقور: الجماعة، وأهل اليمن يسمون البقرة: باقورة. فكتب النبيُّ ﷺ كتابَ الصدقة: «في كل ثلاثين باقورة بقرة»[2].

واشتقاق هذا الاسم من: بقر: إذا شق؛ لأن البقر يشق الأرض بالحراثة، ومنه قيل لمحمد بن الحسن بن الحسين ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم: البَاقِر[3]، لأنه شق العلم، ودخل فيه مدخلًا بليغًا.

والبقر حيوان شديد القوة، كثير المنفعة.

(ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشًا)، زاد في رواية: «أقرن»[4].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ٣٤٢).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٥٥٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٣٠٥)، من حديث عمرو بن حزمٍ ﷺ.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، ﷺ أجمعين. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ١٧٤).

(٤) وهي رواية حديث الباب، ولعل هذه الزيادة غير موجودة في النسخة التي وقف عليها الشارح.

الكبش: فحلُ الضأن في أي سِنٍّ كان، وقيل: إذا أثنى، وقيل: إذا أربع، والجمع كبُش، وأكباش.

روى الجماعة من حديث أنس ﷺ قال: ضحّى النبيُّ ﷺ بكبشين أملحينِ أقرنين، فسمَّى وكبَّر، ووضع رجلَه على صِفاحِهما[1].

والأقرن: الذي له قرنان، تثنية قرن، وهو الروق[2] من الحيوان، وإنما وصفه بكونه أقرنَ؛ إشارة إلى كبر بدنه وعِظَمه.

(ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرب دجاجة) واحدة الدجاج ـ بتثليث الدال المهملة ـ تطلق على الذكر والأنثى، والهاء فيها للوحدة، كبطة وحمامة، قال ابن سيدَه: سميت دجاجة؛ لإقبالها وإدبارها، يقال: دجَّ القومُ يدجون دَجًّا ودجيجًا: إذا مَشَوا مشيًا رويدًا في تقاربِ خُطًا، وقيل: أن يُقبلوا ويُدبروا[3].

وكنية الدجاجة: أُم حفصة، وأم وليد، وأم جعفر، وأم عقبة، وأم إحدى وعشرين، وأم نافع.

وفي رواية عند ابن خزيمة: «إن الذي كالمهدي بقرة، كالمهدي شاة، والذي يليه كالمهدي طيرًا»[4].

---

(١) رواه البخاري (٥٥٦٥)، ومسلم (١٩٦٦/ ١٧)، وأبو داود (٢٧٩٤)، والنسائي (٤٣٨٧)، والترمذي (١٤٩٤). قال الأزهري في «تهذيب اللغة» (٤/ ١٤٩): الصَّفْحُ: الجَنْب، وصفْحا كلِّ شيء: جانباه.

(٢) الروق: القرن. انظر: «المحكم» لابن سيده (٦/ ٣٦١).

(٣) المرجع السابق (٧/ ١٨٩).

(٤) كذا في الأصل، والحديث رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٦٨) من حديث =

(ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرب بيضة)؛ أي: بيضة الدجاجة، **(فإذا خرج الإمام)** إلى الخطبة، **(حضرت الملائكة)** الذين كانوا يكتبون **(يستمعون الذكر من الخطبة. رواه البخاري، ومسلم)**.

ورواه الإمام مالك، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه[1]، وفي رواية للبخاري ومسلم وابن ماجه: «إذا كان يوم الجمعة، وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأولَ فالأولَ، ومثلُ المهجِّرِ كمثل الذي يُهدي بَدَنة...» الحديث، وفيه: «فإذا خرج الإمام، طَووا صُحفهم يستمعون الذكر»[2].

المهجِّر: هو المبكِّر الآتي في أول ساعة.

وروى الإمام أحمد في «المسند»، والطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تقعد الملائكة يومَ الجمعة على أبواب المساجد، معهم الصحفُ يكتبون الناس، فإذا خرج الإمام، طُويت الصحف»، قلت: يا أبا أمامة! ليس لمن جاء بعد خروج الإمام جمعة، قال: بلى، ولكن ليس ممن يُكتب في الصحف[3].

= أبي هريرة ﷺ بلفظ: «المستعجل إلى الصلاة كالمهدي بدنة، والذي يليه كالمهدي بقرة، والذي يليه كالمهدي شاة، والذي يليه كالمهدي طيرًا».

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٠١)، وأبو داود (٣٥١)، والترمذي (٤٩٩)، والنسائي (١٣٨٨)، ولم نقف عليه عند ابن ماجه.

(٢) رواه البخاري (٩٢٩)، وابن ماجه (١٠٩٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٦٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٠٨٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٧٦): فيه مبارك بن فضالة، =

وفي رواية: «إنما تطوى الصحف إذا قعد الإمام»؛ يعني: على المنبر قُبَيل الخطبة، الجلسة اللطيفة.

قال المحقِّق ابنُ القيم في كتابه «بدائع الفوائد»: قولُه: (طويت الصحف)؛ أي: صحف الفضل، فأما صحف الفرض، فإنها لا تطوى؛ لأن الفرض يسقط. انتهى[1].

* **تنبيه:**

اختلف الفقهاء هل الأفضلُ التبكير أو التأخير؟ فأكثر أهل العلم استحب التبكير؛ لهذا الحديث وغيرِه من الأحاديث الدالة على استحبابه والترغيبِ فيه.

قال الإمام الموفَّق في «المقنع» كغيره: ويبكر إليها ماشيًا ويدنو من الإمام.

قال شارحه شمس الدين بن أبي عمر: للسعي للجمعة وقتان: وقت وجوب، وهو من ابتداء النداء الذي بين يدي المنبر؛ فإنه المعهود على زمن النبي ﷺ، وزمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كان زمن عثمان رضي الله عنه، وكثر الناس، زادَ النداءَ الثالثَ، فالنداء الأول مستحبٌ في أول الوقت، سَنَّه عثمان، والثاني الذي بين يدي المنبر؛ للإعلام بالخطبة، والثالث الذي هو الإقامة؛ للإعلام بقيام الصلاة، نعم مَنْ منزلُه بعيد بحيث لا يدرك الصلاة بالسعي وقتَ النداء الأول، فعليه السعي في الوقت الذي يكون به مدرِكًا للجمعة؛ لأن

= وقد ثقه جماعة وضعفه آخرون.

(1) انظر: «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٧٩).

ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وأما وقت الفضيلة، فمن أول النهار، فكلما كان أبكر، كان أولى وأفضل، وهذا مذهب سيدنا الإمام أحمد، والأوزاعي، والشافعي، وأصحاب الرأي، وابن المنذر.

وقال الإمام مالك: لا يستحب التبكير قبل الزوال؛ لقول النبي ﷺ: «من راح إلى الجمعة»[1]، والرواح بعد الزوال، والغدو قبلَه كما تقدم.

واحتج الإمام شمس الدين للأول بحديث أبي هريرة هذا، وقال: قال علقمة: خرجت مع عبدالله إلى الجمعة، فوجد ثلاثة قد سبقوه، فقال: رابع أربعة ليس ببعيد، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «[إن] الناس يجلسون من الله ﷻ يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعة»، رواه ابن ماجه[2].

ويأتي حديث: «من غسّل واغتسل، وبكّر وابتكر»[3].

قال: فأما قول مالك، فمخالف للآثار؛ لأن الجمعة يستحب فعلُها عند الزوال، وكان النبي ﷺ يبكّر بها، ومتى خرج الإمام، طويت الصحف، فلم يكتب من أتى الجمعة بعد ذلك، وأي فضيلة لهذا؟ فإن أخر بعد ذلك شيئًا، دخل في النهي والذم، كما قال النبي ﷺ للذي جاء يتخطى رقاب

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥٠١٤)، وابن حبان في «صحيح» (١٢٢٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤١٧١)، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن ماجه (١٠٩٤).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥٥٧٠) من حديث أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه.

الناس: «رأيتك آنيت وآذيت»[1]؛ أي: أخرت المجيء، وقال عمر لعثمان رضي الله عنهما: أي الساعة هذه[2]؟ على وجه الإنكار، فكيف يكون لهذا بدنة أو بقرة أو فضل! فمعنى راح إلى الجمعة: أي: ذهب إليها، لا يحتمل غير هذا. انتهى ملخصًا[3].

وأيضًا: المعروف حمل الساعة على الأجزاء الزمانية التي ينقسم النهار فيها إلى اثني عشر جزءًا، والإمام مالك لا يساعده هذا العرف، وأما استدلالهم في بعض الروايات: «فالمهجِّر كالمهدي بدنة»[4]، والتهجير إنما يكون في الهاجرة، ومن خرج عند طلوع الشمس، أو بعد طلوع الفجر لا يقال له: مهجِّر؛ فالجواب عن هذا: بأن المهجر مأخوذ من هجر المنزل وتركه في أي وقت كان، وفي «النهاية»: «لو يعلم الناس ما في التهجير لاستبقوا إليه»[5]: التَّهْجير: التَّبْكِيرُ إلى كُلِّ شيء، والمُبادَرَة إليه، يقال: هَجَّر يُهَجِّر تَهْجيرًا فهو مُهَجِّر، وهي لُغَةٌ حجازِيَّة، أرادَ: المبادَرة إلى أوَّلِ وقت الصلاة، قال: ومنه حديث الجمعة: «فالمهجر إليها كالمهدي بدنة»[6]؛ أي: المبكر

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥٤٧٣) عن الحسن.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «الشرح الكبير» لشمس الدين ابن أبي عمر المقدسي (٢/ ١٨٨، ٢٠٣).

(٤) تقدم تخريجه.

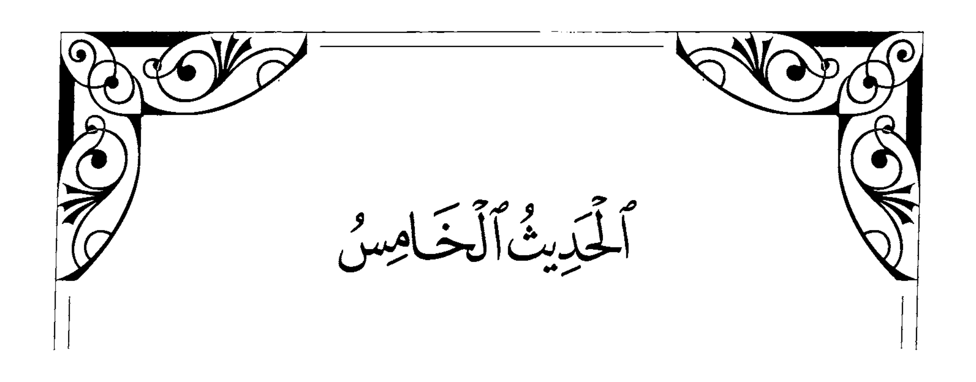
(٥) رواه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧/ ١٢٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) تقدم تخريجه.

إليها كما تقدم[1]. والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٢٤٥).



الحديث الخامس

٥٠ ـ عن أبي هريرة ـ أيضًا ـ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَه وَبَيْنَ الْجُمُعَة، وَزِيَادَةُ ثَلاثَةِ أَيَّام، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى، فَقَدْ لَغَا». رواه مسلم[1].

(عن أبي هريرة ﷺ **ـ أيضًا ـ قال: قال رسول الله** ﷺ**: من توضأ فأحسن الوضوء)** بإتيانه بشروط الوضوء وفروضه، وواجبه وسننه، **(ثم أتى الجمعة)**؛ أي: بعد وضوئه في نحو منزله أتى المسجدَ الجامع لأجل صلاة الجمعة، **(فاستمع)** خطبةَ الخطيب؛ أي: ألقى ذهنه، وقصد السماع، **(وأنصت)**؛ أي: سكت فلم يتكلم، يقال: أنصت يُنصِت إنصاتًا: إذا سكت عن اللغو، **(غُفر)** ـ بضم الغين المعجمة وكسر الفاء مبنيًّا لما لم يسم فاعله ـ؛ أي: غفر الله ﷻ **(له)**؛ أي: لذلك المستمع للذكر، الناصتِ عن اللغو **(ما)**؛ أي: صغائرَ ذنوبه الصادرة منه والمقترف لها **(بينه)**؛ أي: فعله الذي

---

(١) رواه مسلم (٨٥٧/ ٢٧). وفي «مختار الصحاح» (مادة: لغو): لغا: قال باطلًا، وبابه عدا.

فعله من حسن وضوئه، وإتيانه للجمعة، واستماعه للخطبة، وإنصاته عن اللغو، **(وبين الجمعة)** الثانية، **(وزيادة)** على ذلك غفران ذنوب **(ثلاثة أيام)**، ثم قال ﷺ: **(ومن مَسَّ الحصى)** الذي يكون في المسجد، **(فقد لغا)**؛ لأنه فوت المقصود إتيانه، وجلوسه للخطبة، وهو استماعُه للذكر، وتفريغُ باله لفهم ما يلقيه الخطيب من المواعظ الحسنة، والآثار المستحسنة، ومثل الحصى كلُّ مُشغِل عن الاستماع.

(رواه مسلمُ) بنُ الحجاج القشيريُّ في «صحيحه»، ورواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه[1].

قال الحافظ المنذري: قيل: معنى (لغا): خاب من الأجر، وقيل: أخطأ، وقيل: صارت جمعته ظهرًا[2].

وفي الصحيحين والسنن الأربعة وابن خزيمة وغيرها عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إذا قلتَ لصاحبك يومَ الجمعة: أَنصِتْ والإمامُ يخطب، فقد لغوت»[3]؛ أي: خبت من الأجر، وقيل: أخطأت، وقيل: بطلت فضيلةُ جمعتك.

وفي «صحيح ابن خزيمة» عن أبي هريرة ـ أيضًا ـ عن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه أبو داود (١٠٥٠)، والترمذي (٤٩٨) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١٠٩٠).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٧٧).

(٣) رواه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١/ ١١)، وأبو داود (١١١٢)، والترمذي (٥١٢)، والنسائي (١٤٠٢)، وابن ماجه (١١١٠)، وابن خزيمة (١٨٠٥).

«إذا تكلمتَ يومَ الجمعة، فقد لغوتَ وألغيت»[1]؛ يعني: والإمامُ يخطب، يقال: لغا الإنسان يلغو، ولغا يلغى: إذا تكلم بالمطروح من القول، وما لا يعني.

وروي عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالإمامُ يَخْطُبُ، فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا، وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ: أَنْصِتْ، لَيْسَ لَهُ جُمُعَةٌ» رواه الإمام أحمد، والبزار، والطبراني[2].

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا عَلَى الْمِنْبَرِ، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَتَلا آيَةً، وَإِلَى جَنْبِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أُبَيُّ! مَتَى أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ؟ قَالَ: فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِي أُبَيٌّ: مَا لَكَ مِنْ جُمُعَتِكَ إلا مَا لَغَيْتَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقُلْتُ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ تَلَوْتَ آيَةً، وَإِلَى جَنْبِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَسَأَلْتُهُ: مَتَى أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ؟ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، حَتَّى إِذَا نَزَلْتَ، زَعَمَ أُبَيٌّ أَنَّهُ لَيْسَ لِي مِنْ جُمُعَتِي إِلا مَا لَغَيْتُ، فَقَالَ: «صَدَقَ أُبَيٌّ، فَإِذَا سَمِعْتَ إِمَامَكَ يَتَكَلَّمُ، فَأَنْصِتْ حَتَّى يَفْرُغَ»[3].

ورواه ابن ماجه بإسناد حسن من حديث أُبي بن كعب، وفيه الذي سأل

---

(١) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٠٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٣٠)، والبزار في «مسنده» (٤٧٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٥٦٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٩٨).

أبيًّا أبو ذرٍّ، وأن رسول الله ﷺ قرأ سورة تبارك وهو قائم يذكِّر بأيـام الله[1]، وأخرجه بنحوه ابن خزيمة في «صحيحه» عن أبي ذر، وفيه: قـال: دخلـت المسجدَ يومَ الجمعة، والنبيُّ ﷺ يخطب، فجلست قريبًا من أُبيّ بنِ كعب، فقرأ النبي ﷺ سورة براءة فقلت لأُبَيّ: متى نزلت هذه السورة؟ قال: فتجهمني، ولـم يكلمني، فلما صلى النبي ﷺ، قلت لأُبَيّ: سـألتُك فتجهمتنـي، ولـم تكلمني، قال أُبَيّ: ما لكَ من صلاتك إلا ما لغوتَ. وأنه سأل النبي ﷺ عما قال أُبَيّ، فقال ﷺ: «صدق أُبَيّ»[2].

قوله: (فتجهمني): معناه: قطب وجهه وعبس، ونظر إلي نظر المغْضَب المُنْكِر.

*** تنبيه:**

معتمد مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه: حرمـةُ الكـلام والإمـامُ يخطـب إلا له، أو لمن كلَّمه، من حينِ يأخذ في الخطبة، فيمتنع الكلام لمن حضرها، نهى عن ذلك عثمانُ، وابنُ عمر، وقال ابن مسعود: إذا رأيته يتكلم والإمام يخطب، فاقرع رأسه بالعصا[3].

وبحرمة الكلام قال أبو حنيفة، ومالك، والأوزاعي.

وقيـل: لا يحـرم الكـلام؛ فقـد كـان سـعيد بـن جبيـر، والنخعـي، والشعبي، وأبو بردة يتكلمون والحجاجُ يخطـب، وقـال بعـضهم: إنـا لـم

---

(١) رواه ابن ماجه (١١١١)، وفيه: وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزني.

(٢) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٠٧).

(٣) رواه ابن المنذر في «الأوسط» (١٧٦١).

نؤمر أن ننصت لهذا.

وللشافعي قولان، ومعتمد مذهبهم: الكراهةُ، واحتج من أجازه بما في الصحيحين من حديث أنس ﷺ: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ قام رجل فقال: يا رسول الله! هلك الناس، فادعُ لنا[1]، وقول من قال: يا رسول الله! متى الساعة؟ وهو يخطب، فأعرض النبي ﷺ، وأومأ الناس له بالسكوت، فلم يَقْبَل، وأعاد الكلام، فلما كان الثالثة، قال له النبي ﷺ: «ويحك! ما أعددتَ لها؟» قال: حب الله ورسوله، قال: «إنك مع من أحببت»[2]، فلم ينكر عليهم النبي ﷺ كلامهم، ولو حرم عليهم، لأنكره.

والجواب: إنا نلتزم هذا ممن كلمه الإمام، أو هو كلم الإمام؛ لعدم اشتغاله بذلك عن سماع الخطبة، ولهذا سأل النبيُّ ﷺ الداخلَ وهو يخطب: «هل صليت؟» فأجابه[3]، وسأل عمرُ عثمانَ، فأجابه[4]. فتعين حملُه على ذلك؛ جمعًا بين الأخبار.

* **فائدتان:**

الأولى: يجب الكلام لتحذير ضرير وغافل عن نحو بئر وهَلَكَة، ومن

---

(١) رواه البخاري (٩٣٢)، ومسلم (٨٩٧/ ١٠) بنحوه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١٦٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥٨٧٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٩٦)، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) رواه الحميدي في «مسنده» (٧٤١) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) تقدم تخريجه.

يخاف عليه نارًا أو حية، وتباح الصلاة على النبي ﷺ إذا ذُكر سرًّا؛ كالدعاء اتفاقًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ويجوز تأمينُه على الدعاء، وحمدُه خفيةً إذا عطس نصًّا، وتشميتُ عاطسٍ، وَرَدُّ سلامٍ نُطقًا، وإشارةُ أخرسَ مفهومةٌ كلامٌ.

ويجوز لمن بعد عن الخطيب ولم يسمعه الاشتغالُ بالقرآن والذكر والصلاة على النبي ﷺ خفيةً، وفعلُ ذلك أفضلُ نصًّا، فيسجد للتلاوة، وليس له أن يرفع صوته، ولا إقراء القرآن، ولا المذاكرة في الفقه.

الثانية: ذكر تقي الدين بنُ دقيق العيد عن الإمام الشافعي: أنه إنما يرى وجوب الإنصات في حق الأربعين، وله فيمن عداهم قولان، وقال: هذه الطريقة المختارة عندنا. انتهى[1].

قلت: معتمد مذهب الشافعية: عدمُ الحرمة مطلقًا، قال القاضي زكريا في «شرح المنهج»[2] ـ بعد قوله: (وسُنَّ إنصاتٌ فيهما)؛ يعني: الخطبتين ـ: عُلِمَ مِنْ سَنِّ الإنصات فيهما عدمُ حرمة الكلام فيهما، كما صرح به الأصل ـ يعني: «المنهاج» للإمام النووي ـ، واحتج بما روى البيهقي بإسناد صحيح عن أنس ﷺ: أن رجلًا دخل والنبيُّ ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقال: متى

---

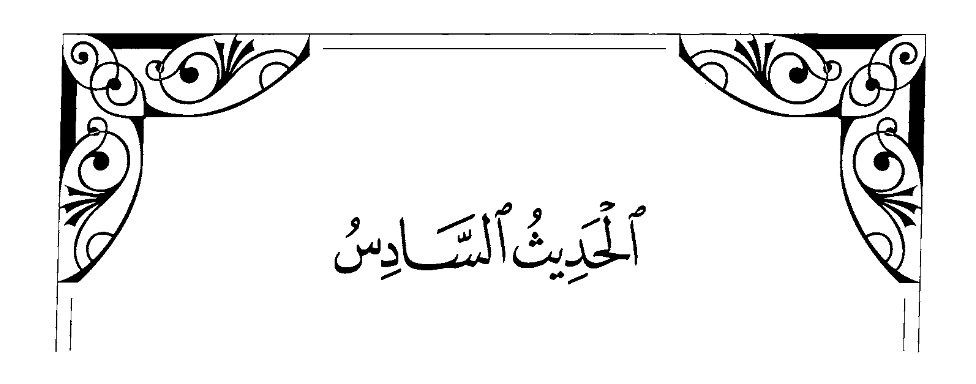
(١) انظر: «إحكام الأحكام» لابن دقيق العيد (١/ ٣٣٥).

(٢) «فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب» كلاهما لزين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، المتوفى سنة (٩٢٦هـ). انظر: «اكتفاء القنوع» لفنديك (ص: ١٥٦).

الساعة . . . » الحديث[1]، وقد عُلم الجواب عنه . والله تعالى أعلم .

* * *

(١) انظر : «فتح الوهاب» لزكريا الأنصاري (١/ ١٣٤)، والحديث رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٢١) .



الحديث السادس

٥١ ـ عن أوسِ بنِ أوسٍ الثقفيِّ ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، فَدَنَا مِنَ الإمامِ، فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ، صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا». وفي رواية: «وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ»[(١)]. رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن[(٢)].

(عن أوسِ بنِ أوسٍ الثقفيِّ ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: من غسل واغتسل يوم الجمعة)، قال الخطابي ـ رحمه الله ـ: قوله: (من غسَّل واغتسل، وبكر وابتكر)، اختلف الناس في معناه، فمنهم من ذهب إلى أنه من الكلام المتظافر[(٣)] الذي يراد به التأكيد، ولم تقع المخالفة بين المعنيين

---

(١) وهي رواية أبي داود وابن ماجه.

(٢) رواه أبو داود (٣٤٥)، والنسائي (١٣٨١)، وابن ماجه (١٠٨٧)، والترمذي (٤٩٦).
وفي الأصل المخطوط لكتاب «فضائل الأعمال»: «وغدا ودنا من الإمام»، وفي الأصل المخطوط للشرح اعتمد رواية: «وبكَّر وابتكر، وغدا ودنا...»، وأشار الشارح لذلك خلال شرحه. وانظر: «مسند الشاميين» للطبراني (٣٤٠).

(٣) يقال: تَضَافَرَ القومُ على فلان، وتَظافَرُوا عليه، وتظاهَروا بمعنى واحد: =

لاختلاف اللفظين، ألا تراه يقول في هذا الحديث: «ومشى ولم يركب»، ومعناهما واحد، وإلى هذا ذهب الأثرم صاحبُ الإمام أحمد ﷺ.

وقال بعضهم: قوله: (غسَّل) معناه: غسل رأسه خاصّة، وذلك لأن العرب لهم لِمَمٌ[1] وشعور، وفي غسلها مؤنة، فأفرد[2] [ذكر] غسل الرأس من أجل ذلك، وإلى هذا ذهب مكحول.

وقوله: (واغتسل) معناه: غسل سائر الجسد، وزعم بعضُهم أن قوله: (غسَّل): أصاب أهله قَبْل خروجه إلى الجمعة؛ ليكون أملكَ لنفسه، وأحفظَ في طريقه لنظره[3].

وقدَّم هذا في «النهاية»، يقال: غسَّل الرجل امرأته ـ بالتشديد والتخفيف ـ: إذا جامعها، وقد روي مخففًا.

وقيل: أراد غسل غيرَه واغتسل هو؛ لأنه إذا جامع امرأته، أحوجَها إلى الغسل.

وقيل: أراد بقوله (غسل): غَسْل أعضائه للوضوء، ثم يغتسل[4].

وقوله: (وبكَّر وابتكر): زعم بعضهم معنى (بكَّر): أدرك باكورة الخطبة، وهي أوَّلها، و(ابتكر): قدم في الوقت.

= إذا تعَاونوا وتَجَمَّعُوا عليه. انظر: «لسان العرب» (مادة: ضفر).

(١) اللّمَّة: الشَّعر إذا جاوز شحمةَ الأذنين، والجمع: لِمَم ولِمَام. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ١٦٨).

(٢) في الأصل: «فأراد»، والمثبت من «معالم السنن» للخطابي.

(٣) المرجع السابق (١/ ١٠٨).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٣٦٧).

وقال ابن الأنباري: معنى (بكَّر): تصدَّق قبل خروجه، وتأول في ذلك ما روي في الحديث: «باكروا بالصدقة؛ فإن البلاء لا يتخطاها»[1].

وقال ابن خزيمة: من قال: غسَّل واغتسل ـ يعني: بالتشديد ـ: جامع فأوجب الغسل مع زوجته أو أَمَته، واغتسل، ومن قال: غَسَل ـ بالتخفيف ـ واغتسل أراد: غسل رأسه، واغتسل فغسل سائر جسده؛ لخبر طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم روى بسنده الصحيح إلى طاوس: قلت لابن عباس: زعموا أن رسول الله ﷺ قال: «اغتسلوا يوم الجمعة، واغسلوا رؤوسكم، وإن لم تكونوا جنبًا، ومسّوا من الطيب»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أما الطيب، فلا أدري، وأما الغسل، فنعم[2].

واللفظ الواقع في هذا الحديث في كتاب «الفضائل» للحافظ الضياء قدس الله روحه: (وغدا) مكانَ (وبكَّر)؛ أي: ذهب إلى الجمعة غدوةً، والغُدوة ـ بالضم ـ: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، يقال: غدا يغدو غُدوًّا.

(ودنا)؛ أي: قرب **(من الإمام)** مستقبلَ القبلة، **(ولم يلغُ، كان له)** من الأجر والثواب **(بكل خُطوة)** ضبط بضمٍّ أوله كما تقدَّم، ويجوز الفتح.

---

(١) انظر: «معالم السنن» للخطابي (١/ ١٠٨)، والحديث رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٦٤٣)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١١٠): فيه عيسى بن عبدالله، وهو ضعيف. وانظر: «تذكرة الموضوعات» للفتني (ص: ٦٤).

(٢) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٥٩).

قال الجوهري: الخُطوة بالضم: ما بين القدمين، وبالفتح: المرة الواحدة[1]، وجزم العمري أنها هنا بالفتح، وقال القرطبي في قوله ﷺ: «يخطُ خُطوة»[2] في رواية مسلم بالضم[3].

(عَمَلُ سَنَةٍ صيامها) المراد: من النوافل، **(وقيامها)**، أما الفرائض من الصوم والصلاة، ففضلها زائد وعظيم، فلا يحصل مثلُه بمثل هذا العمل القليل، وإن كان فضل الله وكرمه واسعًا.

(وفي رواية) من حديث أوس بن أوس عن النبي ﷺ بعد قوله: (وبكَّر وابتكر): **(ومشى)** على قدميه غاديًا إلى الجمعة، **(ولم يركب)** فرسًا، ولا بغلًا، ولا غيرهما.

زاد في رواية: «ودنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة، أجر صيامها وقيامها»[4].

(رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي، وقال) الترمذي: **(حديث حسن)**، ورواه الإمام أحمد، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم وصحَّحه[5]، ورواه الطبراني في «الأوسط» من حديث

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: خطو).

(٢) رواه البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩/ ٢٧٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «المفهم» للقرطبي (٢/ ٢٩٠).

(٤) وهي رواية أبي داود وابن ماجه.

(٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٨١)، والحاكم في «المستدرك» (١٠٤٢).

ابن عباس رضي الله عنهما[1].

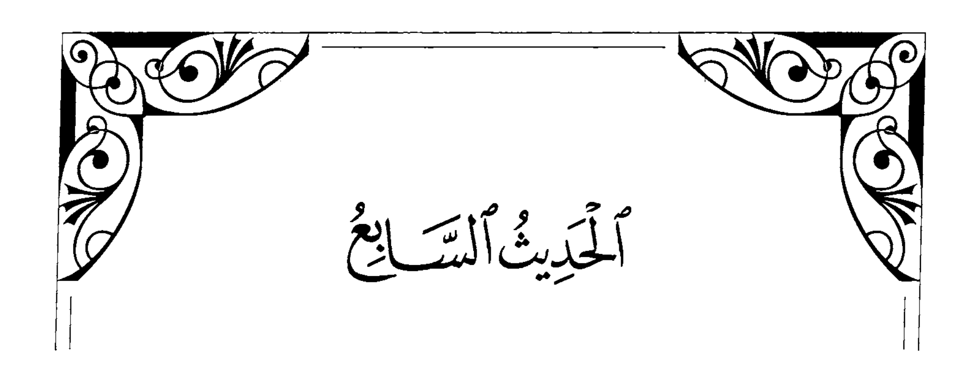
وأخرج الإمام أحمد بسندٍ رجالُه رجال الصحيح من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من غسَّل واغتسل، ودنا وابتكر، واقترب واستمع، كان له بكل خطوة يخطوها قيامُ سنة وصيامها»[2].

* * *

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤١٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٠٩)، ولفظه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ، وَغَدَا وَابْتَكَرَ، وَدَنَا فَاقْتَرَبَ، وَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا أَجْرُ قِيَامِ سَنَةٍ وَصِيَامِهَا».



الحديث السابع

٥٢ ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»، وَقَالَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا يُزَهِّدُهَا. أخرجه مسلم[١]، وأخرجه البخاري بنحوه[٢].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجمعة لساعة لا يوافقها) شخصٌ (مسلمٌ) من ذكرٍ أو أنثى (قائمٌ يصلي) فرضًا أو نفلًا، أو منتظر الصلاة؛ كما قاله الإمام أحمد ﷺ (يسأل الله) تعالى (خيرًا) من خيري الدنيا والآخرة، (إلا أعطاه)؛ أي: اللهُ تعالى (إياه، وقال ﷺ بيده)؛ أي أشار بها (يقللها)؛ أي: ساعة الإجابة، (يُزَهِّدُهَا) من زَهَّد[٣] ـ محركة بالفتح ـ: يقللها.

قال في «القاموس»: والزهَد ـ محركة ـ: [الزكاة]، والزهودة[٤]،

(١) رواه مسلم (٨٥٢/ ١٤).

(٢) رواه البخاري (٩٣٥).

(٣) في هامش الأصل: «المضعَّف».

(٤) كذا في الأصل، وليست في «القاموس».

والزهيد: القليل، والضيِّق الخُلق؛ كالزاهد، والقليل الأكل، والوادي الضيِّق[1].

قال المصنف الحافظ ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ: **(أخرجه مسلم، وأخرجه البخاري بنحوه)**.

وعزاه في «الترغيب والترهيب» للبخاري ومسلم، ولكن بلفظ: أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة، فقال: «فِيهِ سَاعَةٌ لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا» قال: رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه[2].

وقد اختلف العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ في تعيينها، فقال الإمام أحمد رضي الله عنه: أكثر الأحاديث في الساعة التي ترجى فيها الإجابة أنها بعد العصر، وترجى بعد زوال الشمس.

وفي «الدعوات» للمستغفري، عن عِراك بن مالك: أنه كان إذا صلى الجمعة، انصرفَ فوقفَ في الباب، فقال: اللهم أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين[3].

وعن أبي بردةَ بنِ أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه قال: قال عبدُالله بنُ عمرَ رضي الله عنهما:

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: زهد).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٨٣)، والحديث رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢/ ١٣)، والنسائي (١٤٣١، ١٤٣٢)، وفي «السنن الكبرى» (١٧٤٨)، وابن ماجه (١١٣٧).

(٣) لم نقف عليه عند المستغفري، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٦).

أسمعتَ أباك يحدِّث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة؟ قال: قلت: نعم، سمعتُه يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة» رواه مسلم، وأبو داود، وقال: يعني: على المنبر[1]، وإلى هذا القول ذهب طوائف من أهل العلم.

وعن عمرو بن عوف المزنيِّ ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن في الجمعة ساعة لا يسأل الله َالعبدُ فيها شيئًا إلا آتاه إياه»، قالوا: يا رسول الله! أية ساعة هي؟ قال: «هي حين تقام الصلاة إلى الانصراف منها»، رواه الترمذي وابن ماجه كلاهما من طريق كثير بن عبدالله بنِ عمرِو بن عوف[2]، عن أبيه، عن جدّه، وقال الترمذي: حديث حسن غريب[3].

قال الحافظ المنذري: كثير بن عبدالله وَاهٍ بمرة، وقد حسّن له الترمذي هذا وغيرَه، وصحح له حديثًا في الصلح، فانتقد عليه الحفاظ تصحيحه له، بل تحسينه، والله أعلم[4].

وعن أنس ﷺ مرفوعًا: «التمسوا الساعة التي ترجى في يوم الجمعة

---

(١) رواه مسلم (٨٥٣/ ١٦)، وأبو داود (١٠٤٩).

(٢) قال المزي: قال أبو طالب: سألت أحمد بن حنبل عنه، فقال: منكر الحديث، ليس بشيء. وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: ضرب أبي على حديث كثير بن عبدالله في المسند، ولم يحدثنا عنه. وقال أبو خيثمة: قال لي أحمد بن حنبل: لا تحدث عنه شيئًا. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢٤/ ١٣٧).

(٣) رواه الترمذي (٤٩٠)، وابن ماجه (١١٣٨).

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٨٣).

بعد صلاة العصر إلى غيبوبة الشمس»، رواه الترمذي وقال: غريب[1].

ورواه الطبراني من رواية ابن لهيعة، وزاد: وهي قدر هذا؛ يعني: قبضة، وإسناده أصلحُ من إسناد الترمذي[2].

وفي «سنن ابن ماجه» ـ وإسناده على شرط الصحيح ـ عن عبدالله بن سلام ﷺ قال: قُلْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ: إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا شَيْئًا إِلا قَضَى لَهُ حَاجَتَهُ، قَالَ عَبْدُاللَّهِ: فَأَشَارَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ، فَقُلْتُ: صَدَقْتَ، أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ، قُلْتُ: أَيُّ سَاعَةٍ هِيَ؟ قَالَ: «هِيَ آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ»، قُلْتُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ سَاعَةَ صَلاةٍ، قَالَ: «بَلَى، إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا صَلَّى ثُمَّ جَلَسَ لا يَحْبِسُهُ إِلا الصَّلاةُ، فَهُوَ فِي الصَّلاةِ»[3].

وأخرج الإمام أحمد من رواية علي بن أبي طلحة، عن أبي هريرة ﷺ ـ ولم يسمع من أبي هريرة، ورجالُ سنده محتجّ بهم في الصحيح ـ قال: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لأيِّ شَيْءٍ سُمِّيَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: «لأَنَّ فِيهَا طُبِعَتْ طِينَةُ أَبِيكَ آدَمَ، وَفِيهَا الصَّعْقَةُ، وَالْبَعْثَةُ، وَفِيهَا الْبَطْشَةُ، وَفِي آخِرِ ثَلاثِ سَاعَاتٍ مِنْهَا سَاعَةٌ مَنْ دَعَا اللَّهَ ﷻ فِيهَا، اسْتُجِيبَ لَهُ»[4].

ورواه الأصبهاني عن أبي سعيد ﷺ مرفوعًا: «الساعةُ التي يُستجاب

---

(1) رواه الترمذي (٤٨٩).

(2) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٣٦).

(3) رواه ابن ماجه (١١٣٩).

(4) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣١١).

فيها الدعاءُ يومَ الجمعة آخرُ ساعة من يوم الجمعة قبلَ غروب الشمس أغفَلَ ما يكونُ الناس»[1].

وأخرج أبو داود، والنسائي ـ واللفظ له ـ والحاكم ـ وقال: صحيح على شرط مسلم، قال الحافظ المنذري: وهو كما قال[2] ـ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «يومُ الجمعة اثنتا عشرة ساعة، لا يوجد عبد مسلم يسأل الله عز وجل شيئاً إلا آتاه إياه، فالتمسوها آخر ساعة بعدَ العصر»[3].

*** تنبيه:**

اختلف العلماء في هذه الساعة هل هي باقية أو رفعت؟ على قولين حكاهما ابن عبد البر وغيره[4]، والأصح: أنها لم ترفع، والقائل بأنها رفعت إن أراد أنها كانت معلومة فرفع علمها عن الأمة، فالجواب له: إنه لم يرفع علمُها عن الأمة وإن رفع عن بعضهم، وإن أراد رفعَ حقيقتها، وأن ساعة الإجابة قد رفعت، فقولٌ باطل مخالف للأحاديث الصحيحة الصريحة، وهو نظير القول برفع ليلة القدر، فلا يعول عليه، ولا يلتفت إليه.

والقائلون بأنها لم ترفع ـ وهم الجمهور ـ اختلفوا هل هي في وقت من

---

(١) رواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٩٠٧)، وفي إسناده: إبراهيم بن عبدالله المصيصي، قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١١٦): يسوي الحديث ويسرقه، ويروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم.

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٨٤).

(٣) رواه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي (١٣٨٩)، والحاكم (١٠٣٢).

(٤) انظر: «التمهيد» بن عبد البر (١٩/ ١٩).

اليوم بعينه، أو هي معينة من ساعات النهار؟ واختلف من قال بعدم تعيينها هل تنتقل في ساعات اليوم، أو لا؟ على قولين أيضًا، والأصحّ أنها في ساعة بعينها لا تنتقل عنها.

وأما من قال بتنقلها، فَرَامَ الجمع بذلك بين الأحاديث، كما قيل بمثل ذلك ليلة القدر، وهذا ليس بشيء.

والذين قالوا بتعيينها، وأنها لا تنتقل في ساعات النهار، اختلفوا فيه على أحد عشر قولًا؛ كما في «هَدْي» الإمام المحقق ابن القيم:

أحدها: قول أبي هريرة ﷺ قال: هي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر إلى غروب الشمس[1].

الثاني: أنها عند الزوال، ذكره ابن المنذر عن الحسن البصري، وأبي العالية[2].

الثالث: أنها إذا أُذن لصلاة الجمعة. قال ابن المنذر: روينا ذلك عن عائشة ﵂[3].

الرابع: أنها إذا جلس الإمام على المنبر حتى يفرغ. قال ابن المنذر: رويناه عن الحسن البصري[4].

---

(١) رواه ابن المنذر في «الإشراف» (٢/ ٨٢)، وفيه: هي بعد طلوع الفجر...

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه.

الخامس: قال[1] أبو بردة: هي الساعة التي اختار الله تعالى وقتها للصلاة[2].

السادس: قاله أبو السوار العدوي، [وقال]: كانوا يرون [أن] الدعاء مستجاب ما بين زوال الشمس إلى أن تدخل الصلاة[3].

السابع: قال[4] أبو ذر ﷺ: إنها ما بين أن ترتفع الشمس شبرًا إلى ذراع[5].

الثامن: أنها ما بين العصر إلى غروب الشمس، قاله أبو هريرة، [وعطاء][6]، وعبدالله بن سلام وطاوس، حكى ذلك كله ابن المنذر[7].

التاسع: أنها من حين خروج الإمام إلى فراغ الصلاة، حكاه النووي، وغيره.

العاشر: أنها الساعة الثالثة من النهار، حكاه الإمام موفق الدين في «المغني».

---

(١) في الأصل: «قاله»، والمثبت من «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية، و«الإشراف» لابن المنذر.

(٢) رواه ابن المنذر في «الإشراف» (٢/ ٨٢).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) في الأصل: «قاله»، والمثبت من «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية.

(٥) رواه ابن المنذر في «الإشراف» (٢/ ٨٣).

(٦) ذكره ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد».

(٧) المرجع السابق، الموضع نفسه.

[الحادي عشر: أنها آخر ساعة بعد العصر، وهو قول أحمد وجمهور الصحابة والتابعين]، كل ذلك ذكره في «الهدي»[1].

وزاد الجلال السيوطي: أنها عند طلوع الشمس، حكاه الغزالي، وقيل: أول ساعة بعد طلوع الشمس، حكاه الجيلي، والمحب الطبري، وقيل: من حين يفتتح الخطبة إلى فراغها، رواه ابن عبد البر بسند ضعيف عن ابن عمر مرفوعًا[2].

وقيل: بعد العصر إلى آخر وقت الاختيار، حكاه الغزالي، وتقدم بعض هذا، وقيل غيرُ ذلك.

والأصح من ذلك كله: أنها آخرُ ساعة بعد العصر، وهو قول سيدنا الإمام أحمد، وجمهور الصحابة والتابعين رضي الله عنهم[3].

قال الترمذي: رأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن الساعة التي ترجى بعد العصر إلى أن تغرب الشمس، وبه يقول الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وقال الإمام أحمد: أكثرُ الأحاديث في الساعة التي ترجى فيها إجابة الدعوة أنها بعد صلاة العصر، قال: وترجى بعد الزوال[4]، ثم روى[5] حديث عمرِو بنِ عوفٍ المتقدِّمَ.

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (١/ ٣٨٨).

(٢) رواه ابن عبد البر في «الاستذكار» (٥/ ٨٤).

(٣) انظر: «نور اللمعة في خصائص الجمعة» للسيوطي (ص: ٧٧ ـ ٨٢).

(٤) انظر: «سنن الترمذي» (٢/ ٣٦٠).

(٥) أي: الترمذي.

والذي اعتمده الإمامُ المحقق ابنُ القيم قول الإمام أحمد ومن وافقه: أنها ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس. قال: وكان سعيد بن جبير إذا صلَّى العصر لم يكلِّم أحدًا حتى تغرب الشمس[1]، وهذا هو قول أكثر السلف، وعليه أكثر الأحاديث، ويليه القول بأنها ساعة الصلاة، وبقية الأقوال لا دليل عليها.

وعندي أن ساعة الصلاة ساعة ترجى فيها الإجابة أيضًا، فكلاهما ساعة إجابة، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر، فهي ساعة معينة من اليوم لا تتقدَّم ولا تتأخَّر، وأما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة، تقدَّمت أو تأخَّرت؛ لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تعالى تأثيرًا في الإجابة، فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الإجابة، وعلى هذا تتفق الأحاديث كلُّها، ويكون النبيُّ ﷺ قد حضَّ أمته على الدعاء والابتهال إلى الله تعالى في هاتين الساعتين[2].

قال المحقق ابن القيم: وهذه الساعة ـ وهي آخر ساعة بعد العصر ـ تعظِّمها جميعُ الملل، وعند أهل الكتاب هي ساعةُ الإجابة، وهذا مما لا غرض لهم في تبديله وتحريفه، وقد اعترف به مؤمنوهم[3].

والحكمة في إخفائها: بعثُ العباد على الاجتهاد في طلب المراد والعبادة، والاستعداد لتحصيل المطلوب من رب العباد، واستيعاب الوقت

---

(١) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (١٩/ ٢٤).

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (١/ ٣٩٤).

(٣) المرجع السابق (١/ ٣٩٦).

بالعبادة، ونظير هذا ليلةُ القدر، والرجل الصالح، ونحو ذلك.

ذكر في «الهدي» عن كعب الأحبار قال: لو قسم إنسانٌ تفرُّغَه لله تعالى وجمعتَه في جُمع، أتى على تلك الساعة.

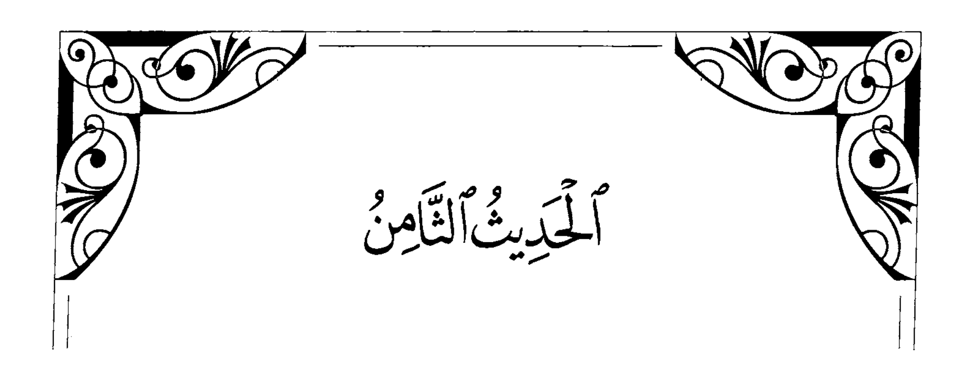
وقال سيدنا الإمام عمر ﷺ: إن طلب حاجة في يوم يسيرٌ[1].

وقد أطلنا الكلام في هذا المقام، ولكن لفائدة عظيمة، فقَلَّ أن ترى مثله مجتمعًا في كتاب، والله الموفق للصواب.

* * *

---

(1) المرجع السابق (١/ ٣٨٩)، والحديث رواه ابن المنذر في «الأوسط» (٤/ ١٣) من قول ابن عمر رضي الله عنهما.



ٱلْحَدِيثُ ٱلثَّامِنُ

٥٣ ـ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُاللَّهِ ابْنُ عُمَرَ: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَأْنِ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلاَةُ». رواه مسلم[١].

(عن أبي بُردة)، واسمه عامرُ بنُ أبي موسى الأشعريّ ﷺ، وهو ـ بضم الباء وسكون الراء وبالدال المهملة ـ تابعي جليل، وكان قاضيًا، كما في «معارف ابن قتيبة»[٢]، وتوفي أبو بردة سنة ثلاث ومئة[٣]. وهو (ابن أبي

---

(١) رواه مسلم (٨٥٣/ ١٦).

(٢) انظر: «المعارف» لابن قتيبة (ص: ٢٦٦).

(٣) ذكر المزي في «تهذيب الكمال» (٣٣/ ٦٦) ترجمة هذا التابعي، فذكر قصته مع يزيد بن المهلب لما ولي خراسان، أنقلها للعبرة والفائدة:
قال يزيد: دلُّوني على رجل كامل لخصال الخير، فدُلَّ على أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فلما جاءه رآه رجلًا فائقًا، فلما كلَّمه رأى من مخبرته أفضل من مرآته، قال: إني ولَّيتك كذا وكذا من عملي، فاستعفاه، فأبى أن يعفيه، فقال: أيُّها الأمير! ألا أخبرك بشيء حدثنيه أبي أنه سمعه من رسول الله ﷺ؟ قال: هاته، =

موسى) عبدالله بن قيسٍ (**الأشعريِّ**) ﷺ صاحب رسول الله ﷺ، (**قال**) أبو بردة: (**قال لي**) أبو عبد الرحمن (**عبدُالله بنُ**) أمير المؤمنين (**عمرَ بن الخطاب**) ﷺ: (**أسمعتَ**) بهمزة الاستفهام (**أباك**)؛ يعني: أبا موسى الأشعري ﷺ (**يحدِّث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الإجابة التي في الجمعة؟ قال**) أبو بردة عامرُ بن أبي موسى: (**قلت: نعم، سمعته يقول: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: هي**)؛ أي: ساعة الإجابة (**ما بين أن يجلس الإمام**)؛ يعني: على المنبر (**إلى أن تُقْضى**) ـ بضم المثناة الفوقية وسكون القاف مبنيًّا لما لم يسم فاعله ـ (**الصلاةُ**) ـ بالرفع نائب الفاعل ـ ؛ أي: إلى أن ينصرف الإمام من الصلاة بالسلام منها.

(**رواه مسلم**) في «صحيحه»، وكذا أبو داود في «سننه» وقال: يعني: على المنبر[1].

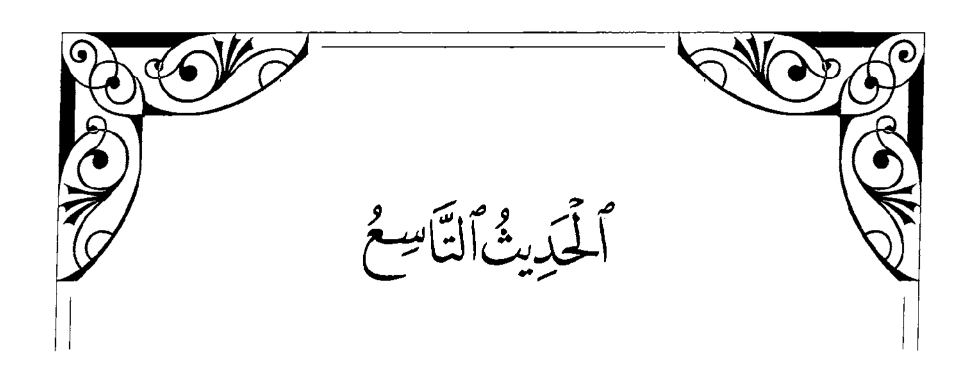
= قال: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَن تولَّى عملًا وهو يعلم أنه ليس لذلك العمل بأهل، فليتبوَّأ مقعده من النار»، وأنا أشهد أيها الأمير أني لست بأهل لما دعوتني إليه، فقال له يزيد: ما زدتَ على أن حرَّضتنا على نفسك، ورغَّبتنا فيك، فاخرُج إلى عهدك؛ فإني غير معفيك، فخرج، ثم أقام فيهم ما شاء الله أن يقيم، فاستأذنه بالقدوم عليه، فأذن له، فقال: أيها الأمير! ألا أحدِّثك بشيء حدَّثنيه أبي أنه سمعه من رسول الله ﷺ؟ قال: هاته، قال: قال: «ملعونٌ مَن سأل بوجه الله، وملعونٌ من سئل بوجه الله ثم منع سائله، ما لم يسأله هجرًا»، وقال: أنا أسألك بوجه الله إلا ما أعفيتني أيها الأمير من عملك، فأعفاه.

فأين نحن اليوم من تلك الأخلاق؟!!

(١) رواه أبو داود (١٠٤٩).

وتقدَّم الكلام على شرح هذا المقام مستوفًى. والله أعلم.

* * *



ٱلْحَدِيثُ ٱلتَّاسِعُ

٥٤ ـ عن عمرِو بنِ عوفٍ المزنيِّ ﷺ، عن النبـي ﷺ قـال: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً، لَا يَسْأَلُ اللهَ الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئًا، إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهُ»، قَـالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَّةُ سَاعَةٍ هِيَ؟ قَالَ: «حِينَ تُقَامُ الصَّلَاةُ إِلَـى الِانْـصِرَافِ مِنْهَا». أخرجه ابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن غريب[1].

(**عن عمرو بن عوف المزنيِّ**) هو أبو عبدالله عمرُو بنُ عوفِ بـنِ زيـد ابنِ مُلحة ـ ويقال: مليحةَ ـ ابنِ عمرِو بنِ بكرٍ المزنيُّ (ﷺ)، قديم الإسـلام، قيل: إن أول مشاهده الخندق، وهو ممن نزل فيـه: ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾[التوبة: ٩٢]. سكن المدينة، ومات بها في آخر أيام معاويـة، روى عنه ابنُه عبدالله مُلحة ـ بضم الميم وسكون اللام وبالحاء المهملة، ومليحـة تصغيره ـ (**عن النبي ﷺ قال: إن في الجمعة ساعة لا يـسأل الله**) منـصوب على أنه مفعول أول، (**العبدُ**) مرفوع على أنه فاعل، (**فيها**)؛ أي: في تلـك الساعة (**شيئًا**) مفعول ثاني، (**إلا آتاه**) ـ بمد الهمزة ـ؛ أي: أعطاه، والـضمير راجع إلى العبد في محل نصب مفعـول أول، (**الله**) بـالرفع فاعـل، (**إيـاه**)

---

(١) رواه ابن ماجه (١١٣٨)، والترمذي (٤٩٠)، واللفظ له.

ضمير منفصل مفعول ثاني.

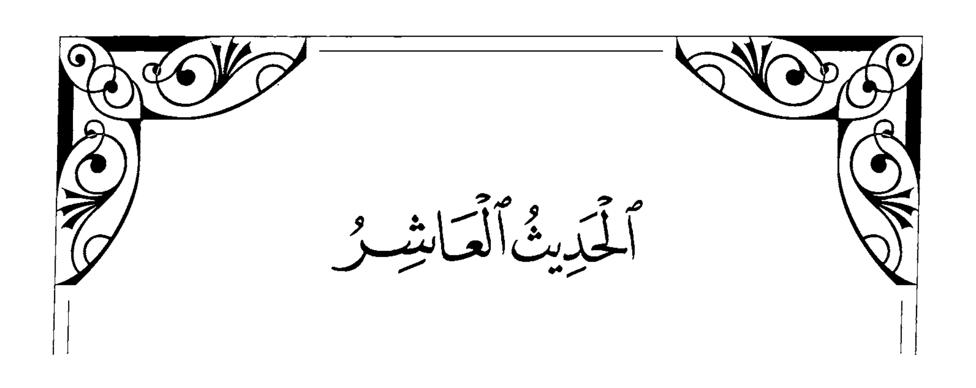
وفي «مسند الإمام أحمد» من حديث أبي لبابة البدري مرفوعًا: «ما لم يسأل فيه حرامًا»[1].

(قالوا: يا رسول الله! أَيَّةُ ساعة هي) من ساعات يوم الجمعة؟ **(قال)**: تلك الساعة **(حين تُقام الصلاة)**؛ أي: صلاة الجمعة، وتمتد من حين يُحرِم بتكبيرة الإحرام **(إلى الانصراف منها)** بالسلام.

(أخرجه ابن ماجه، والترمذي، وقال: حديث حسن غريب)، وتقدَّم الكلام على هذا والقائلين بهذا القول. والله تعالى الموفق.

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٣٠).



الحَدِيثُ العَاشِرُ

٥٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لأَيِّ شَيْءٍ سُمِّيَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: «لأَنَّ فِيهَا طُبِعَتْ طِينَةُ أَبِيكَ آدَمَ، وَفِيهَا الصَّعْقَةُ، وَالْبَعْثَةُ، وَفِيهَا الْبَطْشَةُ، وَفِي آخِرِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ مِنْهَا سَاعَةٌ مَنْ دَعَا اللهَ ﷻ فِيهَا، اسْتُجِيبَ لَهُ». رواه الإمام أحمد[١].

(**عن أبي هريرة** ﵁ **قال: قيل للنبي** ﷺ**: لأي شيء سمي يوم الجمعة؟ قال: لأن فيه**)؛ أي: في يوم الجمعة (**طبعت**)؛ أي: جبلت (**طينة أبيك**)؛ أي: خلقتُه والطينة التي خلقه الله منها، يقال: طانه الله على طينته؛ أي: خلقه على جِبلته، وطينةُ الرجل: خلقُه وأصلُه.

وفي «القاموس»: الطين ـ بالكسر ـ معروف، وبهاء: القطعة منه[٢].

وفي حديث سلمان الفارسي ﵁ مرفوعًا عند الخطيب البغدادي: «إنما سمِّيت الجمعة؛ لأن آدم جُمع فيها خلقُه»[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣١١).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: طين).

(٣) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٩٧). قال الألباني في «السلسلة الضعيفة =

(آدمَ) عليه السلام، هو أول البشر، وأول نبي أُرسل إلى أهل الأرض، خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، وزوجه حواء أَمَتَه، نهاه الله عن أكل الشجرة، فأكل منها بوسوسة اللعين إبليس هو وحواء، فتساقط عنهما لباسهما، وبدت لهما سوءاتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وفي ذلك يقول بعض شعراء العرب:

فَظَلَّا يَخِيطانِ الوِراقَ عَلَيهِما
بأَيدِيهما من أكل شَرِّ طَعامِ[1]

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٢ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٢ ـ ٢٣]، فأهبطا من الجنة إلى السماء، ثم أُهبطا من السماء إلى الأرض.

قيل: إن آدم أهبط بأرض الهند، فمكث زماناً طويلًا لا يرفع رأسه حياء من الله.

قال ابن قتيبة في «المعارف»: مكثا [في الجنة] ستة أيام، فكان أول ما أكلاه في الجنة العنب، والشجرة التي نهيا عنها شجرة البر، وأهبط الله حواء بجدة، والحية في البرية، وإبليس على ساحل بحر أيلة.

وقال ابن إسحاق: ذكر أهل العلم أن مهبط آدم وحواء على جبل يقال له: واسم من أرض الهند، وهو جبل بين قرى الهند يسمى اليوم الدهنج،

= والموضوعة» (٧/ ٢١٠): ضعيف.

(١) البيت للفرزدق، من البحر الطويل. انظر: «مجاني الأدب في حدائق العرب» لرزق الله شيخو (٥/ ١٨٧).

والمندل، والعرب تنسب الطيب واليَلَنْجُوج[1] إلى المندل، قال الشاعر:

إذا برزت نادى بما في ثيابها

ذكيُّ الشذا والمندليُّ المُطَيَّرُ[2]

الشذا: الطيب الحادُّ الرائحة، والمندليُّ: العود، والمطير: المشقَّق، كما في «المعارف»[3].

(وفيه)؛ أي: في يوم الجمعة (الصعقةُ)؛ أي: نفخة الصعق، وتقدَّم الكلام عليها في الحديث الثاني، (والبعثة)؛ أي: نفخة البعث كما تقدَّم، (وفيه)؛ أي: يوم الجمعة (البطشةُ) المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[الدخان: ١٦]، وهو يومُ وقعة بدر العظمى التي أعز الله بها الإسلام وأهلَه، وأذل عُباد الأصنام، وهو يوم التقى الجمعان: جَمْعُ نبينا محمدٍ ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ، وكانوا ثلاثمئة وبضعةَ عشرَ رجلًا، وجمعُ عبدَةِ الأوثان من قريش، وكانوا ما بين التسعمئة والألف، وكان ذلك نهار الجمعة لثلاثة عشر بقيت من رمضان من السنة الثانية من سني الهجرة ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ.

---

(١) في هامش الأصل: «قوله: (واليلنجوج... إلخ) بفتح التحتية واللام بعدها، وسكون النون، وضم الجيم الأولى بعدها واو ساكنة، فجيم ثانية: عود السنج. مؤلف».

(٢) انظر: «الغريب المصنف» للهروي (٢/ ٤٢٠)، و«معجم ديوان الأدب» للفارابي (١/ ٢٨٦)، وفيهما: «إذا ما مشت نادى...»، والبيت من البحر الطويل.

(٣) انظر: «المعارف» لابن قتيبة (ص: ١٥).

وقيل: المراد بالبطشة: يوم القيامة، وأصلُ البطش: الأخذُ بالقوة والعنف والسطوة. يقال بطش به يبطش ويبطش كأبطشه، والبطش: الشديد في كل شيء. ويؤيد كونَ المراد بالبطشة يوم القيامة: حديثُ أبي لبابةَ بنِ عبد المنذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الأَضْحَى، وَيَوْمِ الْفِطْرِ، فِيهِ خَمْسُ خِلالٍ: خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لا يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلّا أَعْطَاهُ، مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلا سَمَاءٍ وَلا أَرْضٍ وَلا رِيَاحٍ وَلا جِبَالٍ وَلا بَحْرٍ إِلَّا وَهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ»، رواه الإمام أحمد وابن ماجه بلفظ واحد[1]، وفي إسنادهما عبدُالله بنُ محمد بنِ عقيل[2]، وهو ممن احتجَّ به الإمام أحمد وغيره، ورواه الإمام أحمد ـ أيضًا ـ، والبزار من طريق عبدالله ـ أيضًا ـ من حديث سعد بن عبادة[3]، وبقية رواته ثقات مشهورون.

قلت: وعبدالله هو ابن محمد بن عقيل بن أبي طالب، ضعفه يحيى ابن معين، وقال ابن خزيمة: لا أحتج به، وقال أبو حاتم وغيره: لين الحديث[4]، وقال الترمذي: صدوق تُكلم فيه من قبل حفظه، واحتج به

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٣٠)، وابن ماجه (١٠٨٤)، واللفظ له.

(٢) في الأصل: «نفيل»، والتصويب من مصدري التخريج، وسيأتي على الصواب بعد قليل عند المؤلف.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٨٤)، والبزار في «مسنده» (٣٧٣٨).

(٤) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣).

الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، والحميدي، وغيرهم[1]. والله أعلم.

وحديثُ أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضلَ من يوم الجمعة، وما من دابة إلا وهي تفزع يوم الجمعة، إلا هذين الثقلين: الجنّ والإنس» رواه ابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما[2]، ورواه أبو داود وغيره أطولَ من هذا، وقال في آخره: «وما من دابة إلا وهي مُصيخَةٌ يوم الجمعة من حينِ تصبح حتى تطلع الشمس؛ شفقًا من الساعة، إلا الإنس والجنّ»[3].

قوله: (مُصيخة) ـ بضم الميم وكسر الصاد المهملة فخاء معجمة ـ معناه: مستمعة مصغية تتوقع قيامَ الساعة، وروي بالسين المهملة بدل الصاد.

(**وفي آخر ثلاث ساعات منها**)؛ أي: من الجمعة، ويحتمل عود الضمير على (ساعات)، (**ساعةٌ مَنْ دعا**) الله تعالى (**فيها**) بشيء (**استُجيب**) ـ بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم المثناة الفوقية وكسر الجيم، مبنيًا لما لم يسم فاعله ـ ؛ أي: استجاب الله تعالى (**له**) دعاءه الذي دعا به، وأعطاه سؤاله الذي سأله إياه.

(**رواه**) سيدنا (**الإمام أحمدُ**) بنُ محمدِ بنِ حنبلِ بنِ هلالِ بنِ أسدِ بنِ إدريسَ بنِ عبدِالله بنِ حَيَّان ـ بفتح الحاء المهملة وتشديد التحتية وبعد الألف

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» (١/ ٩).

(٢) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٢٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٧٠).

(٣) رواه أبو داود (١٠٤٦).

نون ـ ابن عبدِالله بن أنسِ بن عوفِ بنِ قاسطِ بنِ مازنِ بنِ شيبانَ بنِ ثعلبةَ بنِ عكابةَ بنِ صعبِ بنِ عليٍّ بنِ بكرِ بنِ وائلِ بنِ قاسطِ بنِ هِنْبِ ـ بكسر الهاء وإسكان النون فموحدة ـ ابن أفصى ـ بالفاء والصاد المهملة ـ ابن دعمي بنِ جديلةَ بنِ أسدِ بنِ ربيعةَ بنِ نزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عدنانَ، الشيبانيُّ المروزي البغدادي.

والذي اعتمده الحافظ الخطيب البغدادي، والحافظ البيهقي: أنه من مازن بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة[1].

والأولُ اعتمده ابن خلكان، وغلط من قال بالثاني[2]، ومشى المُوَفَّقُ على الأول[3]، وهو الذي قاله عباس الدوري، وابن ماكولا[4]، وهما

---

(١) وهو قول عباس الدوري وأبي بكر بن أبي داود كما في «تاريخ بغداد» للخطيب (٤/ ٤١٣)، قال الخطيب: وقول عباس الدوري وأبي بكر بن أبي داود: إن أحمد من بني ذهل بن شيبان غلط، إنما كان من بني شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وذهل بن ثعلبة هذا هو عمُّ ذهل بن شيبان، حدثني من أثق به من العلماء بالنسب قال: مازن بن ذهل بن ثعلبة الحصن هو بن عكابة بن صعب بن علي، ثم ساق النسب إلى ربيعة بن نزار كما ذكرناه عن ابن أبي داود.

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٦٣)، وفيه: ابن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة، وقيل: إنه من بني مازن بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة، وهو غلط؛ لأنه من بني شيبان بن ذهل لا من بني ذهل بن شيبان، وذهل بن ثعلبة المذكور هو عمُّ ذهل بن شيبان، فليعلم ذلك، والله أعلم.

(٣) انظر: «المغني» لابن قدامة (١/ ١٩)، وفيه: ابن حيان بن عبدالله بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة.

(٤) انظر: «الإكمال» لابن ماكولا (٢/ ٥٦٣)، وفيه: ابن قاسط بن مازن بن =

شيبانان، أحدهما: شيبان بن ثعلبة بن عكابة، والآخر شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة، وذهل بن ثعلبة المذكور هو عمٌّ ذهل بن شيبان.

وفي هذا النسب منقبة عظيمة للإمام أحمد من جهتين: من كونه يجتمع بنسب سيد العالم محمدٍ ﷺ في نزار، ومن كونه من صميم العرب العرباء، أو صريح ولد إسماعيل الذبيح عليه السلام.

وكان أبو الإمام أحمد، وهو محمد بن حنبل، واليَ سرخس[1]، وكان من أبناء الدعوة العباسية، ومات وله ثلاثون سنة، سنة تسع وسبعين ومئة، وكان للإمام أحمد يوم موت أبيه خمسَ عشرةَ سنة؛ فإن أمه ـ رحمها الله تعالى ـ حملت به بمرو، وقدمت بغداد وهي حامل به ـ فوضعته، فنشأ ببغداد، ووليته أمه، وهي شيبانية أيضًا، واسمها صفيةُ بنتُ ميمون بن عبدالله الشيباني من بني عامر، وجدُّها عبدُ الملك بن سوادة بن هند الشيباني من وجوه بني شيبان، كانت تنزل به قبائل العرب للضيافة.

ولد سيدُنا الإمام أحمدُ ﷺ سنة أربع وستين ومئة، يوم الجمعة في شهر ربيع الأول، وتوفي ﷺ يوم الجمعة سنة إحدى وأربعين ومئتين، وله سبع وسبعون سنة، ودفن ببغداد، وقبره الآن قد وارتْه الدِّجْلة. وكان رَبعةً، حسنَ الوجه، حسنَ الهيبة، يخضب بالحناء خضابًا ليس بالقاني، وكان في لحيته شعرات سود، وكان ذا وقار وسكينة، من أحيا الناس وأكرمهم نفسًا،

= ذهل بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة.

(١) مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة، وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، ينتسب إليها كثير من العلماء، منهم الإمام أبو علي زاهر بن أحمد شيخ عصره بخراسان. انظر: «معجم البلدان» للحموي (٣/ ٢٠٨).

وأحسنهم عشرة وأدبًا، كثير الإطراقِ وغَضِّ البصر، معرِضًا عن اللغو، لا يكاد يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث، وذكر الصالحين.

قال الإمام أبو داود: كانت مجالس الإمام أحمد مجالسَ آخرة، لا يُذكر فيها شيء من أمر الدنيا، قال: وما سمعته ذكر الدنيا قط[١].

وقال ثعلب في وصفه إياه: رأيت رجلًا كأن النار توقد بين عينيه[٢].

وكان يحب الفقراء، ويعرض عن أهل الدنيا، وكان حسن الخلق، دائم البِشْر، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، يحب في الله، ويبغض في الله، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، وكان من أصبر الناس على الوحدة، فقل أن يرى إلا في مسجد، أو جنازة، أو عيادة مريض، وكان يقول: أشتهي ما لا يكون؛ أشتهي مكاناً ليس فيه أحد.

وكان يقال: لم يكن أشبهَ برسول الله ﷺ من أصحابه هديًا وسَمتًا من عبدالله بن مسعود ﷺ، وكان أشبه الناس بهدي ابن مسعود وسمته علقمةُ ابن قيس، وكان أشبهَ الناس بعلقمة إبراهيمُ النخعي، وكان أشبه الناس بإبراهيم منصورُ بن المعتمر، وكان أشبهَ الناس بمنصور سفيانُ الثوري، وكان أشبه الناس بسفيان وكيعُ بنُ الجراح، قال محمدُ بنُ يونسَ: وكان أشبهَ الناس بوكيع الإمامُ أحمدُ بن حنبل[٣]، رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٢٩٥).

(٢) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٢٨٠).

(٣) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٢٨٩).

وكان الإمام أحمد ﷺ يحفظ ألف ألف حديث كما قال أبو زرعة[1].

وقال أبو زرعة أيضًا: هو - يعني: الإمام أحمد - أحفظُ مشايخ المحدثين[2].

وقال عبد الوهاب الوراق: سئل الإمام أحمد عن ستين ألف مسألة، فأجاب عن جميعها بحدثنا وأخبرنا[3].

وأقول: قد انفرد الإمام أحمد ﷺ بأربعة مناقب لا أعلم أحدًا شاركه فيها:

الأولى: أنه أحاط بالسنة، ولا نعلم أحدًا غيره وصف بذلك، وقد وَصَفَ الإمامَ أحمد ﷺ بذلك من حفاظ المسلين جماعة، منهم: الحافظ ابن حجر العسقلاني.

الثانية: ذكرها الحافظ جلال الدين السيوطي في «منتهى النقول» قال: انتهى الحفظ لابن جرير الطبري، فريدٌ في علم التفسير، فكان يحفظ كتبًا حمل ثمانين بعيرًا، وحفظ ابن الأنباري في كل جمعة ألف كراس، وحفظ ثلاثمئة ألف بيت من الشعر استشهاداً للنحو، وكان الإمام الشافعي ﷺ يحفظ من مرة أو نظرة، وابن سينا الحكيم حفظ القرآن في ليلة واحدة! وأبو زرعة يحفظ ألف ألف حديث، والبخاري حفظ عشرها.

قال الحافظ السيوطي: والكلُّ من بعض محفوظ الإمام أحمد

---

(١) روى قوله الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ٤١٩).

(٢) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٧٤).

(٣) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ١٨٨).

ابن حنبل رضي الله عنه[1].

الثالثة: أنه سئل عن ستين ألف قضية، فأجاب عن جميعها بحدثنا وأخبرنا، وهذا مما لا يكاد يدخل تحت وُسْع واحد من المجتهدين، فضلًا عن غيرهم. ولقد سئل كثير من الأئمة عن أقل من معشار عشر ذلك، فأحجم عن الجواب عن أكثرها، وإلى هذا أشار العلامة الأديب يوسف الصرصري الحنبلي في لاميته بقوله:

حوى ألفَ ألفٍ من أحاديثَ أُسندت
وأثبتها حفظًا بقلبٍ محصِّلِ
أجابَ على ستينَ ألفَ قضيةٍ
بأَخبرنا لا من صحائفَ نُقَّلِ

الرابعة: ما ذكره الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي، والحافظ البيهقي، وغيرهما من الأئمة: أنه أسلم يوم مات الإمام أحمد بن حنبل عشرون ألفًا من اليهود والنصارى والمجوس[2].

---

(١) «مشتهى العقول في منتهى النقول» للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جمع في هذه الرسالة بعض منتهيات الحوادث وغايات الأمور، انتقاها ونقلها عمن تقدمه كما يوحي بذلك عنوانها «منتهى النقول».

(٢) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٥٦٥)، قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٤٣): هذه حكاية منكرة، تفرَّد بنقلها هذا المكي عن هذا الوركاني، ولا يعرف، وما ذا بالوركاني المشهور محمد بن جعفر الذي مات قبل أحمد بن حنبل بثلاث عشرة سنة، وهو الذي قال فيه أبو زرعة: كان جارًا لأحمد ابن حنبل.

وإلى هذا أشار الصرصري ـ رحمه الله تعالى ـ في اللامية بقوله:

وعـــشرون ألفًـــا أســـلموا حـــين عـــاينوا
جنازتَـــه مـــن كـــلِّ صـــنف مـــضلل

وصـــلى عليـــه ألـــفُ ألـــفِ موحِّـــدِ
وســـتمِئي ألـــفِ فـــأَعْظِمْ وأكمِـــلِ

فقـــد بـــانَ بعـــدَ المـــوت للنـــاس فـــضلُه
كمـــا كـــان حيًّـــا فـــضلُه ظـــاهرٌ جلـــي

أقـــرَّ لـــه بالفـــضل أعيـــانُ وقتـــه
وأثنَـــوْا عليـــه بالثنـــاء المبجَّـــلِ

وقد أكثر الأئمة من الثناء على الإمام أحمد:

قال الإمام الشافعي: خرجت من بغداد وما خلَّفت بها أحدًا أورعَ ولا أتقى ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل(١).

وقال: ما خلفت بالعراق أحدًا يشبه أحمد(٢).

وقال الشافعي لأحمد بن حنبل: يا أبا عبدالله! أنت أعلم بالأخبار الصحاح منَّا، فإذا كان خبر صحيح، فأعلمني به حتى أذهب إليه، كوفيًّا كان أو بصريًّا أو شاميًّا. ذكر ذلك البيهقي وغيره(٣).

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ٤١٩).

(٢) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ١٤٤).

(٣) رواه الإمام البيهقي في «مناقب الإمام الشافعي» (١/ ٥٢٨).

وقال الإمام عبد الرزاق الصنعاني[1]: رحل إلينا أربعة من رؤساء الحديث: الشاذكوني، وكان أحفظهم للحديث، وابن المديني، وكان أعرفهم باختلافه، ويحيى بن معين، وكان أعلمهم بالرجال، وأحمد بن حنبل، وكان أجمعَهم لذلك كله[2].

وفي هذا منقبة عظيمة للإمام أحمد؛ حيث إن هؤلاء الأربعة أعظمُ من رحل إلى عبد الرزاق، وأعظمُهم الإمامُ أحمد، وقد قال أبو يعقوب[3]: ما رحل لأحد بعد رسول الله ﷺ ما رحل إلى عبد الرزاق، وقد قال: ما قدم علينا أحدٌ يشبه أحمد[4].

وكذلك يزيد بن هارون لم يكن لأحد أشدَّ تعظيمًا منه لأحمد بن حنبل، كان يُقعده إلى جنبه، وكان يوقره ولا يمازحه، حتى إنه ضحك رجل بحضرة يزيدَ بنِ هارونَ وأحمدُ حاضر، فغضب يزيدُ وقال: أتضحكون وأحمدُ هاهنا[5]؟!

وقال وكيع: ما قدم الكوفةَ مثلُ أحمد[6].

---

(١) صاحب الكتاب المشهور المعروف باسم «مصنف عبد الرزاق»، المتوفى سنة (٢١١هـ).

(٢) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (١/ ٨٨).

(٣) الإمام الكبير أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، المعروف بابن راهويه، توفي سنة (٢٣٨هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١/ ٣٥٨).

(٤) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٨٨، ٨٧).

(٥) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٨٥).

(٦) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٩٠).

وقال عبدُ الرحمن بنُ مَهْدِي: أحمدُ أعلم الناس بحديث سفيان[1].

وقال: من أراد أن ينظر إلى ما بين كتفي الثوري، فلينظر إلى هذا[2]، يعني: للإمام أحمد.

وقال يحيى بن سعيد القطان: ما قدم عليَّ مثلُ أحمدَ، ويحيى بنِ مَعين[3].

وقال ـ أيضًا ـ: ما قدم عليَّ أحدٌ من بغداد أحبّ إلي من أحمد[4].

وقال لمَن ذكره: أتذكر حبرًا من أحبار هذه الأمة[5]؟

وقال علي بن المديني: اتخذت أحمد إمامًا فيما بيني وبين الله تعالى، ومن يقوى على ما يقوى عليه أحمد[6]؟

وقال ـ أيضًا ـ: إذا ابتليت بشيء، فأفتاني أحمد بن حنبل، لم أبال إذا لقيت ربي كيف كان[7].

وقال: أحمدُ سيدنا، وسئل التحديث، فقال: إن سيدي أحمد أمرني أن لا أحدث إلا من كتاب[8].

---

(١) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٩٣).

(٢) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٩٣).

(٣) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٩٤).

(٤) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٩٥).

(٥) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٩٥).

(٦) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ١٤٦).

(٧) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٢٧٩).

(٨) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ١٤٦).

وقال ـ أيضًا ـ أحمد عندي أفضلُ من سعيد بن جبير في زمانه؛ إذ كان لسعيدٍ نظير، وليس لهذا نظير[1].

وقال ـ حفظه الله ـ : أحمد هو اليوم حجة الله على خلقه[2].

وقال: قد أيد الله تعالى هذا الدِّين برَجلين لا ثالث لهما: أبو بكر يوم الردة، وأحمد يوم المحنة[3].

وثناءُ الأئمة على الإمام أحمدَ أشهرُ من أن يذكر، وأكثر من أن يحصر.

وكان يؤثر الخمول[4]، وقال: طوبى لمن أخمل الله ذكره[5].

وكان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمئة ركعة، فلما ضعف، صلى مئة وخمسين.

وقال ابنه عبدالله: لما كبر أبي، زاد في الاجتهاد.

وله كرامات ظاهرة، ومزايا باهرة، وقد قال قتيبة وأبو حاتم: إذا رأيت الرجل يحب الإمام أحمد بن حنبل، فاعلم أنه صاحبُ سنة[6].

---

(١) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ١٤٦).

(٢) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ١٤٧).

(٣) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ١٤٨).

(٤) في هامش الأصل: «الخمول: هو عدم الاشتهار والشرف، وعدم التباهي. اهـ لغة»، وهو خُلق يسعى إليه الزهاد والأتقياء؛ فإنَّ مَنْ آثرَ الخُمول وإصْلاح نَفْسِه والتَّزوُّد لِمَعاده، ونبَذَ أمُور الدنيا، فليس غِرًّا فيما قَصَد له ولا مَذْمومًا.

(٥) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٧٦).

(٦) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ١٠٣).

وقال ابن ماكولا: الإمام أحمد هو إمام النقل، وعلم الزهد والورع[1].

وفي قصيدة إسماعيلَ بنِ فلان الترمذيِّ التي أنشدها للإمام أحمد بن حنبل وهو في السجن رضي الله عنه:

لَعَمْـرُك مـا يهـوى لأحمـدَ نكبـةً[2]
مـن النـاس إلا نـاقصُ العقـل مُعْـوِرُ[3]

هـو المحنـةُ اليـومَ الـذي يبتلـى بـه
فيعتبـر السـني فينـا ويـسبرُ

شَـجًى فـي حلـوق الملحِـدين وقـرةٌ
لأعـين أهـلِ النـسك عَـفٌّ مـشمِّرُ

فقـا أعـينَ المـراقِ فعـلُ ابـنِ حنبـلٍ
وأخـرسَ مَـنْ يبغـى العيـوبَ ويحفـرُ

جـرى سـابقًا فـي حَلْبـة الـصدق والتقـى
كمـا سـبق الطِّـرْفُ الجـوادُ المـضمّرُ

فيـا أيهـا الـساعي ليـدركَ شـأْوَه
رويـدَكَ عـن إدراكِـه ستقَـصّرُ[4]

---

(١) انظر: «الإكمال» لابن ماكولا (٢/ ٥٦٣).

(٢) في هامش الأصل: «هي الشدة والحادثة. اهـ لغة».

(٣) في هامش الأصل: «هو قبيح الفعل. اهـ».

(٤) من البحر الطويل، وقد روى هذه القصيدة بسنده الإمام ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٥٧٢).

وقال عبدُ السلام بنُ عليٍّ: أنشدنا أبو مزاحمٍ الخاقاني في الإمام أحمدَ بنِ حنبل ﷺ:

لقد صار في الآفاق أحمدُ محنةً
وأمرُ الورى فيها فليسَ بمشْكِلِ
ترى ذا الهوى جهلًا لأحمدَ مُبْغِضًا
وتعرفُ ذا التقوى بحبِّ ابنِ حنبلِ[1]

ومما ينسب للإمام الشافعي ﷺ ـ والمشهورُ أنهما لابن أعين وبَّخ بهما أهلَ البدع فقال ـ:

أضحى ابنُ حنبلَ حجةً مبرورةً
وبحبِّ أحمدَ يُعرف المتنسِّكُ
وإذا رأيتَ لأحمدٍ مُسْتنقِصًا
فاعلمْ بأنَّ ستوره ستهتكُ[2]

وحجَّ الإمام أحمد خمسَ حجات، منها ثلاثٌ ماشيًا، وكان يجتمع في مجلسه زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمئة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب، وحسنَ السمت.

---

(١) من البحر الطويل، وقد روى هذه القصيدة بسنده الإمام ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٥٧٩).

(٢) من البحر الكامل، ورواهما بسنده لابن أعين الإمام ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٦٥٩).

وقال أبو بكر المطوعي: اختلفتُ إلى الإمام أحمدَ اثنتي عشرةَ سنةً وهو يقرأ المسند على أولاده، فما كتبتُ منه حديثًا واحدًا، وإنما كنت أنظر إلى هديه، وأخلاقه وآدابه[1].

ومن دعائه رضي الله عنه: اللهم لا تكثر علينا فنطغى، ولا تقلل علينا فننسى، وهب لنا من رحمتك وسعة رزقك ما يكون بلاغًا لنا، وغِنًى من فضلك[2].

وما عسى نذكر من البحر الخِضَمِّ من فضائله، والقطر الأعمِّ من مناقبه وفواضله، ولكن هذا التنويه يناسب ما نحن فيه، والله الموفق[3].

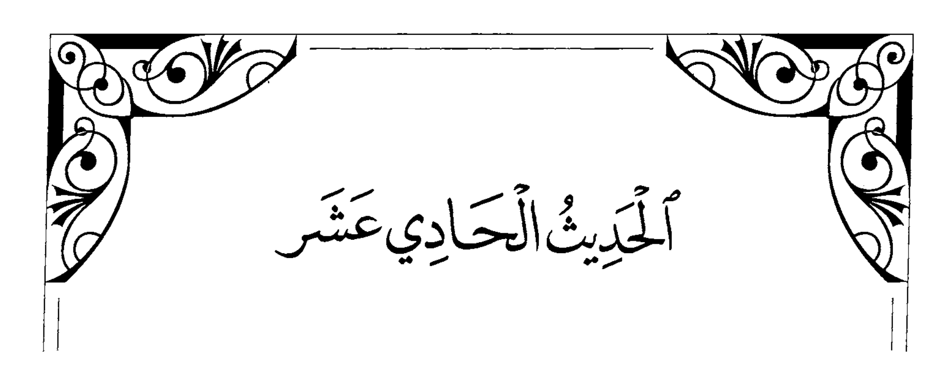
❐ ❐ ❐

---

(١) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٢٨٨).

(٢) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٩٤).

(٣) من أهم ملامح سيرة الإمام أحمد رضي الله عنه: محنته المشهورة، وصبره عليها حتى أيده الله بنصره على أعدائه، وقد أغفلها الشارح رحمه الله. انظر: «مختصر طبقات الحنابلة» للعلامة الشيخ محمد جميل الشطي رحمه الله تعالى.



الحديث الحادي عشر

٥٦ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ، ـ يُرِيدُ: سَاعَةً ـ، لا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ شَيْئًا إِلا آتَاهُ اللَّهُ ﷻ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ». رواه أبو داود، والنسائي[1].

(عن جابرِ بنِ عبدِالله) الأنصاريِّ، صحابيّ بن صحابي (رضي الله عنهما)، تقدَّمت ترجمته في صدر الحديث الثالث من فضل الأذان[2]، (عن النبي ﷺ قال: يوم الجمعة ثنتا عشرة[3] ساعة) كغيره من سائر الأيام، وهي جزء من أجزاء الجديدين[4]، والوقت الحاضر، والمراد: الأول. والجمعُ ساعات، منها:

---

(١) رواه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي (١٣٨٩)، واللفظ الذي أثبتناه هنا لأبي داود كما في المتن المخطوط لـ «فضائل الأعمال».

(٢) وهو الحديث رقم (٨) من هذا الكتاب.

(٣) في الأصل: «اثني عشر» بدل «ثنتا عشرة»، والتصويب من مصدري التخريج.

(٤) الجَديدَانِ والأَجَدَّانِ: اللَّيلُ والنَّهار، وذلك لأَنَّهما لا يَبلَيانِ أَبَدًا، ومنه قول ابن دُريد (من الرجز):

إِنَّ الجَدِيدَيْنِ إِذَا مَا اسْتَوْلَيَا ... عَلَى جَدِيدٍ أَدْنَيَاهُ لِلْبِلَى =

ساعةُ الإجابة (لا يوجد عبدٌ مسلم يسأل الله شيئًا) من خيري الدنيا والآخرة (إلا آتاه) ـ بمد الهمزة ـ ؛ أي: أعطاه (إياه) ما لم يكن محرّمًا ـ كما تقدم ـ ، (فالتمسوها)؛ أي: اطلبوها (آخرَ)؛ أي: في آخر (ساعةٍ) من يوم الجمعة (بعد العصر)، وهذا على ما اختاره الإمام أحمد ومَن وافقه: أن ساعة الإجابة آخرُ ساعة من يوم الجمعة، وكذا الحديث الذي قبله يدلُّ على مثل ذلك.

(رواه أبو داود، والنسائي) في سننهما، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم[1].

قال الحافظ المنذري: وهو كما قال[2].

قال الترمذي: ورأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم: أن الساعة التي ترجى فيها الإجابة: بعد العصر إلى أن تغرب الشمس، قال: وبه يقول الإمام أحمد، وإسحاق.

قال الإمام أحمد: أكثرُ الأحاديث في الساعة التي ترجى [فيها] إجابةُ الدعوة أنها بعد صلاة العصر.

وقال الإمام أحمد: وترجى بعد الزوال[3].

وتقدم الكلام على ذلك بما فيه كفاية قريبًا.

وأما حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يوم الجمعة وليلة الجمعة أربعة وعشرون ساعة، ليس فيها ساعة إلا ولله فيها ستمئة عتيق من

= انظر: «تاج العروس» للزبيدي (مادة: جدد).

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٠٣٢).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٨٥).

(٣) انظر: «سنن الترمذي» (٢/ ٣٦٠).

النار»، قال الراوي: فخرجنا من عنده، فدخلنا على الحسن ـ يعني: البصري ـ، فذكرنا له حديث ثابت ـ يعني: عن أنس ـ قال: سمعته، وزاد فيه: «كلُّهم قد استوجبوا النار»، رواه أبو يعلى[1] = فهو حديث ضعيف، ورواه البيهقي باختصار، ولفظه: «لله في كلِّ جمعة سِتُّمئة ألفِ عتيق من النار»[2]، وهو ضعيف أيضًا. والله تعالى أعلم.

*** تتمة في الترهيب والتحذير من ترك الجمعة لغير عذر:**

أخرج مسلم عن ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة: «لقد هممتُ أن آمر رجلًا يصلي بالناس، ثم أحرّق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم»[3]، ورواه الحاكم بإسناد على شرطهما[4].

ورواه[5] الطبراني من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وفيه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليسْعَ إلى الجمعة، ومن استغنى عنها بلهوٍ أو تجارة، استغنى الله عنه، والله غني حميد»[6].

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣٤٨٤)، وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١/ ٢٢١): ضعيف جدًّا.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٠٤٢).

(٣) رواه مسلم (٦٥٢/ ٢٥٤).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٠٨٠).

(٥) في الأصل: «وروى»، ولعل الصواب المثبت.

(٦) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣٢٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٧٨): فيه علي بن يزيد الألهاني، ضعفه أبو حاتم وابن عدي، ووثقه أحمد وابن حبان.

وفي «صحيح مسلم»، و«سنن ابن ماجه» وغيرهما عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم: أنهما سمعا رسولَ الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «لينتهينَّ أقوامٌ عن وَدْعِهم الجمعاتِ، أو ليختمَنَّ الله على قلوبهم، ثم ليكونُنَّ من الغافلين»[1].

قوله: (عن ودعهم الجمعات)، هو - بفتح الواو وسكون الدال المهملة -؛ أي: تركهم الجمعات. ورواه ابن خزيمة بلفظ «تركهم» من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما[2].

يقال: وَدَعَ الشيء يَدَعُه وَدْعًا: إذا تركه.

وقال في «النهاية»: والنحاة يقولون: إن العرب أَمَاتُوا ماضي (يدع) ومصدره، واستغنوا عنه بـ (تَرَكَ)، والنبي ﷺ أفصحُ العرب[3].

قلت: وفي القرآن العظيم: (ما ودَعك ربك وما قلى) [الضحى: ٣]، على إحدى القراءتين[4]، وإنما يُحمل قولُ النحاة على قلة استعماله، فهو شاذ في الاستعمال، صحيح في القياس.

---

(١) رواه مسلم (٨٦٥/ ٤٠)، وابن ماجه (٧٩٤).

(٢) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٥٥).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ١٦٥).

(٤) وليست هي في المتواتر، بل في الشاذ. انظر: «معجم القراءات القرآنية» للدكتور أحمد مختار عمر والدكتور عبد العال سالم (٨/ ١٧٩).

ومهما كان الأمر فلو أن العرب قد أماتوا ماضي (يدع) ومصدره كما يدَّعي بعض النحاة؛ لما استخدمه النبي ﷺ في هذا الحديث وهو أفصح من نطق بالضاد، والقراءة الصحيحة وإن لم تكن متواترة، هي أصح من ظنون النحاة وأوهامهم. والله تعالى أعلم.

وأخرج الإمام أحمد في «المسند»، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه ـ وقال الترمذي: حديث حسن ـ عن أبي الجعد الضمري ـ وكانت له صحبة ﷺ ـ عن النبي ﷺ قال: «من ترك ثلاثَ جُمَعٍ تهاونًا بها، طبع الله على قلبه»[1].

ورواه الحاكم، وابن حبان في صحيحيهما، وقال الحاكم: على شرط مسلم[2].

وفي رواية لابن خزيمة وابن حبان: «من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر، فهو منافق»[3].

وفي رواية عند رزين: «فقد برئ من الله»[4].

وروى أبو يعلى بإسناد صحيح عن ابن عباس ﷺ موقوفًا عليه قال: «من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات، فقد نبذ الإسلام وراء ظهره»[5].

وأخرج البيهقي عن محمد بن عبد الرحمن بن زُرارةَ قال: سمعت عمر ﷺ ـ ولم أر رجلًا منا به شبيهًا ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع النداء يوم الجمعة فلم يأتها، ثم سمعه فلم يأتها، ثم سمعه فلم يأتها، طبع الله

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٢٤)، وأبو داود (١٠٥٢)، والترمذي (٥٠٠)، والنسائي (١٣٦٩)، وابن ماجه (١١٢٥).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٠٣٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٨٦).

(٣) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٥٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٨).

(٤) أوردها ابن الأثير في «جامع الأصول» (٥/ ٦٦٦).

(٥) رواه أبو يعلى (٢٧١٢).

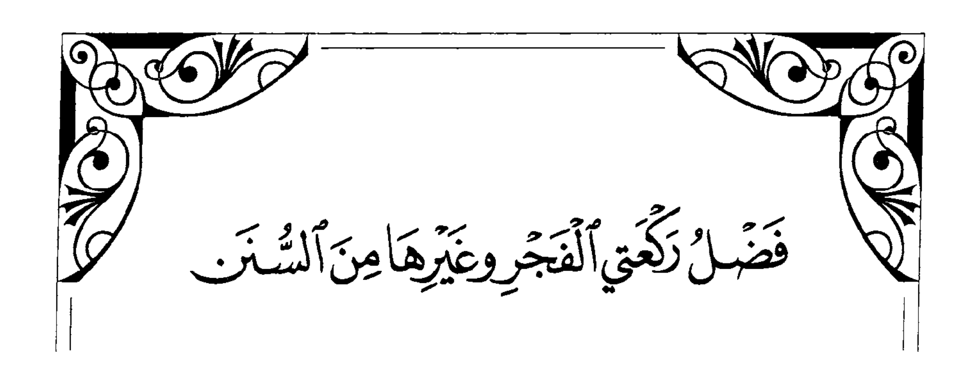
على قلبه، وجعلَ قلبَهُ قلبَ منافق»[1].

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يشهد الجماعة ولا الجمعة، فقال: هذا في النار[2]، والله أعلم.

❑❑❑

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٠٠٥)، قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٧٩): حديث حسن.

(٢) رواه الترمذي (٢١٨)، وقال: ومعنى الحديث: أن لا يشهد الجماعة والجمعة رغبة عنها، واستخفافًا بحقها، وتهاونًا بها.



فَضۡلُ رَكۡعَتي ٱلۡفَجۡرِ وغَيۡرِهَا مِنَ ٱلسُّنَن

أي: هذا باب فضل السنن الرواتب، وذكر المصنف الحافظ فيه ثلاثة أحاديث:

ٱلۡحَدِيثُ ٱلۡأَوَّلُ

٥٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». رواه مسلم[١].

(عن) أم المؤمنين **(عائشةَ)** الصدِّيقة (ﵦ)، **عن النبي ﷺ قال: ركعتا الفجر)**: تثنيةُ ركعة، مشتقة من الركوع، وهو في اللغة: الانحناء، يقال: ركع الشيخ: إذا انحنى من الكبر، قال لبيد:

ألـيس ورائـي إن تراخـت منيتـي

لـزومُ العـصا تُحنـى عليهـا الأصـابعُ

---

(١) رواه مسلم (٧٢٥/ ٩٦).

أُخبِّرُ أخبارَ القرون التي مضت
أدِبُّ كأني كلما قمتُ راكع[1]

وهو في الشرع له أدنى وأكملُ، فأدناه: إمكانُ مسِّ الوسط ركبتيه بيديه، وأكملُه: أن يمد ظهره، ويجعل رأسه حِيالَ ظهره مدًّا مستويًا؛ بحيث لو وضع الماء على ظهره لقرَّ وثبت، وإنما سميت الركعة ركعةً؛ به، وهي تشتمل على القراءة من قيام، والركوع، والرفع منه، والسجدتين، والطمأنينة في كل ركن فعلي.

وسنة الفجر ـ وهما الركعتان قبل الفريضة ـ أفضلُ السنن الرواتب على الصحيح من المذاهب الأربعة، ووقتُ كل سنّة قبل الفريضة: من دخول وقت تلك الصلاة إلى فعل الصلاة، وكل سنّة بعدها فوقتها: من فعل الصلاة إلى خروج وقتها. ولعِظَم فضل ركعتي الفجر قال النبي ﷺ: إنهما (**خير من الدنيا**)، وزنها فُعْلى، وألفُها للتأنيث؛ وهي من الدنوّ؛ يعني: القرب، وهي صفة لموصوف محذوفٍ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥]، غير أنه قد كثر استعمالها استعمالَ الأسماء، فاستغني عن موصوفها؛ والمراد: الدار الدنيا، أو الحياة الدنيا، التي يقابلها الدار الآخرة، أو الحياة الأخرى.

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي كغيره: الدنيا هي ما على الأرض من الهواء[2] والجو.

---

(١) من الطويل، وانظر: «ديوانه» (ص: ١٧٠).

(٢) في الأصل: «الهوى»، والصواب المثبت.

(وما فيها) من المخلوقات من الجواهر والأعراض.

وتطلق الدنيا على كل جزء من ذلك مجازًا، وإنما كانت ركعتا الفجر خيرًا من الدنيا وما فيها؛ لأنهما من زاد الآخرة، وينال بهما الدرجات العالية، والنعيم المقيم، والدنيا سجنُ المؤمن؛ لكونه مقيدًا بقيود التكاليف، فلا يقدر على حركة ولا سكون، إلا أن يفسح له الشرع، ويُمكِّنَه من التصرف من الفعل أو الترك، مع ما فيها من توالي أنواع البلاء والمحن، ومكابدة الهموم والغموم والأسقام، ومكابدة الإيذاء والأضداد والعيال والأولاد، وعلى الجملة: فأشدُّ الناس بلاء الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى المرء بحسب دينه، فهي دار النكد والابتلاء، فلا قيمة لها عند الله تعالى، فلا تعدل عند الله جناح بعوضة.

(رواه مسلمُ) بنُ الحجاج في «صحيحه».

وفي رواية لمسلم: «لهما ـ أي: ركعتا الفجر ـ أحبُّ إلى الله من الدنيا جميعِها»[1]، ورواه أيضًا الترمذي[2].

وفي الصحيحين عنها ﵂ قالت: لم يكنِ النبيُّ ﷺ على شيء من النوافل أشدَّ تعاهدًا منه على ركعتي الفجر، رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن خزيمة في «صحيحه»[3].

---

(١) رواه مسلم (٧٢٥/ ٩٧) بلفظ: «لهما أحبُّ إلي من الدنيا».

(٢) رواه الترمذي (٤١٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري (١١٦٩)، ومسلم (٧٢٤/ ٩٤)، وأبو داود (١٢٥٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٤٥٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١١٠٩).

وفي رواية لابن خزيمة، قالت: ما رأيت رسولَ الله ﷺ إلى شيء من الخير أسرعَ منه إلى الركعتين قبلَ الفجر، ولا إلى غنيمة[1].

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ؓ قال: قال النبي ﷺ: «صلوا ركعتي الفجر، ولو طردتْكُم الخيل»، وفي لفظ: «لا تَدَعوا ركعتَي الفجر ولو طردتكم الخيل»[2]، رمز الجلال السيوطي لحسنه[3].

ويستحب تخفيف ركعتي الفجر؛ لما في الصحيحين عن عائشة ؓ: كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتي الفجر، ويخفف، حتى إني لأقولُ: هل قرأ فيهما بفاتحة الكتاب؟[4]، ومرادُها أنه كان يطول في غيرهما من النوافل، ويخففهما.

ويستحب أن يقرأ فيهما بـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ لما روى أبو هريرة ؓ: أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، رواه مسلم وغيره[5].

وروى مسلم ـ أيضًا ـ، وغيره، من حديث ابن عباس ؓ: أن رسول الله ﷺ كان كثيرًا ما يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ

---

(١) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١١٠٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٤٠٥)، وأبو داود (١٢٥٨).

(٣) انظر: «فيض القدير» للمناوي (٦/ ٣٩٣)، وانظر: «نصب الراية» للزيلعي (٢/ ١٦٠).

(٤) رواه البخاري (١١٧١)، ومسلم (٧٢٤/ ٩٢).

(٥) رواه مسلم (٧٢٦/ ٩٨).

إِلَيۡنَا﴾ الآية التي في البقرة: [١٣٦]، وفي الآخرة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾[آل عمران: ٦٤][١].

ويقول بعد فراغه من ركعتي الفجر قبل صلاة الفريضة: يا حيُّ يا قيومُ لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث، أربعين مرة[٢].

قال المحقق ابن القيم وغيره: لهذين الاسمين تأثيرٌ عظيم في حياة القلب، وهو أصل كبير، وعليه مدار الطاعات[٣].

وفي «سنن الترمذي»، وصحيح الحاكم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا كَرَبَه أمر يقول: «يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيث»، قال الحاكم: صحيح[٤].

وذكر أبو القاسم القشيري في «الرسالة» عن أبي بكر الكتَّانِي ـ رحمه الله ـ : أنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: ادعُ الله أن لا يُميت قلبي: فقال: قل كل يومٍ أربعين مرة: يا حيُّ يا قيومُ لا إله إلا أنت

---

(١) رواه مسلم (٧٢٧/ ٩٩).

(٢) أورده ابن قيم الجوزية في «مدارج السالكين» (١/ ٤٤٨) وعزاه لشيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: وسمعته يقول: من واظب على أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر: يا حيُّ يا قيوم، لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث؛ حصلت له حياةُ القلب، ولم يمت قلبه.

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٤٦).

(٤) رواه الترمذي (٣٥٢٤)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٠٠) بلفظ: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؛ أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلَّه ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

برحمتك أستغيث[1].

وأما تقييدها بهذا الوقت ـ أعني: بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح ـ، فحكى الحافظ أبو الحجاج يوسفُ المزي، عن شيخ الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ـ وهو أخو الإمام الموفق، رحمهما الله تعالى ـ: أنه كان لا يخلُّ بها بين سنة الفجر والفرض، ثم بعد فراغ الأربعين يقول: يا حيُّ يا قيوم يا بديعَ السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يا ألله يا ألله يا ألله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد، ثلاثًا.

ويُستحب الاضطجاعُ على شقه الأيمن قبلَ الفرض، نص عليه الإمام أحمد؛ خلافًا للإمام مالك.

قيل للإمام أحمد: يكره الكلامُ بعدهما يعني: بعد ركعتي الفجر؟ قال: يروى عن عبدالله ـ يعني: ابن مسعود ﷺ ـ: أنه كرهه[2]، وهو المذهب.

وبوَّب البخاري لاستحباب الاضطجاع في «صحيحه»، فقال: باب: الضجعة على الشق الأيمن بعد ركعتي الفجر، ثم ذكر حديث عائشة ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا صلى ركعتي الفجر، اضطجع على شقه الأيمن[3]، ورواه مسلم، وأبو داود، والترمذي[4].

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» لأبي القاسم القشيري (٢/ ٥٦٢).

(٢) انظر: «مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه» (٢/ ٦٥٤)، والحديث رواه عبد الرزاق (٤٨٠٠)، ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٤٤٠).

(٣) رواه البخاري (١١٦٠).

(٤) رواه مسلم (٧٣٦/ ١٢٢)، وأبو داود (١٣٣٥)، والترمذي (٤٤٠).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: أنه قال: «إذا صلى أحدكم الركعتين قبل صلاة الصبح، فليضطجع على يمينه»، رواه الترمذي، وغيره، وحسنه[1].

قال المحقق ابن القيم: قد غلا في هذه الضجعة طائفتان، وتوسط فيها طائفة ثالثة، فأوجبها جماعة من أهل الظاهر، وأبطلوا الصلاة بتركها؛ كابن حزم ومن وافقه، وكرهها جماعة من الفقهاء، وسموها بدعة، وتوسط فيها مالك وغيره، فلم ير بها بأسًا لمن فعلها راحة، وكرهها لمن يفعلها استناناً، واستحبها طائفة على الإطلاق، سواء استراح بها أو لا، واحتجوا بحديث أبي هريرة، انتهى[2].

والمعتمد استحبابُها.

قال الموفق في «المغني» في قول الإمام أحمد: لا أفعل الاضطجاع: وإن فعله رجل، فحسنٌ، اتباعُ الرسول أولى[3]، يعني: استحباب الاضطجاع، والله أعلم.

وأما ما يقال في هذه الضجعة، فنقل عن بعض السلف: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك، وكذلك ذكره السهروردي في «عوارفه»[4].

---

(١) رواه الترمذي (٤٢٠).

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (١/ ٣١٩).

(٣) انظر: «المغني» لابن قدامة (١/ ٤٣٥).

(٤) «عوارف المعارف» للشيخ شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبدالله السهروردي، المتوفى سنة (٦٣٢هـ). انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢/ ١١٧٧).

وانظر: «عوارف المعارف» للسهروردي (٢/ ١٧٣).

ونحن نقول: اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، وربَّ محمد ﷺ، أعوذ بك من النار؛ لما روى الحاكم في «المستدرك» عن أسامة بن عمير الهذلي ﵁: أنه صلى مع النبي ﷺ ركعتي الفجر، فصلى قريبًا منه، فصلى النبي ﷺ ركعتين خفيفتين، فسمعته يقول: «اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد ﷺ، أعوذ بك من النار»، ثلاث مرات[1]، ورواه ابن السني، وعنده: فسمعته يقول وهو جالس، فذكره[2].

ثم يقول بعد ما ذكر: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله، مئة مرة، ففي الدارقطني وكتاب ابن عدي من حديث ابن عمر ﵄: أن من قال ذلك من طلوع الفجر إلى صلاة الفجر، أتته الدنيا راغمة[3]، لكن ذكره الإمام الحافظ ابن الجوزي في «الموضوعات»[4]، والله أعلم.

* * *

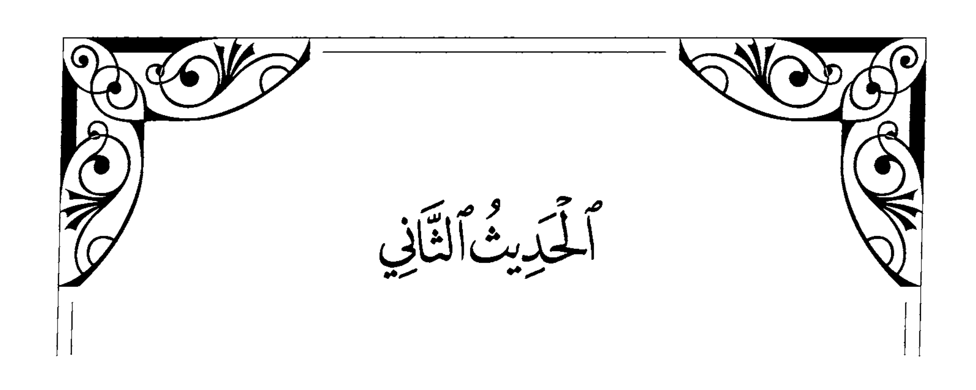
---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٦١٠).

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٠٣).

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ٣٤٣) وقال: هذا حديث بهذا الإسناد باطل. ولم نقف عليه عند الدارقطني.

(٤) انظر: «الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٣٤٧)، وفيه: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، قال أبو حاتم بن حبان: لا أصل لهذا الحديث، ولا أشك أنه موضوع على مالك، وإسحاق بن إبراهيم منكر الحديث جدًّا، يأتي عن الثقات بالأشياء الموضوعات، لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب.



الحَدِيثُ الثَّانِي

٥٨ ـ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ ثَابَرَ عَلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ: أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ». رواه النسائي، وابن ماجه، والترمذي وقال: غريب[1].

(عن) أم المؤمنين **(عائشة ؓ قالت: قال رسول الله ﷺ: من ثابر)** ـ بالثاء المثلثة، وبعد الألف باء موحدة، ثم راء ـ؛ أي: لازمَ وواظبَ **(على)** فعل **(اثنتي عشرةَ ركعةً)**، وفي لفظ: «ثنتي عشرة»[2]، وهما **(في اليوم والليلة، دخل الجنة)**، ثم بين مواضع فعلها، فقال: يصلي **(أربعًا)** من الركعات **(قبل)** صلاة **(الظهر)**، رأيته اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وفاقًا لأبي حنيفة والشافعي[3]، ومعتمد المذهب أن الراتبة قبل صلاة الظهر ركعتان؛

---

(١) رواه النسائي (١٧٩٤)، وفي «السنن الكبرى» (١٤٦٧)، وابن ماجه (١١٤٠)، والترمذي (٤١٤).

(٢) وهي رواية الترمذي والنسائي.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٢٨١).

لقول ابن عمر رضي الله عنهما: حفظت من رسول الله عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها... الحديث، متفق عليه[1].

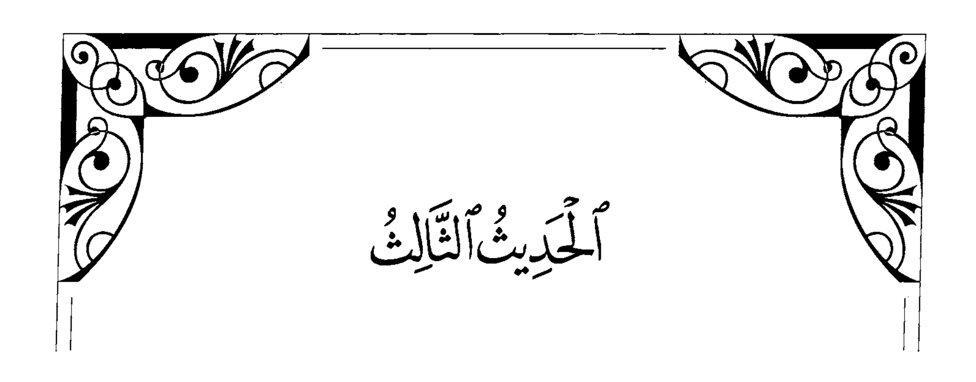
(وركعتين بعدها)؛ أي: بعد فريضة صلاة الظهر، **(وركعتين بعد)** صلاة **(المغرب، وركعتين بعد)** صلاة **(العشاء، وركعتين قبل)** صلاة **(الفجر. رواه النسائي، وابن ماجه)**، **(و)** رواه **(الترمذي، وقال)**: حديث **(غريب)**، وقال النسائي: نسبةُ هذا الحديث إلى عائشةَ رضي الله عنها خطأ، فلعل الراوي أراد عنبسةَ بنَ أبي سفيان فصحَّف، ثم رواه النسائي عن ابن جريج، عن عطاء، عن عنبسة بن أبي سفيان، عن أم حبيبة، وقال: عطاءُ بنُ أبي رباح لم يسمعه من عنبسة[2]. انتهى.

* * *

---

(1) رواه البخاري (١١٨٠)، ورواه مسلم (٧٢٩/ ١٠٤) بلفظ: صلَّيت مع رسول الله ﷺ قبل الظهر سجدتين، وبعدها سجدتين، وبعد المغرب سجدتين، وبعد العشاء سجدتين، وبعد الجمعة سجدتين، فأما المغرب والعشاء والجمعة، فصليت مع النبي ﷺ في بيته.

(2) رواه النسائي (١٧٩٨)، وفي «السنن الكبرى» (١٤٦٩).



الحديث الثالث

٥٩ ـ عن أم المؤمنين أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَت: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ». رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن غريب[1].

(عن) أم المؤمنين (أم حبيبة زوج النبي ﷺ)، واسمها رملَةُ على الصحيح ـ بفتح الراء وسكون الميم ـ، وقيل: هند، وهو خطأ، وهي رملة بنت أبي سفيان ـ واسمه صخرُ بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ـ القرشيةُ، أختُ معاوية، وإنما دخلت الشبهة على من قال فيها: هند باسم أم سلمة أم المؤمنين؛ فإن اسمها هند.

هاجرت أم حبيبة مع زوجها عبدالله بن جحش للحبشة، فتنصر زوجُها هناك، ومات نصرانيًا، وبقيت أم حبيبة مسلمةً بأرض الحبشة، فخطبها رسولُ الله ﷺ إلى النجاشي مع رسولِ رسولِ الله ﷺ وهي هناك سنة سِتٍّ،

(١) رواه أبو داود (١٢٦٩)، والنسائي (١٨١٦)، وابن ماجه (١١٦٠)، والترمذي (٤٢٨).

وقيل: سبع، بعث ﷺ في أمرها عمرو بن أمية الضمري، فكتب معه كتابين: أحدُهما يدعوه فيه إلى الإسلام، والآخر إلى تزويجه بأم حبيبة، فأسلم النجاشي، وولي نكاحها عثمانُ، وقيل: خالدُ بنُ سعيد بن العاص، وقيل: بل وليه نفسُ النجاشي[1].

وأما ما وقع في «صحيح مسلم» أن أبا سفيان هو الذي زوجه إياها[2]، فإشكال معروف، والأجوبة عنه مشهورة، ذكر أكثرها الإمام المحقق ابنُ القيم في كتابه «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام»[3].

وأصدقَ النجاشيُّ أمَّ حبيبةَ عن النبي ﷺ أربعمئة دينار، وقيل: أربعة آلاف، وقيل: أربعين أوقية، والأولُ المشهور، وهو الصحيح.

روى عنها أخوها معاوية وعنبسة ابنا أبي سفيان، وغيرهم.

روي لها عن رسول الله ﷺ خمسة وستون حديثاً، اتفقا على حديثين، ولمسلم مثلهما. توفيت سنة أربع وأربعين، وقيل: قبل معاوية بسنة، ومعاوية إنما مات في رجب سنة ستين.

(قالت) أم حبيبة ﵂: **(سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: من حافظَ)**؛ أي: واظب وداوم **(على)** فعل **(أربع ركعات قبل الظهر)**؛ أي: قبل أداء فريضة الظهر، **(و)** حافظ على فعل **(أربع)** ركعات **(بعدها)**؛ أي: بعد أداء الفريضة، **(حرمه الله)** تعالى **(على النار)**، فلا يدخلها ولا تأكله؛ لمداومته

---

(١) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/ ١٨٤٣).

(٢) رواه مسلم (٢٥٠١/ ١٦٨).

(٣) انظر: «جلاء الأفهام» (ص: ٢٤٢).

على ما شرعه الله على لسان نبيه على سبيل السنة والاستحباب، ويعلم منه بالأولى محافظته على ما شرعه على سبيل الفريضة والوجوب.

(رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن غريب).

ورواه ـ أيضًا ـ الإمام أحمد من رواية القاسم أبي عبد الرحمن [صاحب][1] أبي أمامة عن عنبسة بن أبي سفيان، عن أم حبيبة[2].

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، قال: والقاسم هو أبو عبد الرحمن، شامي، ثقة، انتهى[3].

وفي رواية للنسائي: «فتمس وجهه النار أبدًا»[4].

ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» عن سليمان بن موسى، عن محمد بن أبي سفيان، عن أخته أم حبيبة[5]، ورواه أبو داود، والنسائي، وابن خزيمة في «صحيحه» ـ أيضًا ـ، وغيرهم[6].

---

(١) ما بين معكوفين من «سنن الترمذي».

(٢) لم نقف عليه من رواية القاسم، وإنما رواه في «مسنده» (٦/ ٣٢٥) من رواية حسان بن عطية عن عتبة بن أبي سفيان، عن أم حبيبة ﵂، و(٦/ ٣٢٦) عن مولى لعنبسة عن عنبسة، عن أم حبيبة ﵂.

(٣) انظر: «سنن الترمذي» (٢/ ٢٩٣).

(٤) رواه النسائي (١٨١٣).

(٥) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١١٩٠).

(٦) رواه النسائي (١٨١٦)، ورواه أبو داود (١٢٦٩) من رواية سليمان عن مكحول عن عنبسة. ولعل ذكر ابن خزيمة هنا تكرار من الناسخ.

وسيأتي عن أم حبيبة رملةَ بنتِ أبي سفيان ﵄ ـ قريبًا ـ زوجِ النبـي ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى في كل يوم ثنتي عشرةَ ركعة تطوعًا غيرَ فريضته، إلا بنى الله تعالى له بيتًا في الجنة، أو إلا بني له بيت في الجنة»، رواه مسلم في «صحيحه»، وأبو داود، والترمذي، والنسائي[1]، وزاد فيه الترمذي: «أربعًا قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الغداة».

ورواه بالزيادة المذكورة ابنُ خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، إلا أنهم زادوا: «وركعتين قبل العصر»، ولم يذكروا: «وركعتين بعد العشاء»[2]، وهو كذلك عند النسائي في رواية[3].

ورواه ابن ماجه فقال: «ركعتين قبل الظهر، [وركعتين بعد الظهر]، وركعتين أظنه قبل العصر»[4]، ووافق الترمذي على الباقي.

وفي آخر حديث أم حبيبة؛ كما في مسلم عن أم حبيبة قالت: فما تركتُهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ، وقال عنبسة: ما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة، وقال

---

(١) رواه مسلم (٧٢٨/ ١٠٣)، وأبو داود (١٢٥٠)، والترمذي (٤١٥)، والنسائي (١٧٩٦).

(٢) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١١٨٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٤٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (١١٧٣).

(٣) رواه النسائي (١٨٠١).

(٤) رواه ابن ماجه (١١٤٢).

النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس[1].

وفي هذه الأحاديث حجة لما ذهب إليه الجمهور أن للفرائض رواتب مسنونة، قال القرطبي: وذهب مالك إلى أنه لا رواتبَ في ذلك ولا توقيت عدا ركعتي الفجر[2]. يقول: من تخفيف ركعتي الفجر الاقتصارُ فيهما على الفاتحة.

وتقدم أن معتمد المذهب أن الرواتب عشر ركعات فقط؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: حفظت من رسول الله ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل الصبح، وكانت ساعة لا يدخل على النبي ﷺ فيها أحد، حدثتني حفصة: أنه كان إذا أذن المؤذن، وطلع الفجر، صلى ركعتين. متفق عليه[3].

وأما السنن غير الرواتب، فعشرون ركعة: أربع قبل الظهر، وأربع بعدها، وأربع قبل العصر، وأربع بعد المغرب ـ وقال الموفق: ست[4] ـ وأربع بعد العشاء، قال الإمام شمس الدين بن أبي عمر وغيره من علمائنا: يحافظ عليهن[5].

---

(١) رواه مسلم (٧٢٨/ ١٠١).

(٢) انظر: «المفهم» للقرطبي (٢/ ٣٦٥).

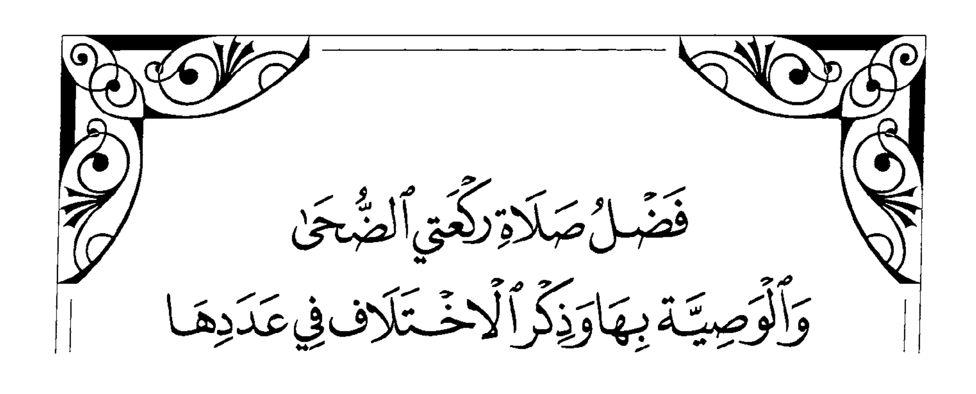
(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) انظر: «المغني» لابن قدامة (١/ ٤٣٦).

(٥) انظر: «الشرح الكبير» لابن أبي عمر (١/ ٧٣٦).

والحكمة في مشروعية النوافل قبل الفرائض وبعدها، تكميلُ الفـرائض بها إن عرض فيها نقص، والله أعلم.

❒❒❒



فَضلُ صَلاةِ رَكعَتي الضُّحَى وَالوَصِيَّة بِهَا وَذِكرُ الاختِلافِ فِي عَدَدِهَا

أي: باب ذلك. وذكر الحافظ المصنف في هذا النمط ثمانية أحاديث:

الحَدِيثُ الأَوَّلُ

٦٠ ـ عَن أَبِـي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلاثٍ: بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْـلَ أَنْ أَرْقُـدَ. رواه البخاري، ومسلم[1].

(عن أبي هريرة) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ **قال: أوصاني خليلـي)** رسولُ الله ﷺ **(بثلاث)** خصالٍ: **(بصيام ثلاثة أيام من كل شـهر، وبركعتـي الضحى)**.

يدخل وقت صلاة الضحى بارتفاع الشمس بعد طلوعهـا قيـد رمـح، يعني: مقدار قامة في رأي العين، ويمتد من حينئذ إلى قبيل الزوال؛ يعني: ميلها عن كبد السماء، وبذلك يدخل وقت الظهر.

---

(١) رواه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١/ ٨٥).

قيل: وقت صلاة الضحى هو المراد بقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾[ص: ١٨]؛ فإن أول وقت الضحى إشراق الشمس، وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والقتارات التي على وجه الأرض، فإنها تمنع إشراقها التام.

روى الإمام أبو حنيفة في «مسنده» عن سِماكِ بنِ حربٍ، عن جابرِ بنِ سمرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح، لم يبرح من موضعه حتى تطلع الشمس وتبيضَّ[١].

ورواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن خزيمة، والطبراني من حديث أبي المغيرة سماك بن حرب الذهلي قال: قلتُ لجابر بن سمرة: أكنتَ تجالس النبيَّ ﷺ؟ قال: نعم كثيرًا، كان لا يقوم من مصلاه الذي صلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون، فيأخذون في أمر الجاهلية، فيضحكون ويتبسم ﷺ[٢].

وفي رواية لمسلم، وأبي داود: وكان النبي ﷺ إذا صلى الفجر، تربَّع في مجلسه حتى تطلع الشمس[٣].

وقد روى الترمذي ـ وحسنه ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ

---

(١) رواه أبو حنيفة في «مسنده ـ رواية الحصكفي» (٩٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٩١)، ومسلم (٦٧٠/ ٢٨٦)، وأبو داود (١٢٩٤)، والترمذي (٥٨٥)، والنسائي (١٣٥٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٧٥٧)، والطبراني (١٩٣٣).

(٣) رواه مسلم (٦٧٠/ ٢٨٧)، وأبو داود (٤٨٥٠).

أنه قال: «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ»[1].

قوله: (حتى تطلع)؛ أي: ترتفع ويزول وقت كراهة الصلاة، وبه يدخل وقت الضحى، وهاتان الركعتان من جملة صلاة الضحى وإن سماها بعضُ الناس ركعتي الإشراق.

وأما صلاة الضحى التي وردت بلفظها خاصة، ففضلها معلوم من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾[الإسراء: ٢٥].

قال بعض المفسرين: هم المصلون صلاة الضحى.

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«صحيح مسلم» من حديث زيدِ بنِ أرقمَ رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أهل قباء وهم يصلون الضحى، فقال: «صلاةُ الأوابين حين ترمَضُ الفِصال من الضُّحى»[2].

قوله: (تَرمَض) ـ بفتح التاء والميم ـ، يقال: رَمِض يرمَض؛ كعلم يعلم، هو: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره، قاله الجوهري وغيره[3]، يعني: إذا وجد الفصيل ـ وهو الصغيرُ من أولاد الإبل ـ حرَّ الشمس واحترق خفه، صلُّوا الضحى تلك الساعة؛ والأواب: المطيع، والله أعلم.

(و) أوصاني خليلي ﷺ (أن أُوتر)؛ أي: أصلي الوتر (قبلَ أن أرقدَ)؛

---

(١) رواه الترمذي (٥٨٦) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، قال: وسألت محمد بن إسماعيل عن أبي ظلال، فقال: هو مقارب الحديث.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٦٦)، ومسلم (٧٤٨/ ١٤٣).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: رمض).

أي: أنام، ويأتي الكلام على الوتر والصيام في محلَّيهما.

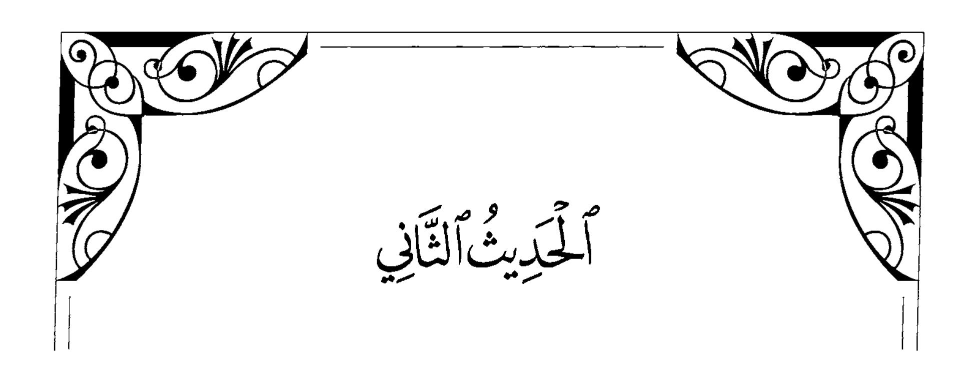
(رواه البخاري، ومسلم)، وأبو داود، والترمذي، والنسائي بنحوه[1].

ورواه ابن خزيمة في «صحيحه»، ولفظه: قال: أوصاني خليلي بثلاث لست بتاركهن: أن لا أنام إلا على وتر، وأن لا أدع ركعتي الضحى، فإنها صلاة الأوابين، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر[2].

* * *

(١) رواه أبو داود (١٤٣٢)، والترمذي (٧٦٠)، والنسائي (١٦٧٧).

(٢) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٢٣).



الحديث الثاني

٦١ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ؛ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى». رواه مسلم[١].

(عن أبي ذر)، واسمه جُنْدُبُ ـ بضم الجيم وسكون النون وضم الدال المهملة، ويجوز فتحها ـ بنُ جُنادة ـ بضم الجيم وتخفيف النون ـ، وقيل: بُرير[٢] ـ بضم الموحدة ـ، وقيل: جندب بن عبدالله، واختلف فيما بعد جنادة من نسبه، والمشهور ـ كما قال النووي وغيره ـ جنادةُ بنُ سفيان ابن عبيد بن الوقيعة بن حرام بن عفان بن مُلَيل بن حمزة بن كنانة[٣].

---

(١) رواه مسلم (٧٢٠/ ٨٤).

(٢) في الأصل: «بريد»، والصواب المثبت. انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ٧٦).

(٣) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢/ ٥١٢)، وفيه: والمشهور: جندب =

وقيل: جنادة بن قيس بن عمرو بن مُلَيل ـ بضم الميم وفتح اللام ـ بن صُعَير ـ بضم الصاد وفتح العين المهملتين ـ بن حرام بن غِفار ـ بكسر الغين المعجمة ـ بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس.

وهو من أعلام الصحابة وزهادهم، ومن المهاجرين الأولين، وهو أول من حَيَّا النبيَّ ﷺ بتحية الإسلام، فقال: السلامُ عليك يا رسول الله، فقال: «وعليك السلام ورحمة الله»، ثم قال له الرسول: «من أنت؟» الحديث المشهور في قصة إسلامه[1].

وكان إسلامه قديمًا بعد ثلاثةٍ أو أربعةٍ أو خمسةٍ، على الخلاف. ثم رجع إلى بلاد قومه، ثم قدم على النبي ﷺ بعد الخندق، وقال له النبي ﷺ لما رآه: «أنت أبو نملة؟»[2] يعني: أبا ذر، فقال: أنا أبو ذر ـ والذر: صغار النمل ـ ثم سكن الرَّبَذة ـ بفتح الراء والباء الموحدة وبالذال المعجمة ـ إلى أن مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان، وصلى عليه ابن مسعود رضي الله عنهما، ثم مات بعده بعشرة أيام، وكان أبو ذر يتعبد قبل مبعث النبي ﷺ.

روى عنه: ابن عباس، وأنس بن مالك، وعبادة بن الصامت، وغيرهم من الصحابة؛ ومن التابعين: زيدُ بنُ وهب، وأبو إدريسَ الخولانيّ، وقيسُ ابنُ أبي حازم، وخلقٌ سواهم كثير.

= ابن جنادة بن سفيان بن عبيد بن الرفيقة بن حرام بن غفار بن مليك بن ضمرة بن كنانة.

(١) رواه مسلم (٢٤٧٣/ ١٣٢).

(٢) رواه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٦٥٤).

روي لـه عن رسول الله ﷺ مئتا حديث، وواحد وثمانون حديثًا، اتفق الشيخان على اثني عشر، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بتسعة عشر رضي الله عنه.

(عن النبي ﷺ قال: يصبح على كل سُلامى من أحدكم) معشرَ بني آدم، والسلامى: جمع سلامية، وهي الأنملة من أنامل الأصابع، وقيل: واحده وجمعه سواء، وتجمع ـ أيضًا ـ على سلاميات، وهي التي بين كل مفصلين من مفاصل الإنسان، وقيل: السلامى: كل عضو مجوف من صغار العظام.

والمعنى: على كل عظم من عظام بني آدم (صدقة) في كل يوم.

وقيل: إن آخر ما يبقى فيه المخ من البعير إذا عجف[1] السلامى والعين.

قال أبو عبيد[2]: هو عظم يكون في فِرْسِنِ البعير[3]. انتهى.

وفي «المصباح»: السلامى أنثى، هي عظام الأصابع، قاله الخليل، وزاد الزجاج على ذلك: تسمى القصب أيضًا، وقال قطرب: السلاميات:

---

(١) العَجَفُ ـ مُحرَّكَةً ـ: ذَهابُ السِّمَنِ، وهو أَعْجَفُ، وهي عَجْفاءُ، جمعه: عِجافٌ. انظر: «تاج العروس» للزبيدي (مادة: عجف).

(٢) في الأصل: «عبيدة»، والصواب المثبت، كما في شرح الحديث (٢٥٢). وانظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ١٠).

(٣) الفِرْسِنُ: طرف خفِّ البعير، جمعها فَراسِنُ، وهي مؤنثة. انظر: «المحكم» لابن سيده (٨/ ٤٨٤).

عروق ظاهر الكف والقدم[1].

وقال في «تحفة العباد في أدلة الأوراد»: قوله: (سلامى) هو ـ بضم السين المهملة وتحقيق اللام وفتح الميم وتخفيف الياء ـ: المفاصل، وعدتها ثلاثمئة وستون سلامية، كما روى الإمام أحمد ـ واللفظ له ـ وأبو داود، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما من حديث بُريدة بن الحصيب ﷺ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «في الإنسان ستون وثلاثمئة مفصل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقةً»، قالوا: فمن يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: «النخامة في المسجد تدفنها، والشيء تنحِّيه عن الطريق، فإن لم تقدر، فركعتا الضحى تجزئ عنك»[2].

وفي حديث أبي ذر ﷺ: (**فكلُّ تسبيحة**) يسبحها الإنسان؛ بأن يقول: سبحان الله العظيم (**صدقة، وكل تحميدة**) يحمدها ابنُ آدم؛ بأن يقول: الحمد لله (**صدقة، وكل تهليلة**) يهللها ابن آدم؛ بأن يقول: لا إله إلا الله (**صدقة، وكل تكبيرة**) يكبرها ابنُ آدم؛ بأن يقول: الله أكبر (**صدقة، وأمرٌ بمعروف**) وإن قَلَّ (**صدقة**)، (**ونهيٌ عن منكر**) وإن قلَّ وصغر (**صدقة**)، ثم قال ﷺ (**ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما**) ابنُ آدم (**من الضحى**).

وهذه فضيلة عظيمة لصلاة الضحى، وهذه المفاصل هي العظام التي ينفصل بعضها من بعض، فلا تتأتى الحركاتُ والسكنات إلا بها، فمنها ما هو

---

(١) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: سلم).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٥٤)، وأبو داود (٥٢٤٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٢٦)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦٤٢).

لبنية الجسد، وهي مئتان وستون عظمًا، ومئة سمسمانية[1] لسدِّ الفروج التي تكون بين العظام والأعصاب الرباطات، واللحوم والجلود حافظات وممكنات، فهي إذن من أعظم نِعَم الله على الإنسان، وحقُّ المُنْعَم عليه أن يقابل كلَّ نعمة بشكر يخصها، وهي أن يعطي صدقة، كما أُعطي منفعة، لكن الله تعالى لطف وخفف بأن جعل التسبيحة الواحدة كالعطية، وكذلك التحميدة، وغير ذلك من أعمال البر وأقواله، وإن قل مقدارها، وأتم تمام الفضل إن اكتفى من ذلك كله بركعتين في الضحى.

ومقصود هذا الحديث: الترغيبُ في أعمال البر بطريق إظهار وجه الاستحقاق واللطف، وأن ركعتي الضحى لمن لم يقدر على ثلاثمئة وستين صدقة تجزئ عنها، ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾[البقرة: ١٧٨].

---

(١) انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (٢/ ١٣)، ففيه تفصيل واف عن السلامى والعظام والغضاريف وتعدادها، ومما جاء فيه: والإنسان ينقسم إلى أربعة أنواع: الرأس، واليدان، والبدن، والرجلان، ففي الرأس اثنتان وأربعون عظمًا؛ وفي اليدين اثنان وثمانون عظمًا؛ وفي البدن أربعون عظمًا؛ وفي الرجلين أربعة وثمانون عظمًا؛ والباقي سُمْسُمانية لسدِّ الفروج التي تكون بين العظام.
أما في عصرنا هذا، فقد ثبت أن عدد المفاصل في جسم الإنسان هو كما أخبرنا به نبينا ﷺ ثلاثمئة وستون مفصلًا، منها (١٤٧) مفصلًا بالعمود الفقري، و(٢٤) مفصلًا بالصدر، و(٨٦) مفصلًا بالنصف العلوي من الجسم، و(٨٨) مفصلًا بنصفه السفلي، و(١٥) مفصلًا بالحوض. لقد علَّم جل جلاله نبيَّه هذه الحقيقة العلمية التي لم يتوصل الإنسان إليها إلا في أواخر القرن العشرين. وانظر كتاب: «رحلة الإنسان في جسم الإنسان» للدكتور حامد أحمد حامد.

(رواه مسلم) بن الحجاج في «صحيحه».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سُلامى من الناس عليه صدقة كلَّ يوم تطلُعُ فيه الشمس: تعدِلُ بين اثنين صدقة، وتعين الرجلَ في دابته فتحملُه عليها، أو ترفع له عليها متاعَه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتُميط الأذى عن الطريق صدقة»[1].

ويأتي في كلام المصنف في الذكر بعد الصلاة، وخرجه البزار من رواية أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «للإنسان ثلاثمئة وستون عظمًا...» الحديث، قالوا: فمن لم يجد؟ قال: «يأمر بالمعروف [أ]و ينهى عن المنكر»، قالوا: فمن لم يستطع؟ [قال: «فليرفع عظمًا من الطريق»، قالوا: فمن لم يستطع؟ قال: «فليهد سبيلًا»، قالوا: فمن لم يستطع ذلك؟]، قال: «فليعن ضعيفًا»، قالوا: فمن لم يستطع ذلك؟ قال: «فليدَعِ الناسَ من شره»[2].

وخرج مسلم من حديث عائشة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خلق ابن آدم على ستين وثلاثمئة مفصل، فمن كبَّر الله، وحمد الله، وهلَّل الله، وسبَّح الله، [واستغفر الله]، وعزل حجرًا عن طريق المسلمين، أو عزل شوكة، أو عزل عظمًا، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عددَ تلك الستين والثلاثمئة

---

(١) رواه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩/ ٥٦)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٤: ٩٢).

السلامى، أمسى من يومه وقد زَحْزَحَ نفسَه عن النار»[1].

وخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «على كل سلامى ـ أو على كل عضو ـ من بني آدم في كل يوم صدقة، ويجزئ عن ذلك كله ركعتا الضحى»[2].

وخرج ابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس»، قيل: يا رسول الله! ومن أين لنا صدقة نتصدق بها؟ قال: «إن أبواب الخير لكثيرة: التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم، وتهدي الأعمى، وتدل المستدل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك»[3].

* **تنبيه:**

ذكر علماء التشريح من أهل الطب: أن جميع عظام البدن مئتان وثمانية وأربعون عظمًا سوى السمسمانيات، وبعضهم يقول: هي ثلاثمئة وستون عظمًا، يظهر منها للحس مئتان وخمسة وستون عظمًا، والباقية

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٧/ ٥٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤٤٩)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٣٧): وفيه من لم أجد له ترجمة. وقال الألباني: صحيح. انظر: «صحيح وضعيف الجامع الصغير» للألباني (٧٤٨٣).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٣٧٧).

صغار لا تظهر تسمى: السمسمانية، وهذه الأحاديث تصدّق هذا القول.

قال الحافظ ابن رجب في «شرح الأربعين النووية»: ولعل السلامى عبَّر عنها عن هذه العظام الصغار، كما أنها في الأصل اسم لأصغر ما في البعير من العظام[1].

ورواية البزار لحديث أبي هريرة تشهد لهذا؛ حيث قال فيها: «أو ستة وثلاثون سلامى»[2].

قال ابن رجب: ومعنى الحديث: أن تركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله على عباده، فيحتاج كل عظم منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم بها عنه؛ ليكون ذلك شكرًا لهذه النعمة، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار: ٦ ـ ٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٢٤٢).

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

ومن الواضح أن العلماء في ذلك الزمان قد اختلفوا في عدد العظام التي يتألف منها هيكل الإنسان العظمي، أما في عصرنا هذا، فقد حسمت الأمور، واتفق علماء التشريح على عدد هذه العظام وأنواعها وتوزعها في جسم الإنسان، وكتب التشريح زاخرة بتفصيل ذلك، وقد بينَّا ذلك في حاشية سابقة من قريب.

ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ٨ ـ ١٠]، قال مجاهد: نِعَمُ الله ظاهرة[١]، يقررك بها كيما تشكر.

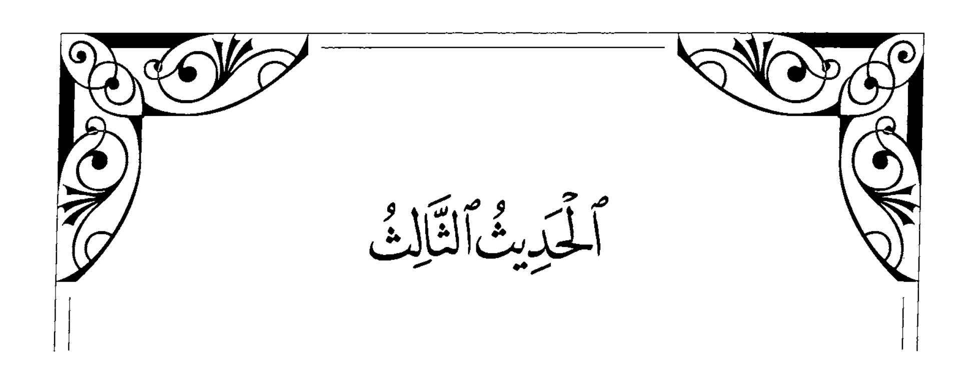
وقد قال سليمان التيمي رحمه الله تعالى: أنعمَ على العباد على قدره، وكلَّفهم الشكرَ على قدرهم، حتى رضي منهم من الشكر بالاعتراف بقلوبهم بنعمه، وبالحمد بألسنتهم عليها[٢]، كما خرجه أبو داود والنسائي من حديث عبدالله بن غنام ﷺ، عن النبي ﷺ: أنه قال: «من قال حين يصبح: اللهمَّ ما أصبحَ بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقِك فمنك وحدَك لا شريكَ لك، فلك الحمد، ولك الشكر، فقد أدى شكر ذلك اليوم، ومن قالها حين يمسي، أدى شكر ليلته»[٣]. والله تعالى الموفِّق.

* * *

(١) كذا في الأصل، وفي «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: «متظاهرة» بدل: «ظاهرة».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥٧٨) مختصرًا.

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٢٤٢)، والحديث رواه أبو داود (٥٠٧٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٣٥).



الحديث الثالث

٦٢ ـ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: «أَوْصَانِي حَبِيبِي ﷺ بِثَلاثٍ لَنْ أَدَعَهُنَّ مَا عِشْتُ: بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاةِ الضُّحَى، وَبِأَنْ لا أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ». رواه مسلم[1].

(عن أبي الدرداء) عُوَيمر بن عامر، ويقال: ابن قيس بن زيد بن أمية ابن عديّ بن كعب، وقيل: عامر، فصغر، وقيل: اسمه عامر، وعُويمر لقب. والدرداء ـ بفتح الدال المهملة وسكون الراء ثم دال مهملة أيضًا ـ اسمُ ابنته التي يكنى بها.

تأخر إسلامُ أبي الدرداء (ﷺ)، فكان آخر أهل داره إسلامًا.

واتفقوا على أنه من بني كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، ولما أسلم، حسُن إسلامه، وكان فقيهًا عالمًا حكيمًا.

آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمانَ الفارسي ﷺ، واختُلف في شهوده أُحدًا، وشهد ما بعدها، وسكن الشام، وولي قضاء دمشق في خلافة عثمان، ولاه معاوية إذ كان أميرًا بها على الأصح والأشهر عند أهل الحديث كما قاله

(١) رواه مسلم (٧٢٢/ ٨٦).

ابن عبد البر[1]، وكان القاضي هو الذي يكون خليفة الأمير إذا غاب.

وقيل: إن عمر هو الذي ولاه، وقيل: عثمان، والأميرُ يومئذ معاوية.

ومات أبو الدرداء بدمشق سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: إحدى، وقيل: أربع، وقيل: ثلاث، وقيل: مات بعد صِفين.

ودفن هو وزوجته أم الدرداء الصغرى، وهي التابعية التي لها رواية في الصحيحين، واشتهارها بالعلم والعفة والعقل، واسمها هُجَيمة ـ بضم الهاء وفتح الجيم وبعدها تحتية ساكنة فميم فهاء تأنيث، وقيل: هُجيم ـ بنت حُيَي.

ولما مات أبو الدرداء خطبها معاوية، فقالت: لا أتزوج في الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء في الجنة، إن شاء الله تعالى.

وأما زوجة أبي الدرداء الكبرى، فهي صحابية ـ التي كانت عنده قبل الصغرى ـ واسمها خَيْرة ـ بفتح الخاء المعجمة وسكون المثناة تحت ـ، قال الحافظ ابن الجوزي: إنها بنت أبي حدرد الأسلمية[2]؛ وقال الحميدي في آخر «الجمع بين الصحيحين» عن هذه: ليس لها في الصحيحين حديث[3].

روي لأبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ مئة وتسعة وسبعون حديثاً، اتفقا على حديثين، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثمانية، وممن روى عنه: أبو إدريس الخولاني، وعلقمة، وجُبير بن نُفير، وأم الدرداء، وغيرهم.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١٢٢٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٢٩٤).

(٣) انظر: «الجمع بين الصحيحين» للحميدي (٤/ ٣٢٠).

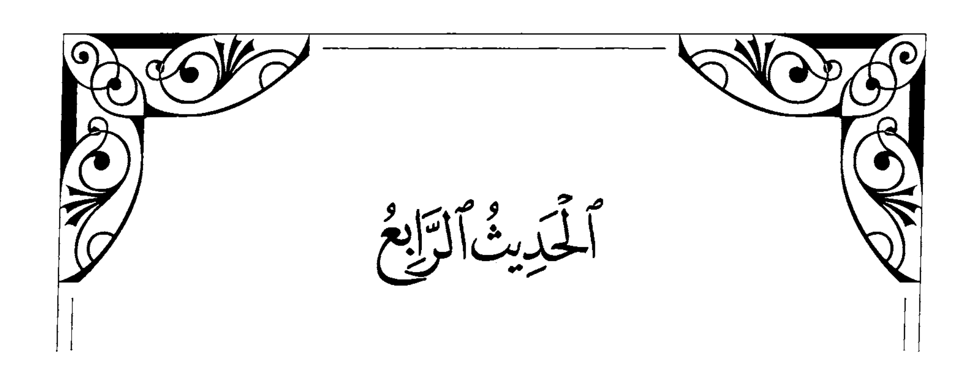
(قال) أبو الدرداء ﷺ: **(أوصاني حبيبي)** رسول الله ﷺ **(بثلاث)** خلال **(لن أدعهن)**؛ أي: لن أتركهن، ولا واحدةً منهن **(ما عشتُ)**؛ أي: مدة حياتي **(بصيام ثلاثة أيام من كل شهر)**، وسيأتي الكلام عليه في فضائل الصيام، **(وبصلاة الضحى)**، وتقدم الكلام عليها في وصية رسول الله ﷺ لأبي هريرة أيضًا ﷺ، **(و)** أوصاني **(بأن لا أنام)** من أول الليل **(حتى أوتر)**؛ أي: أصلي وتر العشاء، وسيأتي الكلام على [هذا] المقام في محله، فوصية المصطفى ﷺ لأبي هريرة ولأبي الدرداء ﷺ واحدة، فليت المصنف رحمه الله تعالى والى بينهما.

(رواه مسلم) في «صحيحه»، ورواه أبو داود، والنسائي[1].

* * *

---

(١) رواه أبو داود (١٤٣٣)، ولم نقف عليه عند النسائي.



الحديث الرابع

٦٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى شُفْعَةِ الضُّحَى، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». رواه ابن ماجه[١].

(**عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من حافظ**)؛ أي: واظب وداوم (**على شُفعة الضحى**)، إنما سماها شفعة لأنها أكثر من واحدة، والشفعُ خلافُ الوتر، وهو الزوج.

قال الحافظ العراقي: المشهور في الرواية ضمُّ الشين، وذكر الهروي وابن الأثير أنها بالفتح والضم؛ كغَرفة وغُرفة[٢].

وقال الحافظ المنذري: شفعة الضحى بضمِّ الشين المعجمة، وقد تفتح، والمراد: ركعتا الضحى[٣].

---

(١) رواه ابن ماجه (١٣٨٢). قال الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه»: ضعيف.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٤٨٥).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٦٤).

قال ابن قتيبة: ولم أسمع به مؤنثًا إلا هنا، وأحسبه ذهب بتأنيثه إلى الفعلة الواحدة، أو إلى الصلاة. انتهى.

وينافي كونه إلى الفعلة الواحدة، ظاهرُ الحديث؛ كما لا يخفى.

(غُفِرَت) بضم الغين المعجمة وكسر الفاء وفتح الراء مبنيًّا لما لم يسمَّ [فاعله] **(ذنوبُه)** ـ بالرفع نائب الفاعل ـ؛ أي: غفرت ذنوبه وإن كثرت، **(وإن كانت مثل زبد البحر)** مبالغة في الكثرة.

(رواه ابن ماجه) في «سننه»؛ ورواه الترمذي ـ أيضًا ـ[1]، وقال الترمذي: قد روى غيرُ واحد من الأئمة هذا الحديث عن النهاس بن قهم. انتهى.

قال الحافظ المنذري: وأشار إليه ابنُ خزيمة في «صحيحه» بغير إسناد[2].

ثم اعلم أنه اختلف في عدد ركعات الضحى، فمعتمَد المذهب أكثرها ثمان ركعات، وأقلها ركعتان، بالاتفاق؛ لما روت أم هانئ: أن النبي ﷺ صلى ثمان ركعات [سبحة الـ]ـضحى، متفق عليه[3].

واختار المحقق ابنُ القيم في كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد»: أنها صلاة بسبب الفتح شكرًا لله تعالى، وأن الأمراء كانوا يصلونها إذا فتح الله

---

(١) رواه الترمذي (٤٧٦).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٦٤)، وانظر: «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ٢١٧).

(٣) رواه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦/ ٧١).

عليهم، وقاله بعض العلماء[١].

وقيل: أكثرها اثنتا عشرة ركعة، جزم به سيدنا الشيخ عبد القادر[٢]، وهو مذهب الإمام الشافعي كما للإمام النووي[٣]، لكن الأصح عند الشافعية أن أكثرها ثمان كمعتمد مذهبنا، واحتج من قال بأنها اثنتا عشرة ركعة بحديث أم حبيبة، وبحديث أنس بن مالك الآتي بعده في:

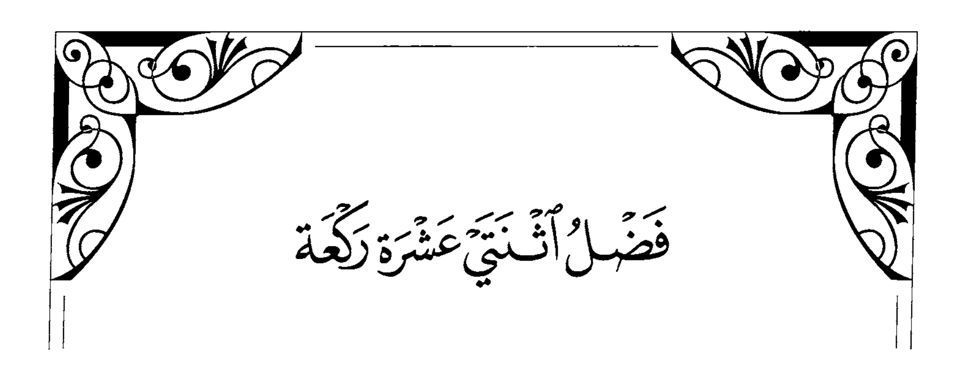


---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٤١٠).

(٢) انظر: «الغنية» للشيخ عبد القادر (٢/ ١٦٣).

(٣) قال النووي في «المجموع» (٤/ ٤١): قال أصحابنا: أقلها ركعتان، وأكثرها ثمان ركعات، هكذا قاله المصنف والأكثرون، وقال الروياني والرافعي وغيرهما: أكثرها اثنتي عشرة ركعة، وفيه حديث فيه ضعف.



فَضْلُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَة

الحَدِيثُ الخَامِسُ

٦٤ ـ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ». رواه مسلم[1].

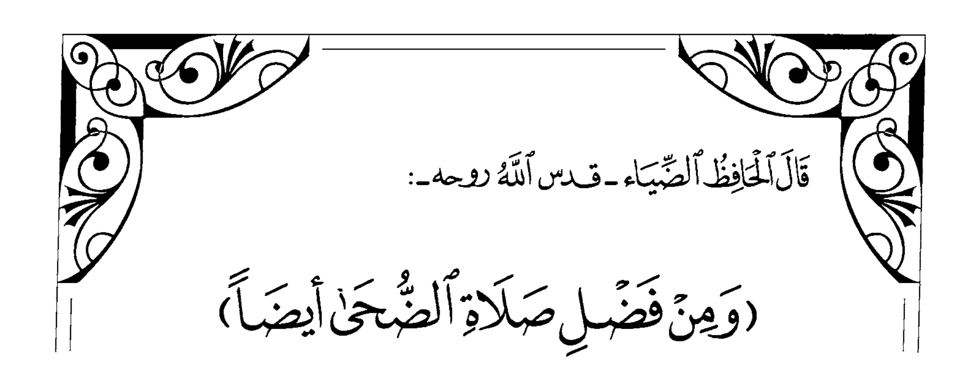
(عن أم حبيبة) رملةَ بنتِ أبي سفيانَ رضي الله عنهما **(زوجِ النبي ﷺ، قالت: قال رسول الله ﷺ: ما من عبد مسلم)** من عباد الله تعالى **(يصلي لله كل يوم ثنتي عشرةَ ركعةً تطوعًا)** من نوافله **(غيرَ فرائضه[2])** التي افترضت عليه من الصلوات الخمس، والجمعة، ونحوها، ويحتمل عَوْدُ الضمير على اليوم؛ أي: من فرائض ذلك اليوم؛ أي: الواقعة فيه من الصلوات الخمس ونحوها **(إلا بنى الله له)**؛ أي: لذلك العبد المسلم المصلي ثنتي عشرةَ ركعة **(بيتًا في الجنة.**

(١) رواه مسلم (٧٢٨/ ١٠٣).

(٢) كذا في الأصل، وفي «صحيح مسلم»: «فريضة».

رواه مسلم) في «صحيحه»، وتقدم هذا الحديث.

❐ ❐ ❐



مصدر (آض): إذا رجع؛ أي غير ما تقدم مما ذكره من الأحاديث.

ٱلْحَدِيثُ ٱلسَّادِسُ

٦٥ - عن معاذِ بنِ أنسٍ الجُهَنيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلَّاهُ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحَ حَتَّى يُصَلِّي رَكْعَتَي الضُّحَى، لا يَقُولُ إِلا خَيْرًا، غُفِرَ لَهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ». أخرجه أبو داود[1].

(**عن معاذِ بنِ أنسٍ الجُهَنيِّ**) - بضم الجيم وفتح الهاء وبالنون - منسوب إلى جهينةَ بنِ زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة (ﷺ: **أن رسول الله ﷺ قال: من قعد في مصلاه**)؛ أي: المكان الذي صلى فيه صلاةَ الفجر (**حين ينصرف**)؛ أي: يسلِّم (**من صلاة الصبح**)، ويستمر جالسًا في مصلاه يذكر الله تعالى (**حتى يصلّي ركعتي الضحى**)، إنما اقتصر على

(١) رواه أبو داود (١٢٨٧).

الركعتين لأنهما أقل صلاة الضحى بالاتفاق، بشرط أنه **(لا يقول)** في مجلسه ذلك **(إلا خيرًا)** من ذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي ﷺ، وتدريس العلم، ونحو ذلك، **(غُفِر)** ـ بضم الغين المعجمة وكسر الفاء مبنيًّا لما لم يسم فاعله ـ ؛ أي: غفر الله **(له)**؛ أي: لذلك القاعدِ بعد فراغه من صلاة الصبح في مصلاه حتى صلى ركعتي الضحى، **(وإن كانت)** خطاياه كثيرة، ولو كانت **(أكثرَ من زبد البحر)** مبالغة في الكثرة. **(أخرجه أبو داود)**.

ورواه الإمام أحمد، وأبو يعلى الموصلي، ولفظه: قال: «من صلى صلاة الفجر، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، وجبت له الجنة»[1].

قال الحافظ المنذري: رواه الثلاثة ـ يعني: الإمام أحمد، وأبا داود، وأبا يعلى ـ من طريق زبان بن فائد[2]، عن سهل بن معاذ، عن أبيه معاذ بن أنس.

قال المنذري: وحسنت ـ يعني: هذه الطريق ـ ، وصححها بعضُهم[3].

وروى الترمذي ـ وقال: حسن غريب ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله

---

(1) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٣٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٤٨٧).

(2) أبو جوين زبان بن فائد المصري، الحمراوي، كان على المظالم بمصر، وكان من أعدل ولاة بني أمية كما قال ابن يونس، قال الإمام أحمد: أحاديثه مناكير، وقال يحيى بن معين: شيخ ضعيف، وقال أبو حاتم: صالح. توفي سنة (١٥٥هـ). انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٩/ ٢٨١).

(3) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ١٧٨).

تعالى حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة»، وتقدَّم هذا الحديث قريبًا[1].

وروى البيهقي عن أمير المؤمنين سيدنا الحسنِ بن أمير المؤمنين عليِّ ابنِ أبي طالب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى الغداة، ثم ذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين أو أربع ركعات، لم تمس جلدَه النار»، وأخذ الحسن رضي الله عنه بجلده فمدَّه[2].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة الغداة في جماعة، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم قام فصلى ركعتين، انقلب بأجر حجة وعمرة»، رواه الطبراني بإسناد جيد[3].

وروى الطبراني في «الأوسط» ـ أيضًا ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الفجر، لم يقم من مجلسه حتى تمكنه الصلاة، وقال: «من صلى الصبح، ثم جلس في مجلسه حتى تمكنه الصلاة، كانت بمنزلة عمرة وحجة متقبلتين»[4].

وروى أبو يعلى الموصلي ـ واللفظ له ـ والطبراني عن عمرة[5] قالت:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٥٧).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٤١).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٦٠٢)، قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ١٧٩): رواته ثقات، إلا الفضل بن الموفق ففيه كلام.

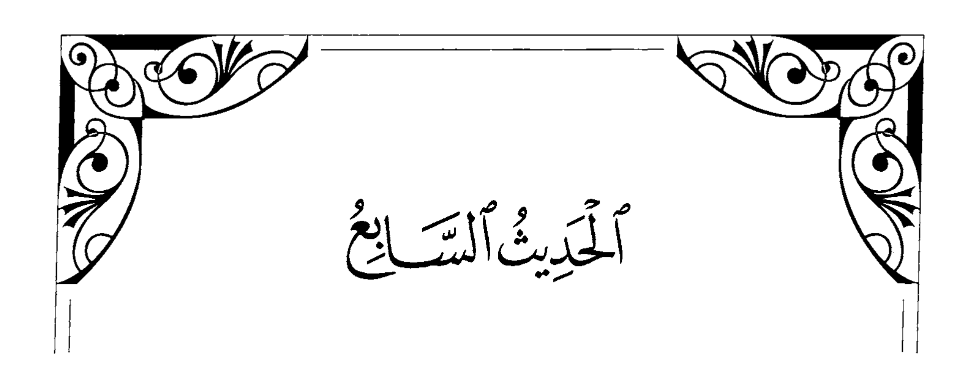
(٥) عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية، والدة أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن الأنصاري، كانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ، قال ابن معين: =

سمعت أم المؤمنين ـ تعني: عائشة ﵂ ـ تقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقـول: «من صلى الفجر ـ أو قال: الغداة ـ فقعد في مقعده، فلم يلغُ بشيء من أمر الدنيا، ويذكر الله حتى يصلّي الضحى أربع ركعات، خرج من ذنوبه كيـومِ ولدته أمه لا ذنبَ له»[1]. والله أعلم.

* * *

= ثقة، حجة، وقال ابن المديني: أحـد الثقـات العلمـاء بعائشة، الأثبـات فيهـا. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٣٥/ ٢٤١).

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٣٦٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائـد» (١٠/ ١٠٥): فيه الطيب بن سلمان، وثقه ابن حبان وضعفه الدارقطني، وبقية رجال أبي يعلـى رجال الصحيح.



الحديث السابع

٦٦ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «مَنْ صَلَّى الضُّحَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ مِنْ ذَهَبٍ». أخرجه ابن ماجه والترمذي في سننهما، وقَالَ الترمذي: حَدِيثٌ غَرِيبٌ[١].

(عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: من صلى الضحى ثنتي عشرةَ ركعة، بنى اللهُ له قصرًا في الجنة من ذهب. أخرجه ابن ماجه والترمذي في سننهما، وقال الترمذي: حديث غريب)، وأشار الحافظ المنذري لضعفه[٢]، وصرح غيرُ واحد بضعفه، ومع ذلك هو يعني كونَ أكثرِ صلاة الضحى اثنتي عشرة ركعة، رواية عن الإمام أحمد لهذا الخبر، وجزم بذلك سيدُنا الإمام الكبير الشيخ عبدُ القادر في «الغُنْية»[٣]،

---

(١) رواه ابن ماجه (١٣٨٠)، والترمذي (٤٧٣).

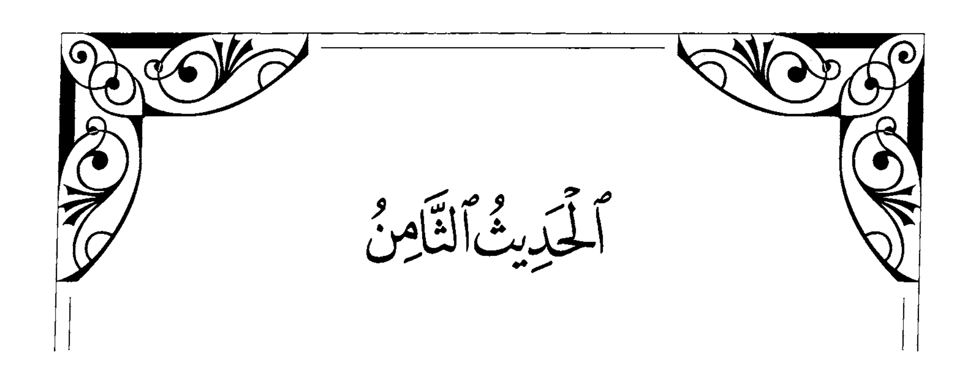
(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ١٧٩).

(٣) «الغُنية لطالبي طريق الحق» للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني، المتوفى سنة (٥٦١هـ). انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٢١١).

وقال: له فعلُها بعد الزوال، قال: وإن أخَّرها حتى صلى الظهر، قضاها نـدبًا. انتهى[1].

* * *

(١) انظر: «الغنية» للشيخ عبد القادر (٢/ ١٦٢).



الحَدِيثُ الثَّامِنُ

٦٧ ـ عن نُعيمِ بنِ هَمَّارٍ الغَطَفانيِّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قالَ الله ﷻ: ابْنَ آدَمَ! لا تَعْجَزْ عَنْ أَرْبَعِ ركَعاتٍ في أَوَّلِ نَهارِكَ، أَكْفِكَ آخِرَه». رواه أبو داود[1].

(**عن نُعيمِ بنِ هَمَّارٍ**)[2] ـ بضم النون مصغرًا ـ، وهمار: ـ بفتح الهاء وتشديد الميم فألف فراء ـ، ويقال: همام ـ بالميم بدل الراء ـ (**الغطفانيِّ**)، روى عنه أبو إدريس الخولانيّ وغيرُه (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله ﷻ يا ابنَ آدم! لا تعجز عن**) صلاة (**أربعِ ركعاتٍ**)؛ فإن ذلك عمل يسير، وفيه أجر كثير (**في أول نهارِك**)؛ أي: من أول يومك الذي أصبحتَ فيه، وفي لفظ: «من أول النهار»[3]، (**أكفِك**) بالجزم في جواب النهي

---

(١) رواه أبو داود (١٢٨٩).

(٢) الصحابي الجليل نعيم بن همار، ويقال: ابن هبار، وقيل في أبيه غيرُ ذلك، الغطفاني، الشامي، روى عن النبي ﷺ، وعن عقبة بن عامر الجهني، وروى عنه: كثير بن مرة الحضرمي، وأبو إدريس الخولاني، وقيس الجذامي. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢٩/ ٤٩٧).

(٣) رواه تمام الرازي في «فوائده» (١٢٠).

(آخرَه)؛ أي: شرَّ ما يحدث في ذلك اليوم من المحن والبلايا، والمراد بالأربع ركعات غير الفريضة وتوابعها.

(رواه أبو داود) في «سننه»، وكذا رواه الإمام أحمد في «مسنده»[1]، ورواه الطبراني ـ أيضًا ـ عن النواس بن سمعان[2].

قلت: وروى الإمام أحمد وأبو يعلى برجال الصحيح عن عُقبة بن عامرٍ الجهنيِّ ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ﷻ يقول: يا ابن آدم! اكفني أول النهار بأربع ركعات، أكفِكَ آخرَ يومك»[3].

وأخرج الترمذي ـ وحسنه ـ عن أبي الدرداء وأبي ذر ﷺ، عن رسول الله ﷺ، عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا ابن آدم! لا تعجزني من أربع ركعات من أول النهار، أكفِك آخره»[4].

قال الحافظ عبد العظيم المنذري: في إسناده إسماعيلُ بن عياش، ولكنه إسناد شامي، ورواه الإمام أحمد عن أبي الدرداء وحدَه[5]، ورواته كلهم ثقات[6].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٨٦).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الفتح الكبير» (٢/ ٢٧٤) للطبراني، ولم نقف عليه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٥٧)، قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٦٥): رجال أحدهما رجال الصحيح، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٣٥): رجاله رجال ثقات.

(٤) رواه الترمذي (٤٧٥).

(٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٤٠).

(٦) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٦٥).

وأخرج الإمام أحمد بسند رواتُه محتج بهم في الصحيح، عن أبي مرة الطائفي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ﷻ: ابن آدم! صلِّ لي أربعَ ركعات من أول النهار، أكفِكَ آخره»[1].

فهذه الأحاديث فيها كونُ صلاة الضحى ركعتين، وكونها أربعًا.

وأما كون صلاة الضحى ستّ ركعات، فعن أبي الدرداء ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الضحى ركعتين، لم يكتب من الغافلين، ومن صلى أربعًا، كتب من العابدين، ومن صلى ستًّا، كُفي ذلك اليوم، ومن صلى ثمانيًا، كتبه الله من القانتين، ومن صلى ثنتي عشرة ركعة، بنى الله له بيتًا في الجنة، وما من يوم ولا ليلة إلا لله منٌّ يَمنُّ به على عباده وصدقة، وَمَا مَنَّ الله على أحد من عباده أفضل من أن يلهمه ذكره»، رواه الطبراني في «الكبير»، ورواته ثقات[2].

نعم في موسى بن يعقوب الزمعي خلاف، وقد روي هذا الحديث عن جماعة من الصحابة ﷺ، ومن طرق، وهذا أحسن أسانيده فيما أعلم، وموسى المذكور قال فيه الإمام علي بن المديني: ضعيف، منكر الحديث.

وقال النسائي: ليس بالقوي[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٨٧)، وفيه: «ابن مرة الغطفاني»، وهو تحريف. وانظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٦/ ٢٩٨).

(٢) لم نقف عليه عند الطبراني في «الكبير»، ورواه بدءًا من قوله ﷺ: «وما من يوم ولا ليلة...» في «الدعاء» (١٨٥٧). ورواه البزار في «مسنده» (٣٨٩٠) من حديث أبي ذر ﷺ.

(٣) انظر: «الضعفاء والمتروكين» للنسائي (ص: ٩٥).

ووثقه الإمام يحيى بن معين، وأبو داود، وابن حبان[1].

وروى الحديث المذكور البزارُ من طريق حسين بن عطاء، عن زيد ابن أسلم، عن ابن عمر ﷺ قال: قلت لأبي ذر ﷺ: يا عماه! أوصني، قال: سألتني كما سألتُ رسول الله ﷺ، فقال: «إن صليت الضحى ركعتين لم تكتب من الغافلين»، فذكر الحديث، ثم قال: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه[2]، كذا قال.

وعن أم المؤمنين عائشة الصدّيقة ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربع ركعات، ويزيد ما يشاء، رواه الإمام أحمد، ومسلم[3].

وعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: كنت أعرض بعيرًا لي على النبي ﷺ، فأبصرتُه يصلي الضحى ستًّا، رواه البخاري في «تاريخه»[4].

وأما كونها ثماني ركعات، فحديث أم هانئ: أن النبي ﷺ عام الفتح صلى ثماني ركعات سُبحةَ الضحى، رواه الجماعة[5].

وعن أنس ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ في سفر صلّى سبحة الضحى ثماني ركعات، رواه الإمام أحمد[6].

---

(١) انظر: «الثقات» لابن حبان (٧/ ٤٥٨).

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٣٨٩٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٩٥)، ومسلم (٧١٩/ ٧٨).

(٤) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢١٢).

(٥) رواه البخاري (١١٠٣)، ومسلم (٣٣٦/ ٨٠)، وأبو داود (١٢٩١)، والترمذي (٤٧٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٤٨٦)، وابن ماجه (١٣٧٩).

(٦) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١٥٦).

و(سبحة الضحى) ـ بضم السين المهملة ـ ؛ أي: نافلة الضحى.

وقد أخرج أبو داود عن أبي أمامة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاجِّ المحرِم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى ـ أي: صلاة الضحى ـ لا ينصبه إلا إياه، فأجره كأجر المعتمر، وصلاةٌ على أثر صلاة لا لغو بينهما كتابٌ في عليين»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب، قال: وهي صلاة الأوابين»، رواه الطبراني، وابن خزيمة في «صحيحه»، وقال: لم يتابع إسماعيل بن عبدالله بن زرارة الرقي على اتصال هذا الخبر، ورواه الدراوردي عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة مرسلًا، ورواه حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة من قوله[2].

وروى الطبراني بسند ضعيف عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابًا يقال له: الضحى، فإذا كان يوم القيامة، نادى منادٍ: أين الذين كانوا يُديمون صلاةَ الضحى؟ هذا بابكم فادخلوه برحمة الله تعالى»[3].

* **تنبيهات:**

الأول: اختلف العلماء هل الأفضل المداومةُ عليها، أم الغِبُّ أفضل؟

---

(١) رواه أبو داود (٥٥٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٦٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٢٤).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٠٦٠). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٣٩): فيه سليمان بن داود اليمامي أبو أحمد، وهو متروك. والحديث موضوع كما قال الحافظ أحمد الغماري في «المغير» (ص: ٢٩).

قال علماؤنا: عدم المداومة عليها أفضل.

وفي «المبدع»: تكره مداومتها، بل تُفعلُ غبًّا، نصّ عليه الإمام أحمد[1]، لما روى الإمام أحمد والترمذي ـ وحسنه ـ عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى حتى نقول: لا يدعها، ويدعها حتى نقول: لا يصليها[2]، ولما فيها من التشبيه بالفرائض.

وقال الآجري، وابن عقيل، وأبو الخطاب، والشيخ عبد القادر[3]، وابن الجوزي، والمجد[4]، وغيرهم من أئمة المذاهب: تستحب المداومةُ عليها، ونقله موسى بن هارون[5] عن الإمام أحمد وفاقًا للشافعي؛ للأحاديث السالفة، ولقوله ﷺ: «أحبُّ الأعمالِ إلى الله أَدومُها وإن قَلَّ»[6].

وذهب شيخ الإسلام أبو العباس بنُ تيمية ـ قدس الله تعالى روحه ـ إلى أن من كان مداومًا على قيام الليل، أغناه عن المداومة على صلاة الضحى، كما كان النبي ﷺ يفعل، ومن كان ينام عن صلاة الليل، فيداوم على الضحى،

---

(١) انظر: «المبدع» لابن مفلح (٢/ ٢٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٢١)، والترمذي (٤٧٧).

(٣) انظر: «الغنية» للشيخ عبد القادر (٢/ ١٦١)، وفيه: وهل يستحب المداومة عليها؟ على وجهين عند أصحابنا.

(٤) انظر: «المحرر» للمجد بن تيمية (١/ ٩١).

(٥) الإمام الحافظ الكبير أبو عمران موسى بن هارون بن عبدالله الحمال، الحجة، الناقد، محدث العراق، سمع الإمام أحمد وطبقته، وصنف الكتب، واشتهر اسمه. توفي سنة (٢٩٤هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١١٦).

(٦) رواه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٧٨٣/ ٢١٨)، من حديث عائشة ﵂.

بدلَ قيام الليل، ولذلك أوصى أبا هريرة بركعتي الضحى والوتر قبل النوم؛ لأنه لم يكن من عادته قيامُ الليل[1].

قال بعض السلف: من فوائد صلاة الضحى: أن من ضاع له شيء، فليصلها يوم الجمعة، ويقول بعدها: يا رادَّ يوسفَ على يعقوب! ارددْ عليَّ ضالتي، فإنه يرجع إليه ـ إن شاء الله تعالى ـ[2].

الثاني: ذهبت طائفة من الناس إلى عدم استحبابها؛ لما في «صحيح البخاري» من حديث مُوَرِّق العجليّ قال: قلت لابن عمر ﵄: تصلي الضحى؟ قال: لا، قلت: فعمر؟ قال: لا، قلت: فأبو بكر؟ قال: لا، قلت: فالنبيّ ﷺ؟ قال: لا أَخَاله[3]؛ أي: لا أظنه، وهو بفتح الهمزة وكسرها.

وفي «مسند الإمام أحمد» من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: رأى أبو بكرة ناسًا يصلون الضحى، فقال: إنهم ليصلون صلاة ما صلاها رسولُ الله ﷺ، ولا عامةُ أصحابه[4].

وسئل أنس بن مالك ﵁ عن صلاة الضحى، فقال: الصلوات خمس.

---

(١) انظر: «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (٢/ ٤٨٦).

(٢) هذه معتقدات لا يعرف أصلها، وقد تكون مبنية على المصادفة، ولا يعرف لها سند شرعي. روى الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٢٨٩) من حديث ابن عمر ﵄، عن النبي ﷺ في الضالة أنه كان يقول: «اللهم رادَّ الضالة، وهادي الضلالة، تهدي من الضلالة، اردد عليَّ ضالتي بقدرتك وسلطانك، فإنها من عطائك وفضلك». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٣): رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه عبد الرحمن بن يعقوب بن أبي عباد المكي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٣) رواه البخاري (١١٧٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٥).

قلت: والمثبِـتُ مقدَّم على النافي، والأصحُّ استحبابها[1].

الثالث: تقدم أن أول وقتها من ارتفاع الشمس قيد رمح، وآخره قبيل الزوال، وأفضلها إذا اشتد الحر كما تقدم حين تَرمَضُ الفِصال.

وعند الطبراني بإسناد مقارب عن أبي أمامةَ ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: «إذا طلعت الشمس من مطلعها كهيئتها لصلاة العصر حين تغرب من مغربهـا، فصلى رجل ركعتين وأربع سجدات = فإن له أجر ذلـك اليـوم»، وَحَسِبْتُه قال: «وكفّرت عنه خطيئته وإثمه»، وأحسبه قال: «وإن مات من يومـه، دخـل الجنة»[2].

فهذا فضل وقت صلاة الضحى إذا كانت الـشمس فـي ارتفاعهـا مـن المشرق كوقت العصر في أفقها من المغرب، ويمتد وقتها إلى قبيـل الـزوال، والله ولي الإفضال[3].

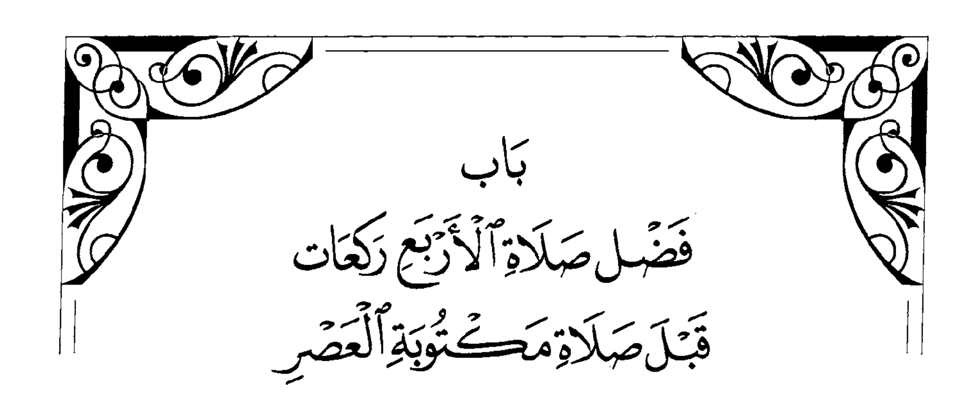


---

(١) لم يبين الشارح هنا سببًا لترجيحه الأحاديث المثبتة لصلاة الـضحى علـى الأحاديـث النافية لها سوى ما يراه من قوة المثبت على النـافي، وقـد نـاقش ابـن حـزم فـي «المحلى» (٧/ ١٩) ذلك التعارض وأمثاله، وجاء بأمثلة عديدة، منهـا: صـيام يـوم عرفة، والأضحية.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٩٠).

(٣) أورد الشارح عددًا كبيرًا من الأحاديث عن صلاة الضحى معتمدًا علـى مـصدرين رئيسيين هما: «فتح الباري في شرح البخاري» لابن حجر، و«زاد المعـاد فـي هـدي خير العباد» لابن قيم الجوزية، وقال ابـن حجـر (٣/ ٥٥): وقـد جمـع الحـاكم الأحاديث الواردة في صلاة الضحى في جزء مفرد، وذكـر لغالـب هـذه الأقـوال مستندًا، وبلغ عدد رواة الحديث في إثباتها نحو العشرين نفسًا من الصحابة.



بَاب
فَضْلِ صَلَاةِ الأَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ صَلَاةِ مَكْتُوبَةِ الْعَصْرِ

وذكر الحافظ فيه حديثًا واحدًا:

٦٨ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا». رواه أبو داود والترمذي، وقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ[1].

(عنِ ابنِ عمرَ ﷺ عنِ النبيِّ ﷺ: أنه قال: رحم الله امرأً)؛ أي: إنساناً، وهو بتثليث الميم.

قال في «القاموس»: والمَرْءُ ـ مُثَلَّثَةَ الميم ـ: الإِنسانُ، أو الرَّجُلُ ـ ولا يُجْمَعُ من لَفْظِه، أو سُمِعَ: مَرْؤُونَ ـ والذِّئْبُ، وهي بِهاءٍ، ويقالُ: مَرَةٌ، والامرَأَةُ. وفي امْرِئٍ مع ألف الوصْلِ ثلاثُ لُغاتٍ: فتحُ الراءِ دائمًا، وضمُّها دائمًا، وإعرابها دائمًا، وتقولُ: هذا امْرُؤٌ ومَرْءٌ، ورَأَيْتُ امْرأً ومَرْءًا، ومَرَرْتُ بامْرِئٍ وبِمَرْءٍ مُعْرَبًا من مَكانَيْنِ[2].

---

(١) رواه أبو داود (١٢٧١)، والترمذي (٤٣٠).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: مرأ).

(صلى) ذلك المرءُ قبلَ العصر؛ أي: (قبـل) فريـضة صـلاة (العـصر أربعًا.

رواه أبو داود، والترمذي، وقـال) الترمـذي: هـذا (حـديث حـسن غريب)، ورواه الإمام أحمد، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما[1].

وعن أم حبيبةَ بنتِ أبي سفيان ﵄ زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حافظ على أربع ركعات قبل العصر، بنى الله ﷻ له بيتًا فـي الجنـة»، رواه أبو يعلى[2].

ورواه الإمام أحمد من حديث أبي سفيان عن أم حبيبة ـ يعني: ابنته ـ مرفوعًا: «من صلى أربعًا قبل الظهر، وأربعًا قبل العصر، حرَّم اللهُ لحمَه علـى النار»[3]، ورواه النسائي وغيره[4].

وروى الطبراني في «معجمه الكبير» نحوه من حديث أم سلمة مرفوعًـا، ولفظه: «من صلى أربع ركعات قبل العصر، حَرَّم الله بَدَنَه على النار»[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١١٧)، وابن خزيمـة فـي «صـحيحه» (١١٩٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٤٥٣).

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٧١٣٧). قـال المنـذري فـي «الترغيـب والترهيـب» (١/ ٢٢٦): في إسناده محمد بن سعد المؤذن، لا يدرى من هو.

(٣) كذا ذكره الشارح، والصواب من حديث عنبسة بن أبي سفيان عـن أختـه أم حبيبـة ﵂، ولفظه كما في «المسند» (٦/ ٣٢٥، ٣٢٦): «مَنْ صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعًا بَعْدَهَا، حَرَّمَ اللَّهُ لَحْمَهُ عَلَى النَّارِ» فما تركتهنَّ منذ سمعتهنَّ.

(٤) رواه النسائي (١٨١٢).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٢٨١).

وفي «أوسط الطبراني» عن عبدالله بن عمرِو بنِ العاص رضي الله عنهما قال: جئتُ ورسولُ الله ﷺ قاعدٌ في أناس من أصحابه فيهم عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه، فأدركت في آخر الحديث ورسولُ الله ﷺ يقول: «من صلى أربع ركعات قبل العصر، لم تمسه النار»[1].

وفي «أوسط الطبراني» - أيضًا - عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا: «لا تزال أمتي يصلون هذه الأربع ركعات قبل العصر حتى تمشي على الأرض مغفورًا لها مغفرة حتمًا»[2].

وروى الإمام أحمد في «المسند»، والترمذي في «سننه» من حديث عاصم بن ضمرة، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه - أيضًا - قال: كان النبي ﷺ يصلي قبل العصر أربع ركعات، يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين، ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين، وقال الترمذي: حديث حسن[3].

قال الإمام الحافظ شمسُ الدين محمدُ بنُ عبدِ الهادي المقدسيُّ الحنبليُّ: وعاصم وثقه الإمام أحمد، وابن المديني، وابن خزيمة، وغيرهم.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٥٨٠)، قال الطبراني: تفرد به حجاج ابن نصير، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٢): والأكثرون على تضعيفه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥١٣١). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٢٧): غريب، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٢٢): فيه عبد الملك ابن هارون بن عنترة، وهو متروك.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ١٦٠)، والترمذي (٤٢٩)، واللفظ له.

ورواه الإمام أحمد ـ أيضًا ـ ، وابن ماجه من حديث عاصم بن ضمرة ـ أيضًا ـ قال: سألنا عليَّ بنَ أبي طالب ﷺ عن صلاة رسول الله ﷺ من النهار، قال: إنكم لا تطيقون ذلك، قال: قلنا: أخبرنا به، فنأخذ منه ما أطقنا، قال: كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر، أمهل حتى إذا كانت الشمس من هاهنا؛ يعني: من قبل المشرق مقدارها من صلاة العصر من هاهنا؛ يعني: من قبل المغرب، قام فصلى أربعًا، وأربعًا قبل الظهر إذا زالت الشمس، وركعتين بعدها، وأربعًا قبل العصر يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبيين، ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين، وقال عليٌّ: تلك ست عشرة ركعة تطوُّعُ رسولِ الله ﷺ من النهار، وقَلَّ من حافظ عليها[1].

ولا يخفى عليك أنه أراد مع ما ذكرنا ركعتي الفجر؛ لتكمل الست عشرة.

وروى النسائي والترمذي نحوه، وقال فيه: حديث حسن، وزاد فيه بعد قوله: (والنبيين): والمرسلين[2].

وفي «سنن أبي داود» من حديث علي ـ أيضًا ـ رضوان الله عليه: أن النبي ﷺ كان يصلي قبل العصر ركعتين[3].

قال الإمام النووي: إسناده صحيح[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٨٥)، وابن ماجه (١١٦١).

(٢) رواه النسائي (٨٧٤)، والترمذي (٥٩٨).

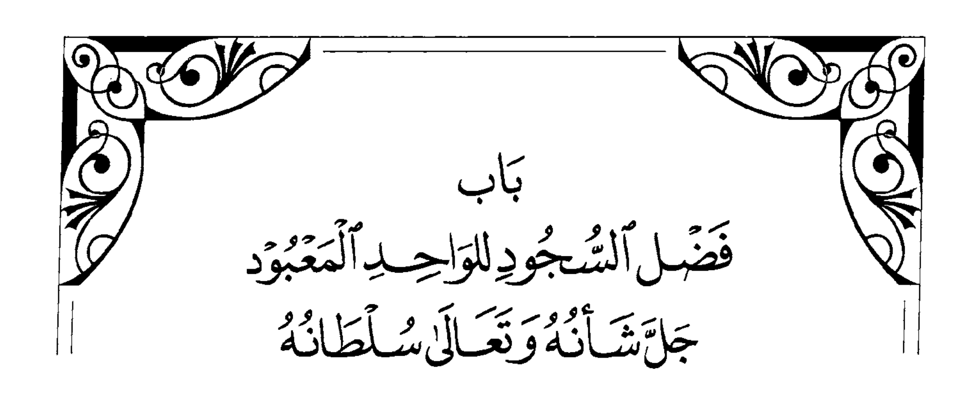
(٣) رواه أبو داود (١٢٧٢).

(٤) انظر: «خلاصة الأحكام» للنووي (١/ ٥٣٩).

وإنما أطنبتُ في ذكر الأحاديث الواردة في صلاة الأربع ركعات قبل صلاة فريضتها؛ لأن الناس يتهاونون فيها، ويهملونها، ويقوِّي عينَ العامة على ذلك فقهاءُ السوء بقولهم: لا سنةَ للعصر قبلها، فلا ينبغي لفقيه ولا غيره أن يقول بحضرة جاهل أو متهاون في الصلاة: ليس للعصر سنة مع معرفته بما الناسُ عليه، لا سيما في زماننا هذا من التقصير في العبادات، والقصورِ في الطاعات، وعدمِ الاحتفال بالقُربات، مع ورود هذه النصوص المذكورة، والأحاديث المسطورة، بل ينبغي له أن يقول: إنها سنة بفعله ﷺ وقوله وترغيبه.

والله تعالى الموفق.

❐ ❐ ❐



بَاب فَضْلِ ٱلسُّجُودِ لِلْوَاحِدِ ٱلْمَعْبُودِ جَلَّ شَأْنُهُ وَتَعَالَىٰ سُلْطَانُهُ

قال ابن الأنباري: السجود يرد لمعان:

منها: الانحناء والميل، من قولهم: سجدت الدابة وأسجدت: إذا خفضت رأسها لِتُركب.

ومنها: الخشوع والتواضع.

ومنها: التحية[1].

قال الجوهري: سجد: خضع، ومنه سجود الصلاة[2]؛ كما في «المطلع»[3]، وهو المراد هنا.

وفي القاموس: سَجَدَ: خَضَعَ، وانْتَصَبَ، ضِدٌّ. وأسْجَدَ: طَأْطَأَ رَأْسَهُ، وانْحَنَى.

ثم قال: قال تعالى: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨]؛ أي:

---

(١) انظر: «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٤٧).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: سجد).

(٣) انظر: «المطلع» للبعلي (ص: ٧٧).

ركعًا. انتهى[1].

قال المحقق ابن القيم في صفة صلاة النبي ﷺ: شرع السجود على أكمل الهيئات وأبلغها في العبودية، وأعمِّها لسائر الأعضاء؛ بحيث يأخذ كل جزء من البدن بحظه من العبودية.

قال: والسجود سر الصلاة وركنها العظيم، وخاتمة الركعة، وما قبلَه من الأركان كالمقدمات له، فهو شبه طواف الزيارة في الحج؛ فإنه مقصودُ الحج، ومحلُّ الدخول على الله وزيارته، وما قبله كالمقدمات له.

قال: ولهذا أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وأفضلُ أحواله حال يكون فيها أقربَ إلى الله تعالى، وفي الكتاب العزيز ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، ولذا كان الدعاء فيه أقربَ إلى الإجابة.

ولما خلق الله تعالى الإنسان من الأرض، كان جديرًا بأن لا يخرج عن أصله الذي خلق منه، بل يرجع إليه إذا تقاضاه الطبع والنفس بالخروج عنه؛ فإن العبد لو تُرك وطبعَه ودواعي نفسه، لتكبر وأَشِر، وخرج عن أصله الذي خُلق منه، ولوثب على حق ربه من الكبرياء والعظمة، فنازعه إياهما، فأُمر بالسجود خضوعًا لعظمة ربه وفاطره، وخشوعًا له وتذللًا بين يديه، وانكسارًا له، فيكون هذا الخشوع والخضوع والتذلل ردًّا له إلى حكم العبودية، وبه يتدارك ما حصل له من الهفوات والغفلات، والإعراض الذي خرج به عن أصله، فيمثل له حقيقة التراب الذي خلق منه، فيضع أشرف شيء منه وأعلاه ـ وهو الوجه ـ فيه، وقد صار أعلاه أسفله؛ خضوعًا بين يدي ربه

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: سجد).

الأعلى، وخشوعًا له، وتذللًا لعظمته، واستكانة لعزته، وهذا غاية خشوع الظاهر؛ فإن الأرض التي خلقه منها مذللة للوطء بالأقدام، وقد استعمره فيها، ورده إليها، ووعده بالإخراج منها، فهي أمه وأبوه، وأصله وفصله وعنصره، تضمه حيًّا على ظهرها، وميتًا في بطنها، وجعلت طهرًا له ومسجدًا، فأُمر بالسجود الذي هو غاية خشوع الظاهر، وأجمع العبودية لسائر الأعضاء، ولهذا قال ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم»، متفق عليه[1]. والله أعلم[2].

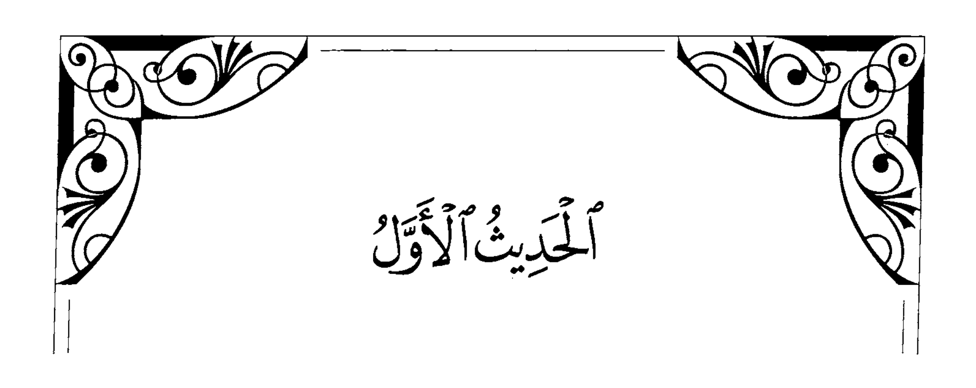
وذكر الحافظ في هذا الباب أربعة أحاديث.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٨١٢)، ومسلم (٤٩٠/ ٢٢٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «الصلاة وحكم تاركها» لابن قيم الجوزية (ص: ١٤٧).



الحَدِيثُ الأَوَّلُ

٦٩ ـ عن مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ ـ أَوْ قَالَ: قُلْتُ: بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ ـ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً».

قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ. رواه مسلم[1].

(عن مَعْدانَ) ـ بفتح الميم وسكون العين المهملة، فدال مهملة، فألف، فنون ـ: تابعي جليل، سمع من ابن عمر، وأبي الدرداء وثوبان، وغيرهم (ابنِ أبي طلحةَ اليعمري، قال: لقيتُ ثوبانَ) ـ بفتح الثاء المثلثة والباء الموحدة بينهما واو ساكنة، وبعد الموحدة ألف ساكنة فنون ـ (مولى رسول الله ﷺ).

(١) رواه مسلم (٤٨٨/ ٢٢٥).

قال في «جامع الأصول»: ثوبان: هو أبو عبدالله، ويقال: أبو عبد الرحمن، ابن بُجْدُد ـ بضم الموحدة وسكون الجيم وضم الدال المهملة الأولى ـ، وقيل: ابن جَحْدَر ـ بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة، فدال مهملة مفتوحة، فراء ـ من السراة، والسراةُ: موضعٌ بين مكة واليمن، وقيل: إنه من حِمْير، وقيل: إنه حكمي، من حكم بن سعد العشيرة، أصابه سباء، فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، ولم يزل معه سفرًا وحضرًا إلى أن توفي رسول الله ﷺ، فخرج إلى الشام، فنزل الرملة، ثم انتقل إلى حمص، وتوفي بها سنة أربع وخمسين.

روى عنه شداد بن أوس[1]، وجبير بن نفير[2]، وأبو الأشعث الصنعاني[3]، . . . .

---

(١) الصحابي الجليل أبو يعلى شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري، الخزرجي، ابن أخي حسان بن ثابت، كان ممن أوتي العلم والحلم، كثير العبادة والورع والخوف من الله تعالى. توفي سنة (٤١هـ). انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٢/ ٥٨٥).

(٢) الإمام الكبير أبو عبد الرحمن جبير بن نفير بن مالك الحضرمي، الحمصي، من علماء أهل الشام، أدرك حياة النبي ﷺ، وحدث عن أبي بكر وعمر وعدة، كان هو وكثير بن مرة من أئمة التابعين بحمص ودمشق. توفي سنة (٧٥هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٧٦).

(٣) أبو الأشعث شراحيل بن آدة الصنعاني، من كبار علماء الشام، وفي اسمه أقوال، أقواها المثبت، حدث عن عبادة بن الصامت وثوبان وشداد بن أوس، وطائفة، وعنه أبو قلابة الجرمي وحسان بن عطية ويحيى الذماري، وجماعة. توفي بعد المئة. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٣٥٧).

ومعدانُ بن أبي طلحة[1]، وأبو إدريسَ الخولاني[2]، وغيرهم[3].

قال مَعْدَانُ: **(فقلت له)**؛ أي: لثوبان: **(أخبرني بعمل أعمله)**، فإذا أنا عملته كما تخبرني **(يدخلُني الله)** سبحانه وتعالى **(به)**؛ أي: بالعمل الذي تخبرني به لأعمله **(الجنةَ)**؛ يعني: أكون ممن يدخل الجنة بفضل الله تعالى ورحمته؛ لامتثالي للمأمور، وانتهائي عن المحظور؛ فإن الجنة لا تُدخَل بالأعمال كما قال ﷺ: «لن يدخل الجنةَ أحدٌ منكم بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغَمَّدَني اللهُ برحمته»، هو في الصحيحين وغيرهما، ولفظه في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها زوجِ النبي ﷺ أنها كانت تقول: قال رسول الله ﷺ: «سَدِّدُوا وقاربوا وأبشروا؛ فإنه لن يُدخل أحدًا الجنةَ عملُه» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته»[4]، وقال بيده فوق رأسه؛ كما في حديث أبي سعيد

---

(١) في هامش الأصل: «قوله: (ابن أبي طلحة)، كذا رأيته في عدة نسخ، والذي في كتب الحديث: معدان بن طلحة بحذف (أبي)، مؤلف».

أقول: قال المزي في «تهذيب الكمال» (٢٨/ ٢٥٦): معدان بن أبي طلحة، ويقال: ابن طلحة، اليعمري، الكناني، الشامي.

(٢) أبو إدريس عائذ الله بن عبدالله بن عمرو الخولاني، من علماء أهل الشام، وعبادهم، وقرائهم، عالم أهل الشام بعد أبي الدرداء، قال مكحول: ما رأيت أعلم من أبي إدريس، وقال الزهري: كان قاص أهل الشام وقاضيهم في خلافة عبد الملك. توفي سنة (٨٠هـ). انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٤/ ٨٨).

(٣) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٢٤٧).

(٤) رواه البخاري (٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨/ ٧٨).

الخدري عند الإمام أحمد بإسناد حسن، ولفظه: «لن يَدخلَ أحدٌ الجنةَ إلا برحمة الله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله... الحديث[1].

والذي قاله محققو العلماء: إنهم يدخلون الجنة برحمة الله تعالى، ويقتسمون المنازل بأعمالهم، إن شاء الله تعالى.

(أو قال) مَعدانُ: **(قلت)**: أخبرني **(بأحبِّ الأعمال إلى الله ﷻ)**، شكَّ معدانُ أيَّ القولين قال لثوبان، **(فسكت)** ثوبانُ عن الجواب عن سؤاله، قال معدان: **(ثم سألته)** الثانية، **(فسكت)** عن الجواب ـ أيضًا ـ قال معدان: **(ثم سألته)** المرة **(الثالثة، فقال)** ثوبانُ ﷺ: **(سألتُ)**؛ أي: قد كنتُ سألتُ **(عن ذلك)** الذي سألتني عنه **(رسولَ الله ﷺ)**، وإنما سكت ليستحضرَ ما قاله رسولُ الله ﷺ بلفظه، أو لتشتدَّ رغبةُ معدانَ، أو غير ذلك، **(فقال)** ﷺ في جواب سؤالي له: **(عليك بكثرة السجود)**؛ أي: الزمْ مكاثرةَ الصلاة من الركوع والسجود، وإنما خص السجود؛ لأنه ركنُ الصلاة الأعظم، والمقصود بالذات؛ كما تقدم؛ لكون العبد يعفِّر وجهه في التراب استكانة وخضوعًا وذلًّا وضراعة، ولذا قال مسروق لسعيد بن جبير: يا سعيد! ما بقي شيء نرغب فيه إلا أن نعفِّر وجوهنا في التراب له[2].

المشروعُ مباشرةُ المُصَلَّى بأديم وجهه إما استحبابًا أو وجوبًا، واعتماده على الأرض بحيث ينالها ثقل رأسه، وارتفاع أسافله على أعاليه، فهذا من

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٥٢).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٨٠)، والعجلي في «معرفة الثقات» (٢/ ٢٧٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٩٦).

تَمَام السجود وكماله؛ بأن يأخذ كل عضو من البدن بحظه من الخضوع، وفيه دليل لعلمائنا القائلين بأن كثرة الركوع والسجود أفضلُ من طول القيام.

وفي المسألة ثلاثة مذاهب:

أحدها: أن كثرة الركوع والسجود أفضل؛ حكاه الترمذي والبغوي عن جماعة[1]، وبه صرح علماؤنا.

وممن قال بتفضيل السجود ابنُ عمر رضي الله عنهما.

الثاني: أن تطويل القيام أفضل؛ وبه قال الشافعي وجماعة، واحتج له بحديث جابر من «صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال: «إن أفضل الصلاة طولُ القنوت»[2]، قال: والمراد بالقنوت: القيام.

والمذهب الثالث: أنهما، سواء وقد توقف سيدنا الإمام أحمد في المسألة، غير أن مشهور المذهب، والذي استقر عليه الآن: أن كثرة الركوع والسجود أفضلُ من طول القيام[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فعل القيام وفعل السجود إذا فاضلنا بينهما ففعلُ السجود أفضل، وأما ذكر القيام، فأفضلُ من ذكر السجود والركوع، هذا معنى كلامه[4].

وقال الإمام إسحاق بن راهويه: أما في النهار، فتكثير الركوع والسجود

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» (٢/ ٢٣٢)، و«شرح السنة» للبغوي (٣/ ١٥١).

(٢) رواه مسلم (٧٥٦/ ١٦٤).

(٣) وانظر: «شرح النووي على مسلم» (٤/ ٢٠٠)، والمؤلف ناقل عنه هنا بتصرف.

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٢/ ٢٧٣، ٢٣/ ٦٩).

أفضل، وأما في الليل، فتطويل القيام، إلا أن يكون للرجل حزب بالليل يأتي عليه، فتكثير الركوع والسجود أفضل؛ لأنه يقرأ حزبه، ويربح كثرة الركوع والسجود.

قال الترمذي: إنما قال إسحاق هذا؛ لأنهم وصفوا صلاة النبي ﷺ بالليل بطول القيام، ولم يوصف من تطويله بالنهار ما وصف بالليل[١].

وقد قدمنا أن أفضل أركان الصلاة الفعلية السجودُ، وهو سرّها الذي شرعت لأجله، وكان تكرره في الصلاة أكثرَ من تكرر سائر الأركان.

وقد روى مسلم، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «أقربُ ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[٢]، وهو موافق لقول الله ﷻ: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾[العلق: ١٩].

(فإنك) يا ثوبانُ، الخطابُ خاصّ والحكمُ عام **(لا تسجدُ لله)** تعالى **(سجدة، إلا رفعك الله بها درجة)** في جنات النعيم، والدرجات العالية، والنعيم المقيم، **(وحطّ)**؛ أي: أسقط ومحا **(عنك بها)**؛ أي: بتلك السجدة **(خطيئة)** من خطاياك، والخطيئة هي الذنب، أو ما تعمد منه، كما في «القاموس»[٣].

(قال مَعدانُ) بنُ طلحةَ: **(ثم)** بعد ذلك **(لقيتُ أبا الدرداء)** عُويمر بنَ عامر ﷺ، **(فسألته)** مثلَ ما سألتُ ثوبانَ، **(فقال لي)** في الجواب عما سألته

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» (٢/ ٢٣٢).

(٢) رواه مسلم (٤٨٢/ ٢١٥)، وأبو داود (٨٧٥)، والنسائي (١١٣٧).

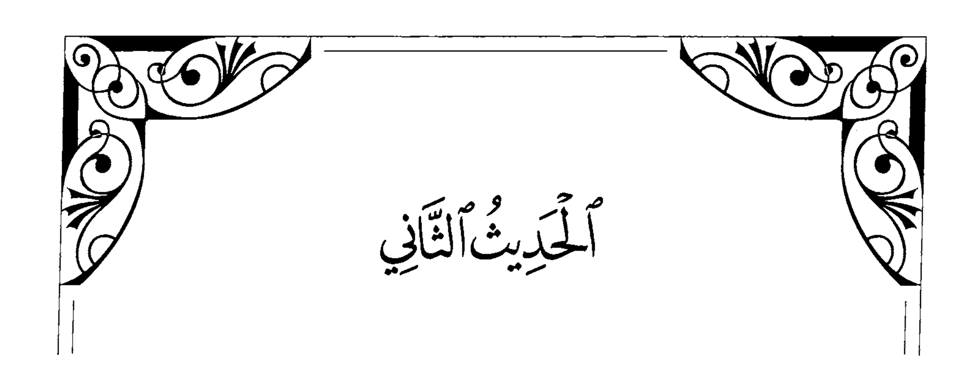
(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: خطأ).

(مثلَ ما قال ثوبان.

رواه مسلم)، وكذا رواه أصحاب السنن إلا أبا داود[1].

* * *

(١) رواه الترمذي (٣٨٨)، والنسائي (١١٣٩)، وابن ماجه (١٤٢٣)



الحَدِيثُ الثَّانِي

٧٠ ـ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، فَاسْتَكْثِرُوا مِنَ السُّجُودِ». رواه ابن ماجه[1].

(عن) أبي الوليد (عُبادةَ) بضم العين المهملة وتخفيف الباء الموحدة (ابنِ الصامتِ) بن قيسِ بنِ أصرمَ بنِ ثعلبةَ بنِ غنمِ بنِ سالمِ بنِ عوفِ بنِ عمرِو بنِ عوفِ بنِ الخزرجِ الأَنصاريِّ، السالميِّ، كان نقيبًا، وشهد العقبة الأولى والثانية والثالثة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد بدرًا والمشاهدَ كلها، استعمله النبي ﷺ على الصدقات، وكان يُعلّم أهل الصفة القرآن، ولما فتح الشام، وجهه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إليها قاضيًا ومعلمًا وإمَامًا بحمص، وأرسل ـ أيضًا ـ معاذًا وأبا الدرداء ليعلموا الناس ويفقهوهم.

فأقام عبادة بحمص، ومعاذ بفلسطين، وأبو الدرداء بدمشق، ثم

---

(١) رواه ابن ماجه (١٤٢٤).

صار[1] عبادة إلى فلسطين بعد موت معاذ ﷺ، ومات عبادة بن الصامت (ﷺ) بها ـ يعني: الرملة ـ كما رجحه ابن الأثير[2]، لكن النووي رجح أنه مات ببيت المقدس[3]، وكان ذلك سنة أربع وثلاثين، وقيل: سنة خمس وأربعين، والأول أصح.

قلت: وفي بيت المقدس قبر تحت السور منسوب لسيدنا عبادة بن الصامت، يزار ويتبرك به[4]، وقد زرناه. والله أعلم.

---

(١) كذا في الأصل، وفي «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ٢٤٣): سار.

(٢) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٥٦١).

(٣) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ٢٤٤).

(٤) زيارة القبور مشروعة، بل أمر بها النبي ﷺ بعد منعها؛ لأنها تذكر الآخرة، ولها أدعية مأثورة، مثل: (السَّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، أَوْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلاحِقُونَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ، اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ، وَلا تَفتنا بَعْدَهُمْ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ).

أما لمس قبر من ترجى بركته، فقد قال الرحيباني في «مطالب أولي النهى» (١/ ٩٣٤): ولا بأس بلمس قبر بيد لا سيما من ترجى بركته، ولا يشرع تمسح به وصلاة عنده، أو قصده لأجل دعاء معتقدًا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء في غيره، أو النذر له، ونحو ذلك، بل قال الشيخ تقي الدين: ليس هذا من دين المسلمين، بل هو مما أحدث من البدع القبيحة التي هي من شعب الشرك، وقال في «الاختيارات»: اتفق السلف والأئمة على أن من سلَّم على النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين فإنه لا يتمسح بالقبر، ولا يقبله، بل اتفقوا على أنه لا يستلم ولا يقبل إلا الحجر الأسود، والركن اليماني يستلم ولا يقبل على الصحيح.

وكان عُمر عبادة يوم موته اثنين وسبعين عامًا.

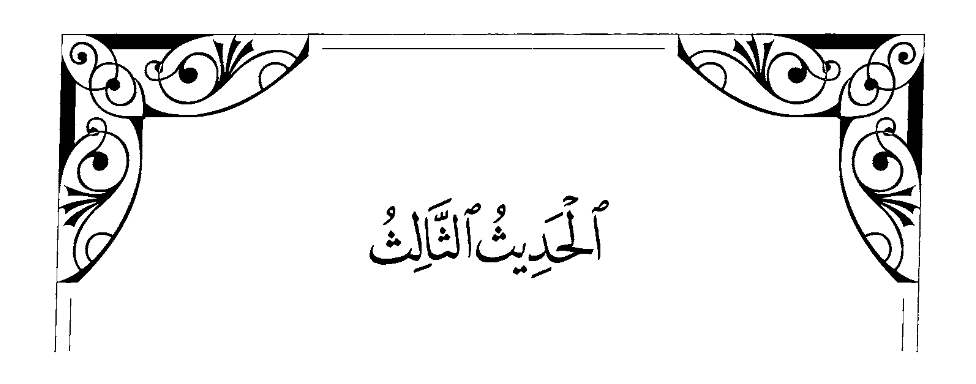
وروي له عن رسول الله ﷺ مئة حديث، وثمانون حديثًا، اتفق الشيخان منها على ستة، وانفرد البخاري باثنين، ومسلم باثنين.

(أنه)؛ أي: عبادة بن الصامت رضي الله عنه **(سمع رسولَ الله ﷺ يقول: ما من عبدٍ)** مسلم، ولا أَمَةٍ مسلمة **(يسجدُ لله سجدة)**؛ أي: في الصلاة، فخرج سجود الشكر، وسجود التلاوة، فلا يؤمر بكثرته؛ لأنه إنما شرع بسبب، فيطلب عند وجود سببه، ومقصودُ الحديث: الترغيب في كثرة الركوع والسجود.

(إلا كتب الله عز وجل له)؛ أي: لذلك الساجد **(بها)**؛ أي: بتلك السجدة **(حسنةً)** يثيبه عليها، **(ومحا عنه)** بها **(سيئة)** كانت مكتوبة عليه في صحيفة عمله، **(ورفع له بها درجة)**، وإن كان رفع الدرجة بسبب اكتساب الحسنة، فالسبب غير المسبب، فهما شيئان، **(فاستكثروا)** معشرَ الأمة **(من السجود)** لتكثرَ حسناتكم، وتمحى سيئاتكم، وترفع درجاتكم.

(رواه ابن ماجه) بإسناد صحيح.

* * *



الحديث الثالث

٧١ ـ عن رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ»، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «أَوَغَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ». رواه مسلم[1].

(عن ربيعةَ بنِ كعبٍ) هو أبو فراسٍ ربيعةُ بنُ كعبِ بنِ مالكِ بنِ يعمرَ من بني ثعلبةَ بنِ هوازنَ بنِ أسلمَ **(الأسلميِّ ﷺ)** معدودٌ في أهل المدينة، وكان من أهل الصُّفَّة، ويقال: كان خادمًا لرسول الله ﷺ، صحبه قديمًا، وكان يلزمه سفرًا وحضرًا، وكان ينزل على بريد من المدينة، مات سنة ثلاث وستين بعد وقعة الحرة.

روى عنه: أبو سلمة بنُ عبد الرحمن، وحنظلة بن علي، ومحمود بن عمرو بن عطاء، وأبو عمران الجوني.

(قال) ربيعةُ بن كعب الأسلمي ﷺ: **(كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فآتيهِ بوَضوئه)** ـ بفتح الواو ـ: وهو الماء الذي يُتوضأ به، **(وحاجته)** التي

---

(١) رواه مسلم (٤٨٩/ ٢٢٦).

تعرض له؛ لأنه ـ كما علمت ـ كان يخدمه ﷺ، وفي رواية قال: كنت أخدم النبيَّ ﷺ نهاري، فإذا كان الليل أويتُ إلى باب رسول الله ﷺ فبتُّ عنده، فلا أزال أسمعه يقول: سبحان الله سبحان الله سبحان ربي حتى أمل، أو تغلبني عيني فأنام[١].

(فقال) رسول الله ﷺ **(لي)** يومًا: يا ربيعة! **(سلْ)**، وفي رواية: قال: «سلني فأعطيك»، فقلت: أنظرني حتى أنظر، وتذكرت أن الدنيا فانية منقطعة[٢]، **(فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: أو غير ذلك)**؛ أي: اسألني غيرَ ما سألتني إياه، وهو أن يكون رفيقه في جنة الخلد مع علوّ الدرجة في جوار مولاه، **(قلت: هو)**؛ أي: مطلوبي ومسألتي التي أسألك إياها **(ذلك)** لا غير.

وفي رواية: أن النبي ﷺ لما قال له: «سلني فأعطيك»، قال: فقلت: يا رسول الله أسألك أن تدعو الله أن ينجيني[٣] من النار، ويدخلني الجنة، فسكت رسول الله ﷺ، ثم قال: «من أمرك بهذا؟» قلت: ما أمرني به أحد، ولكني علمت أن الدنيا منقطعة فانية، وأنت من الله بالمكان الذي أنت منه، فأحببت أن تدعو الله لي، قال: «إني فاعل»، وهذا اللفظ رواه الطبراني في «الكبير» من رواية محمد بن إسحاق[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٥٩).

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) كذا في الأصل، وفي «المعجم الكبير»: (يجنبني).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٥٧٦)، وتمامه: «فأعني بكثرة السجود».

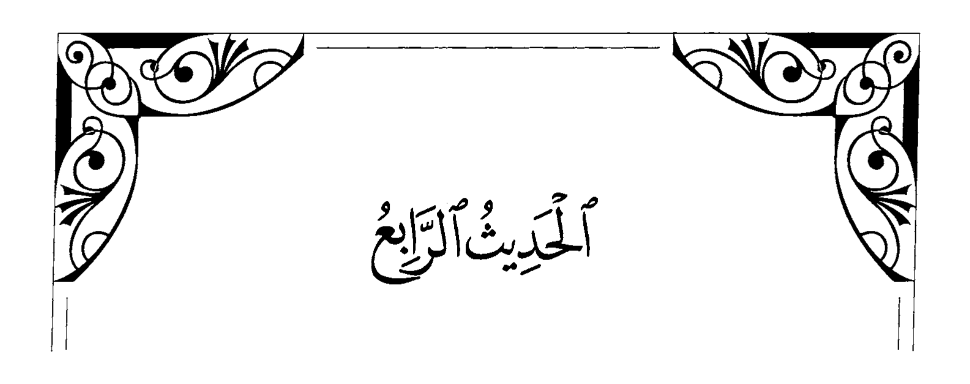
(قال) رسولُ الله ﷺ لربيعة بن كعب رضي الله عنه: **(فأعني على نفسك)** لنيل مطلوبك الذي طلبته **(بكثرة السجود)** للملك المعبود في الصلاة؛ لتنال هذا المقام الرفيع، والدرجة العالية، والمكان الرحب الوسيع.

(رواه) أبو الحسين **(مسلمُ)** بنُ الحجاج في «صحيحه»، ورواه ـ أيضًا ـ أبو داود[1].

وفي الحديث الحثُّ على كثرة السجود في الصلاة، والترغيب في الاعتناء بكثرة الصلاة تطوعًا؛ فإنها نور وبرهان، ومرضاة للرحمن، والله ولي الإحسان.

* * *

(١) رواه أبو داود (١٣٢٠).



ٱلْحَدِيثُ ٱلرَّابِعُ

٧٢ ـ عن أبي فَاطِمَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَأَعْمَلُهُ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالسُّجُودِ؛ فَإِنَّكَ لا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ بِهَا عَنْكَ خَطِيئَةً». رواه ابن ماجه[1].

(عن أبي فاطمة ﷺ[2] **قال: قلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل)** صالح **(أستقيم)** فلا أزيغ عنه، ولا أميل عن الحق فيه، بل أثبت وأقيم **(عليه)**، وأعمل به، هكذا في نسخة معتبرة من «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري[3]، وأما سائر نسخ «فضائل الأعمال» التي رأيتها: **(أَستقمْ عليه)** ـ بالجزم ـ في جواب الأمر على المشهور، أو في جواب شرط محذوف دلّ

---

(١) رواه ابن ماجه (١٤٢٢). وقد أثبت في الأصل المخطوط لمتن فضائل الأعمال اللفظين معًا: «أستقيم عليه وأعمل به»، و«أستقم عليه وأعمله».

(٢) الصحابي الجليل أبو فاطمة الليثي، وقيل: الأزدي الدوسي، قيل: اسمه أنيس، وقيل: عبدالله بن أنيس، سكن الشام، وشهد فتح مصر، واختط بها دارًا، وقبره بالشام إلى جنب قبر فضالة بن عبيد. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٣٤/ ١٨٢).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ١٥٣).

عليه فعل الأمر؛ أي: إن تخبرني أستقمْ عليه، **(وأعمله)** بهاء الضمير الراجع إلى العمل المخبر به، **(قال)** ﷺ مجيبًا لسؤال أبي فاطمة رضي الله عنه: **(عليك بالسجود)**؛ أي: الزم السجود، وداوِمْ عليه، والمراد: في الصلاة؛ أي: الزمْ كثرة الصلاة المشتملة على الركوع والسجود للملك المعبود.

ثم بين له فضل السجود وثوابه، فقال: **(فإنك لا تسجد لله)** تعالى **(سجدة)** في صلاتك **(إلا رفعك الله بها درجة)** حِسّيةً؛ بأن يعلي مقامك في جنات النعيم، أو معنوية؛ بأن يرفع شأنك في الحياة الدنيا بحُب الطاعة وكراهية المعاصي، ويحببك إلى صالحي عباده، ويحبك هو جل شأنه، وهذا غاية الرفعة وعلو المنزلة، أو يجمع لك رفع الدرجة الحسية والمعنوية، والله ذو الفضل العظيم.

(وحط)؛ أي: محا وأهبط **(عنك خطيئة)**؛ أي: ذنبًا، أو العمد من الذنب، يعني من الصغائر، أو يخفف عنك من الكبائر، والله غفور رحيم.

(رواه ابن ماجه) في «سننه» بإسناد جيد، ورواه الإمام أحمد مختصرًا، ولفظه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا فاطمة! إن أردت أن تلقاني، فأكثرِ السجود»[1].

وفي «أوسط الطبراني» من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من حالة يكون العبد عليها أحبّ إلى الله من أن يراه ساجدًا يعفِّر وجهه في التراب»، قال الطبراني: تفرد به عثمان[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٢٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٠٧٥).

قال الحافظ المنذري: عثمان هذا هو ابن القاسم[1]، ذكره ابن حبان في «الثقات»[2].

وعن مطرف قال: قَعَدْتُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَعَلَ يُصَلِّي يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ ثُمَّ يَقُومُ، ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ لا يَقْعُدُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ! مَا أَرَى هَذَا يَدْرِي يَنْصَرِفُ عَلَى شَفْعٍ أَوْ وِتْرٍ، فَقَالُوا: أَلا تَقُومُ إِلَيْهِ فَتَقُولَ لَهُ؟ قَالَ: فَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا عَبْدَاللَّهِ! مَا أَرَاكَ تَدْرِي تَنْصَرِفُ عَلَى شَفْعٍ أَوْ عَلَى وَتْرٍ، قَالَ: وَلَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَجَدَ لِلَّهِ سَجْدَةً، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَحَطَّ بِهَا عَنْهُ خَطِيئَةً، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً»، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَبُو ذَرٍّ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ: جَزَاكُم اللَّهُ مِنْ جُلَسَاءَ شَرًّا، أَمَرْتُمُونِي أَنْ أُعَلِّمَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ![3].

وفي رواية: يطيل القيام، ويكثر الركوع والسجود، فذكرت ذلك له، فقال: ما ألوت أن أحسن، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ركع ركعة، أو سجد سجدة، رُفع بها درجة، وحُط عنه بها خطيئة»، رواه الإمام أحمد، والبزار بنحوه[4].

---

(١) كذا في «الترغيب»، وعند الطبراني: عثمان بن الهيثم بن جهم، وهو: أبو عمرو عثمان بن الهيثم بن الجهم المؤذن، العبدي، البصري، كان مؤذن مسجد الجامع بها، يروي عن هشام بن حسان وابن جريج. توفي سنة (٢٢٠هـ). انظر: «الثقات» لابن حبان (٨/ ٤٥٣).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ١٥٣)، و«الثقات» لابن حبان (٧/ ٢٠٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٤٨).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٤٧)، والبزار (٣٩٠٣) وقال: لا نعلمه =

قال الحافظ عبد العظيم المنذري: وهو بمجموع طرقه حسن [أو] صحيح[1].

قوله: (ما ألوت)؛ أي: ما قصرت.

*** تتمة في التحذير من عدم إتمام الركوع والسجود والترهيب منه:**

روى الإمام أحمد ـ واللفظ له[2] ـ وأصحاب السنن الأربع، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود»، قال الترمذي: هذا حديث صحيح[3].

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه، وابن خزيمه وابن حبان في صحيحيهما، من حديث علي بن شيبان: أنه ﷺ قال: «يا معشر المسلمين! لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود»[4].

وروى الطبراني في «معجمه الكبير» ـ ورواته ثقات ـ عن طلق بن علي

= يروى عن أبي ذر بأحسن من هذا الإسناد.

(1) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (1/ 154).

(2) كذا في الأصل، والصواب كما في «الترغيب والترهيب» للمنذري (1/ 198) أن اللفظ لأبي داود.

(3) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (4/ 119)، وأبو داود (855)، والترمذي (265)، والنسائي (1027)، وابن ماجه (870)، وابن خزيمة في «صحيحه» (666)، وابن حبان في «صحيحه» (1892).

(4) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (4/ 23)، وابن ماجه (871)، وابن خزيمة في «صحيحه» (593)، وابن حبان في «صحيحه» (1891).

الحنفي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى صلاة عبد لا يقيم صلبه فيها بين ركوعها وسجودها»[1].

وعن أبي عبدالله الأشعري ﷺ: أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا لا يُتم ركوعه، وينقر في سجوده وهو يصلي، فقال رسول الله ﷺ: «لو مات هذا على حاله، مات على غير ملة محمد ﷺ»، رواه الطبراني في «الكبير»، وأبو يعلى بإسناد حسن[2].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليصلي ستين سَنَة وما تُقبل له صلاة، لعله يتم الركوع ولا يتم السجود، ويتم السجود ولا يتم الركوع»، رواه أبو قاسم الأصبهاني[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة ثلاثة أثلاث: الطهور ثلث، والركوع ثلث، والسجود ثلث، فمن أداها بحقها، قبلت منه، وقبل منه سائر عمله، ومن ردت عليه صلاته، رد عليه سائر عمله»، رواه البزار[4].

قال الحافظ المنذري: إسناده حسن[5]. وبالله التوفيق.

❒❒❒

---

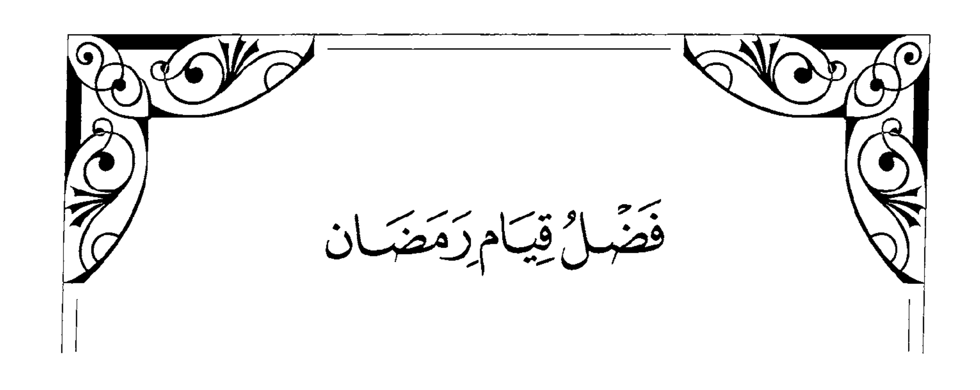
(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٢٦١) بنحوه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٨٤٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧١٨٤).

(٣) رواه أبو القاسم في «الترغيب والترهيب» (١٩٢٢)، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٨١): إسناده حسن، رجاله كلهم ثقات.

(٤) رواه البزار في «مسنده» (٩٢٧٣).

(٥) انظر: «الترغيب والترهيب» المنذري (١/ ٢٠٢).



فَضْلُ قِيَامِ رَمَضَان

أي: هذا بابه، وذكر الحافظ المصنف فيه حديثًا واحدًا:

٧٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[١].

وقال النبي ﷺ: «وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». أخرجه البخاري، ومسلم[٢].

(عن أبي هريرة) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ: **أن رسول الله ﷺ قال: من قام رمضان)**؛ أي: لياليه مصليًا، والمراد من قيام ليله بما يحصل به مطلق القيام.

وذكر النووي: أن المراد بقيام رمضان صلاةُ التراويح[٣]؛ فإنه يحصل

---

(١) رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩/ ١٧٣).

(٢) رواه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠/ ١٧٥) ـ واللفظ للبخاري ـ بلفظ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٣٩).

بها المطلوب من القيام؛ لأن قيام رمضان لا يكون إلا بها.

وأغرب الكرماني في «شرح البخاري» فقال: اتفقوا على أن المراد بقيام رمضان: صلاة التراويح[1].

(إيمانًا)؛ أي: تصديقًا بوعد الله تعالى بالثواب عليه، **(واحتسابًا)**؛ أي: طلبًا للأجر، لا لمقصد آخر من رياء ونحوه.

وقال الخطابي: قوله: (إيماناً واحتسابًا)؛ أي: نية وعزيمة، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه، غيرَ كاره له، ولا مستثقلٍ لصيامه، ولا مستطيلٍ لأيامه، لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب[2].

وقال البغوي: قوله: (احتسابًا)؛ أي: طلبًا لوجه الله وثوابه، يقال: فلان يحتسب الأخبار ويتحسبها؛ أي: يطلبها[3].

(غُفر) ـ بضم أوله وكسر ثانيه مبنيًا لما لم يسم فاعلُه ـ ؛ أي: غفر الله **(له)**؛ أي: لمن قام رمضان إيماناً واحتسابًا **(ما تقدَّم من ذنبه)** ظاهرُه يتناول الصغائر والكبائر، وبه جزم ابن المُنير.

وقال المحققون: المعروف أنه يختص بالصغائر[4]، وعزاه القاضي عياض لأهل السنة.

---

(١) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (١/ ١٥٨).

(٢) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي (١/ ١٦٩).

(٣) انظر: «شرح السنة» للبغوي (٦/ ٢١٨).

(٤) وهو ما ذكره النووي في «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٤٠).

قال بعضهم: ويجوز أن يخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة[1]، وتقدمت الإشارة إلى هذا غير مرة.

(وقال) النبي ﷺ: **(من قام ليلةَ القدر)**، وتقدم أنها في العشر الأخير من رمضان، وأوتارُه أرجاها، وأرجاها عند الإمام أحمد ومن وافقه ليلةُ سبع وعشرين.

(إيماناً)؛ أي: تصديقًا بما ورد من الثواب على قيامها، ورغبة فيه وعزيمة، **(واحتسابًا)**: طلبًا للإخلاص بقيامها لوجه الله تعالى وثوابه، **(غُفر)**؛ أي: غفر الله **(له)**؛ أي: لمقيم ليلة القدر على الوجه المشروح **(ما تقدَّم من ذنبه)**، زاد قتيبة[2] عن سفيان ـ كما عند النسائي ـ: «وما تأخر»[3].

قال الحافظ المنذري: انفرد بهذه قتيبة بن سعيد عن سفيان، وهو ثقة ثبت، وإسناده على شرط الصحيح، ورواه الإمام أحمد بالزيادة بعد ذكر الصوم بإسناد حسن[4]، إلا أنّ حماداً شكّ في وصله وإرساله[5].

وتقدم هذا عند ذكر ما يغفر به من متقدم الذنوب ومتأخرها عند ذكر

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٤/ ٢٥١)، والمؤلف ناقل عنه هنا.

(٢) الإمام الثقة الجوال، راوية الإسلام أبو رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي مولاهم، البلخي، البغلاني، ارتحل في طلب العلم، وكتب ما لا يوصف كثرة، توفي سنة (٢٤٠هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١/ ١٣).

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٢٥١٢).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٨٥).

(٥) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٥٤).

فضل التأمين، وكذا زادها ـ يعني: الزيادة المذكورة ـ حامدُ بنُ يحيى بنِ أصبغ، والحسين بن الحسن المروزي، وغيرهم.

وقد استشكل هذه الزيادة جماعةٌ من حيث إن المغفرة تستدعي سبق شيء يغفر، والمتأخر من الذنوب لم يأت، فكيف يغفر؟

ومحصل الجواب: قيل: إنه كناية عن حفظهم من الكبائر، فلا تقع منهم كبيرة بعد ذلك، وقيل: معناه: أن ذنوبهم تقع مغفورة، وقيل غيرُ ذلك، والله أعلم.

(أخرجه)؛ أي: الحديث المشروح (البخاريُّ، ومسلمٌ)، وكذا أبو داود[1]، والنسائيُّ، وزادَ: «وما تأخر»[2] عن المتقدِّم، وأخرجه ابن ماجه مختصرًا[3].

وفي رواية لمسلم قال: «من يقمْ ليلةَ القدر فيوافقها ـ أراه قال: ـ إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه»[4].

وروى الإمام أحمد من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل، عن عمر[5] ابن عبد الرحمن، عن عبادةَ بنِ الصامت ﷺ قال: أخبرنا رسولُ الله ﷺ

(١) رواه أبو داود (١٣٧٢).

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) رواه ابن ماجه (١٣٢٦).

(٤) رواه مسلم (٧٦٠/ ١٧٦).

(٥) في الأصل: «عمرو»، والمثبت من «المسند»، وانظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٦/ ١٢٠)، و«الثقات» لابن حبان (٥/ ١٥١).

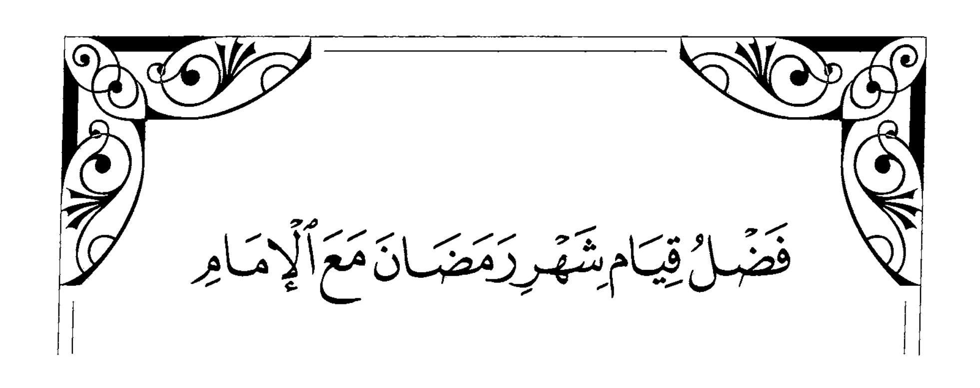
عن ليلة القدر، قال: «هي في شهر رمضان في العشر الأواخر ليلة إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو آخر ليلة من رمضان، من قامها احتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[1].

ويأتي الكلام على ليلة القدر عند ذكرها في أواخر الصيام، والله أعلم.

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٢١).



فَضْلُ قِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ مَعَ ٱلْإِمَامِ

أي: هذا بابه. وذكر فيه حديثًا واحدًا:

٧٤ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَمَضَانَ، فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنْهُ حَتَّى بَقِيَ سَبْعُ لَيَالٍ، فَقَامَ بِنَا لَيْلَةَ السَّابِعَةِ حَتَّى مَضَى نَحْوٌ مِنْ ثُلُثِ اللَّيْلِ، ثُمَّ كَانَتِ اللَّيْلَةُ السَّادِسَةُ الَّتِي تَلِيهَا فَلَمْ يَقُمْهَا، حَتَّى كَانَتِ الْخَامِسَةُ الَّتِي تَلِيهَا، ثُمَّ قَامَ بِنَا حَتَّى مَضَى نَحْوٌ مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ نَفَّلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَإِنَّهُ يَعْدِلُ قِيَامَ لَيْلَةٍ»، ثُمَّ كَانَتِ الرَّابِعَةُ الَّتِي تَلِيهَا فَلَمْ يَقُمْهَا، حَتَّى كَانَتِ الثَّالِثَةُ الَّتِي تَلِيهَا، قَالَ: فَجَمَعَ نِسَاءَهُ وَأَهْلَهُ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ، قَالَ: فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلَاحُ، قِيلَ: وَمَا الْفَلَاحُ؟ قَالَ: السُّحُورُ، قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنْ بَقِيَّةِ الشَّهْرِ. رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[1].

---

(١) رواه أبو داود (١٣٧٥)، والنسائي (١٦٠٥)، وابن ماجه (١٣٢٧)، والترمذي (٨٠٦).

(عن أبي ذر) جُندبِ بنِ جنادةَ الغفاريِّ ﷺ (قال: صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان، فلم يقم) يصلِّ (بنا شيئًا من) ليالي (الشهر)، واستمر هو ونحن كذلك (حتى)؛ أي: إلى أن (بقي) من الشهر (سبعُ) ليالي، (فقام بنا) ليلة ثلاث وعشرين يصلي، ونصلي بصلاته معه (حتى ذهب)؛ أي: مضى (ثلث الليل) الأول، (فلما كانت الليلة السادسة) من الليالي الباقيات، (لم يقمِ) النبي ﷺ فيها بنا؛ لأنها ليست من ليالي الوتر، بل هي ليلة أربع وعشرين، (فلما كانت الليلة الخامسة)، وهي ليلة خمس وعشرين، (قام) ﷺ فيها (بنا)، ولم يزل قائمًا بنا مصليًا (حتى ذهب شطرُ)؛ أي: نصف (الليل) الأول، قال أبو ذر ﷺ: (فقلت: يا رسول الله! لو نفلتنا)؛ أي: زدتنا في القيام (قيامَ بقيةِ (هذه الليلة)، وجواب (لو) محذوف تقديره: لسرّنا ونحوه؛ لحرصهم على الفضائل، واغتنامهم العبادة في الأوقات الفاضلة، فلم يجبه رسول الله ﷺ لما سأل.

(قال) أبو ذر ﷺ: (فلما كانت) الليلة (الرابعة)؛ وهي ليلة ست وعشرين من الشهر، (لم يقم) النبي ﷺ بنا؛ لأنها ليست من أوتار العشر، (فلما كانت) الليلة (الثالثة)، وهي ليلة سبع وعشرين، وهي أرجى أوتار العشر الأخير لنيل وإدراك ليلة القدر، (جمع) رسول الله ﷺ (أهله) من الأولاد والخدم، (ونساءه) أمهات المؤمنين، (والناس) من الصحابة المقربين، رضوان الله عليهم أجمعين، (فقام بنا) جميعًا يصلي ويتلو القرآن في صلاته، ولم يزل كذلك (حتى خشينا)؛ أي: خفنا (أن يفوتنا الفلاح).

قال الراوي: (قلت) لأبي ذر ﷺ: (وما الفلاح؟ قال: السحور)،

وإنما سمي السحور فلاحًا؛ لأن بقاء الصوم به، وَإلا فَأَصْل الفلاح البقاء والفوز والظفر.

وهذا مما يؤيد قول إمامنا ومَنْ وافقه: إن أرجى أوتار العشر الأخير ليلةُ سبع وعشرين ـ كما يأتي في بابه إن شاء الله تعالى ـ .

قال أبو ذر: **(ثم لم يقم بنا)** رسول الله ﷺ **(بقية الشهر)**؛ أي: بقية شهر رمضان من ذلك العام، والله ولي الإنعام.

(رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي) في سننهم، **(وقال)** أبو عيسى الترمذي: هذا **(حديث حسن صحيح)**.

وروى الإمام أحمد من حديث أبي ذر ﷺ: أن النبي ﷺ جمع أهله وأصحابه، وقال: «إنه مَنْ قام مع الإمام حتى ينصرف، كتب له قيامُ ليلة»[1]، والله أعلم.

*** تتمة:**

مما يطلب من القيام في شهر رمضان صلاةُ التراويح، وهي سنة مؤكّدة على الصحيح من المذاهب الأربعة، عشرون ركعة؛ وفاقًا لأبي حنيفة، لا ستّ وثلاثون؛ خلافًا لمالك.

وقال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية ـ قدس الله روحه ـ : له أن يصليها بزيادة ونقصان من ست وثلاثين إلى إحدى عشرة، كما نص عليه الإمام أحمد ﷺ[2]، والسنة فعلها جماعةً؛ خلافًا لمالك.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٦٣).

(٢) انظر: «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (٤/ ٤٢٧).

قال الإمام أحمد: الجماعة في التراويح سنة لا يسوغ تركُها، وصححه بعض الحنفية.

وفي «جوامع الفقه» للحنفية: أن الجماعة واجبة فيها، لكن الأشهر عندهم أنها سنة كبقية المذاهب.

ووقتُها بعد سنة العشاء على الصحيح عند المذاهب الأربعة إلى الفجر الثاني، وفعلُها أولَ الليل أفضلُ على الصحيح من المذاهب.

وأما من جوز صلاة التراويح قبل العشاء، فقد سلك سبيلَ المبتدعةِ المخالفة للسنة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1].

وفعلُها في المسجد أفضل؛ وفاقًا لأبي حنيفة والشافعي، وقال مالك: في البيوت أفضل.

قال الإمام أحمد: كان علي، وجابر، وعبدالله ﷺ يصلونها في الجماعة، وروى البيهقي عن علي ﷺ: أنه كان يجعل للرجال إمامًا، وللنساء إمامًا[2].

قال في «المبدع»: السنة المأثورة فعلُها جماعةً في المساجد[3].

قال في «المبدع»: وهي سنة سنَّها النبي ﷺ، وليست محدثة لعمر ﷺ، ففي المتفق عليه من حديث عائشة ﷺ: أن النبي ﷺ صلاها بأصحابه ليلتين

---

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٩٤).

(٣) انظر: «المبدع» لابن مفلح (٢/ ١٨)

أو ثلاثة، ثم تركها خشية أن تُفرض[1]، وهي من أعلام الدين الظاهرة.

وسميت بالتراويح لأنهم كانوا يجلسون بين كل أربع ركعات يستريحون، وقيل: لأنها مشتقة من المراوحة، وهي التكرار في الفعل، فالنبي ﷺ صلاها مرة ثلاث ليال متوالية، كما روته عائشة، وأخرى ثلاث ليال متفرقة، كما رواه أبو ذر[2]، وهذا محمول على فعله ﷺ لها كذلك في رمضانين.

وحث ﷺ على قيام رمضان وقال: «من قام مع الإمام حتى ينصرف، حسب له قيام ليلة»[3].

وكان أصحابه رضوان الله عليهم يفعلونها في مسجده ﷺ أوزاعًا في جماعات متفرقة في عهده ﷺ، وعهد الصديق ﷺ، فلما كان في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، جمع الناس على أُبيّ، وتميم الداريّ، ﷺ[4]، وتابعه الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك، ومَنْ بعدَهم، والله الموفق.

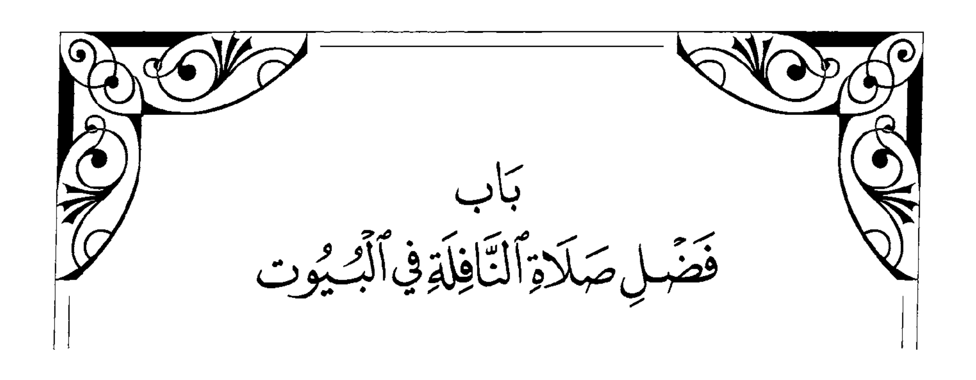


(١) المرجع السابق (٢/ ١٧)، والحديث رواه البخاري (٢٠١٢)، ومسلم (٧٦١/ ١٧٧).

(٢) تقدم تخريجه بداية الباب.

(٣) تقدم تخريجه قريبًا من حديث أبي ذر ﷺ.

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧٧٣٠) عن السائب بن يزيد. وروى البخاري (٢٠١٠) جَمْعَ عمر ﷺ للمسلمين على أُبَيّ بن كعب ﷺ فقط، وذلك من حديث عبد الرحمن بن عبد القاري.



بَاب
فَضْلِ صَلَاةِ ٱلنَّافِلَةِ فِي ٱلْبُيُوت

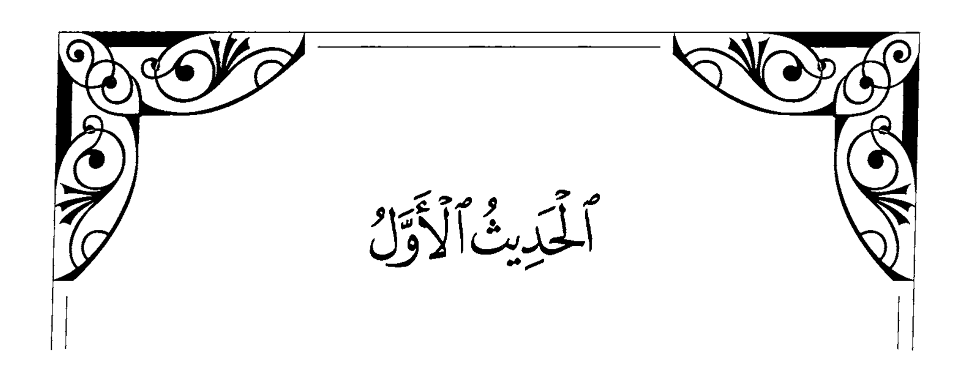
اعلم أن فعل السنن الراتبة، بل فعل النوافل كلها ـ سوى ما تشرع له الجماعة ـ وتحية المسجد، وكذا سنة الوضوء، في البيت أفضل منها في المسجد.

وفي «المبدع»: فعل الرواتب جميعِها في البيت أفضلُ منها في المسجد في قول الجمهور، وعنه: سنة المغرب والفجر، زاد في «المغني»: والعشاء، والباقي في المسجد؛ لأن ابن عمر رضي الله عنهما أخبر أن النبي ﷺ صلاهن في بيته، متفق عليه[1].

وذكر الحافظ المصنف ـ قدس الله روحه ـ في هذا الباب حديثين.

* * *

(١) انظر: «المبدع» لابن مفلح (٢/ ١٥)، والحديث رواه البخاري (١١٧٢)، ومسلم (٧٢٩/ ١٠٤).



الحَدِيثُ الأَوَّلُ

٧٥ ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: احْتَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُجَيْرَةً بِخَصَفَةٍ أَوْ حَصِيرٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي فِيهَا، قَالَ: فَتَتَبَّعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ وَجَاؤُوا يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ، قَالَ: ثُمَّ جَاؤُوا لَيْلَةً فَحَضَرُوا وَأَبْطَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ، قَالَ: فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَحَصَبُوا الْبَابَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُغْضَبًا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَالَ بِكُمْ صَنِيعُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكْتَبُ عَلَيْكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلاَةِ فِي بُيُوتِكُمْ؛ فَإِنَّ خَيْرَ صَلاَةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ، إِلَّا الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ». رواه مسلم(١)، ورواه البخاري بنحوه(٢).

(عن) أبي سعيد (زيدِ بنِ ثابت) بنِ الضحاك بـن زيـدِ بـنِ لـوذانَ بـنِ عمرِو بنِ عبدِ بنِ عوفِ بنِ غنمِ بنِ مالكِ بنِ النجارِ الأنصاريِّ، وقيل: يكنى بأبي خارجة، وقيل: بأبي عبد الرحمن.

وكان زيد بن ثابت (رضي الله عنه) كاتبَ النبيِّ ﷺ، يكتب لـه الـوحْيَ، وكـذا

---

(١) رواه مسلم (٧٨١/ ٢١٣).

(٢) رواه البخاري (٦١١٣).

المراسلات، ولما قدم النبي ﷺ المدينة، كان عمره إحدى عشرة سنة، وكان له يوم بُعاث ست سنين، وفيها قُتل أبوه.

واستصغره النبي ﷺ يومَ بدر مع من استصغره، فلم يشهدها، ثم شهد أُحدًا وما بعدها، وقيل: أولُ مشاهده الخندق، وأعطاه النبي ﷺ يوم تبوك راية بني النجار، وقال: «بالقرآن تقدَّم، وزيدٌ أكثرُ أخذًا للقرآن»[1].

وكان أعلمَ الصحابة بالفرائض، وقال النبي ﷺ فيه: «أفرضُكم زيد»[2].

وكان أحدَ فقهاء الصحابة الجلَّة، وأحدَ أصحاب المذاهب من الصحابة، وهو أحد من جمع القرآن وكتبه في خلافة أبي بكر، ونقله من الصحف في زمن عثمان.

مات رضي الله عنه بالمدينة سنة خمس وأربعين، وقيل: اثنتين، وقيل: ثلاث، وله ست وخمسون سنة.

روى عنه: عمر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وابناه خارجة وسليمان، وغيرهم.

روي له عن رسول الله ﷺ اثنان وسبعون حديثًا، اتفق الشيخان على خمسة، وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بحديث.

---

(١) كذا في الأصل، وعند ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٣٣٢): كانت راية بني مالك بن النجار يوم تبوك مع عمارة بن حزم، فأخذها رسول الله ﷺ ودفعها إلى زيد بن ثابت، فقال عمارة: يا رسول الله! بلغك عني شيء؟ قال: «لا، ولكن القرآن مقدم، وزيد أكثر أخذًا للقرآن منك». ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/ ٣٦) في خبر طويل عن عدَّة رواة، دخل حديث بعضهم في بعض.

(٢) هكذا اشتهر على الألسن، وقد رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٩٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ: «أفرضُ أمتي زيدُ بن ثابت».

(قال) زيد بن ثابت ﷺ: (احتجرَ رسولُ الله ﷺ حَجِيرة) ـ بفتح الحاء المهملة وكسر الجيم، فتحتية ساكنة، فراء، فهاء تأنيث؛ ـ أي: اتخذ مثل الحجرة، وفي رواية للكشميهني من نسخ البخاري: (احتجز) ـ بالزاي بدل الراء ـ؛ أي: بما جعله حاجزًا بينه وبين غيره.

ثم بيَّن زيدٌ ﷺ ما احتجر به فقال: (بخصفة)، ووقع لغير ابن السكن: (حجرة مخصفة)، والأولُ أبينُ؛ أي: اقتطعها عن الناس بخصفة، والخَصفة ـ بالخاء المعجمة المفتوحة والصاد المهملة، ففاء محركة ـ الجُلَّة تُعمل من الخوص، والثوبُ الغليظ جدًّا، والمراد هنا: الأولُ، وهي نوع من الحصر، وأصلُ الخصف: الجمع والضم، يدل له قوله: (أو حصيرة)، وهي ما تنسج من نحو قشٍّ أو غيره من جميع الأشياء؛ كما في «القاموس»[1].

(فخرج رسول الله ﷺ) من بيته، (فصلى فيها)؛ أي: تلك الحجيرة المتخذة له من نحو الحصيرة، (فتتبع)؛ أي: قصد ومشى (إليه رجال) من أصحابه.

وفي رواية: (فثاب الناس)[2] ـ بمثلثة فموحدة ـ؛ أي: اجتمعوا.

ووقع عند الخطابي: (آبوا)[3]؛ أي: رجعوا.

وفي رواية: (فثاروا)[4] ـ بالمثلثة ـ؛ أي: قاموا.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: حصر).

(٢) رواه البخاري (٧٣٠) بلفظ: «فثاب إليه ناس».

(٣) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي (١/ ٤٨٤)، وفيه: «فآب إليه ناس».

(٤) لم نقف على هذه الرواية، وعند أبي الوقت وابن عساكر وأبي ذر عن الحموي =

(وجاؤوا يصلون) مع النبي ﷺ (بصلاته)، فصفوا وراءه.

وفي «سنن أبي داود» عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها: أنها هي التي نصبت له الحصير على باب بيتها[1]، فكان ﷺ يصلي بهم وهو داخل الحجرة التي نصبتها عائشة رضي الله عنها له، وهم خارجَها مقتدون به.

(قال) زيد بن ثابت رضي الله عنه: (ثم جاؤوا)؛ أي: أصحابه (ليلة) أخرى، وذلك في شهر رمضان، كما قاله في «جامع الأصول» عن عبد الأعلى[2]، (فحضروا) في المسجد النبوي، (وأبطأ رسولُ الله ﷺ عنهم، قال) زيد بن ثابت: (فلم يخرج) النبي ﷺ (إليهم) ليصلوا بصلاته، (فرفعوا أصواتهم) بالتسبيح والذكر ليسمعهم فيخرجَ إليهم؛ لأنهم ظنوا أنه ﷺ نائم، (وحصبوا الباب)؛ أي: باب بيت النبي ﷺ؛ أي: رموه بالحجارة الصغيرة من الحصى؛ ليستيقظ من نومه في ظنهم، (فخرج إليهم رسولُ الله ﷺ مغضبًا) من فعلهم وصنيعهم الذي ارتكبوه عن غير أمر، (فقال لهم رسولُ الله ﷺ: ما زال)؛ أي: ما انفكَّ ولا برحَ (بكم) معشرَ مَنْ حضر وفعلَ ما فعل (صنيعُكم) الذي صنعتموه؛ من رفع أصواتكم واجتماعكم، وحصبِ بابِ نبيكم (حتى ظننتُ أنه)؛ أي: قيامُ الليل، (سيُكتب)؛ أي: يفرض (عليكم، ولو كُتب

= والكشميهني: (فثار). انظر: «إرشاد الساري» للقسطلاني (٢/ ٦٩).

(١) رواه أبو داود (١٣٧٤).

(٢) الحافظ المحدث أبو يحيى عبد الأعلى بن حماد بن نصر الباهلي مولاهم، البصري، المعروف بالنرسي، وثقه أبو حاتم وغيره، حدث عن حماد بن سلمة ومالك بن أنس وغيرهما، وعنه البخاري ومسلم وأبو داود. توفي سنة (٢٣٧هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١/ ٢٨).

عليكم) قيامُ الليل، **(ما قمتم به)**؛ لمشقة معالجة النوم، وميل النفوس إلى الراحة، ولاسيما في الليل الذي جعله الله تعالى للناس ليسكنوا فيه ويرتاحوا من التعب والنصب.

وفي «سنن أبي داود» مِن حديث زيد بن ثابت ﷺ: أن رسول الله ﷺ اتخذ حجرة في المسجد من حصير، فصلى رسول الله ﷺ فيها ليالي، فاجتمع إليه ناس، ثم فقدوا صوته ليلةً، وظنوا أنه قد نام، فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج، فلم يخرج، فلما خرج للصبح، قال: «ما زال بكم الذي رأيتُ من صنيعكم حتى خشيتُ أن يُكتب عليكم، ولو كُتب عليكم ما قمتم به»[1].

(فعليكم بالصلاة)؛ أي: الزموا الصلاة النافلة وافعلوها **(في بيوتكم)**، وفي لفظ رواية أبي داود: «فصلوا أيها الناس في بيوتكم»[2]؛ **(فإن خير صلاة المرء في بيته)**، ولفظ أبي داود: «فإن أفضل الصلاة صلاةُ المرء في بيته»[3]، **(إلا الصلاةَ المكتوبةَ)**؛ فهي في المساجد أفضلُ وأكمل.

ظاهر هذا يشمل جميع النوافل؛ لأن المراد بالمكتوبة المفروضة، لكنه محمول على ما لا تُشرع له الجماعة، وكذا ما لا يخص المسجد؛ كركعتي التحية، لكن تحية المسجد إنما تشرع في المساجد دون البيوت، وهل

(١) رواه أبو داود (١٤٤٧) بلفظ: «يا أيها الناس! ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أن ستكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته، إلا الصلاة المكتوبة».

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) انظر التعليق السابق.

يدخل ما وجب لعارض كالمنذورة؟ فيه نظر.

والمراد بـ (المرء) جنسُ الرجال دون النساء[1]؛ لثبوت قوله ﷺ: «لا تمنعوهن المساجدَ، وبيوتُهن خيرٌ لهنّ»، أخرجه مسلم[2].

قال النووي رحمه الله تعالى: إنما حثَّ على النافلة في البيت؛ لكونه أخفى وأبعدَ من الرياء، وليتبركَ البيت بذلك، فتنزل فيه الرحمة، وينفر منه الشيطان[3].

وعلى هذا يمكن أن يخرج بقوله: (في بيته) بيت غيره، ولو أمن فيه الرياء ـ كما في «الفتح»[4] ـ.

---

(١) لا مبرِّر لهذا التخصيص، فإذا كانت صلاة النافلة أفضل في البيوت للرجال، فبالأولى أن تكون كذلك للنساء.

أما لغويًّا؛ فقد قال ابن سيده في «المخصص» (٥/ ٦٧): قولُهم: امْرُؤ للمذَكَّر، وامْرأةٌ للمؤنَّث، وهذا الاسمُ يُستَعْمَل على ضربين: أحدُهما: أن تلحَقَ أوّله همزةُ الوصل، والآخَر: أن لا تَلْحَقه، فمثال الأول نحو: امْرِئٍ وامْرَأةٍ، وفي التنزيل: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾[النساء: ١٧٦]، ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ﴾[النساء: ١٢٨]، والآخَر: مَرْءٌ ومَرْأة، وفي القرآن الكريم: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[الأنفال: ٢٤]. اهـ.

(٢) رواه مسلم (٤٤٢/ ١٣٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»، وهذا لاينافي أفضلية النافلة للمرأة في بيتها.

ورواه أبو داود (٥٦٧) من حديثه بلفظ: «لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهنَّ خير لهنَّ».

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٦٧).

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٢١٦).

(هكذا)؛ أي: حسبما ذكره المصنف الحافظ ـ قدس الله روحه ـ (رواه) أبو الحسين (مسلمُ) بنُ الحجاج في «صحيحه»، (ورواه البخاري) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله ـ رحمهما الله تعالى ـ (بنحوه)؛ أي: نحو ما رواه مسلم، وليس بين لفظيهما تفاوت، إلا كقول البخاري: «فإن أفضل الصلاة صلاةُ المرء في بيته إلا المكتوبةَ»، وكإسقاط أحدِهما: «ولو كُتب عليكم ما قمتم به».

وفي حديث أم المؤمنين عائشة الصدِّيقة ﵂ قالت: إن النبي ﷺ صلى في المسجد، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة، فكثُر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة، فلم يخرج إليهم رسولُ الله ﷺ، فلما أصبح قال: «قد رأيتُ الذي صنعتم، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيتُ أن يُفرض عليكم، وذلك في رمضان»[1].

وفي رواية قالت ﵂: كان الناس يصلون في المسجد في رمضان أَوْزَاعًا، فأمرني رسول الله ﷺ، فضربت له حصيرًا، فصلى، رواه أبو داود[2].

وفي الصحيحين عنها ﵂: أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الليل، فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون بذلك، فاجتمع أكثر منهم، فخرج رسول الله ﷺ في الليلة الثانية، فصلى بصلاته، فأصبح الناس يذكرون ذلك، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج، فصلوا بصلاته، فلما كان الليلة الرابعة، عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم رسولُ الله ﷺ، فطفق رجال منهم يكبرون ليُسمعوه، فلا يخرج إليهم

---

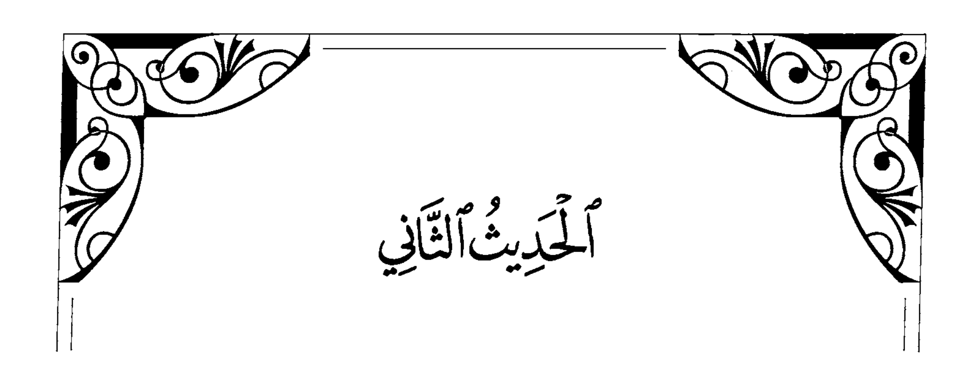
(١) رواه البخاري (١١٢٩)، ومسلم (٧٦١/ ١٧٧).

(٢) رواه أبو داود (١٣٧٤).

رسول الله ﷺ حتى خرج لصلاة الفجر، ثم قال: «أما بعد: فإنه لم يَخْفَ عليَّ شأنُكُمْ الليلة، ولكن خشيتُ أن تُفرض عليكم صلاة الليل، فتعجزوا عنها، وذلك في رمضان»، فتوفي رسول الله ﷺ والأمرُ على ذلك[1]، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٢٠١٢)، ومسلم (٧٦١/ ١٧٨).



الحَدِيثُ الثَّانِي

٧٦ ـ عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِالله ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمُ الصَّلاةَ فِي مَسْجِدِهِ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلاتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاتِهِ خَيْرًا». رواه مسلم[(١)].

(عن) أبي عبدالله **(جابرِ بنِ عبدِالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قضى أحدُكم)** معشرَ المسلمين **(الصلاةَ)** المكتوبةَ مع الجماعة **(في مسجده)**؛ أي: المسجد الجامع، **(فليجعلْ)** أَمْرُ استحباب **(لبيته)** الذي هو ساكنٌ فيه **(نصيبًا)**؛ أي: جزءًا وسهمًا **(من صلاته)**، وهي السنن الراتبة وغيرها من النوافل، إلا ما استثني منها؛ كسنَّة الجمعة القبلية[(٢)]، وركعتي

---

(١) رواه مسلم (٧٧٨/ ٢١٠).

(٢) وقع الخلاف في مشروعية سنة الجمعة القبلية قديمًا وحديثًا، ولم يأت المتكلمون اليوم عنها بأكثر مما جاء به الأولون، فقال بمشروعيتها أبو حنيفة، وأصحاب الشافعي في أظهر الوجهين عندهم، والحنابلة في غير المشهور أيضًا، ولم يقل بمشروعيتها مالك، والحنابلة في المشهور عنهم، ومن أشد المتعصبين لعدم مشروعيتها ابن قيم الجوزية الحنبلي الذي خالف إمامه ابن تيمية فيها، يقول ابن قيم الجوزية [«زاد المعاد» (١/ ١١٨)] في بيان وجه الاستدلال: إن النبي ـ

الإحرام، وركعتي الطواف، وقال بعضهم: وإلا صلاة الضحى؛ لما في حديث أبي أمامة ﷺ: أنه ﷺ قال: «من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاجّ المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا يُنصبه إلا إياه، فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتابٌ في عليين»، رواه أبو داود[1].

وكذلك تستثنى صلاة الاستخارة، وصلاة القادم من السفر، وكذا مشيه؛ أي: صلاته في حال ذهابه إلى السفر، حيث سنت؛ أي: ما لم يكن

= يخرج من بيته، فإذا رقي المنبر، أخذ بلال في أذان الجمعة، فإذا أكمله، أخذ النبي ﷺ في الخطبة من غير فصل، فمتى كانوا يصلون السنة؟ ومن ظن أنهم كانوا إذا فرغ بلال من الأذان قاموا كلهم فركعوا ركعتين، فهو أجهل الناس بالسنة.

وكذلك شهاب الدين أبو شامة الشافعي الذي خالف ابن حجر العسقلاني وعموم الأصحاب ورجال المذاهب.

وعند الأحناف يسن صلاة أربع قبلها وأربع بعدها، وعند الشافعية كالظهر.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقال في «فتاويه» [«مجموع الفتاوى» (٢٤/ ١٩٤)]: إن صلاة ركعتين قبل الجمعة جائزة وحسنة وإن لم تكن راتبة...

ثم قال: فمن فعل ذلك، لم يُنكر عليه، ومن ترك ذلك، لم ينكر عليه، وهذا أعدل الأقوال، وكلام الإمام أحمد يدل عليه. اهـ «فتاوى الأزهر» (٩/ ١٧)، موقع وزارة الأوقاف المصرية، باختصار.

وارجع إن شئت المزيد إلى «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (١/ ٤١٧) تحت عنوان: (لا سُنَّةَ قَبْلَ الْخُطْبَةِ). وكذلك «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» تحت عنوان: (مسألة الصلاة بعد الأذان الأول يوم الجمعة).

(١) تقدم تخريجه.

وقت نهي، ونحو ذلك مما مر.

(**فإن الله**) تبارك وتعالى (**جاعلٌ في بيته من صلاته خيرًا**)، فـ(مِن) هنا سببية، بمعنى: من أجل، والخير الذي يجعل في البيت بسبب التنفل فيه: هو عمارته بذكر الله تعالى، وبطاعته، وحضور الملائكة واستغفارهم، وما يحصل لأهله من الثواب.

(**رواه مسلم**) في «صحيحه» وغيره، ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» من حديث أبي سعيد[1].

وفي الصحيحين، وأبي داود، والترمذي، والنسائي من حديث ابن عمر ﵄: أن النبي ﷺ قال: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورًا»[2].

وقال الحافظ الضياء المصنف رحمه الله تعالى في «المختارة» من حديث عائشة ﵂[3]؛ أي: لا تجعلوا بيوتكم وطنًا للنوم فقط ولا تصلوا فيها؛ فإن النومَ أخو الموت.

وقيل: المراد من لم يصل في بيته شيئًا، جعل نفسه كالميت، وبيته كالقبر.

---

(١) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٠٦).

(٢) رواه البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧/ ٢٠٨)، وأبو داود (١٠٤٣)، والترمذي (٤٥١)، والنسائي (١٥٩٨).

(٣) هو حديث عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تجعلوها عليكم قبورًا»، رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٦٥)، ولم نقف عليه عند الضياء.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مَثَل البيت الذي يُذكر الله فيه والبيت الذي لا يُذكر الله فيه، مثلُ الحيِّ والميت»[1].

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن ابن ماجه»، و«صحيح ابن خزيمة» عن أبي عبد الرحمن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ: أيما أفضل، الصلاةُ في بيتي، أو الصلاة في المسجد؟ قال: «ألا ترى إلى بيتي ما أقربه من المسجد، فَلأَنْ أصلي في بيتي أحبُّ إليّ من أن أصلي في المسجد، إلا أن تكون صلاةً مكتوبة»[2].

وفي «صحيح ابن خزيمة» عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: خرج نفر من أهل العراق إلى عمر، فلما قدموا عليه، سألوه عن صلاة الرجل في بيته، فقال عمر ﷺ: سألت رسولَ الله ﷺ، فقال: «أما صلاة الرجل في بيته، فنورٌ، فنوروا بيوتكم»[3].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩/ ٢١١).

(٢) كذا عزاه المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ١٧١)، وتبعه المؤلف هنا، والصواب: عبدالله بن سعد ﷺ. انظر: «عجالة الإملاء» لبرهان الدين الحلبي (١/ ٨٨)، والحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٤٢)، وابن ماجه (١٣٧٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٠٢).

(٣) لم نقف عليه عند ابن خزيمة، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦٤٦٠)، وابن ماجه (١٣٧٥).

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٨): إسناده ضعيف من الطريقين؛ لأن مدار الإسنادين في الحديث على عاصم بن عمرو، وهو ضعيف، ذكره =

وأخرج البيهقي بإسناد جيد عن رجل من أصحاب رسـول الله ﷺ أراه رفعه، قال: «فضلُ صلاة الرجل في بيته على صلاته حيثُ يراه النـاس كفـضل الفريضة على التطوع»[1].

وفي «صحيح ابن خزيمة» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا بيوتكم ببعض صلاتكم»[2]، والله تعالى أعلم.

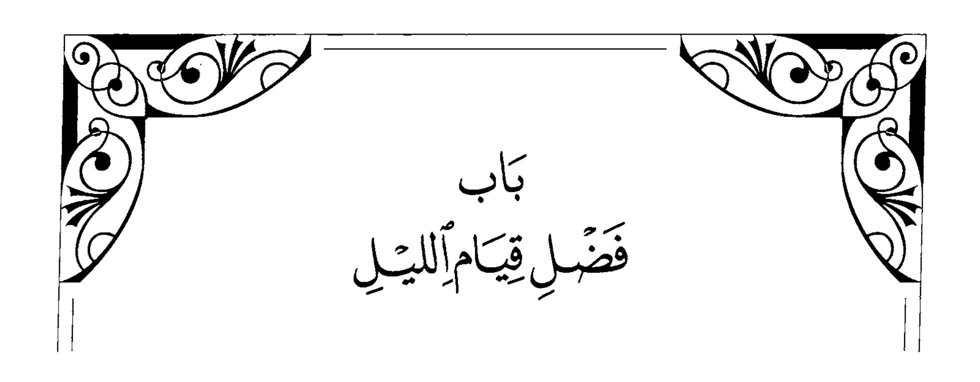
❐❐❐

= العقيلي في «الضعفاء»، وقال البخاري: لم يثبت حديثه.

قلت: رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده»، ورواه مسدد في «مسنده» عن طـارق ابن عبد الرحمن بإسناده ومتنه مع زيادة كما بيَّنته في زوائد المسانيد العـشرة، وأصـله في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر. اهـ كلام البوصيري.

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٨٩).

(٢) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٠٧).



باب فضل قيام الليل

اعلم ـ رحمك الله ـ : أن صلاة الليل أفضلُ من صلاة النهار، وهل هي أفضل من السنن الرواتب؟ فيه خلاف؛ قال الإمام أحمد ﷺ : ليس بعد المكتوبة أفضلُ من قيام الليل[١].

ويأتي حديث أبي هريرة ﷺ : «أفضلُ الصلاة بعد الفريضة صلاةُ الليل»[٢].

وفي «صحيح مسلم» من حديث جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في الليل ساعةً لا يوافقها رجلٌ مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كلَّ ليلة»[٣].

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُم، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ

---

(١) نقله ابن مفلح في «المبدع» (٢/ ٢٠).

(٢) رواه مسلم (١١٦٣)، ولفظه: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

(٣) رواه مسلم (٧٥٧).

الإثْمِ»، رواه الترمذي في «جامعه»، وابنُ أبي الدنيا في «كتاب التهجّد»، وابن خزيمة في «صحيحه»، والحاكم، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري[1].

ورواه الطبراني في «الكبير» من حديث سلمان الفارسي ﷺ، وزاد بعد: «ومنهاة عن الإثم»: «ومَطْردةٌ للداء عن الجسد»[2]. ورواه الترمذي من حديث بلال ﷺ أيضًا[3].

وإنما فُضلت صلاةُ الليل عن صلاة النهار؛ لأنه محلُّ الغفلة، وعملُ السر أفضلُ من عمل العلانية، ولأنه وقتُ التجلي، كما يأتي شيء من هذا في آخر الباب.

وقيامُ الليل من المغرب إلى طلوع الفجر.

وذكر الحافظ المصنف ـ قدس الله روحه ـ في هذا الباب خمسة أحاديث.

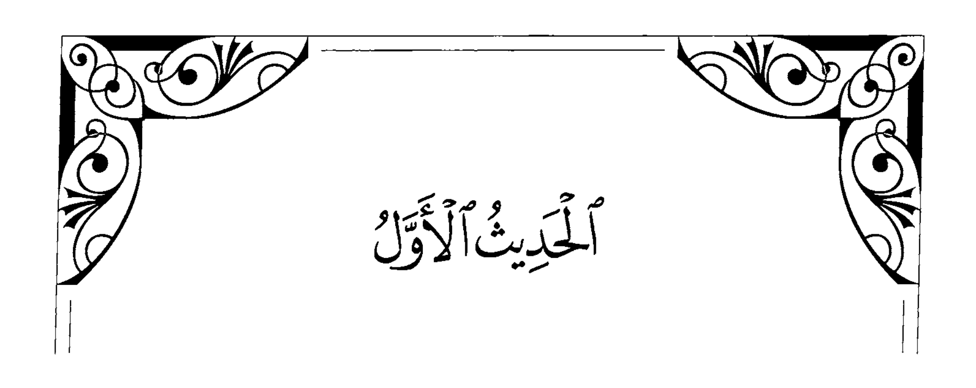
* * *

---

(١) رواه الترمذي عقب حديث (٣٥٤٩)، وابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١١٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (١١٥٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦١٥٤).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٤٩).



الحَدِيثُ الأَوَّلُ

٧٧ ـ عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ؛ وَإِلا، أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ». رواه البخاري، ومسلم[1].

(عن أبي هريرة) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ: **أن رسول الله ﷺ قال: يعقد الشيطان)**؛ أي: إبليس، أو أحد بنيه وذريته من سائر الشياطين.

وهل هذه العقدة حقيقية كعقد السحر، أو هو قول يقوله، أو فعل يفعله؟ وقيل: هو من عقد القلب، فكأنه يوسوس فيه ببقاء الليل، وقيل: هو مجاز، كنى به عن تثبيط الشيطان وتثقيله للإنسان عن قيام الليل.

(على قافية رأس أحدكم)؛ أي: مؤخره، ومنه سمي آخرُ بيت الشعر: قافيةً، **(إذا هو)**؛ أي: ابنُ آدم، **(نام)** من الليل **(ثلاثَ عقد)** لتأكيد التثبيط، ومزيدِ التثقيل في النوم **(يضربُ مكانَ)**؛ أي: محلَّ **(كلِّ عقدةٍ)** من العقد

---

(١) رواه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

الثلاث، وفي لفظ: «يضرب على كل عقدة مكانها»[1]: (**عليكَ ليلٌ طويـلٌ فارقدْ**)؛ أي: دُمْ نائمًا ولا تستيقظ، برفع (ليـل) علـى الابتـداء، والخبـر: عليك، أو فاعل بإضمار فعل؛ أي: بقي عليك ليل طويل.

وفي مسلم بالنصب: «ليلًا طويلًا»[2]، على الإغراء.

(**فإن استيقظ**) الإنسانُ من نومه، (**فذكر الله**) تعـالى، (**انحلـت**) عنـه (**عقدةٌ**) من الثلاث عُقد التي عقدها الشيطان على قافية رأسه، فيُطلـب مـن الإنسان عندَ استيقاظه من نومه أن يذكر الله تعالى، والحكمة في ذلك: ليكـون أول عمل الإنسان ذكر مولاه، وتوحيد الذي خلقه وسواه، ومبادرة لحل عقـدة من عقد الشيطان، وكيف ذَكَرَ الله تعالى يحـصلُ المقـصود، لكـن الأولـى بالوارد عن صاحب الحوض المورود ﷺ؛ كما يأتي عند فـضل الـذكر عنـد الانتباه من النوم، ومنه: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[3]، «الحمد لله الذي أحياني بعدما أمـاتني وإليـه النشور»، رواه البخاري من حديث حذيفةَ بنِ اليمانِ ﷺ مرفوعًا[4].

وفي مرفوع أبي ذر ﷺ: «لا إله إلا أنت لا شريك لـك، سـبحانك، أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علمًا، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»[5].

---

(١) رواه البخاري (٣٢٦٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (١١٥٤) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

(٤) رواه البخاري (٦٣١٤).

(٥) رواه أبو داود (٥٠٦٣) من حديث عائشة ﷺ، ولم نقف عليه من حديث أبي ذر ﷺ.

ويقول كما في مرفوع أبي هريرة عند ابن السني بسند صحيح: «الحمد لله الذي ردّ عليّ روحي، وعافاني في جسدي، وأَذِنَ لي بذكره»[١].

(فإن توضأ) الوضوءَ الشرعيَّ، **(انحلت عقدةٌ)** ثانية من عُقد الشيطان، فينبغي المبادرةُ إلى ذلك، **(فإن صلى)** ركعتين، **(انحلت عقدة)** ثالثة، ومن ثَمَّ يُسن تخفيف هاتين الركعتين اللتين يفتتح بهما قيام الليل مبادرة لحل عقد الشيطان الثلاث، ولما روى الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «إذا قام أحدكم من الليل، فليفتتحْ صلاته بركعتين خفيفتين»[٢].

(فـ)ـإذا فعل المرء ما ذكر؛ من ذكر الله، والوضوء، والصلاة **(أصبح)**؛ أي: دخل في الصباح **(نشيطًا)** خفيفَ الذات **(طيبَ النفس)**؛ أي: نزهة سمحة نظيفة من غير كسل ولا غضب، **(وإلا)** يفعلْ ما ذُكر من الذكر والوضوء والصلاة، **(أصبح خبيثَ النفس)**؛ أي: متغير النفس **(كسلانَ)**.

قال في «المطالع»: قوله: (وإلا أصبح خبيث النفس)، و«لا يقولن أحدُكم خبثت نفسي»[٣]: هو: تغير النفس وكسلها، وقلة نشاطها، أو غثيانها، أو سوء خلقها. انتهى[٤].

---

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٩)، وقال الإمام النووي في «الأذكار» (ص: ٦): إسناد صحيح.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٩)، ومسلم (٧٦٨)، وأبو داود (١٣٢٣).

(٣) رواه البخاري (٦١٧٩)، ومسلم (٢٢٥٠)، من حديث عائشة ﷺ.

(٤) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٢/ ٤٠٧).

(رواه البخاري، ومسلم) في صحيحيهما[1].

ورواه الإمام مالك، وأصحاب السنن الأربع[2]، وقال ابن ماجه: «فيصبح نشيطًا طيب النفس قد أصاب خيرًا، وإن لم يفعل، أصبح كسلان خبيث النفس لم يصب خيرًا»[3].

ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» بنحوه، وزاد في آخره: «فَحُلُّوا عقدَ الشيطان ولو بركعتين»[4].

وروى ابن خزيمة في «صحيحه» أيضًا من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذكر ولا أنثى إلا على رأسه جرير معقود حين يرقد بالليل، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، وإذا قام توضأ وصلى انحلت العقد، وأصبح خفيفًا طيب النفس قد أصاب خيرًا»[5].

الجرير: الحبل[6]. والله أعلم.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.

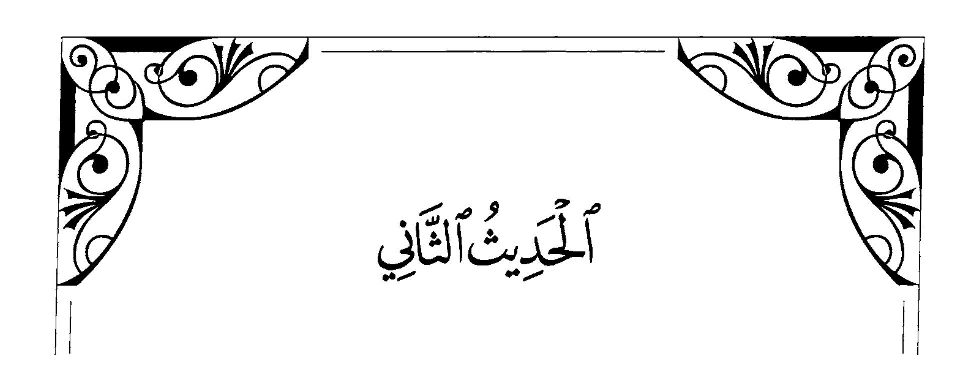
(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (/ ١٧٦)، وأبو داود (١٣٠٦)، والنسائي (١٦٠٧)، وابن ماجه (١٣٢٩)، ولم نقف عليه عند الترمذي.

(٣) رواه ابن ماجه (١٣٢٩).

(٤) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١١٣٢).

(٥) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١١٣٣).

(٦) انظر: «صحيح ابن خزيمة» عقب حديث (١١٣٣).



الحَدِيثُ الثَّانِي

٧٨ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ». رواه أبو داود، وابن ماجه[1].

(عن أبي هريرة) أيضًا (ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله): (رحم): ماض بمعنى الطلب، كأنه قال: اللهم ارحم (رجلًا قام من الليل).

قال ابن رسلان: لا تحصل هذه الفضيلة لمن صلى قبل أن ينام؛ لأن الناشئة لا تكون إلا بعد رقدة، ومن لم يرقد، فلا ناشئة له، كما قاله الإمام أحمد، وهي أشدُّ وطئًا؛ أي: تثبتًا، تفهم ما تقرأ، وتعي أذنك ما تقول[2].

والتهجد لا يكون إلا بعد النوم، ظاهره: ولو يسيرًا.

والنصف الأخير أفضلُ من النصف الأول، وأفضل من الثلث الأوسط؛

---

(١) رواه أبو داود (١٣٠٨)، وابن ماجه (١٣٣٦).

(٢) نقله البهوتي في «كشاف القناع» (١/ ٤٣٥).

لحديث عمرو بن عَبَسة[1] ﷺ قال: قلتُ: يا رسول الله! أي الليل أسـمعُ؟ قال: «جوفُ الليل الآخر، فَصَلِّ ما شئت»[2].

وفي الصحيحين: «ينزل ربنا كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلثُ الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يـسألني فأعطيـه؟ مـن يستغفرني فأغفر له؟»[3]، وفي رواية لمسلم: «حين يمضي ثلث الليل»[4]، وفي أخرى له: «إذا مضى شطر الليل، أو ثلثاه»[5].

قال ابن حبان في «صحيحه»: يحتمل أن يكون النزول في بعض الليـالي هكذا، وفي بعضها هكذا[6].

وثلث الليل بعد نصفه أفضلُ من غيره، نص عليه الإمام أحمـد[7]؛ كمـا في الصحيحين والسنن وغيرها من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «أحبُّ الصلاة إلى الله صـلاةُ داود، وأحـبُّ الـصيام إلى الله صيامُ داود، وكان ينام نصف الليـل، ويقـوم ثلثـه، وينـام سدسـه، ويصوم يومًا، ويفطر يومًا»[8]، وفي لفظ: «أفضل الصلاة صلاة داود، كـان

---

(١) في الأصل: «عنبسة»، والمثبت من مصدر التخريج.

(٢) رواه أبو داود (١٢٧٧).

(٣) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨/ ١٦٨)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه مسلم (٧٥٨/ ١٦٩).

(٥) رواه مسلم (٧٥٨/ ١٧٠).

(٦) انظر: «صحيح ابن حبان» عقب حديث (٩٢١).

(٧) انظر: «الإنصاف» للمرداوي (٢/ ١٨٦).

(٨) رواه البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩)، وأبو داود (٢٤٤٨)، والنسائي =

ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه»[1].

قال الإمام أحمد: إذا نام بعد تهجّده، لم يبن عليه السهر[2].

وكان دأب السلف الصالح الاجتهاد في إخفاء تهجدهم.

وقال المحقق ابن القيم في «الهدي»: كان النبي ﷺ يقوم تارة إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل، وربما كان يقوم إذا سمع الصارخ ـ وهو الديك، والصراخ صوتُه ـ، وإنما يصيح غالبًا في النصف الثاني[3].

عن مسروقِ بنِ الأجدعِ قال: سألت عائشةَ ﵂: أيُّ العمل أحبُّ إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: الدائم، ثم قلت: فأيَّ حين كان يقوم من الليل؟ قالت: كان يقوم إذا سمع الصارخ... الحديث، رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما[4].

(فصلى) من ليله ما كُتب له، **(وأيقظ امرأته)** لتصلي ما كُتب لها من الليل؛ ليتعاونا على البر والتقوى، وفي رواية لأبي داود: «إذا أيقظ الرجل أهله»[5]، وهو أعمُّ؛ لشموله الولدَ والأقارب، **(فإن أبت)**؛ أي: امتنعت

= (٢٣٤٤)، وابن ماجه (١٧١٢).

(١) أورده ابن الجوزي في «كشف المشكل» (٤/ ٣٥٢) باللفظ المذكور، ولم نقف عليه مسندًا.

(٢) نقله ابن مفلح في «الفروع» (١/ ٤٩٩).

(٣) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (١/ ٣٢٨).

(٤) رواه البخاري (٦٤٦١)، ومسلم (٧٤١).

(٥) رواه أبو داود (١٣٠٩) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة ﵄.

أن تستيقظ؛ لغلبة النوم عليها، **(نضح في وجهها الماء)**، وفي «المعجم الكبير» للطبراني من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ مرفوعًا: «فإن غلبها النوم، نضحَ في وجهها الماء»[1]. وفي رواية ابن ماجه: «رشَّ» بدل «نضح»[2].

ولا يتعين في هذا الماء أن يكون طهورًا، وإن كان هو الأولى، لا سيما إن كان من فضل طهوره، بل يجوز بما في معناه؛ كماء الورد والزهر؛ وخص الوجه بالنضح؛ لأنه أفضل الأعضاء وأشرفها، وبه يذهب النوم والنعاس أكثر من بقية الأعضاء، وهو أول الأعضاء المفروضة غسلًا، وفيه العينان هما آلة النوم.

(ورحم الله امرأة) فيه الدعاء بالرحمة للحي كما يدعى بها للميت، وفيه مشروعية إيقاظ النائم للتنفل، كما يشرع للفرض، وهو من المعاونة على البر والتقوى، **(قامت من الليل)**: (من) للتبعيض، **(فصلت)** ما كُتب لها حسبَ عادتها، **(وأيقظت زوجها)** ليصلي صلاته المعتادَ عليها إن كانت، **(فإن أبى)** أن يستيقظ؛ لغلبة النعاس عليه، **(نضحت)**، وفي رواية: «رشت»[3]، **(في وجهه الماء)**؛ ليذهب نعاسه، ويطير نومه.

(رواه أبو داود، وابن ماجه) في سننهما[4]، ورواه ـ أيضًا ـ النسائي،

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤٤٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٦٣): وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف.

(٢) رواه ابن ماجه (١٣٣٦).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم[1].

وعند الطبراني من حديث أبي مالك: «فيقومان في بيتهما، فيذكران الله ﷻ ساعة من ليل، إلا غُفر لهما»[2].

وفي «سنن أبي داود» من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا ـ أَوْ صَلَّى ـ رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ»[3].

ورواه النسائي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم، وألفاظهم متقاربة: «من استيقظ من الليل، وأيقظ أهله، فصليا ركعتين ـ زاد النسائي: جميعًا ـ كُتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات»، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين[4].

وقد كان النبي ﷺ يطرق باب فاطمة وعليّ رضي الله عنهما يقول: «ألا تصليان؟»[5].

---

(١) رواه النسائي (١٦١٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١١٤٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (١١٦٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤٤٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٦٣): وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف.

(٣) رواه أبو داود (١٣٠٩).

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٣١٠)، وابن ماجه (١٣٣٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (١١٨٩)، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٥) رواه البخاري (١١٢٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

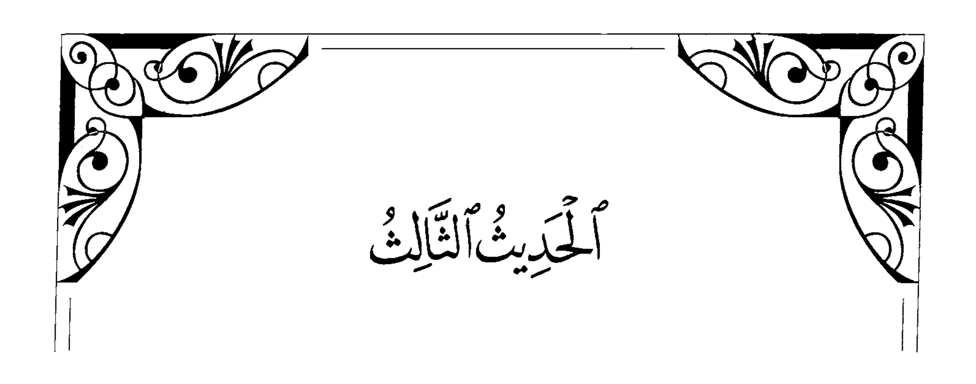
وكانت امرأة حبيب العجمي[1] توقظه بالليل، وتقول: ذهب الليـل، وبين يدينا طريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافلُ الصالحين قد سـارت قـدامنا، ونحن قد بقينا[2]. وبالله التوفيق.

* * *

---

(١) هو أبو محمد حبيب العجمي البـصري، أحـد الزهـاد المـشهورين الموصـوفين بالزهد والورع والكرامات واستجابة الدعاء، ثقة، من السادسة. انظر: «تهـذيب الكمال» للمزي (٥/ ٣٨٩)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (ص: ١٥١).

(٢) أورده ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ٣٥).



الْحَدِيثُ الثَّالِثُ

٧٩ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَكُنْتُ غُلامًا شَابًّا أَعْزَبَ، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ آخَرُ، فَقَالَ لِي: لَنْ تُرَاعَ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُاللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ».

قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُاللَّهِ لا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلا قَلِيلًا.

رواه البخاري، ومسلم(١).

(عن) أبي عبدِ الرحمن **(عبدِالله بنِ عمرَ ﵄ قال: كان الرجل)** من أصحاب النبي **(في حياة النبي ﷺ إذا رأى)** في نومه **(رؤيا قصها على النبي ﷺ)**؛ أي: أخبره بها، يقال: قصصت الرؤيا على فلان: إذا أخبرته

---

(١) رواه البخاري (٣٧٣٨، ٣٧٣٩)، ومسلم (٢٤٧٩).

بها، أَقُصُّها قَصًّا، والقصُّ: البيان، والقَصَص ـ بالفتح ـ الاسم، وبالكسر: جمع قصة، والقاصّ: الذي يأتي بالقصة على وجهها؛ كأنه يتبع معانيها وألفاظها.

ورؤيا المؤمن جزء من أجزاء النبوة، وقد وردت عن النبي ﷺ بأعداد مختلفة: فورد من حديث أنسٍ عند الإمام أحمدَ، والشيخين: «من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[1].

ورواه ـ أيضًا ـ أبو داود، والترمذي من حديث عُبادة بنِ الصامتِ[2].

والإمامُ أحمد، والشيخان، وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[3].

ولمسلم من حديث أبي هريرة[4]: «من خمسة وأربعين جزءًا»[5].

وله أيضًا: «سبعين»[6].

وللطبراني: «من ستة وسبعين»[7].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٠٦)، والبخاري (٦٩٨٣)، ومسلم (٢٢٦٤).

(٢) رواه أبو داود (٥٠١٨)، والترمذي (٢٢٧١). ورواه البخاري (٦٩٨٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٣)، والبخاري (٦٩٨٨)، ومسلم (٢٢٦٣)، وابن ماجه (٣٨٩٤).

(٤) في الأصل: «ذر»، والتصويب من «صحيح مسلم».

(٥) رواه مسلم (٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه مسلم (٢٢٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٧) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٤٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ولابن عبد البر: «من ستة وعشرين»[1].

وللإمام أحمد: «من خمسين جزءًا»، وكذا للطبراني في «الكبير» من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه[2].

وللترمذي: «من أربعين»[3].

وللطبري: «من تسعة وأربعين»[4].

وللقرطبي: «من سبعة ـ بتقديم السين ـ وأربعين»[5].

وللطبراني ـ أيضًا ـ: «من أربعة وأربعين»[6].

فتلخَّص من الروايات عشرةُ أوجه، أقلها جزء من ستة وعشرين، وأكثرها من ستة وسبعين، وبين ذلك: أربعين، وأربعة وأربعين، وخمسة وأربعين، وستة وأربعين، وسبعة وأربعين، وتسعة وأربعين، وخمسين، وسبعين، وأصحُّها مطلقًا ستة وأربعون، ويليه السبعون، وجمع بعضهم

---

(١) رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ٢٨٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: حسن الإسناد.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٨١٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧٣): وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات. ولم نقف عليه عند الإمام أحمد.

(٣) رواه الترمذي (٢٢٧٨) من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبراني في «تفسيره» (١١/ ١٣٥) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٥) أورده القرطبي في «المفهم» (٦/ ١٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٦) ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣٥) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ولم نقف عليه عند الطبراني.

بأن ذلك بحسب مراتب الأشخاص.

قال القرطبي: المسلم الصادق الصالح يناسب حالُه حالَ الأنبياء، وهو الاطلاع على الغيب؛ بخلاف الكافر والفاسق والمخلط[1].

ومعنى كون رؤيا المؤمن جزءًا من النبوة على سبيل المجاز، وهي أنها تجيء على موافقة النبوة؛ لأنها من علمها، وإن انقطعت النبوة بموت النبي ﷺ، فعلمُها باق.

وقيل: المراد: أنها تشابهها في صدق الإخبار عن الغيب.

وقيل: إن مدة الوحي كانت ثلاثًا وعشرين سنة، منها ستة أشهر منام، وذلك جزء من ستة وأربعين.

قال الحافظ جلال الدين السيوطي: هذا عندي من الأحاديث المتشابهة التي نؤمن بها، ونكِل معناها المراد إلى قائله ﷺ، ولا نخوض في تعيين هذا الجزء من هذا العدد، ولا في حكمته، خصوصًا وقد اختلفت الروايات في كمية العدد[2]، كما قدمنا آنفًا.

وفي «معجم الطبراني الكبير» عن عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعًا: «رؤيا المؤمن كلامٌ يكلِّم به العبدَ ربُّه في المنام»[3]، والله ولي الإنعام.

---

(١) انظر: «المفهم» للقرطبي (٦/ ١٣).

(٢) انظر: «الديباج على مسلم» للسيوطي (٥/ ٢٨٤).

(٣) ورواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٠٢٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧٤): رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه. ولم نقف عليه في المطبوع من «المعجم الكبير».

قال ابن عمر رضي الله عنهما: **(فتمنيت)**؛ أي: طلبت ووددت **(أن أرى رؤيا، فأقصَّها على رسول الله ﷺ)**؛ أي: أخبره بها ليفسرها لي ﷺ، فإن المراد: إذا رأى رؤيا حسنة لا يخبر بها إلا من يحبّ، كما في مسلم عن أبي قتادة[1].

وروى الترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «الرؤيا ثلاثة: فبشرى من الله، وحديث النفس، وتخويف من الشيطان، فإذا رأى أحدكم رؤيا تعجبه، فليقصَّها إن شاء، وإن رأى شيئًا يكرهه، فلا يقصه على أحد، وليقمْ يصلي، وأكره الغُلَّ وأحب القَيْد، القيدُ ثباتٌ في الدين»[2].

وفي حديث أبي قتادة رضي الله عنه عند مسلم: «فمن رأى رؤيا فكره منها شيئًا، فليتفل عن يساره، وليتعوذ بالله من الشيطان؛ فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحدًا، فإن رأى رؤيا حسنة، فليبشر، ولا يخبر بها إلا من يحب»[3].

قال ابن عمر رضي الله عنهما: **(وكنت غلامًا)**، وهو الطارُّ الشاربِ[4] من حين يولَد إلى الشيب.

ومن ثم قال: **(شابًّا)**؛ لصدق الغلام على ما دون البلوغ، وعلى ما فوقه إلى الشيب، وجمع الغلام: أَغْلِمَة، وغِلْمَة، وغِلمان، والمرأة غُلامة،

---

(١) رواه مسلم (٢٢٦١).

(٢) رواه الترمذي (٢٢٨٠)، وابن ماجه (٣٩٢٦).

(٣) رواه مسلم (٢٢٦١).

(٤) الغلام الطارّ الشارب؛ أي: الذي بدأ ينبت شاربه. انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: طرر).

والاسمُ الغُلومة، والغُلومية، والغُلامية كما في «القاموس»[1]، والشابّ: الفتى.

قال: **(وكنت)** حينئذ **(أنام في المسجد)** النبويّ؛ لأنه لم يكن تزوج بعد، وذلك **(على عهد)**؛ أي: في حياة **(رسول الله ﷺ)**، ففيه دليل على إباحة النوم في المسجد.

قال: **(فرأيت في النوم كأن مَلَكين)** من ملائكة الله تعالى، وكأنه عرف أنهما ملكان إما بهيئاتهما، أو عرّفاه أنهما ملكان، أو أوقعَ الله ذلك في قلبه، أو نحو ذلك، **(أخذاني)** من مكاني؛ أي: من المسجد النبوي، **(فذهبا بي إلى النار)**؛ أي: المعهودة، وهي نار جهنم، فأوقفاني على شفيرها؛ **(فإذا هي)**؛ أي: مساحة النار والمكان الذي هي فيه **(مَطويَّة كطيّ البئر)** العادية المطويّة بالأحجار المحكَمَة، **(وإذا لها)**؛ أي: للنار **(قرنان)** كقرَني البئر، وهما المبنيان على جانبيها، فإن كانتا من خشب، فهما زرنوقان[2] كما في «النهاية».

(وإذا فيها ناس قد عرفتهم) يحتمل أن يكونوا من كفار قريش، أو غيرهم، **(فجعلتُ أقولُ: أعوذ بالله من النار)**؛ أي: ألجأ إلى الله تعالى وألوذُ به وأتحصن به وبعفوه وكرمه منها ومن عذابها.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: غلم).

(٢) في الأصل: «ذي نوقان»، والتصويب من «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٥٢). والزرنوق: آلةٌ معروفةٌ من الآلاتِ التي يُسْتقى بها من الآبارِ، وهو أن يُنصَب على البئرِ أعْوادٌ، وتُعلَّقَ عليها البَكْرَة.

قال عبدالله ﷺ: (**فلقينا مَلَك آخر**) غير الملكين اللذين أخذاني حتى أوقفاني على النار، (**فقال لي**) هذا الملك الذي لقينا: (**لم ترع**)؛ أي: لا بأس عليك، ولا خوفَ ولا فزع، والروع: الفزع؛ كالارتياع، والتروع.

قال عبدالله ﷺ: (**فقصصتها على**) أختي (**حفصة**) بنتِ أمير المؤمنين عمرَ ﷺ أمِّ المؤمنين زوجِ النبي ﷺ؛ أي: أخبرتُها بهذه الرؤيا العجيبة، (**فقصَّتها**) أختي أمُّ المؤمنين (**حفصةُ**) ﷺ (**على رسول الله ﷺ**)، (**فقال**) النبي ﷺ: (**نِعْمَ الرجلُ عبدُالله لو كان**) عبدُالله ﷺ (**يصلي من الليل**)، ولو ركعات، (**فكان**) عبدُالله بنُ عمرَ ﷺ (**بعدُ**) بالبناء على الضم لقطعه عن الإضافة، وبنية ثبوت معناها؛ أي: بعدَ ما بلغه من قول النبي ﷺ: «نعمَ الرجلُ عبدُالله لو كان يصلي من الليل» (**لا ينام من الليل إلا قليلًا**) ليريح بدنَه، ويذهبَ كسله، وإلا فأكثرُ الليل يقيمه بالصلاة وقراءة القرآن، رضوان الله عليه.

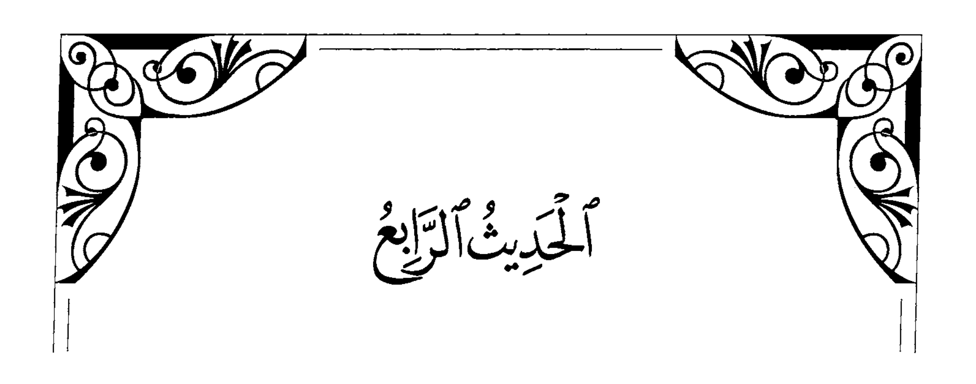
ومحل الدليل من هذا الحديث: ثناءُ النبي ﷺ ومدحُه لعبدالله بن عمر ﷺ لو كان يصلي من الليل، ففيه الحثُّ على قيام الليل، ومن ثَمَّ صار عبدُالله بنُ عمرَ ﷺ يقطع أكثر الليل صلاة، فلا ينام منه إلا القليل. والله أعلم.

(**رواه البخاري، ومسلم**)، وغيرهما[1]. والله أعلم.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.



الحَدِيثُ الرَّابِعُ

٨٠ ـ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ سَلامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ الْمَدِينَـةَ، انْحَفَلَ[(١)] النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْـتُ فِـي النَّـاسِ لأنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَـهُ لَـيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْـشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّـةَ بِسَلامٍ». رواه ابن ماجه، والترمذي وقال: حسن صحيح[(٢)].

(عن) أبي يوسفَ (عبدِالله بنِ سلامٍ) ـ بتخفيف اللام ـ ابـنِ الحـارثِ من بني قينقاع ـ بفتح القاف وسكون التحتية وضم النون ثم قاف وألف فعين مهملة ـ الإسرائيليِّ، من ولد يوسفَ الصديقِ ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ، وكان حليفًا لبني عوفِ بنِ الخزرج، وكـان اسـمه: الحـصين، فسماه النبي ﷺ: عبدَالله.

---

(١) كذا في الأصل المخطوط لمتن «فضائل الأعمال»، وفي مصدري التخريج: «انجفل»، وسيأتي كلام السفاريني في ذلك.

(٢) رواه ابن ماجه (١٣٣٤)، والترمذي (٢٤٨٥).

أسلم أولَ مقدَم النبي ﷺ المدينة، وهو أحد الأحبار، وأحد من شهد له النبي ﷺ بالجنة، ففي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لحيٍّ يمشي على الأرض: «إنه من أهل الجنة»، إلا لعبدِالله بنِ سلام، قال: وفيه نزلت: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾[الأحقاف: ١٠][1].

روى عنه: ابناه محمدٌ ويوسفُ، وأنسُ بنُ مالك، وغيرُهم، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين، روي له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثًا، اتفق الشيخان على حديث، وانفرد البخاري بآخر[2].

(قال) عبدُالله بن سلام ﷺ: **(لما قدم رسول الله ﷺ المدينة)** المنورةَ ـ زادها الله شرفًا وعزًّا ـ، وهذا الاسم وإن كان يشمل كل مدينة في الأصل فقد صار علمًا بالغَلَبة على مدينة النبي ﷺ، بحيث لا يصدُق مع الإطلاق إلا عليها، **(انْجَفَل الناس إليه)** بكسر الهمزة وإسكان النون وفتح الجيم والفاء فلام؛ أي: أسرعوا ومضوا كما قال الحافظ عبد العظيم المنذري[3].

وفي «نهاية ابن الأثير»: انجفل الناس قِبَلَه ـ بالجيم ـ[4]؛ أي: ذهبوا مسرعين نحوه، يقال: جفل، وأجفل، وانجفل.

وفي الحديث: نعس رسولُ الله ﷺ على راحلته حتى كاد ينجفل

---

(١) رواه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣).

(٢) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٥٧٤)، و«الإصابة» لابن حجر (٤/ ١١٨).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٣٩).

(٤) رواه ابن ماجه (٣٢٥١) من حديث عبدالله بن سلام ﷺ.

عنها[١]؛ أي: ينقلب عنها ويسقط، يقال: ضربه فأجفله؛ أي: ألقاه على الأرض.

وحديث الحسن: أنه ذكر النار، فأجفل مغميًّا[٢] عليه؛ أي: خر إلى الأرض[٣].

كل ذلك بالجيم، وفي سائر نسخ «الفضائل» التي وقفتُ عليها (انحفل) بالحاء المهملة بدل الجيم، فإما أن يكون تصحيف من النساخ، وهو الظاهر، بل المتعين، أو يكون ذلك رواية[٤]، وحينئذ يكون معناه: اجتمع الناس إليه.

قال في «القاموس»: حفل الماء واللبن يحفل حفلًا وحُفولًا وحَفيلًا: اجتمع؛ كتحفّل واحتفل، والقومُ حفلًا: اجتمعوا؛ كاحتفلوا[٥].

(وقِيل) بكسر القاف مبنيًّا للمجهول؛ أي: قال الناس: **(قدم رسول الله ﷺ)**؛ أي: وصل المدينة، وحل قدمه الشريف، **(فجئت في)** جملة **(الناس لأنظر إليه)**، وأتأملَ ما فيه من علامات النبوة ودلائل الرسالة،

---

(١) رواه مسلم (٦٨١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٥٧)، والضمير في (أنه) يعود إلى الحسن البصري رحمه الله، وفيه: «مغشيًّا» بدل «مغميًّا».

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٤) في الأصل المخطوط لمتن «فضائل الأعمال» الذي بين يدي، واعتمدته لمراجعة الأحاديث في الشرح، وردت (انحفل) بالحاء المهملة، بدل (انجفل)، مما يرجح كونها رواية.

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: حفل).

(فلما استبنْتُ) من البيان؛ أي: استظهرت واستكشفت (وجهَ رسـول الله ﷺ، عرفت) بالدلائل النقلية والتوسمات العقلية (أنَّ وجهه) الشريفَ ليس بوجه كذاب. وفي رواية: فكنت فيمن جاء، فلما تأملت وجهـه واسـتثبته ـ أي: تحققته وتبينته ـ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب[1].

فإن الرجل الصادق البَارّ يظهر على وجهه من نور صدقه وبهجة وجهه سيماءُ يعرف بها، وكذلك الكاذب الفاجر، وكلما طال عمر الإنسان، ظهـر هذا الأثر فيه، حتى إن الرجل قد يكون في صغره جميلَ الوجه، فـإذا كـان من أهل الفجور، مُصِرًّا على ذلك، يظهر عليه في آخر عمره، من قـبح الوجـه ما أثره باطنه، وبالعكس.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن للحسنة لنـورًا فـي القلـب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وسَعَة فـي الـرزق، ومحبـة فـي قلـوب الخلق. وللسيئة[2] ضد ذلك. نقله شيخ الإسلام ابن تيمية فـي: «الجـواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»[3].

---

(١) أورده ابن الأثير في «جامع الأصول» (٩/ ٥٥١) باللفظ المذكور، وعـزاه للترمـذي، ورواه الترمذي (٢٤٨٥) بلفظ: فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما اسـتثبت وجـه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب.

(٢) في الأصل: «وللحبسته»، والمثبت من «الجواب الصحيح».

(٣) أورده ابن تيمية في «الجواب الصحيح» (٦/ ٤٨٩)، ولـم نقف عليـه مسـندًا، وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٦١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًـا بلفـظ: «وجدت الحسنة نورًا في القلب، وزينًا في الوجه، وقوة فـي العمـل، ووجـدت الخطيئة سوادًا في القلب، وشينًا في الوجه، ووهنًا في العمل»، وقال أبـو حـاتم في «علل الحديث» (٢/ ١٣٨): حديث منكر، وأبو سفيان مجهول.

وقال: وقد يكون الرجل ممن لا يتعمَّد الكذب، ولكن يعتقد اعتقاداتٍ باطلةً كاذبة في الله، أو في رسله، أو في دينه، أو في عباده الصالحين، ويكون له زهادة وعبادة واجتهاد، فيُؤَثِّر ذلك الكذبُ ـ الذي ظنه صدقًا ـ وتوابعُه في باطنه، ويظهر ذلك على وجهه، فيعلوه من القترة والسواد ما يناسب حاله.

كما قال بعضُ السلف: لو ادَّهن صاحبُ البدعة كلَّ يوم بدهان، إنَّ سواد البدعة لفي وجهه[1].

وقال: وهذه الأمور تظهر يوم القيامة ظهورًا تامًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[الزمر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[آل عمران: ١٠٦ ـ ١٠٧] الآيتان.

قال ابن عباس وغيره: تبيضُّ وجوه أهل السنَّة والجماعة، وتسودُّ وجوه أهل البدعة والفرقة[2].

والمطلوب: أن ما في القلوب من قصد الصدق والمحبة والبر ونحو ذلك، قد يظهر على الوجه حتى يعلم ذلك علمًا ضروريًا، من أبلغ العلوم الضرورية، وبالعكس، فإذا كان كذلك، فمن نبأه الله واصطفاه لرسالته، كان قلبه من أفضل القلوب صدقًا وبرًا، ومن افترى على الله كذبًا، كان قلبه

---

(١) انظر: «الجواب الصحيح» لابن تيمية (٦/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٢٤).

من شر القلوب كذبًا وفجورًا؛ كما قال عبدُالله بنُ مسعود ﷺ: إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلبَ محمد خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خيرَ قلوب العباد، فاختارهم لصحبة نبيه وإقامةِ دينه[1].

وإذا كان القائل إن رسول الله ﷺ إما أن يكون من خيار الناس وأصدقهم وأبرهم وأفضلهم، وإما أن يكون من شرار الناس وأكذبهم وأفجرهم، فالفرق بين هذين يكون من وجوه كثيرة لا تكاد تنضبط، كلٌّ منها يُعرف به صدق هذا، وكذب هذا، وتحصل المعرفة بذلك عند سماع خبر هذا، وخبر هذا، ورؤية وجهه، وسماع كلامه، وما يلزم ذلك ويقترن به من بهجة الصدق ونوره، ومن ظلمة الكذب وسواده وقبحه، فيظهر بذلك أن كثيرًا من الناس يحصل لهم علمٌ ضروري بأن هذا النبي صادق، وهذا النبي كاذب بذلك، من قبل أن يروا خارقًا للعادة.

وفي خبر الجلندي ملك عمان[2] لما بلغه رسولُ رسولِ الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام فقال: والله! لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٦٠٢).

(٢) في الأصل و«الجواب الصحيح»: «غسان»، والتصويب من «الإصابة» لابن حجر (١/ ٥٣٨).

والجُلَندي هو جَيْفَر العماني، كان رئيس عمان هو وأخوه عبيد ابني الجلندي، أسلما على يد عمرو بن العاص ﷺ حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى عمان، ولم يقدما على النبي ﷺ، ولم يرياه، وكان إسلامهما بعد خيبر. انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (١١/ ١٧٧).

كان أولَ آخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أولَ تارك له، وأنه يَغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز بالموعود، فأشهد أنه نبي[1].

وقال نفطويه ـ واسمه إبراهيم بن محمد، ويكنى بأبي عبدالله ـ في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[النور: ٣٥]: وهو مثل ضربه الله لنبيه، يقول: يكاد منظره يدلُّ على نبوته، وإن لم يتلُ قرآناً. كما قال عبدُالله ابنُ رواحةَ ﵁:

لو لم تكنْ فيه آياتٌ مبينةٌ
كانت بديهته تأتيك بالخبر[2]

انتهى ملخصًا[3].

(فكان) بعد رؤيتي وجهَه الشريف الذي توسمت فيه الصدق، وتبين لي به أنه ليس بوجه كذاب **(أولَ شيء تكلَّم به)** من الكلام الدال على مكارم الأخلاق، ومحاسنِ الشيم، المشعرِ بأنه نبي صادق **(أن قال)**؛ أي: قولُه، وهو في محل رفع اسم (كان)، و(أولَ) ـ بالنصب ـ خبرها: **(يا أيها الناس)** أتى بـ (يا) المنادى بها البعيد غالبًا، و(ها) التنبيه؛ إشعارًا بعلو شأن المطلوب، وبُعد شأوه، حتى كان لعظمه مما يتنبه له، ويفرغ الذهن من غيره، ويعقد على نيله الخناصر، و(الناس): يشمل بني آدم من الذكور والإناث، جمع: أنسي، أصله أناس، جمع عزيز أدخل عليه (الـ).

---

(١) أورده ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٨٥)، وفيه: «تنبيك» بدل «تأتيك».

(٢) أورده ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٥٣٨)،

(٣) انظر: «الجواب الصحيح» لابن تيمية (٦/ ٤٩٠ ـ ٥١١).

(أفشوا السلام): قال الحافظ السيوطي: هو بهمزة قطع مفتوحة[1]؛ أي: انشروه، وكثروه بينكم.

قال الإمام النووي: السلام أولُ أسباب التآلف، ومفتاح أسباب المودة، وفي إفشائه تمكينُ ألفة المسلمين بعضِهم لبعض، وإظهارُ شعارهم المميزِ لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفوس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين، وفي ضمنه دفعُ التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين، التي هي الحالقة[2].

والإفشاء: الإظهار، والمراد: نشر السلام بين الناس ليُحيوا سنته.

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما: إذا سلَّمْتَ، فأَسمعْ؛ فإنها تحيةٌ من عند الله[3].

وأقلُّ السلام أن يسمع المسلَّم عليه، فإن لم يسمعه، لم يكن إيتاء بالسنة.

ويستحب أن يرفع صوته بقدر ما يتحقق أنه سمعه، فإن شك، استظهر، واستثني من رفع الصوت بالسلام ما إذا دخل على أيقاظ ونيام، فالسنةُ فيه ما في «صحيح مسلم» عن المقداد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يجيء من الليل، فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا، ويُسمع اليقظان[4].

---

(١) انظر: «الديباج على مسلم» للسيوطي (١/ ٧٢).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ٣٧).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٠٥)، وصحَّح سندَه ابنُ حجر في «فتح الباري» (١١/ ١٨).

(٤) رواه مسلم (٢٠٥٥) من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه.

وفي «الأدب المفرد» للبخاري بسند صحيح عن البراء بن عـازب ﷺ مرفوعًا: «أفشوا السلام تسلموا»[1]، وصححه ابن حبان[2].

وفي مسلم من حديـث أبي [هريـرة] ﷺ مرفوعـًا: «ألا أدلُّكم علـى ما تحابون به؟ أفشوا السلامَ بينكم»[3].

وأصلُ من سَنَّ السلامَ أبونا آدمُ عليه السلام: لما خلقه الله تعالى قال له: اذهبْ فسلِّم على أُولئك الملأ ـ لنفر من الملائكة ـ، فاستمع ما يحيونـك، فإنها تحيتُك وتحية ذريتك، فذهب إليهم فقال: السلام عليكم.

قال ابن بطال: يحتمل أن يكون الله علمه كيفية ذلك تنصيصًا، ويحتمـل أن يكون آدم عليه السلام فهمَ ذلك من قول الله تعالى: فسلّم[4].

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: ويحتمل أن يكون ألهمه ذلك[5].

فقالوا: السلام عليك ورحمةُ الله، فزادوه: ورحمة الله»[6].

وأخرج البيهقي في «شعب الإيمان» قال: جاء رجل إلى ابن عمـر ﷺ، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرتـه، فقـال: حـسبك إلـى: وبركاته[7].

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٧).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيح» (٤٩١).

(٣) رواه مسلم (٥٤)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) نقله ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٤).

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٦) رواه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٧) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٨٠).

وقال عروة[1]: انتهى السلام إلى: وبركاته[2]، وسنده ثقات.

والسلام من حيث هو ابتداؤه سنةُ عين من المنفرد، وسنة على الكفاية من الجماعة، والأفضل السلامُ من جميعهم، ولا يجب إجماعًا؛ نقله ابن عبد البر وغيره[3]، نعم ظاهرُ ما نقل عن الظاهرية وجوبه.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: ابتداء السلام واجبٌ في أحد القولين في مذهب الإمام أحمد[4].

وردُّ السلامِ المسنونِ فرضُ كفاية من الجماعة، وفرضُ عين من المنفرد، وقد نقل الإجماع على وجوب الرد، وذكر ابن عبد البر: أن أهل العراق جعلوه فرضًا متعيناً على كل واحد من الجماعة. والله أعلم[5].

(وأَطْعِموا الطعام) بهمزة قطع مفتوحة، من أطعم، وهو أمر استحباب، وقد يكون واجبًا في بعض الأحوال.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرمْ ضيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليصلْ رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقلْ خيرًا أو ليصمتْ»[6].

---

(١) في الأصل: «عمر»، والمثبت من «شعب الإيمان».

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٥١٠).

(٣) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٥/ ٢٩٢).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٧/ ٤١١).

(٥) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٥/ ٢٨٩).

(٦) رواه البخاري (٦١٣٨)، ومسلم (٤٧).

وفي «الموطأ»، والصحيحين، والسنن إلا النسائي من حديث أبي شريح خويلدِ بنِ عمروٍ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك، فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يُحرجه»[1].

قال الخطابي: معناه: لا يحلّ للضيف أن يقيم عنده بعد الثلاث من غير استدعاء منه، حتى يضيق صدره، فيبطل أجره[2].

قوله: (جائزته يوم وليلة): قال السهيلي: روي برفع (جائزته) على الابتداء، وهو واضح، وبالنصب على بدل الاشتمال؛ أي: يكرم جائزته يوم وليلة[3].

قال الحافظ المنذري: يعطيه ما يجوز به ويكفيه في يوم وليلة إذا اجتاز به، وثلاثة أيام إذا قصده. وقيل: يعطيه ما يكفيه يومًا وليلة، يستقبلهما بعد ضيافته. انتهى[4].

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: اختلفوا هل الثلاثة غير الأول، أو يعد منها؟ فقال أبو عبيد: يتكلف له في اليوم الأول بالبر والإلطاف، وفي الثاني والثالث يقدم له ما حضره، ولا يزيده على عادته، ثم يعطيه ما يجوز به مسافة يوم وليلة، وتسمى: الجيزة، وهي قدر ما يجوز به المسافر من منهل

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٢٩)، والبخاري (٦١٣٥)، ومسلم (٤٨)، وأبو داود (٣٧٤٨)، والترمذي (١٩٦٨)، وابن ماجه (٣٦٧٥).

(٢) انظر: «معالم السنن» للخطابي (٤/ ٢٣٨).

(٣) نقله ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٥٣٣).

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٢٥١).

إلى منهل، ومنه الحديث الآخر: «أجيزوا الوفدَ بنحو ما كنتُ أُجيزهم»[1].

وأخرج الإمام أحمد بسند رجالُه ثقات من حديث أبي هريرة ﷺ: «أيما ضيفٍ نزل بقوم فأصبحَ الضيفُ محرومًا، فله أن يأخذ بقدر قِراه، ولا حرج عليه»، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد[2].

وأخرج الإمام أحمد أيضًا ـ برجال الصحيح خلا ابن لهيعة ـ عن عقبةَ بنِ عامرٍ ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لا خير فيمن لا يضيف»[3]. والله أعلم.

(وصَلُّوا بالليل)؛ أي: في الليل، **(والناسُ نيام)** وهذا محل مطابقة الحديث للترجمة، والواو في: (والناس نيام) للحال، فجملة المبتدأ والخبر حالية؛ أي: في حال نومهم، **(تدخُلوا)** مجزومٌ في جواب الأمر بحذف النون، والواو فاعل، و**(الجنةَ)** بالنصب: مفعول، و(الـ) في (الجنة) للعهد؛ أي: جنة المأوى التي هي دار المتقين، ومثوى الصالحين، والصلاة بالليل من موجبات الجنة، كما ذكر في غير حديث، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥ـ١٩]، فوصفهم تعالى بالتيقظ والاستغفار بالأسحار، وبالإنفاق للسائل والمحروم من أموالهم.

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٣٣)، والحديث رواه البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧)، من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧١٧٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٥).

وإنما وصف الناس في الحديث بالنوم ليخفى عمل المتهجدين، ومن ثم قال ابن مسعود ﷺ: فضلُ صلاة الليل على صلاة النهار كفضلِ صدقةِ السرّ على صدقة العلانية، ورواه الطبراني مرفوعًا[1]، والمعروفُ وقفُه.

وقال عمرو بن العاص: ركعة بالليل خيرٌ من عشر بالنهار، خرجه ابنُ أبي الدنيا[2].

وإنما فضلت صلاة الليل على صلاة النهار؛ لأنها أبلغُ في الإسرار، وأقربُ إلى الإخلاص؛ فإن السلف كانوا يجتهدون في إخفاء تهجدهم، وقد مدح الله تعالى المستيقظين بالليل لذكره ودعائه واستغفاره ومناجاته، فقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[السجدة: ١٦ - ١٧]، والآيات في ذلك كثيرة جدًّا، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ: «قيامُ العبدِ في جوف الليل يكفِّرُ الخطيئة، ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ الآية، أخرجه الإمام أحمد، وغيره[3].

وقد روي أن المتهجّدين يدخلون الجنة بغير حساب، روى ابن أبي الدنيا وغيره من طريق شَهْر بن حَوْشب، عن أسماءَ بنتِ يزيدَ، عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يومَ القيامة، جاء منادٍ ينادي بصوت يُسمع الخلائقَ: سيعلم الخلائقُ اليومَ مَنْ أولى بالكرم، ثم يرجع فينادي:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٩٩٨) موقوفًا، و(١٠٣٨٢) مرفوعًا.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (١٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٧).

أين الذين كانوا ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[النور: ٣٧]؟ فيقومون، وهم قليل، ثم يرجع فينادي: ليقمِ الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء، فيقومون، وهم قليل، ثم يرجع فينادي: ليقم الذين ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾، فيقومون، وهم قليل، ثم يحاسب سائر الناس[(١)]، ورواه البيهقي مختصرًا[(٢)].

وروى الطبراني في «الكبير» بإسناد حسن عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنها من ظاهرها»، فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائمًا والناسُ نيام»[(٣)]، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما[(٤)].

ورواه ابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي مالك الأشعري بنحوه[(٥)].

ورواه الترمذي وحسنه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «الدرجاتُ: إفشاءُ السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام»[(٦)].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٧٥).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢٤٤).

(٣) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٤)، وعزاه للطبراني في «المعجم الكبير»، وقال: إسناده حسن، ولم نقف عليه في المطبوع من «المعجم الكبير».

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٧٠).

(٥) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٠٩).

(٦) رواه الترمذي (٣٢٣٣).

وروى الإمام أحمد، وابن أبي الدنيا في «التهجّد»، وابن حبان في «صحيحه»، واللفظ له، والحاكم وصححه، من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله! إني إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، أنبئني عن كل شيء، قال: «كل شيء خُلق من الماء»، فقلت: أخبرني بشيء إذا عملتُه دخلتُ الجنة، قال: «أطعم الطعام، وأفشِ السلام، وصِلِ الأرحام، وصلِّ بالليل والناسُ نيام، تدخلِ الجنةَ بسلام»[1].

وقوله في الحديث المشروح كحديث أبي هريرة: (**بسلام**)؛ أي: تدخلوا الجنة مصاحبين السلام الذي هو اسم الله تعالى؛ فإن الجنة دار السلام؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[الأنعام: ١٢٧]، ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[يونس: ٢٥]، فيدخلونها مصحبين السلامة من كل بلية وآفة ومكروه، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[الرعد: ٢٣ ـ ٢٤]، وكذلك الرب يسلم عليهم، كما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس: ٥٨]، ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾[مريم: ٦٢]، وقال تعالى في صفة دخول أهل الجنة الجنة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[الزمر: ٧٣].

فالسلامُ اسمٌ من أسماء الله تعالى؛ فإن الله هو ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٥)، وابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٢٧٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٦): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح خلا أبي ميمونة، وهو ثقة.

﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾[الحشر: ٢٣].

ومعنى السلام: السالم من النقائص، وقيل: المسلِّم لعباده، وقيل: المسلِّم على أوليائه.

وفي «شعب البيهقي» عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا: «السلام اسم الله، وهو تحية أهل الجنة»(١).

ومن معانيه: السلامة؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩١]، وكما قال الشاعر:

تُحيِّي بالسلامة أُمُّ عمرٍو

وهل لي بعد قومي من سلام(٢)

فكأنهم أُعلموا عند دخولهم الجنة أنهم سالمون من كل ما يكرهون، وأنْ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. والله تعالى الموفق.

(رواه ابن ماجه، والترمذي) في سننهما، **(وقال)** الترمذي: **(حديث حسن صحيح)**، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرطي الشيخين(٣).

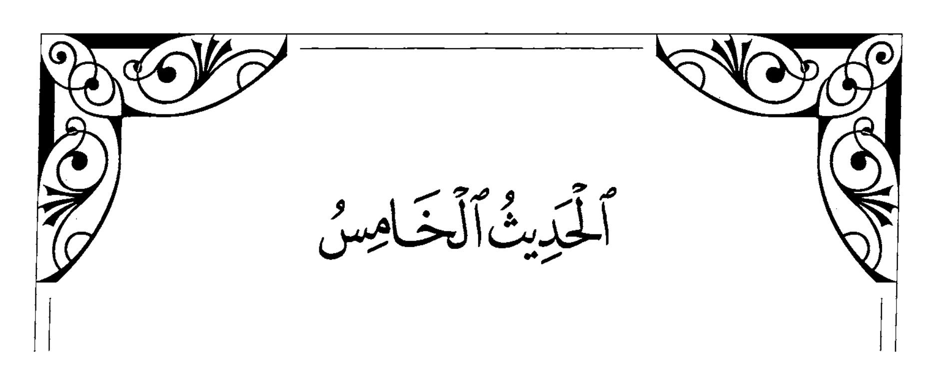
* * *

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٣٥).

(٢) البيت لشداد بن الأسود، وهو من قصيدة يبكي فيها قتلى بدر من المشركين. انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٢٩٥)، وفيه: «بكر» بدل «عمرو».

(٣) تقدم تخريجه عند الترمذي وابن ماجه، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤٢٨٣).



الحديث الخامس

٨١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ: صَلاَةُ اللَّيْلِ». رواه مسلم[١].

(**عن أبي هريرةَ**) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ **قال: قال رسول الله ﷺ: أفضلُ الصيام بعدَ**) صيام (**شهر رمضانَ**) الذي صومُه أحدُ أركان الدين ومباني الإسلام.

و(رمضانُ) مشتق من الرمضاء، وهي شدة الحر، وجمعه: رمضانات، وأَرمضة، ورماضين[٢].

قال النحاة: و(شهر رمضان)، أفصحُ من ترك: (الشهر). ومن العرب من ترك (الشهر)، ومن العرب من يسميه: ناتقًا[٣]، والجمع: نواتقُ[٤].

صيام (**شهرُ الله المحرَّمُ**)، وهو مبدأ السنة العربية، يجمع على:

---

(١) رواه مسلم (١١٦٣).

(٢) في الأصل: «رماض»، والتصويب من «تاج العروس» (مادة: رمض).

(٣) في الأصل: «فاتق»، والتصويب من «تاج العروس» (مادة: رمض).

(٤) في الأصل: «فواتق»، والتصويب من «تاج العروس» (مادة: رمض).

محرمات، ومحارم، ومحاريم، ومن العرب من يسميه: مؤتمر[1]، والجمع مآمر، ومآمير.

قال الحافظ أبو الفضل العراقي في «شرح الترمذي»: إن قيل: ما الحكمة في تسمية المحرم شهر الله؟ والشهورُ كلُّها لله ﷻ؟

فالجواب: أنه يحتمل أن يقال: إنه لما كان من الأشهر الحرُم التي حرم الله فيها القتال، وكان أول شهور السنة أضيف إليه إضافةَ تخصيص، ولم تصح إضافة شيء من الشهور إلى الله تعالى عن النبي ﷺ إلا شهر الله المحرم. انتهى.

وسئل الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى: لم خص المحرم بقولهم: شهر الله دون سائر الشهور، مع أن فيها ما يساويه في الفضل ويزيد عليه؛ كرمضان؟ فأجاب: بأن هذا الاسم إسلامي دون سائر الشهور؛ فإن أسماءها كلها على ما كانت عليه في الجاهلية، قال: وكان اسم المحرم: صفر الأول، والذي بعده: صفر الثاني، فلما جاء الإسلام، سماه الله: المحرم، فأضيف إلى الله بهذا الاعتبار، قال: وهذه فائدة لطيفة رأيتها في «الجمهرة»[2]. انتهى[3].

---

(١) في الأصل: «مومر»، والتصويب من «تاج العروس» (مادة: أمر).

(٢) «الجمهرة في اللغة» لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري، إمام البصريين في العربية، توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة، وله ثمان وتسعون سنة. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥/ ٩٦)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٦٠٦).

(٣) انظر: «الديباج على مسلم» للسيوطي (٣/ ٢٥٢).

قال ابن رسلان: قال عَلَم الدين السَّخاوي[1]: سمي المحرم بذلك؛ لكونه شهرًا محرمًا، وعندي أنه سمي بذلك تأكيدًا لتحريمه؛ لأن العرب كانت تتقلب فيه، فتحله عامًا، وتحرمه عامًا، قال: ونسبة المحرم إلى الله للتعظيم؛ كقوله تعالى: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾. انتهى.

فإن قيل: لم جُعل المحرمُ أولَ السنة؟

فالجواب: لما روى سعيد بن منصور في «سننه» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾[الفجر: ١]، قال: فجر شهر المحرم هو فجر السنة[2].

قال الحافظ شهابُ الدين بنُ حجر في «أماليه»: وبهذا يحصل الجواب عن الحكمة في تأخير التاريخ من ربيع الأول إلى المحرم، بعد أن اتفقوا على جعل التاريخ من الهجرة، وكانت الهجرة في ربيع الأول[3].

وقد قيل في حكمة جعل المحرم أول السنة: ليحصل ابتداء السنة بشهر حرام، ويختمها بشهر حرام، ويتوسط السنة بشهر حرام، وهو رجب، وإنما توالى شهران محرمان في الآخر؛ لإرادة تفضيل الختام، والأعمالُ بالخواتيم. انتهى.

---

(١) هو العلّامة علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهَمْداني السَّخاوي المصري، شيخ القرّاء بدمشق، ولد سنة ثمانٍ أو تسع وخمسين وخمسمئة، وتوفي بدمشق ليلة الأحد، ثاني عشر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وأربعين وستمئة. انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (٢٢/ ٤٣).

(٢) رواه ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص: ٢٤) من طريق سعيد بن منصور، وقال: هذا موقوف حسن الإسناد، ولعله أن يكون له حكم الرفع.

(٣) انظر: «الأمالي المطلقة» لابن حجر (ص: ٢٥).

قال الحافظ ابن رجب في «لطائفه»: هذا الحديث صريح في أن أفضل ما تطوع به من الصيام بعد رمضان، صوم[1] شهر الله المحرم.

قال: وقد يحتمل أن يراد به: أن أفضل شهر تطوع بصيامه كاملًا بعد رمضان، فأما بعضُ التطوع ببعض شهر، فقد يكون أفضل من بعض أيامه؛ كصيام يوم عرفة، وعشر ذي الحجة، وستة أيام من شوال، ونحو ذلك، ويشهد لهذا: ما أخرجه الترمذي من حديث أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه: أن رجلًا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! أخبرني بشهر أصومه بعد شهر رمضان؟ قال رسول الله ﷺ: «إن كنت صائمًا شهرًا بعد رمضان فصم المحرم، فإنه شهر الله، وفيه يوم تاب الله فيه على قوم ويتوب على آخرين»[2].

قال الحافظ ابن رجب: وفي إسناده مقال[3]، كذا قال.

وقال الترمذي: حديث حسن غريب[4].

ورواه أبو عبد الرحمن عبدالله بن الإمام أحمد، عن غير أبيه من رواية عبد الرحمن بن إسحاق، وهو أبو شيبة، عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه[5].

وقال الحافظ المنذري في عبد الرحمن بن إسحاق: ضعيف، قال

---

(١) في الأصل: «بصوم»، والتصويب من «لطائف المعارف».

(٢) انظر: «لطائف المعارف» لابن رجب (ص: ٣٣).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) رواه الترمذي (٧٤١) بنحوه.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٥٤).

البخاري: فيه نظر[1]، وليس هو في الحديث بذاك. وحسن له الترمذي. انتهى.

قال الحافظ ابن رجب: النبي ﷺ كان يصوم شعبان، ولم ينقل عنه أنه كان يصوم المحرم، إنما كان يصوم يومَ عاشوراء، وقوله ﷺ في آخر سنة: «لئن عشتُ إلى قابلٍ لأصومَنَّ التاسع»[2] يدلّ على أنه كان لا يصوم التاسع قبلَ ذلك[3].

ثم قال الحافظ ابنُ رجب: والذي ظهر لي ـ والله أعلم ـ: أن التطوع بالصيام نوعان:

أحدهما: التطوع المطلق بالصوم، وهذا أفضله المحرم؛ كما أن أفضل التطوع المطلق بالصلاة قيام الليل.

والثاني: ما صيامه تبعٌ لصيام رمضان قبله وبعده، فهذا ليس من التطوع المطلق، بل صيامه تبع لصيام رمضان، وهو ملتحق بصيام رمضان، ولهذا قيل: إن صيام ستة أيام من شوال ملتحق بصيام رمضان، وكتب بذلك لمن صامها مع رمضان صيام الدهر فرضًا[4].

ثم قال: التطوع المطلق في الصيام أفضلُه صيام الأشهر الحرم، وأفضل صيام الأشهر الحرم صيامُ شهر الله المحرم، وأفضل شهر الله المحرم عَشْرُه

---

(١) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٥/ ٢٥٩).

(٢) رواه مسلم (١١٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «لطائف المعارف» لابن رجب (ص: ٣٣).

(٤) المرجع السابق (ص: ٣٣ ـ ٣٤).

الأول، وقد قيل: إنه العشر الذي أتم الله تعالى به ميقاتَ موسى عليه السلام أربعين ليلة، وإن التكلم وقع في عاشره[1].

وأفضلُ عَشر المحرم يومُ عاشوراء، وهو عاشر المحرم؛ فقد صامه النبي ﷺ، وأمر بصيامه[2]، وصيامُه يكفِّر ذنوب السنة الماضية[3]، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

(وأفضلُ الصلاة بعد الفريضة صلاةُ الليل): قال الحافظ ابن رجب: مرادُه ﷺ: بعد المكتوبة وَلَوَاحِقِها، من سننها الرواتب؛ فإن الرواتب ـ قبل الفرائض وبعدَها ـ أفضلُ من قيام الليل عند جمهور العلماء؛ لالْتحاقها بالفرائض.

قال: وإنما خالف في ذلك بعض الشافعية. انتهى[4].

(رواه مسلم)، وكذا رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن خزيمة في «صحيحه»[5].

قال الحافظ السيوطي: استدل بهذا الحديث أبو إسحاق المروزي من أصحابنا الشافعية على أن صلاة الليل أفضلُ من السنن الراتبة، وقال أكثر

---

(١) المرجع السابق (ص: ٣٤ ـ ٣٥).

(٢) رواه البخاري (٢٠٠٢)، ومسلم (١١٢٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٤) انظر: «لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلي (ص: ١٣٠).

(٥) تقدم تخريجه عند مسلم، ورواه أبو داود (٢٤٢٩)، والترمذي (٤٣٨)، والنسائي (١٦١٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١١٣٤).

أصحابنا: الرواتبُ أفضلُ؛ لأنها تشبه الفرائض، قال النووي: الأول أقـوى وأوفق للحديث. انتهى[1].

وقد روى الطبراني في «معجمه الأوسط» بإسناد حسن عن سـهل بـن سعد ﷺ قال: جاء جبريلُ عليه السلام إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد! عشْ ما شئتَ فإنك ميتٌ، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به، وأحببْ من شئت فإنك مفارقُه، واعلم أن شرف المؤمن قيامُه بالليل، وعِزّهُ استغناؤه عن الناس[2].

وروى ابن أبي الدنيا، والبيهقي، عن ابن عباس ﷺ مرفوعًا: «أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل»[3].

وروى الترمذي ـ وقال: حديث حسن صحيح غريب ـ، وابن خزيمة في «صحيحه»، من حديث عمرِو بنِ عبسةَ ﷺ: أنه سمع النبي ﷺ يقـول: «أقرب ما يكون الربُّ من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة، فكُنْ»[4].

وفي حديث عبدالله بن مسعود ﷺ مرفوعًا: «ما خيب الله امرأً قام في

---

(١) انظر: «شرح السيوطي لسنن النسائي» (٣/ ٢٠٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٢٧٨)، وقال الهيثمي فـي «مجمـع الزوائـد» (٢/ ٢٥٣): وفيه زافر بن سليمان، وثقه أحمد وابن معين وأبو داود، وتكلم فيه ابن عدي وابن حبان بما لا يضر.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (٤)، والبيهقي في «شـعب الإيمـان» (٢٧٠٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٦٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦١): رواه الطبراني، وفيه سعد بن سعيد الجرجاني، وهو ضعيف.

(٤) رواه الترمذي (٣٥٧٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١١٤٧).

جوف الليل فافتتح سورة البقرة، وآل عمران»، رواه الطبراني في «الأوسط»[١].

وقد قدمنا: أن أفضل جوف الليل الثلثُ بعد النصف الأول.

وفي «نهاية ابن الأثير» في حديث: أيُّ الليل أسمع؟ قال: «جوفُ الليل الآخر»[٢]؛ أي: ثلثه الآخر، وهو الجزء الخامس من أسداس الليل. انتهى[٣].

وعبارة الحافظ السيوطي: و(جوف الليل): سدسُه الخامس.

وعبارة «المطالع» كـ«المشارق»: (جوف الليل): داخله ووسطه[٤].

وفيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل ـ أي: المطلق ـ أفضلُ من تطوع النهار على ما مرّ.

وروى الإمام أحمد، والطبراني، وابن حبان في «صحيحه»، وغيرهم من حديث ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «عَجِبَ رَبُّنَا ﷻ مِنْ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ وَحَيِّهِ إِلَى صَلاتِهِ، فَيَقُولُ رَبُّنَا: أَيَا مَلائِكَتِي! انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ، وَمِنْ بَيْنِ حَيِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلاتِهِ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، فَانْهَزَمُوا، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَارِ، وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهَرِيقَ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٧٧٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٤): وفيه ليث بن أبي سليم، وفيه كلام، وهو ثقة مدلس.

(٢) رواه أبو داود (١٢٧٧) من حديث عمرو بن عبسة ﷺ.

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٣١٦).

(٤) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٢/ ١٨٥)، و«مشارق الأنوار» للقاضي عياض (١/ ١٦٥).

دَمُهُ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِمَلائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَرَهْبَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ»[1].

ورواه الطبراني ـ أيضًا ـ بإسناد حسن موقوفًا، ولفظه: إن الله ليضحك إلى رجلين: رجلٍ قام في ليلة باردة من فراشه ولحافه ودثاره، فتوضأ ثم قام إلى الصلاة، فيقول الله لملائكته: ما حملَ عبدي على ما صنع؟ فيقولون: ربنا! رجاءَ ما عندك، وشفقة مما عندك، فيقول: فإني قد أعطيته ما رجا، وأمنته مما يخاف... وذكر بقيته[2].

وفي «كبير الطبراني» و«الأوسط» بإسناد حسن عن فضالة بن عبيد وتميم الداري رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ عشر آيات في ليلة، كُتب له قنطار، والقنطارُ خيرٌ من الدنيا وما فيها... الحديث[3].

وروى أبو داود، وابن خزيمة في «صحيحه» عن عبدالله بنِ عمرٍو موقوفًا: من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمئة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية، كتب من المقنطرين[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤١٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٥٨). ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٩٨) موقوفًا بنحوه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٥٣٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٦): وإسناده حسن.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٥٣)، و«المعجم الأوسط» (٨٤٥١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٦٧): وفيه إسماعيل بن عياش، ولكنه من روايته عن الشاميين، وهي مقبولة.

(٤) رواه أبو داود (١٣٩٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١١٤٤)، كلاهما من =

ورواه ابن حبان في «صحيحه»، إلا أنه قال: «ومن قام بمئتي آية، كتب من المقنطرين»[١].

قوله: (من المقنطرين)؛ أي: ممن كُتب له قنطار من الأجر.

وروى ابن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «القنطار اثنا عشرَ ألفَ أوقيةٍ، الأوقيةُ خير مما بين السماء والأرض»[٢].

والله الموفق.

* تنبيه:

كان قيام الليل واجبًا على النبي ﷺ، ولم يُنسخ على المعتمد، وفي «الفصول» للإمام ابن عقيل، و«المستوعب»: أنه نسخ، يعني: الوجوب، وبقي الاستحباب كما في حق الأمة[٣].

* فائدة:

في بعض الآثار يقول الله ﷻ في كل ليلة: يا جبريل! أقم فلاناً، وأنم فلاناً[٤].

قام بعضُ المتهجدين في ليلة باردة، وكان عليه خُلقانٌ رثة، فضربه

= حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا.

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٥٧٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٥٧٣).

(٣) انظر الأقوال في هذه المسألة في: «الإنصاف» للمرداوي (٨/ ٤٠).

(٤) أورده ابن رجب الحنبلي في «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» (ص: ٩١).

البرد، فبكى، فسمع هاتفًا يقول: أقمناكَ وأنمناهم، ثم تبكي![1].

قيل لابن مسعود ﷺ: ما نستطيع قيامَ الليل، قال: أبعدتكم ذنوبُكم[2].

وقيل للحسن: أعجزنا قيام الليل، قال: قيدتكم خطاياكم[3].

إنما يؤهل الملوكُ للخلوة بهم ومخاطبتهم مَنْ يخلص في ودادهم ومعاملتهم، فأما من كان من أهل مخالفتهم، فلا يرضونه لذلك، والله تعالى الموفق.

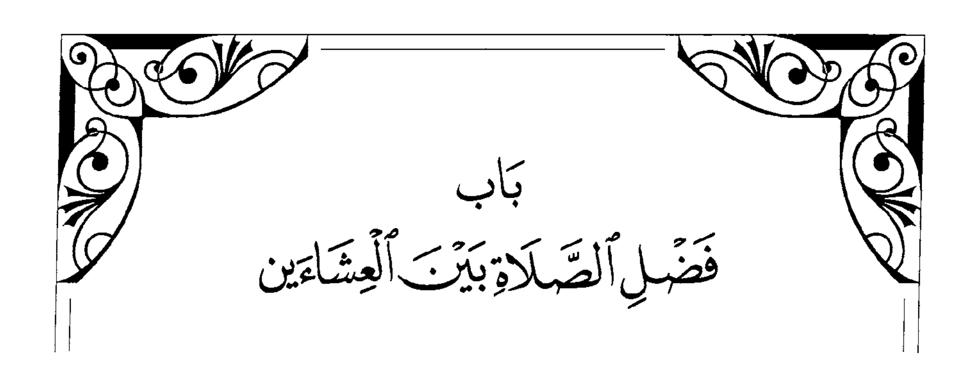
❐ ❐ ❐

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) أورده ابن رجب الحنبلي في «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» (ص: ٩١).

(٣) أورده ابن رجب الحنبلي في «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» (ص: ٩١).



بَاب
فَضْلِ ٱلصَّلَاةِ بَيْنَ ٱلْعِشَاءَيْن

يعني: المغرب والعشاء، وإنما قيل لهما العشاءان؛ لما بين المغرب والعشاء من المناسبة، ويطلق العشاء على صلاة المغرب، وفي الحديث: «إذا حضر العشاء والعشاء، فابدؤوا بالعَشاء»[1]، كما في «النهاية»، فالعَشاء ـ بالفتح ـ: الطعام الذي يؤكل عند العِشاء، وأراد بالعِشاء: صلاة المغرب، وإنما قدم العَشاء؛ لئلا يشتغل قلبه في الصلاة، فيذهب خشوعه، وإنما قيل: إنها المغرب؛ لأنها وقتُ إفطار الصوام، ولضيق وقتها[2].

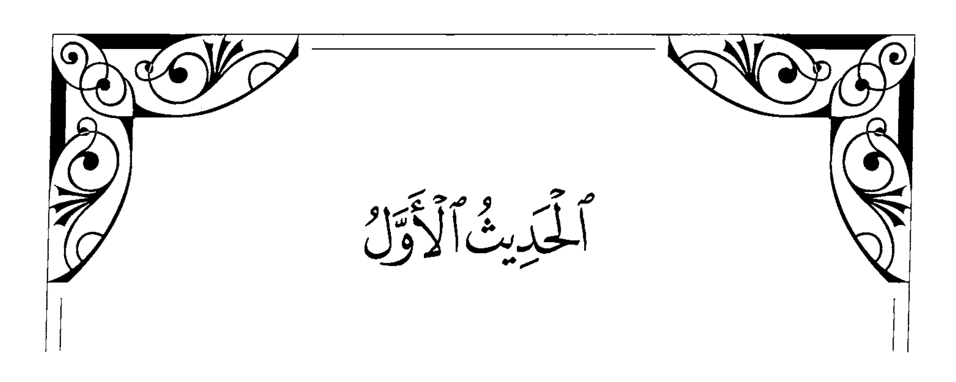
وذكر الحافظ المصنف ـ قدس الله روحه ـ في هذا الباب ثلاثة أحاديث.

* * *

(١) قال مرعي الكرمي في «الفوائد الموضوعة» (ص: ٩٥): لا أصل له بهذا اللفظ، قاله العراقي.

والحديث رواه البخاري (٥٤٦٥)، ومسلم (٥٥٧)، من حديث عائشة ﵂، ولفظ البخاري: «إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء، فابدؤوا بالعشاء».

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٤٢).



الحديث الأول

٨٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بَيْنَهُنَّ بِسُوءٍ، عُدِلْنَ لَهُ بِعِبَادَةِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً». رواه ابن ماجه، والترمذي وقال: حديث غريب[١].

(عن أبي هريرةَ) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ **قال: قال رسول الله ﷺ: من صلى بعد)** فريضة صلاة **(المغرب ستَّ ركعات)** ظاهرُه بركعتي المغرب الراتبة، وتقدم أن راتبة المغرب أفضلُ الرواتب ما خلا ركعتي الفجر.

قال سيدنا الإمام أحمد في قوله تعالى: ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾[ق: ٤٠]: الركعتان بعد المغرب[٢].

وروى المروذي عن الإمام أحمد ﷺ: أنه كان لا يدع ركعتي الفجر والمغرب حتى في السفر.

وتقدم أنه يستحب ركوعهما في البيت.

---

(١) رواه ابن ماجه (١١٦٧)، والترمذي (٤٣٥) وقال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: عمر بن عبدالله بن أبي خثعم منكر الحديث، وضعَّفه جدًّا.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٧٤) من حديث ابن عباس ﷺ موقوفًا.

وروى الترمذي وغيره من حديث ابن عمر ﷺ قال: صليت مع النبي ﷺ ركعتين بعدَ المغرب في بيته، فقال: حديث حسن صحيح[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وغيرهم من حديث كعب ابن عجرة ﷺ: أن النبي ﷺ أتى مسجدَ بني عبدِ الأشهل، وصلى فيه المغرب، فلما قَضَوا صلاتهم رآهم يسبحون بعدها، فقال: «هذه صلاة البيوت»[2].

قوله: (يسبحون)؛ أي: يصلون.

وقال الإمام أحمد: السنةُ أن يصلي الرجل الركعتين بعدَ المغرب في بيته، كذا عن النبي ﷺ وأصحابه[3].

قال المحقق ابنُ القيم في كتابه «بدائع الفوائد»: فإن صلى الركعتين في المسجد، فهل يجزئه؟ اختلف قولُ الإمام أحمد[4].

قلت: معتمد المذهب الإجزاء. والله أعلم.

وتقدم أن من السنن الغير الراتبة بعد المغرب أربع ركعات، وقال الإمام الموفق: ست، قال في «الفروع»: وقيل: أو أكثر[5].

ونقل في «المبدع» عن «المستوعب»: أن التنفل بين المغرب والعشاء

---

(١) رواه الترمذي (٤٣٢).

(٢) رواه أبو داود (١٣٠٠)، والترمذي (٦٠٤)، ولم نقف عليه عند الإمام أحمد.

(٣) انظر: «المغني» لابن قدامة المقدسي (١/ ٤٣٥)، والحديث المشار إليه رواه البخاري (١١٨٠) من حديث عبدالله بن عمر ﷺ.

(٤) انظر: «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٤/ ٩٢٤).

(٥) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٤٨٧).

مرغب فيه، وهو التهجُّد[1]، كذا قال.

وأما هذه الست ركعات المذكورة في هذا الحديث، هل المراد بها الستّ ركعات التي هي من سنن المغرب الغير راتبة، أو غيرها؟ الظاهرُ هي، وقيل: غيرُها، ومن ثَمَّ سماها بعضهم: صلاةَ الأوابين؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾[الإسراء: ٢٥].

قال جماعة من المفسرين: الأوابون: هم المصلون بين المغرب والعشاء[2].

وقد روى الإمام أبو عبد الرحمن عبدالله بنُ المبارك في كتاب «الزهد»، والطبراني في «المعجم الكبير» من حديث عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النخعي عن أبيه قال: ما أتيتُ عبدَالله بنَ مسعودٍ ﵁ في تلك الساعة ـ يعني: بين المغرب والعشاء ـ إلا وجدته يصلي، فقلت له في ذلك، فقال: نعم ساعة الغفلة[3].

قال بعض العلماء: وفي إحياء الوقت المغفول عنه في الطاعة فوائدُ، منها: أنه أخفى، وإخفاءُ النوافل وإسرارُها أفضل، ومنها: أنه أشقُّ على النفوس، وأفضلُ الأعمال أشقُّها على النفوس، ومنها: أن المنفرد بالطاعة

---

(١) انظر: «المبدع» لابن مفلح (٢/ ١٦).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٦٩).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٤٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٤٥٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٣٠): وفيه جابر الجعفي، وفيه كلام كثير.

بين أهل المعاصي قد يُدفع به البلاء عن الناس كلهم، فكأنه يجمعهم ويدافع عنهم.

وفي «موطأ الإمام مالك» قال: بلغني أن رسول الله ﷺ كان يقول: «ذاكرُ الله في الغافلين كغصنٍ أخضرَ في شجر يابس - وفي رواية: مثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر اليابس -، وذاكرُ الله في الغافلين مثل مصباحٍ في بيت مظلم، وذاكرُ الله في الغافلين يريه الله مقعدَه من الجنة وهو حيّ، وذاكرُ الله في الغافلين يغفَر له بعدد كلِّ فصيحٍ وأعجمَ، والفصيح: لبني آدم، والأعجم: للبهائم». ذكره رزين[(١)].

قال الحافظ المنذري: لم أره في شيء من نسخ «الموطأ»، إنما رواه البيهقي في «الشعب» عن عبّاد بن كثير الرملي، عن عبدالله بن دينار، عن عبدالله بن عمر، مرفوعًا[(٢)]، [ورواه أيضًا عن عباد بن كثير، عن محمد بن جحادة، عن سلمة بن كهيل، عن ابن عمر][(٣)]، وزاد فيه: «وذاكرُ الله في الغافلين ينظر الله إليه نظرة لا يعذبه بعدها أبدًا»[(٤)].

---

(١) أورده ابن الأثير في «جامع الأصول» (٤/ ٤٧٩)، وعزاه لمالك. ولم نقف عليه في النسخ المطبوعة من «الموطأ».

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٥).

(٣) ما بين معكوفتين من «الترغيب والترهيب».

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٣٣٨)، والحديث رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٧)، وقال: ليس بين سلمة وبين ابن عمر أحد، وهو منقطع، وإسناده غير قوي.

ورواه أبو نعيم في «الحلية»[1].

وفي خبر الحسن بن عرفة من حديث ابن عمر ﭭ مرفوعًا: «ذاكرُ الله في الغافلين كالذي يقاتل عن الفارين»[2].

وروى الحافظ أبو الفرج عبدُ الرحمن بنُ الجوزيِّ في كتابه «التبصرة» بإسناده عن سلمان الأنماطي قال: رأيت أمير المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب ﭬ في المنام يقول:

لـولا الـذين لهـم وِرْدٌ يـصلّونا
وآخـرون لهـم سَـرْدٌ يـصومونا

لزلزلـت أرضُـكم مـن تحـتكم سَـحَرًا
لأنكـم قـوم سـوء مـا تطيعونـا[3]

وذكره الإمام النووي في «بيانه»[4].

وقوله في هذا الحديث: (لم يتكلم فيما)؛ أي: في الزمن الذي (بينهن)؛ أي: بين الست ركعات (بـ)ـكلام (سوء) من سبٍّ وقذف، وكذبٍ وبهتان ونحوِ ذلك، يخرجُ ما إذا تكلم بكلام مشروع، من واجب ومستحب، بل ومباح، (عُدِلْنَ): الستُّ ركعات، (له)؛ أي: لمن صلاهن في الوقت

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٨١) من حديث عبدالله بن عمر ﭭ.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٨١) من طريق الحسن بن عرفة.

(٣) رواه ابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٢٢).

(٤) انظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي (ص: ٣٥).

المذكور، ولم يتكلم بينهن بسوء، **(بعبادة ثنتي عشرةَ سنةً)**.

اعترض على هذا ومثله بأن معادلة العبادة القليلة للعبادة الكثيرة تضييع[1] لما زاد عليها من الأفعال الصالحة والأقوال الناجحة، وأجيبَ عن ذلك: بأن الفعلين إذا اختلفا نوعًا، فلا إشكال، وإن اتفقا، فَلعَلّ القليل يكتسي[2] بمقارنة ما يخصه من الأوقات والأحوال ما يرجحه على أمثاله.

(رواه ابن ماجه، والترمذي) في سننهما، **(وقال)** الترمذي: **(حديث غريب)**[3]، وكذا رواه ابن خزيمة في «صحيحه»، كلهم من حديث عمر بن أبي خثعم، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة[4].

قال الترمذي: وسمعت محمدَ بنَ إسماعيلَ ـ يعني البخاريَّ ـ يقول: عمرُ بنُ عبدالله بن أبي خثعمٍ منكر الحديث، وضعيف جدًّا[5].

قال أبو زرعة: حدث عمر بن عبدالله بن أبي خثعم عن يحيى بن أبي كثير بثلاثة أحاديث، لو كانت في خمسمئة حديث لأفسدتها[6].

وقال الحافظ الذهبي في «الميزان»: لعمرَ بنِ أبي خثعمٍ حديثان منكران:

---

(١) في الأصل زيادة: «وهما».

(٢) في «فيض القدير» للمناوي (٦/ ١٦٧): «يكتسب».

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١١٩٥) من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) انظر: «سنن الترمذي» (٢/ ٢٩٨) عقب حديث (٤٣٥).

(٦) انظر: «الضعفاء» لأبي زرعة (٢/ ٥٤٣).

أحدهما: هذا.

والثاني: ما رواه الترمذي بهذا الإسناد: أن النبي ﷺ قال: «من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك»[1].

قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعمر بن أبي خثعم يضعّف، قال محمد[2]: هو منكر الحديث[3].

وقد روى أبو القاسم الطبراني في معاجمه الثلاثة، من حديث محمد ابن عمار بن محمد بن عمار بن ياسر: [حدثني أبي، عن جدي][4] قال: رأيت عمار بن ياسر يصلي بعد المغرب ست ركعات، فقلت يا أبه ما هذه الصلاة؟ قال: رأيت حبيبي رسول الله ﷺ يصلي بعد المغرب ست ركعات، وقال ﷺ: «من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر»[5].

---

(١) انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٥/ ٢٣٤)، والحديث رواه الترمذي (٢٨٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) هو ابن إسماعيل البخاري.

(٣) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ١٦٣)، عقب حديث (٢٨٨٨).

(٤) ما بين معكوفتين من «المعجم الأوسط» و«المعجم الصغير».

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٢٤٥)، و«المعجم الصغير» (٩٠٠)، ولم نقف عليه في «المعجم الكبير». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٣٠): رواه الطبراني في الثلاثة، وقال: تفرد به صالح بن قطن البخاري، قلت: ولم أجد من ترجمه.

وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» برقم (٣٣٣): ضعيف.

وقال الحافظ ابن الجوزي: وقد روينا عن معروف الكرخي قدس الله روحه أنه قال: من صلى بعد المغرب ست ركعات غفر له ذنوب أربعين سنة[1].

قال أبو بكر بن أبي داود من علمائنا في دلائل أوراد والده المسمى بـ «تحفة العباد في أدلة الأوراد»: إحياء هذا الوقت بالصلاة له مزية على غيره.

وقد روى أبو داود والبيهقي من حديث أنس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[السجدة: ١٦]، قال: كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء يصلون[2].

وروينا عنه أيضًا في قوله تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧] قال: كانوا يصلون بين المغرب والعشاء[3].

وذهب إلى ذلك أبو العالية[4] وجماعة.

وروى البيهقي بسنده عن محمد بن المنكدر وأبي حازم أنهما قالا في قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[السجدة: ١٦]: هي ما بين المغرب

---

(١) رواه ابن الجوزي في «مناقب معروف الكرخي وأخباره» (ص: ١١٨).

(٢) رواه أبو داود (١٣٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٩)، وفيهما: «يتيقظون» بدل «يتنفلون».

(٣) رواه أبو داود (١٣٢٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٩).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (٢٦/ ١٩٧) عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾، قال: لا ينامون بين المغرب والعشاء.

والعشاء، صلاة الأوابين[1].

وقال أنس ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]: ما بين المغرب والعشاء[2].

وروي أيضًا عن علي بن الحسين المعروف بزين العابدين رحمه الله تعالى[3].

وذكر الحافظ ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾[ق: ٤٠] أن للمفسرين فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الركعات[4] بعد المغرب، روي عن عمر وعلي والحسن وأبي هريرة ومجاهد وعامر بن شراحيل الشعبي وإبراهيم بن يزيد النخعي وقتادة، وروي أيضًا عن ابن عباس ﷺ أجمعين[5]. والله أعلم.

* * *

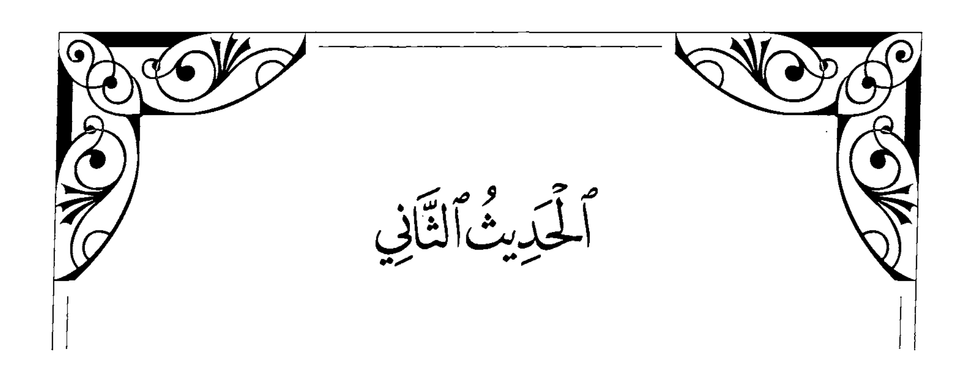
(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٩).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٩).

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٠).

(٤) في «زاد المسير»: «الركعتان».

(٥) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٨/ ٢٤).



الحَدِيثُ الثَّانِي

٨٣ ـ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ عِشْرِينَ رَكْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ». رواه ابن ماجه في «سننه»[١].

(عن) أم المؤمنين (عائشة) الصديقة (﵂ قالت: **قال رسول الله ﷺ: من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة**)، وفي لفظ: «من صلى بعد المغرب عشرين ركعة»[٢]، (**بنى الله له**)؛ أي: لذلك المصلي؛ يعني: أمر أن يبنى له (**بيتًا في الجنة**)، أو قال الله تعالى: كن بيتًا فكان.

(رواه) أبو عبدالله محمد (**بن ماجه في سننه**)[٣]، وقال الدميري: ورواه الترمذي تعليقًا[٤].

قلت: وذكره الحافظ عبد العظيم المنذري[٥] في «الترغيب والترهيب»

---

(١) رواه ابن ماجه (١٣٧٣).

(٢) أورده الترمذي (٤٣٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) هو الحافظ الإمام أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبدالله بن =

بصيغة: روي عن عائشة ﵂[1].

وهي لما لم يتطرق إليه احتمال الحسن، قال الحافظ المنذري: وهذا الحديث الذي أشار إليه الترمذي، رواه ابن ماجه من رواية يعقوب بن الوليد المديني[2] عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة ﵂، ويعقوبُ كذَّبه الإمامُ أحمدُ وغيره. انتهى[3].

وروى الطبراني في «الكبير» من رواية جابرٍ الجعفيِّ، ولم يرفعه، عن ابنِ مسعودٍ ﵁: نِعْمَ ساعةُ الغفلة؛ يعني: الصلاة فيما بين المغرب والعشاء[4]، وتقدم مطولًا.

وعن مكحولٍ[5] يبلغ به النبيَّ ﷺ قال: «من صلى بعد المغرب قبل

= سلامة بن سعد بن سعيد المنذري الشامي ثم المصري الشافعي، ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمئة غرة شعبان بمصر، وتوفي سنة ست وخمسين وستمئة. انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (١٩/ ١٠).

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٢٧).

(٢) في الأصل: «المدائني»، والتصويب من «تقريب التهذيب».
هو يعقوب بن الوليد بن عبدالله بن أبي هلال الأزدي، أبو يوسف أو أبو هلال المدني، نزيل بغداد، كذبه أحمد وغيره، من الثامنة. انظر: «تقريب التهذيب» لابن حجر (ص: ٦٠٩).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٢٧).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٤٥٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٣٠): وفيه جابر الجعفي، وفيه كلام كثير.

(٥) هو مكحول الشامي، أبو عبدالله، ثقة، فقيه، كثير الإرسال، مشهور، من الخامسة، مات سنة بضع عشرة ومئة. انظر: «تقريب التهذيب» لابن حجر (ص: ٥٤٥).

أن يتكلم ركعتين ـ وفي رواية: أربع ركعات ـ رُفعت صلاته في عليين»[1]، ذكره رزين[2].

قال الحافظ المنذري: ولم أره في الأصول[3].

وفي كتاب «الزهد» للإمام عبدالله بن المبارك بسنده عن ابن مسعود ﵁ قال: «من أدمنَ أربعَ ركعات بعد المغرب كان كالمعقب غزوة بعد غزوة»[4].

وفيه أيضًا بسنده، عن عبد الكريم بن الحارث مرسلًا: «من صلى عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء، بُني له قصر في الجنة»، فقال عمر ﵁: إذن نكثر قصورُنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «الله أفضل»، أو قال: «أطيب»[5].

وفي «زهد ابن المبارك» عن محمد بن المنكدر مرسلًا: «من صلى ما بين المغرب إلى صلاة العشاء، فإنها صلاة الأوابين»[6].

وقال عبدالله بنُ عمرِو بنِ العاص، ولفظه: صلاة الأوابين الخلوةُ التي

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥٩٣٥).

(٢) أورده ابن الأثير في «جامع الأصول» (٦/ ٣٤)، ولم يعزه لأحد من أصحاب الكتب الستة.

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٢٨)، وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» برقم (٣٣٥): ضعيف.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٤٥).

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٤٦).

(٦) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٤٥).

بين المغرب والعشاء حتى يثوبَ الناسُ إلى الصلاة[1].

وذكر بعض المفسرين عن ابن عباس ﵄ أنه قال: إن الملائكة لتحفُّ بالذين يصلون من المغرب إلى العشاء، وهي صلاة الأوابين[2].

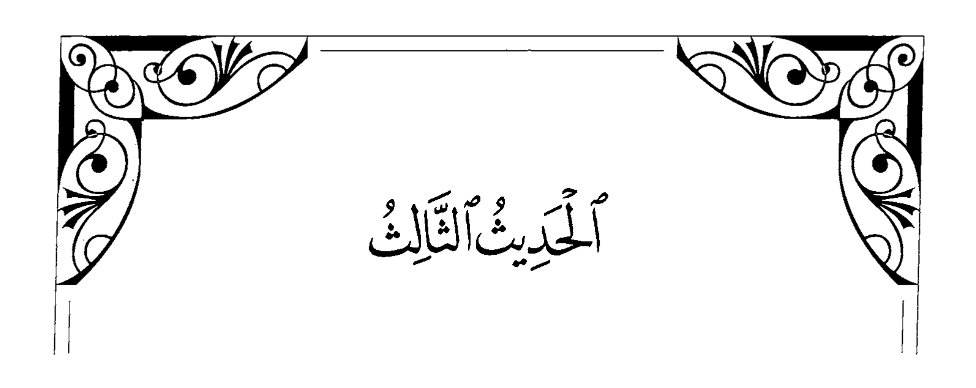
قوله: (تحف)؛ أي: يطوفون به، ويستديرون حوله. والله أعلم.

* * *

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٤٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١١٢).

تبين مما ذكر أن الأحاديث التي وردت بأن صلاة الأوابين هي بين المغرب والعشاء، هي من الأحاديث الضعيفة، وليس في الصحيح شيء منها، أما الأحاديث التي تقصد بها صلاة الضحى، فهي كثيرة، ومنها على سبيل المثال: ما أخرجه مسلم (٧٤٨) من حديث زيد بن أرقم ﵁.



الحديث الثالث

٨٤ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[السجدة: ١٦] قَالَ: كَانُوا يَتَيَقَّظُونَ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ يُصَلُّونَ، وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: قِيَامُ اللَّيْلِ. رواه أبو داود[1].

(عن) أبي حمزةَ (أنسِ بنِ مالكٍ) النَّجَّارِيّ (رضي الله عنه) خادمِ رسولِ الله ﷺ (في هذه الآية) الكريمة، وهي قوله تعالى: (﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾)؛ أي: تتباعد، (﴿ جُنُوبُهُمْ ﴾): جمعُ جَنْب، ولكل إنسان جَنْبان، (﴿ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾)؛ أي: محلات اضطجاعهم ونومهم؛ أي: تفارقُ جنوبُهم مضاجعها وتزايلها، (﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾) عز وجل (﴿ خَوْفًا ﴾) من غضبه وعذابه، (﴿ وَطَمَعًا ﴾) في إحسانه وغفرانه وثوابه، (﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾) من فضلنا وإحساننا إليهم، وكثرة الخير الذي منحناهم إياه (﴿ يُنفِقُونَ ﴾) منه، فيطعمون الجائع، ويكسون العريان، ويفكّون العاني، ويعينون على نوائب الدهر.

(قال) أنس بن مالك رضي الله عنه: (كانوا يتيقظون): من اليقظة، وهي ضد

---

(١) رواه أبو داود (١٣٢١).

الغفلة والنوم، (ما بينَ المغرب والعشاء يصلون).

وروى الترمذي، وقال: حسن صحيح غريب عن أنس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾: نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة[1]؛ يعني: صلاة العشاء.

وفي رواية: كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء يصلون[2].

(وقال) في هذه الرواية ـ يعني: أبا داود ـ: **(وكان الحسن يقول)**: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾: المراد: **(قيام الليل)**؛ أي: يفارقون مضاجعهم ليقوموا الليل.

(رواه أبو داود) في «سننه»[3].

والحسن هذا هو أبو سعيد الحسنُ بنُ أبي الحسن، واسمُ أبي الحسن: يَسارٌ البصريّ، من سبي ميسان، مولى زيدِ بن ثابت، الإمام المشهور التابعيّ الأنصاريّ مولاهم، والمشهور مولى زيد بن ثابت، وقيل: مولى جابر بن عبدالله، وقيل: مولى جميل بن قطبة، وكان يسار ـ أبو الحسن ـ اشترته الرُّبَيِّع ـ بالتصغير ـ بنتُ النضر ـ بالضاد المعجمة ـ عمة أنس بن مالك، فأعتقته.

وولد لسنتين بقيتا من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بالمدينة، وقدم البصرة بعد مقتل عثمان ﷺ، ورأى عثمان، وقيل: إنه لقي عليًّا بالمدينة، وأما بالبصرة، فإن رؤيته إياه لم تصح؛ لأنه كان في وادي

---

(١) رواه الترمذي (٣١٩٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٠٠) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٣) تقدم تخريجه.

القرى متوجهًا نحو البصرة حين قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ البصرة، ويقال: لقي طلحة، وعائشة، ولم يصح له منهما سماع، وروى عن غيرهما من الصحابة؛ مثل: أبي بكرة الثقفي، وأنس بن مالك، وسمرة ابن جندب، وابن عمر، وقيس بن عاصم، وجندب بن عبدالله، ومعقل بن يسار، وعمرو بن تغلِب ـ بالمثناة الفوقية والغين المعجمة وكسر اللام ـ، وعبد الرحمن بن سمرة، وأبي برزة الأسلمي، وعمران بن الحصين، وعبدالله ابن مغفل، وغيرهم من الصحابة ﷺ أجمعين.

وقد قال الفُضيل بن عياض: سألت هشامَ بنَ حسان: كم أدرك الحسنُ من الصحابة؟ قال: مئة وثلاثين[1].

وعن الحسن ـ رحمه الله ـ قال: غزونا غزوة إلى خراسان معنا فيها ثلاثمئة من أصحاب رسول الله ﷺ[2].

وأما التابعون، فسمع كثيرًا منهم، وروى عنه خلائق لا يحصَوْن، وهو أي ـ سيدنا الحسن ـ الذي روى عن أمه عن أم سلمة ﷺ زوجِ رسول الله ﷺ في غسلِ بولِ الغلام في كتاب الطهارة، وهو في كتاب أبي داود[3].

وكان الحسن حضر يوم الدار ـ يعني: حصار عثمان بن عفان ﷺ ـ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٤٨).

(٢) رواه ابن حزم في «المحلى» (٤/ ١٠٥)، وأورده المزي في «تهذيب الكمال» (٦/ ١٢٤).

(٣) رواه أبو داود (٣٧٩) من حديث الحسن عن أمه: أنها أبصرت أم سلمة تصب الماء على بول الغلام ما لم يطعم، فإذا طعم غسلته، وكانت تغسل بول الجارية.

وكان عمره يومئذ أربع عشرة سنة.

وجلالة سيدنا الحسن البصري وإمامته وزهده ما لا يخفى، ومناقبه لا تحصى.

روى النووي عن عمران القصير قال: سألت الحسن عن شيء، فقلت: إن الفقهاء يقولون كذا وكذا، فقال: وهل رأيتَ فقيهًا بعينيك، إنما الفقيه الزاهدُ في الدنيا، البصيرُ بدينه، المداومُ على عبادة ربه[1].

وكان الحسن يحلف بالله: ما أعز أحدٌ الدراهم إلا أذله الله[2].

وكان الحسن ـ قدس الله روحه ـ إمامَ وقته في كل فن[3].

* **تتمة:**

قد اشتهر الخلاف بين علماء المحدثين في سماع الحسن البصري من أمير المؤمنين علي ﷺ، فأثبته مَنْ أثبته منهم، واعتمد ذلك أئمةُ الصوفية، وجعلوا أن الخرقة إنما لبسها الحسنُ من سيدنا أمير المؤمنين عليّ ﷺ، وعليٌّ لبسها من سيد العالم نبينا محمد ﷺ.

ورجح سماعَ الحسن البصري من عليٍّ الإمامُ الحافظ ضياء الدين المقدسي في «المختارة»، وتبعه من تبعه من أئمة المحدثين.

قال الحافظ الضياء في «المختارة»: الحسن البصري رأى عليًّا، وروى

(١) ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥١٨٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٧٢).

(٣) انظر ترجمته في: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ١٦٥)، و«تهذيب الكمال» للمزي (٦/ ٩٥).

عنه، وقيل: لم يسمع منه[1].

وتبعه على هذه العبارة الحافظُ ابنُ حجر، في «أطراف المختارة»[2].

واعتمد الحافظ جلالُ الدين السيوطي: أن الحسن سمع من عليٍّ رضوان الله عليه، ورجحه بوجوه:

منها: أن علماء الأصول ذكروا في وجوب الترجيح أن المثبِت مقدَّم على النافي؛ لأن معه زيادة علم.

الثاني: ما قدمناه أن الحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ باتفاق، وكانت أم الحسن، واسمها خَيْرة ـ بفتح الخاء المعجمة وسكون التحتية فراء فهاء تأنيث ـ مولاة أم المؤمنين أم سلمة ﷺ، فكانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة ﷺ يباركون عليه. وأخرجته إلى عمر ﷺ، فدعا له: اللهم فقهه في الدين، وحببه إلى الناس، ذكره الحافظ جمال الدين المزي في «التهذيب»[3]، وأخرجه العسكري في كتاب «المواعظ» بسنده[4].

وذكر المزي: أن الحسن حضر يوم الدار وعمره أربع عشرة سنة[5] ـ كما قدمنا ـ.

ومن المعلوم أنه حين بلغ سبع سنين أمر بالصلاة، فكان يحضر

---

(١) انظر: «الحاوي للفتاوى» للسيوطي (٢/ ٩٦).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٦/ ١٠٤).

(٤) ورواه الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٤١٥).

(٥) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٦/ ٩٧).

الجماعة، فكيف يُستنكر سماعُه من علي ﷺ، وهو كل يوم يجتمع مع الصحابة خمس مرات من حين ميز إلى أن بلغ أربع عشرة سنة وزيادة على ذلك؟ وكان عليٌّ ـ رضوان الله عليه ـ يزور أمهات المؤمنين، ومنهن أم سلمة، والحسنُ وأم الحسن في بيتها[1].

قال البرماوي في «شرح نظم رجال عمدة الأحكام»[2]: المشهور أن أم

---

(١) انظر: «الحاوي للفتاوى» للسيوطي (٢/ ٩٦).

(٢) «الزهر البسام فيما حوته عمدةُ الأحكام من الأنام»، لأبي عبد الدائم محمد البرماوي الشافعي، وهو أرجوزة، ابتدأ فيها بالنبي ﷺ، ثم الخلفاء الأربعة، والباقي على حروف المعجم، ثم شرحها، وسماه: «سرح النهر بشرح الزهر»، فرغ منه في شوال سنة (٧٩٦هـ).

والبرماوي نسبة لبرمة في مصر، واسمه: محمد بن عبد الدائم بن موسى بن عبد الدائم بن فارس بن محمد بن رحمة بن إبراهيم، شمس الدين، أبو عبدالله النعيمي، العسقلاني الأصل، البرماوي، ولد سنة (٧٦٣هـ)، سمع الحديث على جماعة، منهم: البرهان ابن جماعة، ولازم البدر الزركشي، وحضر درس البلقيني، وابن الملقن، والعراقي، ثم توجه إلى دمشق وأقرأ الطلبة هنالك، ودرّس في مدارس، ثم عاد إلى القاهرة، وتصدى للإفتاء والتدريس والتصنيف، ثم حج وجاور ونشر العلم هنالك، وتوجه إلى القدس فدرّس في بعض مدارسها، وكان إمامًا في الفقه وأصوله والعربية، وله تصانيف، منها: «شرح البخاري» في أربع مجلدات، و«شرح العمدة»، وله ألفية في أصول الفقه وشرحها، ومنظومة في الفرائض، ولم يزل قائمًا بنشر العلم تصنيفًا وتدريسًا حتى مات في يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة سنة (٨٣١هـ) ببيت المقدس. انظر: «البدر الطالع» للشوكاني (٢/ ١٨١)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢/ ٩٥٨).

الحسن خَيرة كانت مولاةً لأم سلمة أُمِّ المؤمنين ﵂، قالوا: فربما خرجت أُمه في شغل، فيبكي، فتعطيه أمُّ سلمة ثديها، فيدرُّ عليه، فيرون أن تلك الفصاحة والحكمة من بركة ذلك. انتهى[1].

قال الحافظ السيوطي: وقد ورد عن الحسن ما يدل على سماعه من أمير المؤمنين أبي الحسن ﵄.

أورد المزي في «التهذيب» من طريق أبي نعيم بسنده المتصل إلى يونس بن عبيد قال: سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد! إنك تقول: قال رسول الله ﷺ، وإنك لم تدركه، قال: يا ابن أخي! لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ قبلك، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك، إني في زمان كما

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٤٧) من طريق عبدالله بن محمد بن أبي كامل، عن هوذة بن خليفة، عن عوف بن أبي جميلة.

وعبدالله بن محمد بن أبي كامل، ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٠٣)، ولم يحكم عليه بجرح أو تعديل، وكذا لم يحكم عليه ابنُ حجر في «لسان الميزان» (٣/ ٣٥٤) واقتصر على قوله: أتى عن هوذة بن خليفة بخبر منكر، قال: حدثنا هوذة، ثنا عوف، عن الحسن قال: ما كلمت امرأة قط أعقل من عائشة ﵂.

أما عوف بن أبي جميلة فهو ثقة، من السادسة، مات سنة ست أو سبع وأربعين، وله ست وثمانون، كما في «تقريب التهذيب» لابن حجر (ص: ٤٣٣).

أقول: للرواية علتان، وسندها ضعيف جدًّا، ففي سنده عبدالله بن محمد بن أبي كامل، وهو ضعيف؛ لأنه مجهول الحال.

وعوف بن أبي جميلة لم يدرك الحادثة المذكورة، ولم يذكر الواسطة التي نقل عنها هذه الحادثة.

ترى ـ وكان في عمل الحجاج ـ كل شيء سمعتني أقول: قال رسـول الله ﷺ، فهو عن علي بن أبي طالب، غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليًا رضي الله عنه[(١)].

ثم ذكر الحافظ السيوطي عدة أحاديث يرويها الحسن عن علـي رضي الله عنه، منها: ما أخرجه الإمام أحمد في «المسند»: حدثنا هشيم، أخبرنـا يـونس، عن الحسن، عن عليٍّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رُفع القلـم عـن ثلاثة: عن الصغير حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المـصاب حتـى يكشف عنه»[(٢)]، أخرجه الترمذي وحسنه، والنسائي، والحاكم، وصـححه الضياء المقدسي المصنف رحمه الله في «المختارة»[(٣)].

قال العراقي في «شرح الترمذي»: قال علي ابن المـديني: الحـسن رأى عليًا بالمدينة وهو غلام، وقال أبو زرعة: كان الحسن يوم بويـع لعلـي ابـن أربع عشرة سنة، ورأى عليًا بالمدينة، ثم خرج إلى الكوفة والبصرة، ولـم يلقـه الحسن بعد ذلك، وقال الحسن البصري: رأيت الزبير يبايع عليًا. انتهى[(٤)].

قال الحافظ السيوطي: وفي هذا القدر كفايـة، ويحمـل قـول النـافي على ما بعد خروج علي رضي الله عنه من المدينة.

وأخرج النسائي عن الحسن عـن علـي رضي الله عنه [أن رسـول الله ﷺ قـال:

---

(١) انظر: «الحاوي للفتاوى» للسيوطي (٢/ ٩٦). وانظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٦/ ١٢٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١١٦).

(٣) رواه الترمذي (١٤٢٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٣٤٦)، والحـاكم فـي «المستدرك» (٨١٧٠)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤١٥).

(٤) انظر: «الحاوي للفتاوى» للسيوطي (٢/ ٩٧).

«أفطر الحاجم والمحجوم»[1].

وقال الطحاوي: ثنا نصر بن مرزوق، ثنا الخطيب، ثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن، عن علي][2] قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان في الرهن فضل، فأصابته جائحة، فهو في بما فيه[3]...» الحديث[4].

وأخرج الدارقطني بسنده إلى الحسن عن علي أن النبي ﷺ قال لعلي: «يا علي! قد جعلنا إليك هذه السبقة بين الناس...» الحديث[5].

وروى الدارقطني أيضًا بسنده إلى الحسن: قال الحسن: قال علي ﷺ: إن الله وَسَّع عليكم، فاجعلوه صاعًا من بُرّ وغيره[6]؛ يعني: زكاة الفطر.

وأخرج أيضًا بسنده عن الحسن، عن علي ﷺ قال: الخليَّةُ والبريَّةُ والبتَّة والبائنُ والحرامُ ثلاثٌ لا تحلُّ [لهم] حتى تنكحَ زوجًا غيرَه[7].

وروى الطحاوي بسنده عن الحسن عن علي ﷺ قال: ليس في مس الذكر وضوء[8].

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٣١٦١).

(٢) ما بين معكوفتين من «الحاوي للفتاوى» للسيوطي (٢/ ٩٧).

(٣) في «الأصل»: «عافيه» بدل «بما فيه»، والمثبت من «شرح معاني الآثار».

(٤) رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ١٠٣).

(٥) رواه الدارقطني في «سننه» (٤/ ٣٠٥).

(٦) رواه الدارقطني في «سننه» (٢/ ١٥٢).

(٧) رواه الدارقطني في «سننه» (٤/ ٣٢).

(٨) رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٧٨). =

وروى أبو نعيم في «الحلية» بسنده عن الحسن، عن علي ﷺ قال: طوبى لكلّ عبد [نُوَمة] عرف الناس ولم يعرفه الناس، عرفه الله تعالى برضوان، أولئك مصابيح الهدى، يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله في رحمة منه، ليس أولئك بالمذاييع البذر، ولا الجفاة المرائين[1].

وروى الخطيب في «تاريخه» بسنده عن الحسن عن علي ﷺ قال: كفنتُ النبيَّ ﷺ في قميص أبيضَ، وثوبي حبرة[2].

وروى جعفرُ بنُ محمدٍ في كتابه «العروس»: حدثنا وكيعٌ عن الربيع، عن الحسن، عن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ، رفعه: «من قال في كل يوم ثلاث مرات: صلواتُ الله على آدم، غفر الله له الذنوب وإن كانت أكثرَ من زبد البحر»[3]، أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» من طريقه[4].

= والخلاف في مسألة مس الذكر مشهور، قال بعض الفقهاء: ينقض الوضوء، وقال أبو حنيفة: لا ينقض، وقد ناقش ذلك ابن الجوزي في كتاب «التحقيق في أحاديث الخلاف» (١/ ١٧٦ ـ ١٨٥)، فاستعرض ما جاء في ذلك من الروايات، وناقش سند كل حديث وصحته، فانظره هناك.

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٦)، والدارمي في «سننه» (٢٥٩)، وقال الدارمي: نُوَمة: غافل عن الشر، المذاييع البُذر: كثير الكلام.

(٢) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٦٢)، وفيه سليمان بن أرقم، قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: ٢٥٠): ضعيف.

(٣) أورده الفتني في «تذكرة الموضوعات» (ص: ٩٠)، وقال: من كتاب «العروس»، وأحاديثه منكرة.

(٤) انظر: «الحاوي للفتاوى» للسيوطي (٢/ ٩٧).

قال السيوطي: ثم رأيت الحافظَ ابنَ حجر قال في «تهـذيب التهـذيب»: قال ابن معين: لم يسمـع الحسن من علي بن أبي طالـب، قيـل: ألم يسمع من عثمان؟ قال: يقولون عنه: رأيت عثمان قام خطيبًا[١].

وقال غير واحد: لم يسمع من علي، وقد روى عنه غير حديث.

قال الحافظ ابن حجر: وقع في «مسند أبي يعلى» قال: حدثنا حوثرة بن أشرس[٢] قال: أخبرنا عقبةُ بنُ أبي الصهباء الباهلي قال: سـمعت الحـسن يقول: سمعت عليًا قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلُ أمتي مثـلُ المطـر...» الحديث[٣].

قال محمدُ بنُ الحسن الصيرفي: هذا نص صريح في سماع الحسن مـن علي، رجاله ثقات.

حـوثــرة[٤] وثقــه ابــن حبــان، وعقبـةُ وثقـه الإمـام أحمـد، وابـنُ

---

(١) انظر: «تاريخ ابن معين» (رواية الدوري) (٤/ ٢٦٠).

(٢) في الأصل: «جويرية بن أسرين» بدل «حَوثَرة بن أشْـرَس»، والتـصويب مـن «تحفـة الأحوذي» للمباركفوري (٤/ ٥٧١).

ويكنى بأبي عامر العدوي البصري، روى عنه أبو يعلى الموصليّ، وأبـو زرعـة، وأبو حاتم، وغيرهم، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومئتين. انظر: «سير أعلام النـبلاء» للذهبي (١٠/ ٦٦٨).

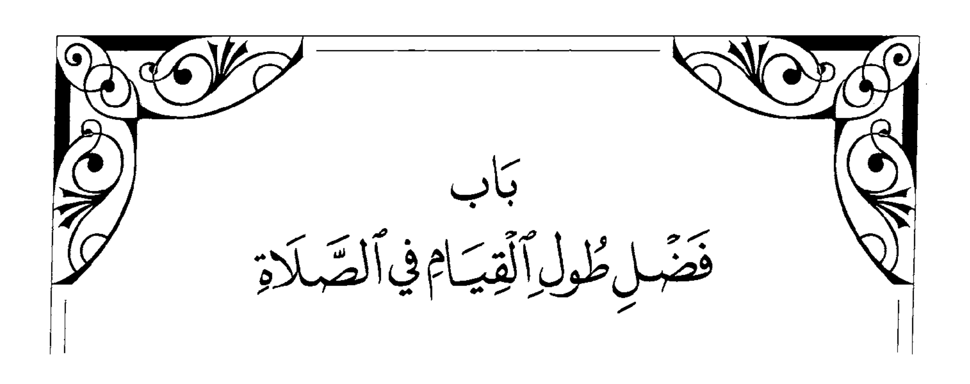
(٣) ورواه الترمذي (٢٨٦٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٧١٧)، من حديث أنس بن مالك ﷺ، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٤) في الأصل: «جويرية»، والتصويب من «تحفة الأحوذي» (٤/ ٥٧١).

معين[1]، والله أعلم.

❐❐❐

(١) انظر: «الحاوي للفتاوى» للسيوطي (٢/ ٩٨).

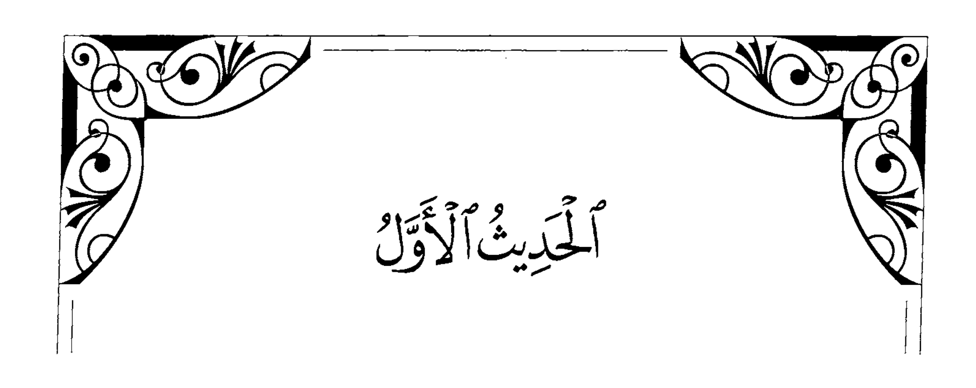


بَاب
فَضۡلِ طُولِ ٱلۡقِيَامِ فِي ٱلصَّلَاةِ

قد تقدم طرفٌ من ذكر الخلاف بين العلماء في المفاضلة بين كثرة السجود والركوع، وطولِ القيام في الصلاة في فضل السجود للواحد المعبود، فيتفطن له.

وذكر الحافظ المصنف ـ قدس الله روحه ـ في هذا الباب حديثين.

* * *



الحديث الأول

٨٥ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الصَّلاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «طُولُ الْقُنُوتِ». رواه مسلم[1].

(**عن**) أبي عبدالله (**جابرِ بنِ عبدالله** رضي الله عنهما **قال: سئل**) بضم السين المهملة وكسر الهمزة مبنيًّا لما لم يسم فاعله (**رسولُ الله** ﷺ) بالرفع نائب الفاعل: (**أيّ الصلاة أفضل؟**) من جهة التخفيف والتطويل ونحوهما؛ أي: أيّ هيئات الصلاة أفضل حتى نأتي بذلك ونفعله في صلاتنا؟ (**قال**) ﷺ مجيبًا للسائل: أفضلُ الصلاة (**طول القنوت**).

قال الإمام النووي: والمراد به هنا: القيامُ باتفاق العلماء فيما علمت. انتهى[2].

(القنوت) يرد لمعان متعددة، كالطاعة، والخشوع، والصلاة، والدعاء، والعبادة، والقيام، وطول القيام، والسكوت، فيصرف في كل واحد من هذه المعاني إلى ما يحتمله لفظ الحديث الوارد فيه، كما في «النهاية»[3].

---

(١) رواه مسلم (٧٥٦).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٣٥ ـ ٣٦).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ١١١).

وقال ابن الأنباري: القنوت على أربعة أقسام: الصلاة، وطول القيام، وإدامة الطاعة، والسكوت[1].

فأما الخشوع، فسنّة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[المؤمنون: ١ ـ ٢].

والخشوع: معنًى يقوم بالنفس يظهر منه سكونُ الأطراف؛ لقوله عليه السلام في العابث بلحيته: «لو خشع قلبُ هذا، لخشعت جوارحه»[2].

قال الجوهري: الخشوع: الخضوع، والإخبات: الخشوع[3].

وقال البيضاوي وغيره في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[المؤمنون: ١ ـ ٢]: أي: خائفون من الله، متذللون له، ملزمون أبصارهم مساجدَهم[4].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[البقرة: ٤٥]: أي: المخبتين، والخشوع: الإخبات، ومنه: الخُشْعة[5]: للرملة المُتَطَامِنة.

---

(١) انظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» لابن الأنباري (١/ ٦٨).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ١٠٠٧) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (١/ ٢٢٧): موضوع.

ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦٧٨٧) من قول سعيد بن المسيب.

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: خشع، خبت).

(٤) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٤٦).

(٥) الخُشْعة: أَكَمَةٌ لاطِئةٌ بالأرض، والجمْع: خُشَع، وقيل: هو ما غَلَبت عليه السُّهولة؛ أي: ليس بحَجر ولا طين. انظر: «النهاية في غريب الحديث» =

والخضوع: اللين والانقياد، ولذلك يقال: الخشوع بالجوارح، والخضوع بالقلب[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا غلب الوسواس على أكثر الصلاة لا يبطلها؛ لأن الخشوع سنة، والصلاة لا تبطُل بترك سنة[2].

وذكر الشيخ وجيه الدين[3]: أن الخشوع واجب، وعليه: فتبطل صلاة من غلب الوسواس على أكثر صلاته[4].

لكن قال في «الفروع»: مراده ـ أي: وجيه الدين ـ والله أعلم: في بعضها؛ يعني: أن يوجد الخشوع ولو في بعض الصلاة، وإن أراد: في كلها، فإن لم تبطل بتركه، فخلاف قاعدة ترك الواجب، وإن بطلت به، فخلاف

= لابن الأثير (٢/ ٣٤).

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (١/ ٣١٧).

(٢) انظر: «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (٤/ ٤٢٣).

(٣) هو ابن المنجى، الشيخ الإمام العلامة شيخ الحنابلة وجيه الدين أبو المعالي أسعد بن المنجى بن أبي المنجى بركات بن المؤمل التنوخي المعري ثم الدمشقي الحنبلي، ولد سنة تسع عشرة وخمسمئة، تفقه على الكثير من مشايخ الحنابلة، منهم: الشيخ عبد القادر، وألف كتاب «النهاية في شرح الهداية» في عدة مجلدات، وكتاب «الخلاصة في المذهب»، وغير ذلك، وروى عنه الشيخ موفق الدين بن قدامة، وابن خليل، والضياء، والزكي المنذري، والشهاب القوصي، وابن أبي عمر، وجماعة، توفي في جمادى الآخرة سنة ست وستمئة، وله سبع وثمانون سنة. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١/ ٤٣٦).

(٤) نقله البهوتي في «كشاف القناع» (١/ ٣٩٢).

الإجماع، وكلاهما خلاف الأخبار. انتهى[1].

قال ابن حجر في «شرح البخاري»: الخشوع تارة يكون من فعل القلب كالخشية، وتارة من فعل البدن كالسكون، وقيل: لا بد من اعتبارهما، حكاه الفخر الرازي في «تفسيره»، ويدل على أنه من عمل القلب: حديث علي ﷺ: الخشوع في القلب، أخرجه الحاكم[2]، وأما حديث: «لو خشع قلب هذا، لخشعت جوارحه»[3]، ففيه إشارة إلى أن الظاهر عنوانُ الباطن[4].

قال: وقد حكى النووي الإجماع على أن الخشوع ليس بواجب[5].

قال الحافظ ابن حجر: المراد بالإجماع: أنه لم يصرح أحد بوجوبه، قال: وفيه تعقُّب على من نسب إلى القاضي حسين، وأبي زيد المروزي الشافعيين أنهما قالا: إن الخشوع شرط في صحة الصلاة، وقد حكاه المحب الطبري، وقال: هو محمول على أن يحصل في الصلاة في الجملة، لا في جميعها[6].

قال ابن حجر: والخلاف في ذلك عند الحنابلة أيضًا. انتهى[7].

---

(١) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٤١٢).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٢).

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٢٢٥).

(٥) المرجع السابق (٢/ ٢٢٦).

(٦) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٧) المرجع السابق، الموضع نفسه.

وقد علمت ما قاله وجيه الدين، وحمل صاحب «الفروع» كلامه على حصول الخشوع في بعض الصلاة[1]، ومعتمَدُ المذهب: أن الصلاة لا تبطل بعمل القلب، ولو طال، فيدل على أنها لا تبطل بترك الخشوع.

وقال ابن حامد، والحافظ ابن الجوزي: تبطل صلاةُ من غلب الوسواس على أكثر صلاته[2].

وهذا يقتضي أنه واجب عندهما في الجملة.

وقال ابن المنير: الصواب أن عدم الخشوع تابعٌ لما يظهر عنه من الآثار، وهو أمر متفاوت، فإن أثر نقصًا في الواجبات، كان حرامًا، وكان الخشوع واجبًا، وإلا فلا[3].

(رواه)؛ أي: الحديث المشروح: الإمام أبو حسين **(مسلمٌ)** في «صحيحه»[4]، ورواه أيضًا الإمام أحمد، والترمذي[5]، ورواه الطبراني من حديث أبي موسى، وعمرِو بنِ عبسةَ، وعمرانَ بنِ قتادةَ الليثيِّ رضي الله عنهم[6].

---

(١) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٤١٢).

(٢) نقله ابن مفلح في «الفروع» (١/ ٤١٢، ٤٣٥).

(٣) نقله ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٢٢٦).

(٤) تقدم تخريجه قريبًا.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣١٤)، والترمذي (٣٨٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٦) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢١٠٦) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٦١) من حديث عمرو بن عبسة، وعزاه للطبراني في «المعجم الكبير»، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٤٨) =

وقد روى الطبراني بإسناد حسن، من حديث أبي الدرداء ﵁: أن النبي ﷺ قال: «أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوعُ، حتى لا ترى فيها خاشعًا»[1].

ورواه ابنُ حبان في آخر حديثٍ موقوفًا على شداد بن أوس[2]، ورفعه الطبراني أيضًا[3].

قال الحافظ المنذري: والموقوفُ أشبه[4].

وروى أبو داود، والنسائي عن مُطرفٍ عن أبيه ﵁ قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي، وفي صدره أزيز كأزيز الرحا من البكاء[5]، ولفظ النسائي: رأيت رسول الله ﷺ يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل؛ يعني: يبكي[6].

= من حديث عمير بن قتادة ﵁.

(١) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٥٧٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٣٦): رواه الطبراني في «الكبير»، وإسناده حسن.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٥٧٢) في آخر حديث مالك بن عوف ﵁، من حديث شداد بن أوس ﵁ موقوفًا.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٤٣) من حديث شداد بن أوس موقوفًا، ولم نقف عليه مرفوعًا.

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٠٤).

(٥) رواه أبو داود (٩٠٤).

(٦) رواه النسائي (١٢١٤).

ورواه ابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما بنحو رواية النسائي[١]، إلا أن ابن خزيمة قال: ولصدره أزيز[٢].

والأزيز بزائين[٣] بينهما تحتية[٤]: صوت الرحا.

والمِرجَل بكسر الميم وفتح الجيم: هو القِدْر؛ يعني: أن لجوفه حنينًا كصوت غليان القدر.

وفي «كبير الطبراني» عن الأعمش قال: كان عبدالله ـ يعني: ابن مسعود رضي الله عنه ـ إذا صلى كأنه ثوب ملقى[٥].

وروى البيهقي بإسناد صحيح عن مجاهد قال: كان الزبير رضي الله عنه إذا قام في الصلاة كأنه عود، وحدث أن الصدّيق الأعظم كان كذلك، قال: وكان يقال: ذاك الخشوع في الصلاة[٦]. والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٦٥).

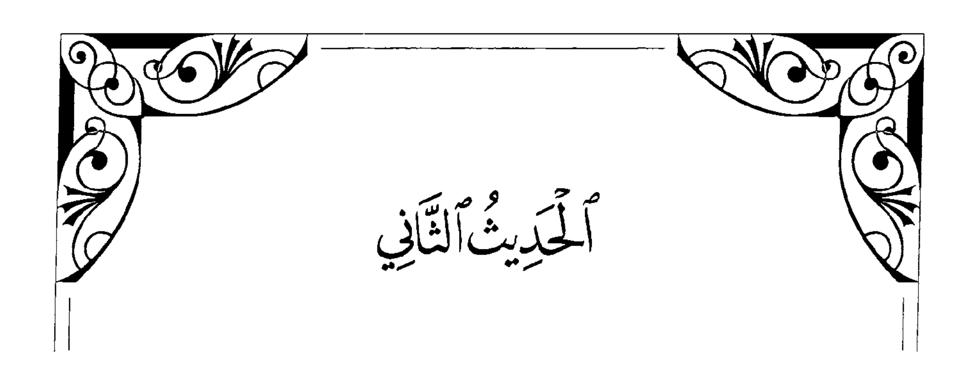
(٢) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٩٠٠).

(٣) في الأصل: «ائين»، والتصويب من «جمع الوسائل» لعلي القاري (٢/ ١٤٤).

(٤) في الأصل: «نحبة»، والتصويب من المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٣٤٢).

(٦) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٨٠).



الحديث الثاني

٨٦ ـ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ حُبْشِيٍّ الْخَثْعَمِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الأعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «طُولُ الْقِيَامِ». رواه أبو داود[١].

قال بعض العلماء: طولُ القيام يكون بالليل، وكثرةُ السجود يكون بالنهار على معنى صلاة الليل؛ فإنها كانت طويلة.

(عن عبدِالله بنِ حُبْشِيّ) بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة وكسر الشين المعجمة وتشديد التحتية (**الخثعميِّ**) بفتح الخاء المعجمة وسكون المثلثة وفتح العين المهملة، منسوب إلى خَثْعَم بن أنمارِ بنِ إراشِ بنِ عمرِو ابنِ الغوثِ بنِ نبتِ بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ كهلانَ. وقيل: خثعمٌ هو أقيلُ بنُ أنمار. وقيل: خثعمٌ جملٌ كان يحمل لهم، فكانوا يقولون: احتمل آل خثعم. وقيل: إنهم لما تحالفوا على بجيلة، نحروا بعيرًا، فخثعموا بدمه؛ أي: تلطخوا. وقيل: هو اسم لجبل تحالفوا عنده[٢].

لعبدِالله بنِ حُبشي المذكورِ ﷺ رؤية ورواية عن رسول الله ﷺ، وعداده

---

(١) رواه أبو داود (١٣٢٥).

(٢) انظر: «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (١/ ٤٢٣).

في أهل الحجاز، وسكن مكة، روى عنه عُبيد بن عُمير ـ مُصَغَّرين ـ ، وسعيد ابن محمد بن جبير بن مطعم، وغيرهم.

قال عبدالله المذكور **(أن النبي ﷺ سئل: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال)**؛ أي: فأجاب ﷺ السائلَ بقوله: **(طول القيام، رواه أبو داود)**.

قال الإمام الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ : **(قال بعض العلماء)** في المفاضلة ما بين طول القيام وكثرة الركوع والسجود: **(طولُ القيام يكون بالليل، وكثرةُ السجود يكون بالنهار على معنى صلاة الليل)**؛ يعني: صلاة النبي ﷺ بالليل؛ **(فإنها كانت طويلة)**.

وقد قدمنا في فضل السجود معنى هذه المقالة عن الإمام الكبير الحافظ المتقن أبي يعقوبَ إسحاقَ بنِ إبراهيم بن مخلدِ بنِ إبراهيمَ الحنظليِّ التميميِّ المروزيِّ المعروفِ بابن راهويه، أحدِ أركان المسلمين، وعَلَمٍ من أعلام الدين، وممن جمع بين الفقه والحديث، والإتقان والحفظ، والصدق والورع، وهو من إخوان سيدنا الإمام أحمد رضي الله عنهما؛ فإن إسحاق بن راهويه قال: فأما في النهار، فتكثير الركوع والسجود أفضل، وأما في الليل، فتطويل القيام أفضل، إلا أن يكون للرجل حزب بالليل يأتي عليه، فتكثير الركوع والسجود أفضل؛ لأنه يقرأ حزبه، ويربح كثرة الركوع والسجود[1].

قال الإمام أبو عيسى الترمذي: إنما قال إسحاق هذا؛ لأنهم وصفوا صلاة النبي ﷺ بالليل بطول القيام، ولم يوصف من تطويله بالنهار ما وصف بالليل. انتهى[2].

---

(١) أورده الترمذي في «سننه» عقب حديث (٣٨٩).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» (٢/ ٢٣٢)، عقب حديث (٣٨٩).

قال علماؤنا: ما ورد عن النبي ﷺ تخفيفه؛ كركعتي الفجر، وركعتي افتتاح قيام الليل، وتحية المسجد إذا دخل والإمام يخطب يومَ الجمعة، فالأفضل تخفيفُه، وما ورد عن النبي ﷺ تطويلُه؛ كصلاة الكسوف، فالأفضل تطويلُه؛ لأن الفضل في اتباعه ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١]، وما عدا ما روي عنه ﷺ من تخفيف وتطويل، فكثرةُ الركوع والسجود فيه أفضلُ من طول القيام؛ لما قدمنا عنه عليه أفضلُ الصلاة والسلام: «أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[(١)].

وفي «فروع العلامة ابن مفلح» ما لفظه: وكثرةُ الركوع والسجود أفضل.

وقال في «الغُنية»[(٢)]، وابن الجوزي: نهارًا.

وعنه ـ أي: عن الإمام أحمد رضي الله عنه ـ: طول القيام أفضل؛ وفاقًا لأبي حنيفة، والشافعي رضي الله عنهما، وعنه: التساوي، اختاره صاحب «المحرر»؛ يعني: مجد الدين ابن تيمية[(٣)]، وحفيده؛ يعني: شيخ الإسلام ابن تيمية[(٤)].

---

(١) انظر: «كشاف القناع» للبهوتي (١/ ٤٤٠)، والحديث رواه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتتمته: «فأكثروا الدعاء».

(٢) «الغنية لطالبي طريق الحق»، للشيخ عبد القادر الجيلاني الحنبلي، رحمه الله تعالى (٥٦١هـ). انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٢١١).

(٣) الشيخ الإمام العلامة شيخ الحنابلة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبدالله ابن الخضر بن محمد بن علي الحراني، ابن تيمية، ولد سنة تسعين وخمسمئة تقريبًا، وتوفي بحران يوم الفطر سنة اثنتين وخمسين وستمئة، وهو جد شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٣/ ٢٩١).

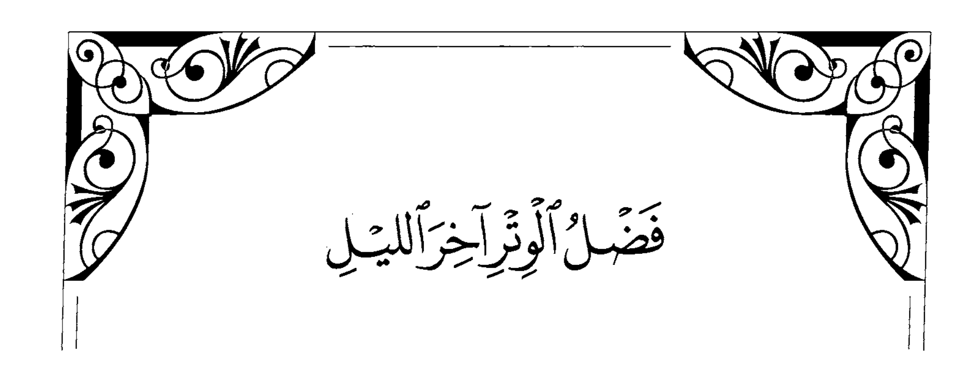
(٤) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٥٠٥).

وكلام حفيد صاحب «الفروع» في «المبدع» نحو كلام جـدّه، إلا أنـه قال: ما ورد عن النبي ﷺ تطويلُه أو تخفيفُه، فالأولى اتباعُه[1]، والله تعالى الموفق.

❒ ❒ ❒

---

(١) انظر: «المبدع» لابن مفلح (٢/ ٢٢).



فَضْلُ ٱلْوِتْرِ آخِرَ ٱللَّيْلِ

أي: هذا بابه.

قال في «النهاية»: الوتر تكسَر وَاوُه وتفتح: الفرد[1].

زاد في «القاموس»: أو ما لم يشفع من العدد[2].

ثم اعلم أن الوتر مستحب؛ وفاقًا لمالك، والشافعي، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وعند أبي حنيفة: إنه واجب، وهي رواية عن الإمام أحمد، واختار وجوبه منا: أبو بكر، والمعتمد: أنه مستحب.

وأقلُّه ركعة، وأكثره إحدى عشرة؛ وفاقًا للشافعي، وقيل: أكثره ثلاث عشرة؛ لفعله ﷺ، رواه الإمام أحمد من حديث أم سلمة[3].

وقيل: الوتر ركعة، وما قبله ليس منه.

ولا يكره الوتر بواحدة وفاقًا للشافعي، ولمالك في رواية عنه.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ١٤٦).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: وتر).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٢٢). ورواه الترمذي (٤٥٧) وقال: حديث حسن

وعن الإمام أحمد: يكره الوتر بواحدة[1]، وقيل: بلا عذر.

وأدنى كماله ثلاثُ ركعات بتسليمتين، ويجوز بتسليمة، وكالمغرب.

وقال شيخ الإسلام: يخير بين الفصل والوصل[2].

وذكر الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الباب حديثًا واحدًا، وهو:

٨٧ ـ عَنْ أَبي عبدِالله جابرِ بنِ عبدالله رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ، فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَل». رواه مسلم[3].

(**عن أبي عبدالله جابرِ بنِ عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من خاف أن لا يقوم**) من نومه؛ لثقله عليه (**من آخر الليل**) متعلق بـ(**أن لا يقوم**)، (**فليوتر**)؛ أي: فليصلِّ الوتر جميعه حتى ركعته الأخيرة (**من أوله**)؛ أي: من أول الليل، ولا يؤخره؛ حيث لم تكن له عادة بالقيام من آخر الليل، فيفوت عليه؛ لفوات وقته؛ فإن وقت الوتر من بعد صلاة العشاء الآخرة إلى قبل الفجر، وهذا معتمد مذهبنا؛ كالشافعية، والمالكية.

---

(١) انظر: «مسائل الإمام أحمد وابن راهويه» (١/ ١٩٨)، و«الإنصاف للمرداوي (٢/ ١٦٨).

(٢) نقله المرداوي في «الإنصاف (٢/ ١٧٠).

(٣) رواه مسلم (٧٥٥).

وعن الإمام أحمد رواية مرجوحة: إلى صلاة الفجر[1]؛ وفاقًا لمالك.

ومذهب أبي حنيفة: وقتُ الوتر من غيبوبة الشفق، إلا أن العشاء يقدم عليه لوجوب الترتيب، وقال صاحباه كقول الجمهور.

قال الإمام أحمد فيمن يفجؤه الصبح، ولم يكن صلى بَعْدَ العتمة شيئًا، ولا أوترَ، قال: يوتر بواحدة، قيل له: ولا يصلي قبلها شيئًا؟ قال: لا[2].

قال القاضي: فبيَّنَ جوازَ الوتر بركعة[3] ليس قبلها صلاة[4].

والأفضلُ تأخيرُ فعل الوتر لآخر وقته إن وثق من نفسه أن يستيقظ، إما بنفسه، أو بمن يوقظه؛ لقوله ﷺ: **(ومن طمع أن يقوم)**؛ أي: يستيقظ **(آخره)**؛ أي: آخر الليل، إما بنفسه، أو بمن يوقظه، فليؤخر الوتر استحبابًا، فإذا صلى حزبه من الليل، وفرغ من تهجده، **(فليوتر)**؛ أي: يصلي الوتر بعد فراغه من تهجده **(آخر الليل)**؛ لأنه وقت التجلي؛ **(فإن صلاة آخر الليل مشهودة)**؛ أي: تشهدها الملائكة وتحضرها.

وأما وصيته ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه بالوتر قبل النوم[5]، [فهي] معلولة بأنه ﷺ كان يعلم من أبي هريرة عدمَ الانتباه آخر الليل؛ لثقل نوم أبي هريرة، فهو ﷺ طبيب، أعطى كل واحد ما يلائمه من الدواء، وإلا، فمن وثق من نفسه أن

---

(١) نقله المرداوي في «الإنصاف» (٢/ ١٦٧).

(٢) نقله ابن مفلح في «الفروع» (١/ ٤٨١).

(٣) في الأصل: «ركعة»، والتصويب من «الفروع» (١/ ٤٨١).

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٥) رواه البخاري (١٩٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يقوم آخر الليل، أَخَّر الوتر، **(وذلك)**؛ أي: تأخير الوتر إلى آخر الليل، لمن وثق من نفسه القيام آخر الليل ليصلي ما كتب له من قيام الليل، فإذا فرغ من تهجده، صلى الوتر، **(أفضلُ)** من أن يوتر قبل أن ينام، وأما من علم من نفسه عدمَ القيام، فإيتارُه قبل أن ينام أفضل.

قال في «الإقناع»: والأفضل فعلُ الوتر آخر الليل لمن وثق من نفسه القيام، وإلا أوترَ قبل أن يرقد، ويقضيه مع شفعه إذا فات وقتُه[1].

(رواه) ـ أي: الحديث المشروح ـ الإمامُ أبو الحسين **(مسلمُ)** بنُ الحجاج في «صحيحه»[2].

ورواه أيضًا الترمذي، وابن ماجه، وغيرهم[3]، وفي بعض ألفاظه: «فإن الصلاة آخر الليل مشهودة محضورة»[4].

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا آخر صلاتكم من الليل وترًا»[5].

والحكمة في ذلك: أن أول صلاة الليل المغرب، وهي وتر، فناسب

---

(١) انظر: «الإقناع» للحجاوي (١/ ١٤٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الترمذي (٤٥٥)، وابن ماجه (١١٨٧).

(٤) رواه مسلم (٧٥٥) من طريق حفص عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه بلفظ: «مشهودة»، ومن طريق أبي معاوية عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه بلفظ: «محضورة».

(٥) رواه البخاري (٩٩٨)، ومسلم (٧٥١).

أن يكون آخرها وترًا[1].

والأمر للندب بقرينة صلاة الليل تهجدًا غيرُ واجبة اتفاقًا، فكذا آخرها.

وروى الإمام أحمد، وأبو داود عن بُريدة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوتر حقّ، فمن لم يوتر فليس منا، الوتر حقّ، فمن لم يوتر فليس منا»، ثلاثًا[2]، ورواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد[3].

وفيما قال نظر؛ لأن في سنده عبيدالله بن عبد [الله]، أبا المنيب العتكي[4]، ضعفه النسائي، وقال البخاري: عنده مناكير، وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بالمقلوبات؛ ووثقه ابن معين وغيره[5]. وبالله التوفيق.

* تنبيه:

اختُلف في الوتر في أشياء: في وجوبه، وفي عدده، واشتراط النية فيه، واختصاصه بقراءة، وفي اشتراطِ شفعٍ قبلَه، وفي أول وقته، وفي

---

(١) كان الأجدر أن يقول الشارح: إن صلاة المغرب هي وتر النهار، فقد أخرج الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠) عن ابن عمر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «صلاة المغرب وتر النهار، فأوتروا صلاة الليل». قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥٧)، وأبو داود (١٤١٩).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١١٤٦).

(٤) عبيدالله بن عبدالله، أبو المُنِيب العتكي المروزي، صدوق يخطىء، من السادسة. انظر: «تقريب التهذيب» لابن حجر (ص: ٣٧٢).

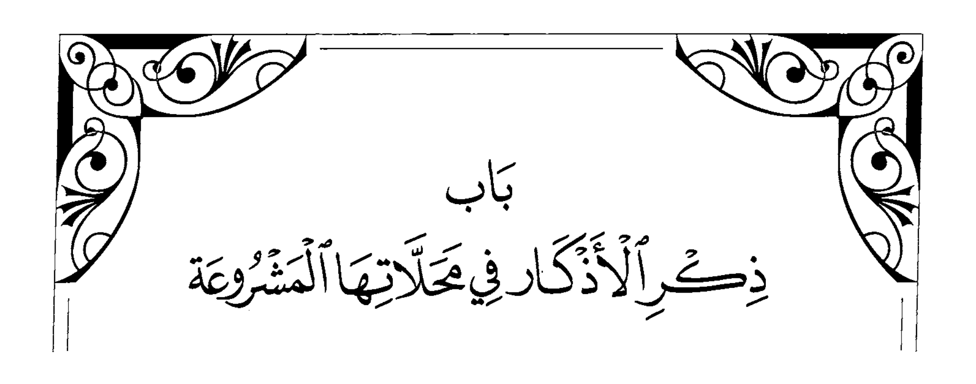
(٥) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٩/ ٨٠)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٧/ ٢٥).

آخره، وصلاته في السفر على الدابة، وفي قضائه، وفي القنوت فيه، وفي محل القنوت منه، وفيما يقال فيه، وفي فصله ووصله، وهل [تشرع][1] ركعتان بعده عن جلوس، وفي كونه أفضل صلاة التطوع، وفي الرواتب هل هي أفضل منه؟ وخصوصًا ركعتي الفجر، وقد علم المعتمد في غالبها مما مر. والله أعلم.

❐❐❐

---

(١) في الأصل كلمة غير واضحة، ولعل المثبت هو الصواب. وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٤٨٠)، وفيه: وقد اختلف السلف في ذلك في موضعين: أحدهما: في مشروعية ركعتين بعد الوتر عن جلوس، والثاني: فيمن أوتر ثم أراد أن يتنفل في الليل.



باب
ذكر الأذكار في محلاتها المشروعة

قال الحافظ المصنف رحمه الله تعالى، ورضي عنه: (ومن فضائل الأذكار بعدَ) فراغ الصلاة (المكتوبة).

وذكر في هذا الفصل خمسة أحاديث:

الحديث الأول

٨٨ ـ عن أبي هريرة ﷺ: أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ، إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً»، قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا:

سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ». رواه البخاري، ومسلم[1].

(**عن أبي هريرة**) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ: **أن فقراء المهاجرين**) سَمَّى منهم في رواية أبي داود: أبا ذر[2] ﷺ[3]، وفي رواية النسائي: أبا الدرداء[4].

قال في الفتح: والظاهر أن أبا هريرة منهم، وكذا زيد بن ثابت، ولا تنافي بين قوله: (فقراء المهاجرين)، وكون زيد بن ثابت أنصاريًّا؛ لاحتمال التغليب من أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي عنهم[5].

(**أَتَوا**) بقصر الهمزة؛ أي: جاؤوا (**رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! ذهب**)؛ أي: مضى، ويستعمل في المعاني والأعيان، يقال: ذهب في الأرض ذهابًا: مضى، وذهب مذهبَ فلان: قصدَ قصدَه وطريقته، وذهب في الدين مذهبًا: رأى فيه رأيًا، وأحدث فيه بدعة.

(**أهلُ الدثور**) بضم الدال المهملة والمثلثة: جمع (دَثْر) بفتح فسكون؛ كفلوس وفلس: هو المال الكثير.

قال الخطابي: وقع في رواية البخاري: أهلُ الدور ـ وجرى عليه

---

(١) رواه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).

(٢) في الأصل: «أبا بكر»، والتصويب من «سنن أبي داود».

(٣) رواه أبو داود (١٥٠٤).

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٩٧٥).

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٣٢٧).

صاحب «المطالع»[1] ـ وهو غلط، والصواب: الدثور، وهكذا رواه الناس كلهم[2].

(والأموال): جمع مال، وهو ما ملكته من كل شيء.

(بالدرجات العلى): جمع (درجة) بالتحريك: الطبقات من المراتب، فالدرجة التي هي المنزلة بالفتح والإسكان؛ كالدركة والدركات، فإن كانت إلى علو، فالدرجات، وإن كانت إلى أسفل، فالدركات، والعُلى ـ بضم العين المهملة ـ: نعتٌ للدرجات.

(والنعيمِ) الأُخرويِّ **(المقيمِ)** الذي لا يزول ولا ينفد؛ بخلاف العاجل؛ فإنه عرضة للزوال، وقلما يَصْفُو، وإن صَفَا قليلًا، أعقبه الكدر والزوال.

(فقال) لهم رسول الله ﷺ: **(وما ذاك؟)** وفي رواية عند البخاري: «وكيف ذلك؟»[3]؛ أي: ما سبب ذهاب أهل الأموال بالأجور؟ جمع أجر، وهو ما يعود على الإنسان من ثواب عمله الدنيوي أو الأخروي. والمراد هنا: الثاني، ولا يقال الأجر إلا في النفع دون الضر؛ بخلاف الجزاء.

(قالوا)؛ أي: الفقراء: **(يصلّون)**؛ يعني: أهل الدثور والأموال **(كما نصلّي، ويصومون كما نصوم)**، زاد في رواية أبي الدرداء: ويذكُرون كما نذكر[4]، **(ويتصدقون)** في حديث أبي ذر: بفضول أموالهم[5]؛ أي: بأموالهم

---

(١) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٣/ ١٢).

(٢) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي (١/ ٥٥٠).

(٣) رواه البخاري (٦٣٢٩)، ولفظه: «كيف ذاك؟».

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٩٧٥).

(٥) رواه مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي ذر ﷺ.

الفاضلة عن كفايتهم، وقيدوا بذلك؛ بياناً لفضل الصدقة؛ فإنها بغير الفاضل عن الكفاية غيرُ مطلوبة، بل ربما يمنع منها إذا حصل له أو لمن يمونه بها ضرّ؛ لحديث: «كفى بالمرء إثمًا أن يُضيع مَنْ يعول»[1]، وعند البخاري في الدعوات: «وأنفقوا من فضول أموالهم»[2].

(ولا نتصدَّق)، وفي الدعوات عند البخاري: «وليست لنا أموال»[3]، **(ويُعتقون)** رقابَ الأرقاء، **(ولا نُعتق)**؛ لعدم ما نقدر عليه من تحصيل ما نساويهم في ذلك من الصدقة والعتق ونحوهما، وليس قولهم ذلك حسدًا لإخوانهم أصحابِ الأموال، بل تحسرًا على ما فاتهم من أفعال البر مما لا يقدرون عليه، ويتعذر عليهم فعلُه؛ لفرط حرصهم على إدراك الخيرات، وقوةِ رغبتهم في الأعمال الصالحة الرافعة للدرجاتِ العلى، والنعيم المقيم.

ففي هذا دليل على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحزنون على ما يتعذر عليهم فعلُه من الخير، ما يقدر عليه غيرهم، فكان الفقراء يحزنون على فوات الصدقات بالأموال، التي يقدر عليها الأغنياء، ويحزنون على التخلف عن الخروج في الجهاد؛ لعدم القدرة على آلاته.

وقد أخبر الله تعالى بذلك في كتابه بقوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾[التوبة: ٩١]، وقوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩١٧٦) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٦٣٢٩).

(٣) رواه البخاري (٦٣٢٩).

[التوبة: ٩٢] الآية.

ففي هذا الحديث: أن الفقراء غبطوا أهلَ الدثور بما يحصل لهم من أجر الصدقة بأموالهم، فدلَّهم النبيُّ ﷺ على أشياءَ من وجوه البر يقدرون عليها.

(فقال رسولُ الله ﷺ: أفلا أُعلمكم شيئًا) من وجوه البر والصدقات **(تدركون به مَنْ سبقكم)** إذا فعلتموه بنحو صدقة وعتق، **(و)** أدلكم على **(ما تسبقون به)**؛ أي: بفعلكم إياه **(مَنْ بعدكم)** ممن لم يعمل مثلكم، **(ولا يكون أحدٌ)** من أصحاب الأموال المتصدقين ولا غيرهم **(أفضلَ منكم إلا من صنع مثلَ ما صنعتم)**؛ أي: مثل صنعكم؛ فإنه يساويهم في ذلك، وإذا كان له فضل صدقة وعتق، فإنه يفضل عليكم به؛ حيث صنع كما صنعتم؛ لأن الله لا يهضم من عمل العاملين له شيئًا. **(قالوا: بلى يا رسولَ الله)**، عَلِّمنا ذلك لندركَ به السابقين، ونسبق به المتخلفين، **(قال)** ﷺ: **(تسبحون الله وتكبرونه وتحمدونه...)** إلخ.

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه عند مسلم لما قالوا ما قالوا: «أوليسَ قد جعل الله لكم ما تصّدّقون» بتشديد الصاد والدال المهملتين[1]، وأصله: تتصدقون به، فأُدغمت إحدى التاءين في الصاد بعد قلبها صاداً، وقد تحذف إحداهما، فتخفف الصاد، ثم بيَّنَ لهم ذلك فقال: «فإن بكل تسبيحَة ـ أي: قول: سبحان الله، ومعناه: تنزيهُ الله تعالى عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفيُ الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل ـ صدقةً[2] ـ أي: حسنة ـ

---

(١) رواه مسلم (١٦٠٠).

(٢) انظر الحاشية السابقة.

وكل تكبيرة ـ أي: قول: الله أكبر ـ صدقةً، وكل تحميدة ـ أي: قول: الحمد لله ـ صدقةً، وكل تهليلة ـ أي: قول: لا إله إلا الله ـ صدقةً»[1].

(في دبر كل صلاة) مكتوبة؛ أي: آخرها؛ يعني: بعد فراغها، والسلامِ منها **(ثلاثًا وثلاثين مرة)**، ويفرغ من عدد التسبيح والتحميد والتكبير معًا؛ لقول أبي صالحٍ السمانِ راوي الخبر عن أبي هريرة ﷺ في الصحيحين: «تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين»، قال أبو صالح: تقول: الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، حتى تبلغ من جميعهن ثلاثًا وثلاثين[2]، لكن الأولى البداءة بالتسبيح فالتحميد فالتكبير، تقول هكذا: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر.

وقد بينتُ وجهَ ذلك والاختلافَ فيه في «شرح عمدة الأحكام»[3].

(قال أبو صالح) السمان، واسمه: ذكوان مولى جويرية بنت الحارث الغطفانية، سكن الكوفة، وكان يجلب إليها السمن والزيت، فنسب إلى ذلك، وهو من ثقات التابعين.

سمع أبا هريرة، وأبا سعيد، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم ﷺ أجمعين.

وروى عنه: عطاء، وأبو حازم سَلَمةُ بنُ دينار، والزهري، وغيرهم.

توفي بالمدينة سنة إحدى ومئة، سَنَةَ وفاة عمر بن عبد العزيز رحمهما

---

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) رواه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥/ ١٤٢) واللفظ له.

(٣) انظر: «كشف اللثام شرح عمدة الأحكام» للسفاريني (٣/ ٩٩ ـ ١٠٠).

الله تعالى، روى له الجماعة[1].

(فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ) بعد ذلك، **(فقالوا: يا رسول الله! سَمِع إخواننا أهلُ الأموال بما فعلنا)** من الذِّكْر الذي عَلَّمتنا إياه، **(ففعلوا مثلَه)**؛ أي: مثل فعلنا؛ بأن صاروا يسبحون ويحمدون ويكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة، **(فقال)** لهم **(رسولُ الله ﷺ)** في جواب قولهم الذي قالوه: **(ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء)** من عباده.

قال القرطبي: تأول بعضهم قولَه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الجمعة: ٤] بأن قال: الإشارةُ راجعةٌ إلى الثواب المرتَّب على الذي فضل به التفضيل عند الله سبحانه وتعالى، فكأنه قال: ذلك الثواب الذي أخبرتكم به لا يستحقه أحد بحسب الذكر، ولا بحسب الصدقة، وإنما هو بفضل الله تعالى[2].

قال: وهذا التأويل فيه بُعدٌ، ولكن اضطر إليه لما يعارضه، وتُعقب بأن الجمع بينه وبين ما يعارضه ممكن من غير احتياج إلى التعسف الذي ارتكبه[3].

(رواه البخاري، ومسلم)[4].

أقول: إن أراد المصنف رحمه الله تعالى أصلَ الحديث، فنعم، وإلا،

---

(١) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٨/ ٥١٣).

(٢) انظر: «المفهم» للقرطبي (٢/ ٢١٤).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٣٣١).

(٤) تقدم تخريجه.

فالبخاري إنما أخرج منه في باب الذكر بعد الصلاة، قال فيه: يُصَلّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها، ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون، قال: «ألا أحدثكم. . .» الحديث، وفيه: فاختلفنا، فقال بعضهم: نسبح ثلاثًا وثلاثين، ونحمد ثلاثًا وثلاثين، ونكبر أربعًا وثلاثين، قال أبو هريرة ﷺ: فرجعت إليه، فقال: «تقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلِّهن ثلاثًا وثلاثين»[1].

هذا نسق ما في البخاري، إلا أن أصل الحديث متفق عليه، وإن وقع الاختلاف في بعض ألفاظه، فلا يخرجه ذلك عن كونه متفقًا عليه.

وقد روي نحو هذا الحديث من رواية جماعة من الصحابة، منهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[2]، وأبو ذر[3]، وأبو الدرداء[4]، وابن عمر[5]، وابن عباس[6]، وغيرهم ﷺ أجمعين.

ومعنى هذا: أن فقراء الصحابة ﷺ ظنوا أن لا صدقة إلا بالمال، وهم عاجزون عن ذلك، فأخبرهم النبي ﷺ أن جميع أنواع فعل المعروف والإحسان صدقة.

---

(١) رواه البخاري (٨٤٣).

(٢) رواه البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه البزار في «مسنده» (٦١٣٣).

(٦) رواه الترمذي (٤١٠) وقال: حديث حسن غريب.

وخرجه البخاري ـ أيضًا ـ من حديث جابر ﵁ عن النبي ﷺ[1].

فالصدقة تطلق على جميع أنواع المعروف والإحسان.

وفي «مسند بقي بن مخلد»، والبزار من حديث أبي ذر ﵁ مرفوعًا: «ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة إلا ولله فيها صدقة يمنُّ بها على من يشاء من عباده، وَمَا مَنَّ الله على عبد مثل أن يلهمه ذكره»[2].

وقال خالد بن معدان: إن الله يتصدق كل يوم بصدقة، وما تصدق الله على أحد من خلقه بشيء خير من أن يتصدق عليه بذكره[3].

ويأتي ذكر فضل التسبيح والتحميد والتكبير فيما بعد إن شاء الله تعالى.

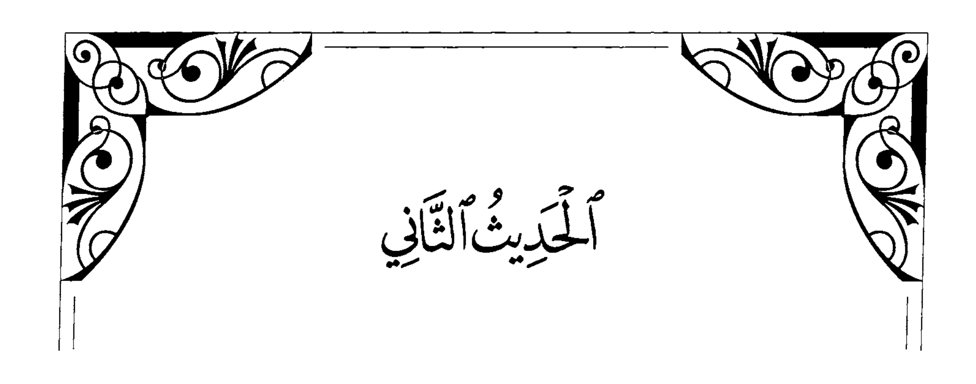
* * *

---

(١) رواه البخاري (٦٠٢١) بلفظ: «كل معروف صدقة».

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٣٨٩٠). وأورده ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٢٣٤)، وعزاه لبقي بن مخلد في «مسنده».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٨).



الحَدِيثُ الثَّانِي

٨٩ ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ: أُمِرْنَا أَنْ نُسَبِّحَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ تَسْبِيحَةً، وَنَحْمَدَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ تَحْمِيدَةً، وَنُكَبِّرَ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ تَكْبِيرَةً، قَالَ: فَرَأَى رَجُلٌ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: أُمِرْتُمْ بِثَلاثٍ وَثَلاثِينَ تَسْبِيحَةً، وَثَلاثٍ وَثَلاثِينَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٍ وَثَلاثِينَ تَكْبِيرَةً، فَلَوْ جَعَلْتُمْ فِيهَا التَّهْلِيلَ، فَجَعَلْتُمُوهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «قَدْ رَأَيْتُمْ، فَافْعَلُوا»، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ. رواه الإمام أحمد في «المسند»، والنسائي(١).

(عن زيدِ بنِ ثابتٍ) بنِ الضحاكِ الأنصاريِّ، يكنى بأبي خارجةَ، وبأبي سعيد، وتقدمت ترجمته في فضل صلاة النافلة في البيوت (ﷺ **قال: أُمِرنا)** بضم الهمزة وكسر الميم مبنيًا لما لم يسم فاعله؛ أي: أمرنا رسولُ الله ﷺ؛ لأنه صاحبُ الأمر، فإذا قال الصحابي: أُمرنا يكون مرفوعًا **(أن نسبح دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين تسبيحة، ونحمد ثلاثًا وثلاثين تحميدة، ونكبر أربعًا وثلاثين تكبيرة)**؛ يعني: دبر كل صلاة.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٠)، والنسائي (١٣٥٠).

(قال) زيدُ بن ثابت ﷺ: **(فرأى رجل في المنام)**، وفي رواية: فأتي رجلٌ من الأنصار في المنام[1]، **(فقال: أمرتم بثلاث وثلاثين تسبيحة، وثلاث وثلاثين تحميدة، وأربع وثلاثين تكبيرة)**، وفي رواية الإمام أحمد ﷺ: فأتي رجل من الأنصار في المنام، فقيل له: أمركم رسولُ الله ﷺ أن تسبحوا في دبر كل صلاة كذا وكذا، قال الأنصاري: نعم، قال: فاجعلوها خمسًا وعشرين خمسًا وعشرين، واجعلوا فيها التهليل[2]، ولفظ النسائي: **(فلو جعلتم فيها التهليل، فجعلتموها خمسًا وعشرين، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، قال: قد رأيتم فافعلوا)**، ولفظ الإمام أحمد: فلما أصبح، غدا على رسول الله ﷺ، فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «فافعلوا»[3]، **(أو نحو ذلك)**.

(رواه الإمام أحمد) بن محمد بن حنبل الشيباني ﷺ **(في المسند، و)** أبو عبد الرحمن أحمدُ بنُ شُعيبِ بنِ عليٍّ الخراساني **(النسائيُّ)** في كتابه «السنن الكبرى»[4].

قال في «الفروع»: إسناد هذا الحديث جيد[5].

* * *

---

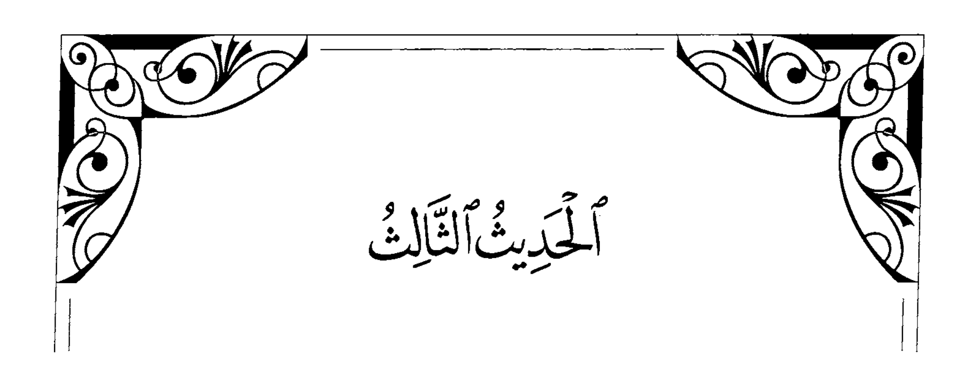
(١) رواه النسائي (١٣٥٠)، وفيه: «منامه» بدل «المنام».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٤).

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٢٧٣).

(٥) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٢٩٤).



الحَدِيثُ الثَّالِثُ

٩٠ ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَحَمِدَهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ، وقَالَ تَمَامَ الْمِئَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَت خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». أخرجه مسلم[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من سبح الله في دبر كل صلاة) مكتوبةٍ (ثلاثًا وثلاثين) تسبيحةً، (وحمده ثلاثًا وثلاثين) تحميدة، (وكبره ثلاثًا وثلاثين) تكبيرة، (فتلك تسع وتسعون، وقال تمام المئة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غُفرت) بضم الغين المعجمة مبنيًا لما لم يسم فاعله (خطاياه)؛ أي: ذنوبُه، نائب فاعل؛ أي: غفر الله ذنوبه، (وإن كانت) كثيرة (مثلَ زبد البحر) مبالغة في الكثرة.

(أخرجه مسلم) في «صحيحه»[2]، ورواه الترمذي، ولفظه: «تكبر الله

(١) رواه مسلم (٥٩٧).

(٢) انظر الحاشية السابقة.

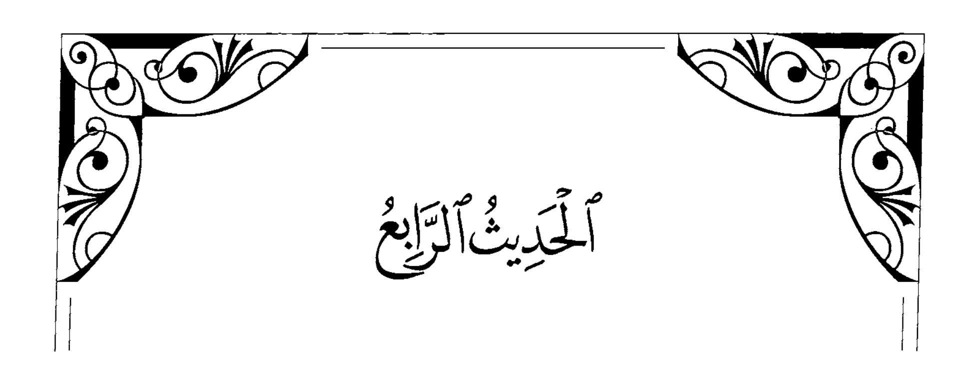
دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وتحمده ثلاثًا وثلاثين، وتسبحه ثلاثًا وثلاثين، وتختمها بـ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»، وحسنه الترمذي[1].

ورواه النسائي من حديث ابن عباس ﵄ بنحوه، وفيه: «فإذا صليتم، فقولوا: سبحان الله ثلاثًا وثلاثين مرة، والحمد لله ثلاثًا وثلاثين مرة، والله أكبر أربعًا وثلاثين مرة، ولا إله إلا الله عشر مرات، فإنكم تدركون من سبقكم، ولا يسبقكم مَنْ بعدَكم»[2]. والله أعلم.

* * *

(١) ورواه أبو داود (١٥٠٤)، ولم نقف عليه عند الترمذي.

(٢) رواه النسائي (١٣٥٣). ورواه الترمذي (٤١٠)، وقال: حديث حسن، واللفظ له.



الحديث الرابع

٩١ ـ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَصْلَتَانِ لا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إلا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُه عَشْرًا، وَيُكَبِّرُه عَشْرًا»، قال: فَأنا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ، قَالَ: وَقَالَ: «خَمْسُونَ وَمِئَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِئَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَإِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، سَبَّحَ وَحَمِدَ وَكَبَّرَ، فَتِلْكَ مِئَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ الواحِدِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمِئَةِ سَيِّئَةٍ؟» قَالُوا: كَيْفَ لا يُحْصِيهِمَا؟ قَالَ: «يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي مُصَلّاهُ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، وَاذْكُرْ كَذَا حَتَّى يَنْفَتِلَ، وَلَعَلَّهُ أنْ لا يَفْعَلَ، وَيَأْتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ، فَلا يَزَالُ يُنَوِّمُهُ حَتَّى يَنَامَ». رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[1].

(عن عبدِالله بنِ عمرِو بنِ العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) رواه أبو داود (٥٠٦٥)، والنسائي (١٣٤٨)، والترمذي (٣٤١٠).

خصلتان)، أو قال: «خَلَّتان»[1]، وهما بمعنى، وتطلق الخصلة على الفضيلة والرذيلة، وقد غلبت على الفضيلة، والجمعُ خِصال وخِلال، وبالضم؛ كما في «القاموس»[2].

(لا يحصيهما)؛ أي: يحفظهما، وفي لفظ بدل (يحصيهما): «لا يحافظ عليهما»[3]، **(رجلٌ)**، وفي لفظ: «عبد»[4]، **(مسلمٌ)**؛ لأن غير المسلم لا يُقبل له عمل، ولا يثاب على فعل في الآخرة، **(إلا دخل الجنةَ)** المعهودةَ، وهي جنة الخلد التي أُعدت للمتقين، وفي رواية: «خصلتان من حافظ عليهما أدخلتاه الجنة»[5]، **(هما)**؛ أي: الخصلتان، **(يسير)**، لا كلفة ولا تعبَ على مَنْ حافظ عليهما، ولا ضجر ولا نصب على من داوم عليهما، **(ومن يعمل بهما قليل)**؛ لما يأتي من تثبيط الشيطان للإنسان عن الإتيان بهما بما يلقيه عليه من الوساوس، ويبديه ويعيده لديه من الأماني والحوادس[6].

ثم بين ﷺ الخصلتين: الأولى: **(يسبح الله)**، وفي لفظ: «يسبح الله

---

(١) رواه الترمذي (٣٤١٠).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: خلل)، وفيه: الخَلَّةُ: الخَصْلَةُ، ج: خِلالٌ، وبالضم: الخَليلَةُ والصَّداقَةُ المُخْتَصَّةُ لا خَلَلَ فيها تكون في عَفافٍ وفي دَعارَةٍ، ج: خِلالٌ؛ ككِتابٍ.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٦٥).

(٤) انظر الحاشية السابقة.

(٥) رواه البزار في «مسنده» (٢٤٧٩).

(٦) الحَدْس: الظَّنُّ والتَّخْمين، وبابه ضرب. يقال: هو يَحدِس؛ أي: يقول شيئاً برأيه. انظر: «مختار الصحاح» للرازي (مادة: حدس).

أحدُكم»[1]، (في دبر)، وفي لفظ: «دُبُرَ»[2]، بإسقاط (في)، (كل صلاة)؛ أي: مكتوبة من الصلوات الخمس، (عشرًا)؛ أي: من المرات، (ويحمده عشرًا، ويكبره عشرًا).

(قال) عبدالله بنُ عمرو رضي الله عنهما: (فأنا رأيت رسولَ الله ﷺ يعقدها)؛ أي: الأذكار من التسبيح والتحميد والتكبير (بـ) أصابع (يده) الشريفة، فندب عقد التسبيح والتحميد والتكبير وكل عدد من الأذكار بأصابع اليد؛ لحديث يُسيرة ـ بالياء المثناة من تحت ـ بنت ياسر، وكانت من المهاجرات رضي الله عنها، مرفوعًا: «واعقدن بالأنامل؛ فإنهن مسؤولاتٌ مستنطقات» رواه الإمام أحمد وغيره[3]. وزاد أبو داود في رواية: بيمينه[4]، ولفظ الحديث: قالت يسيرة: قال لنا رسولُ الله ﷺ: «عليكن بالتسبيح والتقديس، واعقدن بالأنامل؛ فإنهن مسؤولات مستنطقاتٌ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة»، ورواه أبو داود، والترمذي، وقال الترمذي: غريب، وسكت عليه أبو داود[5]، فهو صالح عنده.

* تنبيه:

كل[6] الكتب التي وقفتُ عليها في هذا الحديث تأخيرُ قول عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أنا رأيتُ رسول الله ﷺ... إلى آخره إلى آخِر الشق الثاني،

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٢٧١).
(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٤٩).
(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٧٠).
(٤) رواه أبو داود (١٥٠٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٥) رواه أبو داود (١٥٠١)، والترمذي (٣٥٨٣).
(٦) كذا في الأصل، والمراد هنا: في كل.

سوى المصنف في سائر نسخه، فتفطن له[1].

(قال) عبدُالله بنُ عمرو: **(وقال)**؛ يعني: رسول الله ﷺ: هـي **(خمسون ومئة باللسان)** دبر الصلوات الخمس، **(وألف وخمسمئة في الميزان)**؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها.

(و) الخصلة الثانية: **(إذا أوى)** أحدُكم **(إلى فراشه)** لينام، **(سبح)** الله تعالى، **(وحمد)**ه، **(وكبر)**ه ثلاثًا وثلاثين في التسبيح والتحميد، وأربعًا وثلاثين في التكبير؛ كما صرح بذلك في رواية، فقال: «وإذا أوى إلى فراشه يسبح ثلاثًا وثلاثين، ويحمد ثلاثًا وثلاثين، ويكبر أربعًا وثلاثين»[2]، **(فتلك مئة باللسان، وألف في الميزان)** بمضاعفة الحسنة إلى عشر أمثالها، قال رسول الله ﷺ: **(فأيكم)**، وفي لفظ بالوَاو بدل الفاء[3]، **(يعملُ في اليوم الواحد)**، وفي رواية: «وأيكم يعمل في يومه وليلته»[4]، **(ألفين وخمسمئة سيئة)**؛ أي: خطيئة؛ يعني: ذنبًا؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات، ولا خير فيمن غلبت آحادُه عشراته. **(قالوا)**؛ يعني: الصحابة رضي الله عنهم، وفي لفظ: قيل: يا رسول الله![5]، كما في رواية **(كيف لا نُحصيها**[6]**)** ونداومُ عليها، وقد

---

(١) جاء لفظ الحديث كما أثبته، دون تأخير، في مخطوطة متن «فضائل الأعمال» التي بين يدي.

(٢) رواه أبو داود (١٥٠١)، والترمذي (٣٥٨٣).

(٣) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٣٤).

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٥٥)، وفيه: «فأيكم» بدل «وأيكم».

(٥) رواه النسائي (١٣٤٨).

(٦) تقدم في متن «فضائل الأعمال»: «نحصيهما».

سمعناه منك، وتسمعنا ما فيها من الأجر والثواب المرغوب فيه والمندوب إليه؟ **(قال)** ﷺ: عدمُ إحصائكم لها وتفريطكم فيها أنه **(يأتي أحدكم الشيطانُ)**: إبليسُ، أو أحدُ جنده، وهو مأخوذ من (شطن): إذا بعد؛ لأنه مبعَد عن رحمة الله وغفرانه، أو من (شاط): إذا احترق؛ لأنه محروق بغضب الله تعالى ولعنته إياه.

(وهو)؛ أي: والحالُ أن أحدكم **(في مصلاه)**؛ أي: مكان صلاته، **(فيقول)** له: **(اذكر كذا، واذكر كذا)** يذكّره أشغالًا وأغراضًا، ويبدي له من تلك الوساوس ويعيدها عليه، ويريه أنها من اللوازم التي لا ينبغي له إهمالها، ولا يسوغ عنده الاشتغال عنها، لا بذكر ولا غيره، ولا يزال يزين له ذلك، ويُلَبسه عليه **(حتى ينفتلَ)** عن الذكر المشروع، ويتركه، وينقلب إلى ما خيل له من الأماني، ولعله ممنوع، **(ولعله)**؛ أي: أحدكم بعد انفتاله وانقلابه عن الذكر المشروع **(أن لا يفعل)** ما خَيل له الشيطان وزينه له من أمور معايشه، أو حوائج بيته، بل إذا فتله عن الذكر أنساه ما كان أملاه له وحلاه إن كان ليس هو مما يحبه ويهواه، وهذا دأبه وديدنه مع كل من تولاه، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(ويأتيه)؛ أي: يأتي أحدَكم معشرَ العباد **(وهو في مضجعه)** عندَ نومه، وقد عزم على الإتيان بالذكر المشروع، **(فلا يزال ينوِّمه)**، ويلقي عليه الكسلَ، وربما أشغله ببعض الأماني **(حتى ينام)** قبل أن يأتي بالذكر المذكور وغيرِه من أذكار النوم، فهذا سبب كون من يعمل بهما قليلًا، وفي رواية: قالوا: كيف من يعمل بهما قليل؟ قال: «يجيء أحدَكم الشيطانُ في صلاته، فيذكره حاجة كذا وكذا، فلا يقولها ـ أي: الأذكار ـ ، ويأتيه عند

منامه فينومه، فلا يقولها»[1].

(رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح)[2].

ورواه الإمام أحمد، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»[3].

*** تنبيه:**

استنبط بعض العلماء من كثرة تنويع الروايات: أن اعتبار مراعاة العدد المخصوص في الأذكار المذكورة معتبرة، وإلا لكان يمكن أن يقال: أضيفوا إليها التهليل ثلاثًا وثلاثين، فلما رجع التسبيح والتحميد والتكبير إلى خمس وعشرين، وأضيف إليها التهليل كذلك، علم أن اعتبار كون الجمع من الذكر مئة معتبرة.

وقد كان بعض العلماء يقول: إن الأعداد الواردة؛ كالذكر خلف الصلاة، إذا رتب عليها ثواب مخصوص، فزاد الآتي بها على العدد المذكور، لا يحصل له ذلك الثواب؛ لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد.

قال الحافظ أبو الفضل عبدُ الرحيم العراقي في «شرح الترمذي»: وفيه نظر؛ لأنه أتى بالمقدار الذي رتب عليه الثواب، فحصل له الثواب بذلك، فإذا

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٠)، وابن ماجه (٩٢٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٠١٢).

زاد عليه من جنسه، كيف تكون تلك الزيادة مزيلةً للثواب بعد حصوله؟[1].

وفي «فروع العلامة ابن مفلح» رحمه الله تعالى: ويتوجَّه أنه حيث ذكر العدد في ذلك، فإنما قصد أن لا ينقص منه، أما الزيادة، فلا تضر، لا سيما عن غير قصد؛ لأن الذكر مشروع، وفي الجملة: فهو يشبه المقدر في الزكاة: إذا زاد عليه[2].

وفي «الفتح» للحافظ ابن حجر: يمكن أن يفرق فيه بالنية، فإن نوى عند انتهاء الذكر المقدر امتثالَ الأمر الوارد، ثم أتى بالزيادة، فالأمر كما قال العراقي لا محالة، وإن زاد بغير نية؛ بأن يكون رتب عشرة مثلًا، فيرتبه هو على مئة، فيتجه القول الماضي.

قال: وقد بالغ القرافي في «القواعد»[3]، فقال: من البدع المكروهة الزيادةُ في المندوبات المحدودة شرعًا؛ لأن شأن العظماء إذا حدوا شيئًا أن يوقف عندَه، ويُعد الخارجُ عنه مسيئًا للأدب. انتهى[4].

قال في «الفتح»: وقد مثله بعض العلماء بالدواء يكون فيه مثلًا أوقية سكّر، فلو زيد فيه أوقية أخرى، لتخلفَ الانتفاعُ به، فلو اقتصر على الأوقية

---

(١) نقله ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٣٣٠).

(٢) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٣٩٨).

(٣) هو كتاب «أنوار البروق في أنواء الفروق» للشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي، المتوفى سنة اثنتين وثمانين وستمئة، جمع في كتابه خمسمئة وأربعين قاعدة من القواعد الفقهية. انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ١٨٦).

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٣٣٠).

في الدواء، ثم استعمل من السكر بعد ذلك ما شاء، لم يتخلف الانتفاع، ويؤكد ذلك: أن الأذكار المتغايرة إذا ورد لكل منها عدد مخصوص، مع طلب الإتيان بجميعها متوالية، لم تحسن الزيادة على العدد المخصوص؛ لما في ذلك من قطع الموالاة؛ لاحتمال أن يكون للموالاة في ذلك حكمة خاصة تفوت بفواتها[1].

والحاصل: أن العمل على ما في الصحيحين من كون الذكر ثلاثًا وثلاثين من كل واحد من التسبيح والتحميد والتكبير أن يفرغ منهما معًا، ويختم المئة بـ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

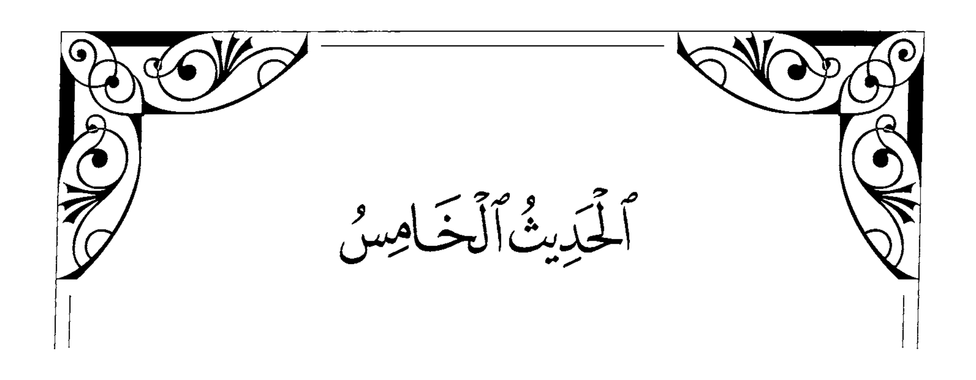
زاد في «المستوعب» من علمائنا وغيره: وهو حي لا يموت، ولم يرد ذلك في «الفروع»[2]. والله أعلم.

* * *

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٣٩٤).



الحديث الخامس

٩٢ ـ عَنْ أَبِـي ذَرٍّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلاةِ الْفَجْرِ، وَهُـوَ ثَـانٍ رِجْلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْـدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِـي وَيُمِيتُ، وَهُـوَ عَلَـى كُـلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَتْ عَنْـهُ عَـشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِـي حِـرْزٍ مِـنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحُرِسَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِـكَ الْيَوْمِ إِلا الشِّرْكَ بِاللَّهِ». رواه النسائي، والترمذي، وقال: حـسن غريـب صحيح[1].

(عن أبي ذَرٍّ) جُندبِ ـ بضم الجيم وسكون النون وضم الدال المهملة وفتحها أيضًا ـ ابنِ جنادةَ، وتقدمت ترجمته في فضل صـلاة الـضحى: (أن رسول الله ﷺ قال: من قال في دبر صلاة الفجر): دبـر كـل شـيء: وراءه وعقبه، ودبر الصلاة: هو بعدَ السلام، (وهو ثان رجلـه)؛ أي: فـي حالـة الافتراش، (قبـلَ أن يـتكلم)؛ أي: بـالكلام الـذي كـان ممنوعًـا منـه فـي

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٩٥٥)، والترمذي (٣٤٧٤).

الصلاة، ولعل المراد: غيرُ ما يتقدم على ذلك من الأذكار المشروعة من الاستغفار ثلاث مرات، وقوله: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركْتَ يا ذا الجلال والإكرام»؛ كما في حديث ثوبان[1]، و: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عِبادتك»؛ كما في حديث معاذ ﷺ عند أبي داود والنسائي بسند صحيح[2].

ويقول بعد ذلك: **(لا إله إلا الله وحده لا شريك له)**، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، **(له الملك)** الحقيقيُّ، **(وله الحمدُ)**؛ أي: الثناءُ الجميل على جميع الأحوال، **(يحيي ويميت، وهو على كل شيء)** من الجائزات الممكنات **(قديرٌ، عشر مرات، كتب)** الله تعالى **(له عشر حسنات)** في صحيفة عمله، **(ومحى عنه)** بذلك **(عشرَ سيئات)** من صغائر ذنوبه، **(ورفع له)** في منزلته من الجنة **(عشر درجات، وكان)** قائلُ الذكرِ المذكورِ العددَ المزبور **(يومَه ذلك)** الذي ابتدأه بعد صلاة الفجر **(كله)** من أوله إلى آخره **(في حرز)** حريز، وحصن حصين **(من كل مكروه)** من أمور دنياه ودينه، ومعايشه ومعاده، **(و)** كان يومَه ذلك كلَّه **(في حرس)**؛ أي: بحصن حصين؛ بأن يُقَيِّضَ له الحقُّ ـ جل شأنه ـ ملائكة يحرسونه ويحفظونه **(من الشيطان الرجيم)**: فَعيل بمعنى: مفعول؛ أي: المرجوم باللعن والطرد، ويحتمل أن يكون بمعنى فاعل؛ أي: راجم للخلق بالإغواء والوسوسة والتمنية بما يصدهم ويلهيهم عن ذكر الله تعالى، ويُحَسِّن لهم ويغويهم بارتكاب

---

(١) رواه مسلم (٥٩١).

(٢) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣).

معاصي الله تعالى.

(ولم ينبغ)؛ أي: لم يَسُغْ ولم ينفسحْ (للذنبٍ) من الذنوب (أن يدركَه)؛ أي: يلحقه ويكتب عليه؛ لأنه محفوظٌ في حصن من الله، ومحروسٌ بملائكة الله تعالى (في ذلك اليوم) كلِّه الذي أتى بالذكر المذكور في أوله بعدَ صلاة صبحه، فإن فرض أنه وقع منه ذنب، وقع مكفَّرًا، (إلا الشركَ بالله) تعالى؛ أي: الارتداد عن دين الإسلام، ونعوذ بالله تعالى منه؛ لأنه يحبط الحسنات، وهو أسُّ - أي: أصل - الذنوب والخطايا الموبقات؛ أي: المهلكات.

(رواه النسائي، والترمذي، وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح)، وزاد النسائي: «بيده الخير»، وزاد فيه أيضًا: «وكان له بكلّ واحدة قالها عتقُ رقبة»[1].

ورواه النسائي أيضًا من حديث معاذ - وكذا رواه أبو الشيخ الأصبهاني - وليس فيه: «يحيي ويميت»، وقال فيه: «وكنَّ له عِدْل عشر نسمات، ولم يلحقه في ذلك اليوم ذنب[2] - قوله: (عِدل) بالكسر، وفتحه لغة: هو المِثْل، قال بعضهم: العدل بالكسر: مَا عَادَل الشيء من جنسه، وبالفتح: ما عادله من غير جنسه - ومن قالها حين ينصرف من صلاة العصر، أعطي مثلَ ذلك في ليلته»[3].

---

(١) تقدم تخريجه عند النسائي والترمذي.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٩٥٤)، وقال: حصين بن عاصم مجهول، وشهر بن حوشب ضعيف. ولم نقف عليه في المطبوع من كتب أبي الشيخ.

ورواه ابن أبي الدنيا[1]، ولفظه: «وكنَّ له حرزًا من المكروه، وعصمة من الشيطان، ولم يلحقه في ذلك اليوم ذنب، إلا الشرك بالله تعالى»، وقال فيه: «ومن قالهن بعد المغرب، أعطي مثلَ ذلك حتى يصبح»[2].

ورواه أيضًا الإمام أحمد من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم، وعبدُ الرحمن هذا مختلَف في صحبته، وقال فيه: «صلاة المغرب والصبح»[3].

قال في «الفروع»: ولهذا مناسبة، فيكون الشارع شرعه أولَ النهار، وأولَ الليل؛ ليحترس به من الشيطان فيهما[4].

*** تتمة:**

روى أبو داود من حديث عبد الرحمن بن حسان عن مسلم بن الحارث التميمي عن أبيه ـ وقيل: الحارث بن مسلم عن أبيه ـ: أن رسول الله ﷺ

---

(١) هو عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي، مولى بني أمية، يعرف بابن أبي الدنيا؛ توفي سنة اثنتين وثمانين ومئتين، ومولده سنة ثمان ومئتين، وكان يؤدب المكتفي بالله في حداثته، وهو أحد المصنفين للأخبار والسير، وله كتب كثيرة تزيد على مئة كتاب. انظر: «فوات الوفيات» لمحمد بن شاكر الكتبي (١/ ٥٧٨).

(٢) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ١٨١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقال: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني بإسناد حسن واللفظ له. ورواه الطبراني في «الدعاء» (٧٠٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٧).

(٤) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٣٩٥).

أسرَّ إليه، فقال: «إذا انصرفتَ من صلاة المغرب، فقل: اللهم أَجِرْني من النار، سبعَ مرات» ـ وفي رواية: قبل أن تكلم أحدًا ـ فإنك إذا قلت ذلك، ثم متَّ في ليلتك، كُتب لك جوارٌ منها، وإذا صليت الصبح، فقل مثلَ ذلك؛ فإنك إن مت من يومك، كُتب لك جوارٌ منها»، قال الحارث: أسرها رسولُ الله ﷺ، ونحن نخصُّ بها إخوانَنا[1].

وكذا رواه الإمام أحمد، وفي لفظه: «قبل أن تكلم أحدًا من الناس»[2].

وروى الترمذي ـ وقال: غريب ـ عن عمارة بن شبيب[3] مرفوعًا: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، عشرَ مرات على إثر المغرب، بعث الله له مَسْلَحَةً يحفظونه حتى يصبح، وكتب له عشر حسنات موجبات، ومحا عنه عشر سيئات موبقات، وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات»[4].

ورواه النسائي في «اليوم والليلة»[5].

ورواه النسائي أيضًا: فقال عمارة بن شبيب: إن رجلًا من الأنصار

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٧٩) من حديث الحارث بن مسلم عن أبيه مسلم بن الحارث التميمي.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣٤).

(٣) هو عمارة بن شَبيب السبئي، ويقال فيه: عمار، يقال: له صحبة، وقال ابن حبان في «الثقات»: من زعم أن له صحبة فقد وهم. انظر: «الثقات» لابن حبان (٣/ ٢٩٥)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (ص: ٤٠٩).

(٤) رواه الترمذي (٣٥٣٤) وقال: حديث حسن غريب.

(٥) رواه النسائي في «السنن الكبرى»، (كتاب عمل اليوم والليلة) (١٠٤١٣).

حدثه. . . فذكر نحوه[1].

قال العلامة ابن مفلح في «فروعه»: إسنادهما جيد، وقيل: ابن شبيب لا صحبة له[2].

قال ابن الأثير في «جامع الأصول»: عمارة بن شبيب السبئي الأنصاري، وقيل: اسمه عمار، أدخله بعضهم في المسند، فأثبت له سماعًا من النبي ﷺ، وقال بعضهم: حديثه مرسل.

وقال الترمذي: لا يُعرف لعمارةَ بنِ شبيبٍ سماع من رسول الله، روى عنه أبو عبد الرحمن الحُبُلي[3]، وروى هو عن أبيه، وعدادُه من أهل مصر[4].

قوله: (مَسْلَحَة): هو بفتح الميم وإسكان السين وفتح الحاء المهملتين بينهما لام مفتوحة، هم الحرسُ من الملائكة بالأسلحة، يردّون بها العدوّ، وهو من أبنية المبالغة.

وقوله: (وكتب له عشر حسنات موجبات)؛ أي: موجبات لقائلها الجنةَ.

والسيئات الموبقات؛ أي: المهلكات، يقال: وبق يبق، ووبق يوبق: إذا هلك.

ويقرأ آية الكرسي، وقل هو الله أحد والمعوذتين، وفي حديث أبي

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى»، (كتاب عمل اليوم والليلة) (١٠٤١٤).

(٢) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٣٩٨).

(٣) في الأصل: «الحبيلي»، والتصويب من «جامع الأصول».

(٤) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٦١٠).

أمامة مرفوعًا: «من قرأ آية الكرسي و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت».

قال في «الفروع»: إسناده جيد، وقد تكلم فيه، ورواه الطبراني، وابن حبان في «صحيحه»[1].

وقال الحافظ شمس الدين بنُ عبد الهادي: ولم يُصِب من ذَكَره في الموضوعات؛ فإنه حديث صحيح[2].

وصححه أيضًا الحافظ المصنف ضياء الدين في «المختارة»[3].

وعن عقبة بن عامر ﷺ: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دُبر كل صلاة، له طرق.

قال في «الفروع»: وهو حديث حسن أو[4] صحيح، رواه الإمام أحمد،

---

(١) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٣٩٥)، والحديث المذكور رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٣٢) من حديث أبي أمامة ﷺ. وأورده ابن عبد الهادي في «المحرر في الحديث» (ص: ٢٠٩) وعزاه لابن حبان، ولم نقف عليه عنده. ولكن رواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٢٣) من طريق آخر من حديث علي بن أبي طالب ﷺ بمعناه، وقال: موضوع لا أصل له.

(٢) انظر: «المحرر في الحديث» لابن عبد الهادي (ص: ٢٠٩).

(٣) أورده الضياء المقدسي في «السنن والأحكام» (٢/ ١٣١)، وقال: رواه الطبراني في كتاب «المعجم الكبير»، تفرد به محمد بن حمير، وقد تكلم فيه أبو حاتم الرازي، قال: لا يحتج به، وقال يعقوب بن سفيان: ليس بالقوي، قلت: وقد وثقه يحيى بن معين، وروى له البخاري في «صحيحه».

(٤) في «الفروع»: «و».

وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وقال الترمذي: غريب[1].

قال في «الفروع»: قال بعض أصحابنا: وفي هذا سِر عظيم في دفع الشر، من الصلاة إلى الصلاة[2].

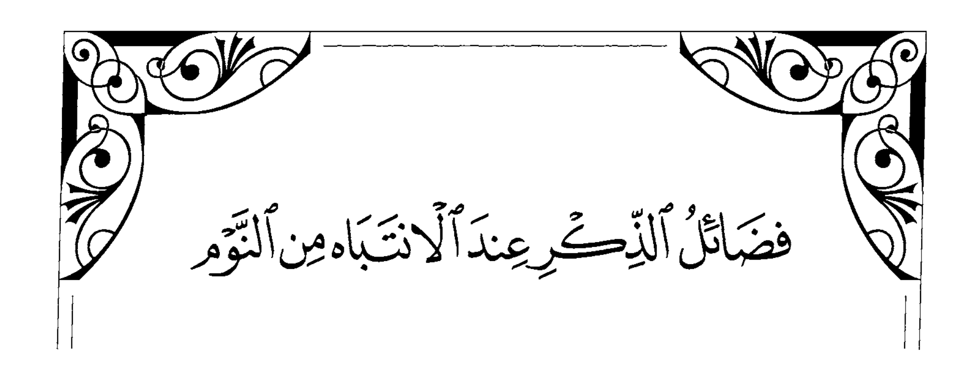
ويأتي لهذا تتمة في محله من آخر الكتاب. والله تعالى الموفق.

❑❑❑

---

(١) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٣٩٧)، والحديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٠١)، وأبو داود (١٥٢٣)، والترمذي (٢٩٠٣)، والنسائي (١٣٣٦)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٣٩٧).



فضائل الذكر عند الانتباه من النوم

أي: هذا بابه.

وذكر المصنف رحمه الله تعالى فيه حديثًا واحدًا، وفيه عدة أحاديث، وسنذكر منها ما يليق بهذا الشرح.

أما الحديث الذي ذكره الحافظ المصنف رحمه الله تعالى ورضي عنه، فهو:

٩٣ ـ عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى، قُبِلَتْ صَلاتُهُ». أخرجه البخاري[1].

(عن عُبادةَ بنِ الصامتِ ﷺ)، وهو بضم العين المهملة وتخفيف الباء الموحدة، وتقدمت ترجمته في فضل السجود للواحد المعبود، (عن النبي ﷺ قال: مَنْ)؛ أي: أيُّ شخص مسلم من ذكر أو أنثى، (تعارّ) بتشديد الراء

(١) رواه البخاري (١١٥٤).

المهملة؛ أي: استيقظ، (من) نوم (الليل)، يقال: لمن استيقظ من الليل وله صوت: تعارّ.

قال في «النهاية»: كان إذا تعارّ من الليل قال كذا وكذا؛ أي: استيقظ، ولا يكون إلا يقظة مع كلام، وقيل: هو أن يتمطى(١).

وفي «القاموس»: عارّ معارّة وعرارًا: صاح، والتعار: السهر والتقلّب على الفراش ليلًا مع كلام. انتهى(٢).

(فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ) الحقيقيُّ، **(وله الحمدُ)**؛ أي: الثناء الحسن الجميل على جهة التعظيم والتبجيل، **(وهو)** جل شأنه، وتعالى سلطانه **(على كل شيء)** من الممكنات(٣)، **(قديرٌ)** إيجادًا وإعدامًا، يفعل ما يشاء باختياره، لا يُسأل عما يفعل، **(الحمدُ)**؛ أي: الثناء الحسن الجميل **(لله، وسبحان الله)**؛ أي: أُنزهه عن كل نقص ورذيلة، وما يؤدي إلى شيء من ذلك، **(ولا إله)** معبودَ بحقّ في الوجود **(إلا الله)** الغنيُّ عن كل ما سواه، المفتقرُ إليه كلُّ ما عداه، **(والله أكبر)** من كل كبير، وأعظمُ من كل عظيم، وأقدرُ من كل قدير، **(ولا حول)**؛ أي: لا تحوُّل ولا زوال

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٠٤).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: عرر).

(٣) قال ابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص: ١٤٣): وأما أهل السنة؛ فعندهم أن الله على كلِّ شيء قدير، وكلُّ ممكن فهو مندرج في هذا، وأما المحال لذاته؛ مثل: كون الشيء الواحد موجودًا معدومًا في حال واحدة؛ فهذه لا حقيقة له، ولا يُتصوَّر وجودُه، ولا يسمى شيئًا باتفاق العقلاء، ومن هذا الباب: خلقُ مثلِ نفسه، وإعدامُ نفسه! وأمثال ذلك من المحال.

ولا انصراف ولا انفكاك عن شيء من معاصي الله، (**ولا قوة**)؛ أي: قدرة على فعل شيء من الطاعات، والإتيان بشيء من المأمورات (**إلا بالله**)؛ أي: بعونه، وجعل عباده مكتسبين، وفاعلين لذلك الفعل المحبوب، والعمل المطلوب.

وقيل: لا حول ولا قوة عن شيء ما، ولا قوة على شيء ما، إلا بالله العلي العظيم.

(**ثم قال**) المتعارُّ المنتبهُ من الليل بعدَ الذكر المذكور: (**اللهم**)؛ أي: يا ألله، فالميم عوض عن حرف النداء: (**اغفر لي**)؛ من الغَفْر، وهو الستر، ومن أسمائه تعالى: الغفار، والغفور، وهما من أبنية المبالغة، ومعناهما: الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوزُ عن خطاياهم وذنوبهم، وأصلُ الغفر: التغطية، والمغفرة: إلباسُ الله تعالى العفوَ للمذنبين، (**أو دعا**) بطلب محبوب، أو دفع مكروه، (**استجيب**) بالبناء لما لم يسم فاعله؛ أي: استجاب الله تعالى (**له**) ما دعا به. (**فإن**) هو (**توضأ**)، وفي لفظ: «فإن عزم فتوضأ»[1]؛ أي: الوضوءَ الشرعي، (**وصلى**) ما كُتب له من صلاة الليل، وتقدمت الإشارة إليه، (**قبلت**) بضم أوله مبنيًا لما لم يسمَّ فاعله، (**صلاتُه**) بالرفع، نائب الفاعل؛ أي: قبل الله صلاته قبول محبة ورضًا، وإنما يتقبل الله من المتقين.

(**أخرجه**) أبو عبدالله محمدُ بن إسماعيل (**البخاريُّ**) في «صحيحه»[2]،

---

(١) رواه الترمذي (٣٤١٤).

(٢) تقدم تخريجه.

وأخرجه أبو داود، والترمذي في سننهما، وغيرهم[1].

وفي «سنن الترمذي» عن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ طَاهِرًا يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى يُدْرِكَهُ النُّعَاسُ، لَمْ يَنْقَلِبْ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»، حديث حسن[2].

قوله: (من أوى)؛ أي: دخل، وحديث: «آوانا»[3]؛ أي: جمعنا وضمنا إليه، وأويتُ إلى المنزل؛ أي: رجعت إليه ودخلته.

قال في «المطالع»: أوى إلى الله مقصورُ الألف، وآواه الله ممدود، هذا هو الأشهر، وقد جاء المد في كل واحد منهما، لكن المد في المتعدي أشهر[4].

ومعنى آواه الله: جعل له فيه مكاناً وفسحة.

وفي «القاموس»: أَوَيْتُ مَنْزِلِي، وإليه أُوِيًّا ـ بالضم ويُكْسَرُ ـ، وأَوَّيْتُ تَأْوِيَةً، وتَأَوَّيْتُ، واتَّوَيْتُ، وائْتَوَيْتُ: نَزَلْتُهُ بِنَفْسِي وسَكَنْتُه، وأَوَيْتُه وأَوَّيْتُه: أَنْزَلْتُه، والمَأْوَى: المكانُ[5].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٦٠)، والترمذي (٣٤١٤) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٢٦) وقال: حديث حسن غريب.

(٣) رواه مسلم (٢٧١٥) من حديث أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي».

(٤) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (١/ ٣٤٥).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: أوي).

وفي «سنن أبي داود»، عن عائشة ﵂: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ»[1].

ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين[2].

والزيغ: الميل، يقال: أزاغ الله القلبَ: إذا أماله عن الهدى والإيمان.

وروى أبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن عاصم بن حميد السكوني قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَفْتَتِحُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِيَامَ اللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، كَانَ إِذَا قَامَ، كَبَّرَ عَشْرًا، وَحَمِدَ اللَّهَ عَشْرًا، وَسَبَّحَ عَشْرًا، وَهَلَّلَ عَشْرًا، وَاسْتَغْفَرَ عَشْرًا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي»، وَيَتَعَوَّذُ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[3].

وروى نحوه الإمامُ أحمد وغيره عن ربيعة بنِ عمرٍو، ويقال: ابن الغاز الجرشي قال: سألت عائشةَ ﵂، فقلت: ما كان رسول الله ﷺ يَقُولُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، وَبِمَ كَانَ يَسْتَفْتِحُ؟ قَالَتْ: كَانَ يُكَبِّرُ عَشْرًا، وَيُسَبِّحُ عَشْرًا، وَيُهَلِّلُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي» عَشْرًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الضِّيقِ يَوْمَ الْحِسَابِ» عَشْرًا[4].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٦١).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٨١).

(٣) رواه أبو داود (٧٦٦)، والنسائي (١٦١٧)، وابن ماجه (١٣٥٦).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٤٣).

ورواه النسائي، وابن السنّي، وغيرهم[1].

ورواه أبو داود وقال: «سبحان القدوس» عشرًا ـ وفي رواية له: «سبحان الملكِ القدوسِ» عشرًا ـ وقال بدل (ويحمد عشرًا): ويقول: «سبحان الله وبحمده» عشرًا[2].

وفيه: كان إذا استيقظ من منامه قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[3]، وتقدم في قيام الليل شيء من ذلك. والله أعلم.

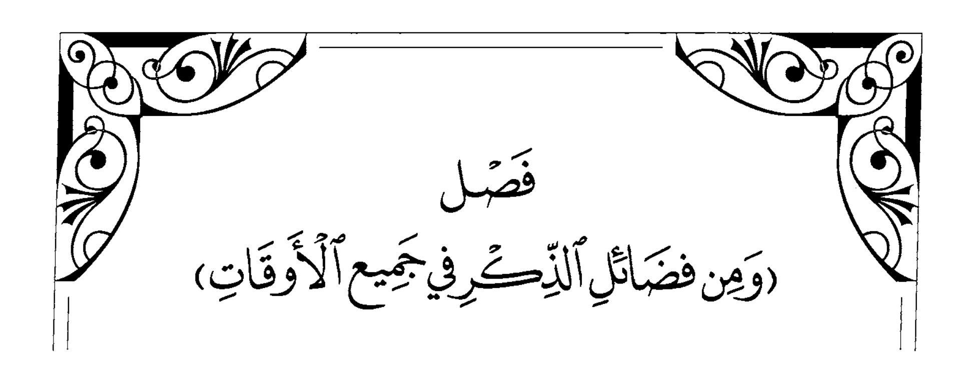
❑❑❑

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٧٠٦)، وفيه زيادة: «ويحمد عشرًا»، ولم نقف عليه عند ابن السني.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٨٥) من حديث عائشة ﵂، وفيه: «سبحان الملك القدوس».

(٣) رواه أبو داود (٥٠٤٩) من حديث حذيفة ﵁.



فَصْل
(وَمِن فضائل الذكر في جميع الأوقات)

ما سيذكره الحافظ المصنف رحمه الله تعالى من الأحاديث.

ثم اعلم أن الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضل أن يكون بهما جميعًا، فإن اقتصر على أحدهما، فالقلبُ أفضل، ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب؛ خوفًا من أن يُظَن به الرياء، بل يذكر بهما جميعًا، ويقصد وجهَ الله تعالى، فإنّ تركَ العمل لأجل الناس من أنواع الرياء.

واعلم أن الأذكار القولية لا يعتدّ بها ولا يثاب عليها ما لم يُسمِعِ الإنسانُ بها نفسَه، حيثُ لا مانعَ.

واعلم أن الذكر نوعان:

أحدهما: ذكر أسماء الربّ وصفاتِه، والثناء عليه بها، وتقديسه وتنزيهه عما لا يليق به، وهذا النوع قسمان:

أحدهما: الثناءُ عليه بها من الذاكر، وهذا هو المذكور في الأحاديث، من نحو التسبيح والتحميد، والتكبير والتهليل، وما شاكلَ ذلك وشابهه من الأذكار القولية، والأدعية المأثورة، ونحو ذلك.

وأفضلُ هذا النوع أجمعُه للثناء وأعمُّه، فنحو: (سبحانَ اللهِ عددَ

خلقه) أفضلُ من مجردِ (سبحان الله)، و(الحمدُ لله عددَ ما خلقَ في السماء، وعددَ ما خلق في الأرض، وعددَ ما بينهما، وعدد ما هو خالق) أفضلُ من مجرد قولك: (الحمد لله).

والقسم الثاني: الخبر عن الربِّ تعالى بأحكام أسمائه وصفاته؛ نحو قولك: الله ﷻ يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم، ولا يخفى عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم.

وأفضلُ هذا القسم الثناءُ عليه بما هو أثنى به على نفسه، وبما أثنى به عليه رسولُ الله ﷺ، من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وهذا القسم ينقسم إلى ثلاثة إلى: حمد، وثناء، ومجد.

والحمد: الإخبارُ عنه بصفات كماله، مع محبته والرضا عنه، فلا يكون المحبُّ الساكت حامدًا، ولا المثني بلا محبة حامدًا، حتى يجتمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئًا بعد شيء، كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك، كان مجدًا، وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواعَ الثلاثة في أول الفاتحة: «فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قال: مجدني عبدي»[1].

النوع الثاني من الذكر: ذكر أمره ونهيه وأحكامه، وهذا أيضًا قسمان:

أحدهما: ذكره بذلك إخبارًا عنه بأنه أمر بكذا، ونهى عن كذا، وأحب

---

(١) رواه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كذا، وسخط كذا، ورضي كذا.

قال عطاء: مجالسُ الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تـشتري، وكيف تبيع، وكيف تصوم وتزكي وتنكح وتطلـق وتحـج وتحـرم، وأشـباه ذلك[1].

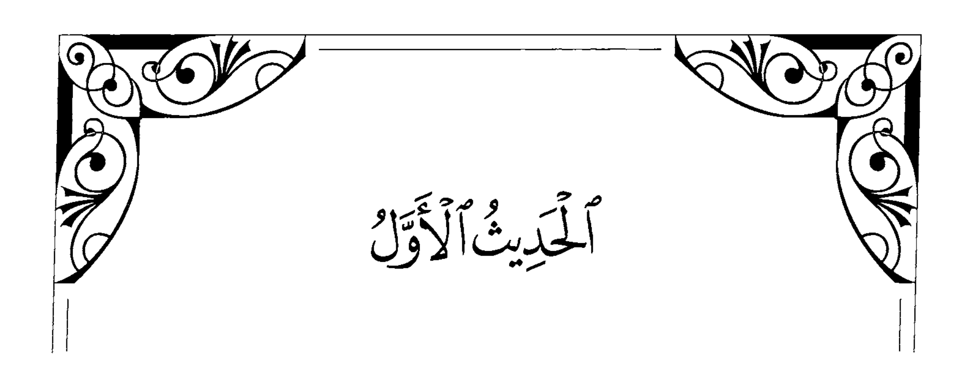
والقسم الثاني: ذِكْرُه عند أمره، فيبادر إليه، وعند نهيه، فيهرب منه، فذكرُ أمره ونهيه شيء، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواع المذكورة للذاكر، فذكرُه أفضلُ الذكر، وأجلُّه وأعظمه، فمذاكرة الفقـه الأكبر، وما دونه من أفضل الذكر إذا خلصت فيه النية. والله تعالى الموفق.

وذكر الحافظ المصنف في هذا الفصل تسعة أحاديث.

* * *

---

(١) رواه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» (ص: ٣٧).



الحديث الأول

٩٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». رواه البخاري، ومسلم[1].

(عن أبي هريرة) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: من قال) من عباد الله المسلمين من ذكرٍ أو أنثى: (لا إله إلا الله)؛ أي: لا معبودَ بحقٍّ في الوجود إلا اللهُ سبحانه وتعالى (وحدَه لا شريك له)، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، (له الملك) الحقيقي على سبيل الحقيقة، (وله الحمد)؛ أي: الثناء بجميل أوصافه، ونعُوتِ جماله وجلاله، (وهو على كل شيء) من الممكنات (قديرٌ) إيجادًا وعدمًا (في يومٍ) متعلق

---

(١) رواه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

بـ: (قال)، وتنكيرُ (يوم) يشمل كلَّ يوم، وإن الذكر المخصوص يترتـب عليـه الثوابُ المذكور بقوله: (له) في أي أجزاء اليوم من أولـه أو آخـره أو أوسـطه، (**مئـة مرة**) تقدم كلام صاحـب «الفروع» أنه حيث ذكر العدد إنما القصدُ أن لا ينقص منه، وأما الزيادة، فلا تـضر، سيما عـن غيـر قـصد؛ لأن الـذكر مشروع في الجملة[1].

وتقدم ذكر الخلاف في ذلك، والله أعلم.

(**كانت**) المئة المذكورة من المرات (**له**)؛ أي: لقائلها، (**عِدل**) ـ بالكـسر والفتح ـ بمعنى: المثل، وتقدّم ما قيل: إنه بالفتح: ما عادلـه مـن جنـسه، وبالكسر: ما ليس من جنسه، وقيـل بـالعكس، (**عـشرِ رقـاب**) يعتقهـا الله تعالى، وفي الحديث: «من أعتق رقبة، أعتق الله بكلِّ عضو منها عضوًا منه من النار»[2].

(**وكتب له**) بذلك (**مئة حسنة، ومُحيت**) بضم الميم مبنيًّا لما لم يـسم فاعله (**عنه**)؛ أي: عن القائلِ الذكرَ المذكور (**مئـةُ سـيئة، وكانـت**)؛ أي: التهليلات المذكورة (**له**)؛ أي: لقائلها (**حرزًا**)؛ أي: حصنًا (**من الشيطان**) وجنوده (**يومَه ذلك**) الذي قال الذكر المذكور فيه.

ومن ثَمّ قال العلماء: الأفضل للإنسان أن يقول ذلك في أول النهـار، وأن يكون الذكر متواليًا.

ويستمر صاحب الذكر المذكور في حرز حريـز وحـصنٍ حـصين مـن

---

(١) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٣٩٨).

(٢) رواه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

حينِ قوله له **(حتى يمسي)**؛ أي: يدخل في المساء بغيبوبة الشمس، **(ولم يأت أحدٌ)** من الناس **(بـ)** عملٍ ولا قولٍ **(أفضلَ مما جاء)** به، وهذا يدل على أنه أفضلُ من التسبيح والتحميد والتكبير، فالتهليل يصل إلى الله من غير حجاب بينه وبينه.

وقد خرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما قال عبد: لا إله إلا الله مخلصًا، إلا فُتحت له أبواب السماء، حتى تفضي إلى العرش، ما اجتنبَ الكبائرَ»[1].

وقال أبو أمامة ﷺ: ما من عبد يهلل تهليلةً فينهنهها[2] شيء دون العرش[3].

وروي: أنه لا يعدلها شيء في الميزان، كما في حديث البطاقة

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٩٠) وقال: حديث حسن غريب.

(٢) في هامش الأصل: «أي: لا يكفُّها. اهـ لغة».

النَّهْنَهَةُ: الكَفُّ، تقول: نَهْنَهْتُ فلاناً: إذا زجرته، فَتَنَهْنَهَ؛ أَي: كففته فَكفَّ، كأَن أَصله من النَّهْي. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (مادة: نهنه).

(٣) أورده ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٢١٧).

روى النسائي (٩٣٢) عن وائل بن حجر ﷺ قال: صليت خلف رسول الله ﷺ، فلما كبر رفع يديه أسفل من أذنيه، فلما قرأ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قال: «آمين»، فسمعته وأنا خلفه، قال: فسمع رسول الله ﷺ رجلًا يقول: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما سلَّم النبيُّ ﷺ من صلاته قال: «من صاحب الكلمة في الصلاة؟» فقال الرجل: أنا يا رسول الله، وما أردت بها بأسًا، قال النبي ﷺ: «لقد ابتدرها اثنا عشر ملكًا، فما نهنهها شيء دون العرش».

المشهورة[1].

وفي «مسند الإمام أحمد» عن عبدِالله بنِ عمرٍو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إن نوحًا لما حضرته الوفاة، قال لابنه: آمرك بـ: لا إله إلا الله؛ فإن السماواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ لو وضعت في كفّة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، لرجحت بهنَّ لا إله إلا الله»[2].

وفيه أيضًا عن ابن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أن موسى عليه السلام قال: «يا رب! علمني شيئًا أذكرك به، وأدعوك به، قال: يا موسى! قل: لا إله إلا الله، قال: كل عبادك يقول هذا، إنما أريد شيئًا تخصني به، قال: يا موسى! لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله»[3].

قال الحافظ ابنُ رجب في «شرح الأربعين النووية»: وقد اختلف في أي الكلمتين أفضل: الحمدُ لله، أم كلمة التهليل؟ وحكى هذا الاختلاف الإمامُ ابن عبدِ البر.

وقال النخعي: كانوا يرون أن الحمد أكثرُ الكلام تضعيفًا[4].

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٩).

(٣) أورده ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٢١٧) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، ولم نقف عليه مسندًا من الطريق المذكور، وإنما رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٧٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٣١).

وقال الثوري: ليس يضاعف من الكلام مثل الحمد لله[1].

والحمد يتضمن جميع أنواع الكمال[2] لله، فيدخل فيه التوحيد.

وفي «مسند الإمام أحمد»: عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل اصْطَفَى مِنَ الْكَلامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»، قَالَ: «وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كُتِبَتْ لَهُ بِهَا عِشْرُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَ لَهُ بِهَا ثَلاثُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا ثَلاثُونَ سَيِّئَةً»[3].

وقد روي هذا عن كعبٍ من قوله[4]، وقيل: إنه أصح من المرفوع. انتهى[5].

(إلا أحَدٌ) بالرفع بدلٌ من (أحد) الذي هو فاعلُ (يَأْتِ)، **(عملَ أكثرَ من ذلك)** العملِ الذي عمله الأول؛ لأن لكل عمل ثوابًا، **(ومن قال: سبحان الله)**.

قال في «الفتح»: معناه: تنزيهُ الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفيُ الشريك، والصاحبةِ، والولد، وجميع الرذائل ـ كما تقدم ـ ويطلق

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٥٦).

(٢) في الأصل: «الكلام»، والمثبت من «جامع العلوم والحكم».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٠).

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٧٩).

(٥) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (ص: ٢١٧).

التسبيح، ويراد به جميعُ ألفاظ الذكر، ويطلق ويراد به صلاة النافلة، وسبحان: اسمٌ منصوب على أنه واقع موقعَ المصدر لفعل محذوف، تقديره: سبحتُ الله سبحاناً، كسبحت الله تسبيحًا، ولا يستعمل غالبًا إلا مضافًا، وهو مضاف إلى المفعول؛ أي: سبحت الله، ويجوز أن يكون مضافًا للفاعل؛ أي: نزه اللهُ سبحانه نفسَه، والمشهور الأول.

وقد جاء غير مضاف في الشعر، كقوله:

سبحانَه ثم سبحاناً أُنزهُهُ[1].

وقوله: **(وبحمده)**: قيل: الواو: للحال، والتقدير: أسبح الله متلبسًا بحمدي له من أجل توفيقه، وقيل: عاطفة، والتقدير: أسبح الله، وألتبس بحمده، ويحتمل أن يكون الحمدُ مضافًا للفاعل.

والمراد من الحمد: لازمُه؛ أي: ما يوجب الحمد من التوفيق ونحوه، ويحتمل أن تكون الباء متعلقة بمحذوف مقدم، والتقدير: وأثني عليه بحمده، فتكون (سبحان الله) جملة مُسْتَقِلة، (وبحمده) جملة أخرى.

وقال الخطابي في حديث: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك»[2]؛ أي: بمعونتك[3] التي هي نعمة توجب عليَّ حمدك، سبحتُك، لا بحولي

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٢٠٦). وانظر: «ديوان أمية بن أبي الصلت» (ص: ١٦١)، وفيه:

سُبحانَ ذي العرش سبحاناً يدوم له   وقبلنا سبَّح الجُودي والجُمُدُ

(٢) رواه البخاري (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) في الأصل: «بقوتك»، والتصويب من «شأن الدعاء».

ولا بقوتي[1].

كأنه يريد: أن ذلك مما أقيم فيه المسبب مقام السبب.

(في يوم مئة مرة)، والأَولى أن يكون ذلك من أول اليوم، وأن يكـون الذكر متواليًا، وزاد في رواية سهيل: «من قال حين يمسي وحـين يـصبح»[2]، فالأولى أن يقول في أولهما.

(حطت عنه خطاياه)؛ أي: ذنوبُـه، **(وإن كانـت مثـل زبـد البحـر)**؛ كناية عن المبالغة في الكثرة.

قال القاضي عياض: هذا مع قوله في التهليل: «محيت عنه مئة سـيئة»، قد يُشعر بأفضليته علـى التهليـل؛ لأن عـدد زبـد البحـر أضـعافُ أضـعاف المئة، لكن قوله في التهليل: «ولـم يأت أحدٌ بأفضلَ مما جـاء بـه»، يـشعر بأفضليته، فيحتمل أن يجمع بينهما؛ بأن يكون التهليـل أفـضل، ولا سـيما بما زيد من رفع الدرجات، وكتب الحسنات، ثم ما جعل مع ذلك من عتق الرقاب، فيزيد على فضل التسبيح، وتكفيره جميع الخطايا؛ لأنه قد جـاء: «من أعتق رقبة، أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النـار»[3]، فحـصل بهذا العتق تكفيرُ جميع الخطايا عمومًا، بعد حصر ما عدد منها خصوصًا، مـع زيادة مئة درجة، وما زاده من عتق الرقاب الزائدة[4] على الواحدة، ويؤيـده

---

(١) انظر: «شأن الدعاء» للخطابي (ص: ٤٤).

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) في الأصل: «الزيادة»، والمثبت من «إكمال المعلم».

حديث: «أفضل الذكر التهليل»[1]، وأنه أفضل ما قاله هو ﷺ والنبيون من قبله[2]، كيف وهو كلمة التوحيد والإخلاص.

وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم[3].

وجميعُ ذلك داخل ضمن: لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وقد مر ذكر الخلاف قريبًا. والله أعلم.

(رواه البخاري، ومسلم) في صحيحيهما[4]، وغيرهما.

* * *

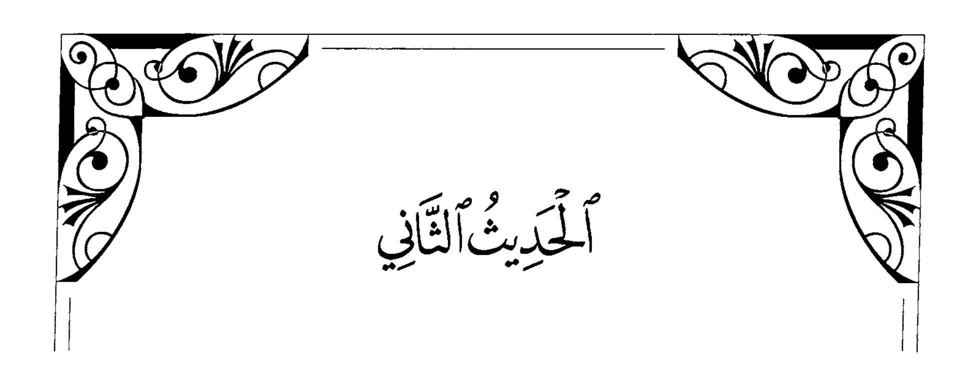
---

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٣) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما بلفظ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله» وقال: حديث حسن غريب.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٨٥) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المديني، وليس بالقوي عند أهل الحديث.

(٣) انظر: «إكمال المعلم» للقاضي عياض (٨/ ١٩١ ـ ١٩٢).

(٤) تقدم تخريجه.



الحديث الثاني

٩٥ ـ عن أبي أيوبَ الأنصاريِّ ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». رواه البخاري، ومسلم[1].

(عن أبي أيوبَ) خالدِ بنِ زيدِ بنِ كليبِ بنِ ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالكِ بنِ النجّارِ النجّاريِّ (الأنصاريِّ) الخزرجيِّ (ﷺ)، من أجلّاء الصحابة، مدنيّ جليلٌ، شهد العقبة وبدرًا وأحدًا، والمشاهد كلها، ونزل عليه رسول الله ﷺ حين قدم المدينةَ مهاجرًا، وأقام عنده شهرًا حتى بُنيت مساكنه ومسجدُه.

وهو ممن غلبت عليه كنيته، وكان مع أمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب في حروبه كلِّها، ومات بالقسطنطينية مرابطًا سنة إحدى وخمسين ـ وقيل: اثنتين وخمسين، وقيل: خمسين ـ مع يزيدَ بنِ معاوية لما أغزاه أبوه القسطنطينية، خرج معه فمرض، فلما ثقل قال لأصحابه: إذا أنا مت

(١) رواه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣).

فاحملوني، فإذا صاففتم العدوَّ فادفنوني تحت أقدامكم[1]، ففعلوا.

وقبره هناك معروف معظّم، يستشفون به فيشفون[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤١٩).

(٢) الاستشفاء: هو طلب الشفاء، ولا أحد من المخلوقين يملك شفاء غيره، لذلك يكون الاستشفاء بالدعاء إلى الله، ولا أحد سواه، مع اتخاذ الأسباب.

أما طلب ذلك من الأحياء أو الأموات، ففيه شرك واضح؛ لأنه طلب ممن لا يملك، أما الدعاء إلى الله تعالى وسؤاله، متوسلًا إليه ببعض الصالحين، فقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رأي العلماء فيه في «فتاويه»، ونقتبس منه ما يلي: وهو أن يقول: اللهم بجاه فلان عندك، أو ببركة فلان، أو بحرمة فلان عندك، افعل بي كذا وكذا، فهذا يفعله كثير من الناس، لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه، إلا ما رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد بن عبد السلام، فإنه أفتى أنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك، إلا للنبي ﷺ إن صح الحديث عن النبي ﷺ، فقد روى النسائي والترمذي وغيرهما: أن النبي ﷺ علّم بعض أصحابه أن يدعو فيقول: «اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد، يا رسول الله! إني أتوسل بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها لي، اللهم فشفعه فيّ»، فإن هذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل بالنبي ﷺ في حياته وبعد مماته، قالوا: وليس في التوسل دعاء المخلوقين ولا استغاثة بالمخلوق، وإنما هو دعاء واستغاثة بالله، لكن فيه سؤال بجاهه، كما في «سنن ابن ماجه» عن النبي ﷺ: أنه ذكر في دعاء الخارج للصلاة أن يقول: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا، ولا رياءً ولا سمعةً، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت». =

روي له عن رسول الله ﷺ مئة وخمسون حديثًا، اتفق الشيخان منها على سبعة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بخمسة.

روى عنه جمعٌ من الصحابة؛ كالبراء بن عازب، وجابر بن سمرة، والمقدام بن معدي كرب، وأبي أمامة الباهلي، وزيد بن خالد الجهني، وابن عباس، وعبدالله بن يزيد الخطمي، وغيرهم رضي الله عنهم[1].

(عن رسول الله ﷺ قال: من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

= قالوا: ففي هذا الحديث أنه سأل بحق السائلين عليه، وبحق ممشاه إلى الصلاة، والله تعالى قد جعل على نفسه حقًّا، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ونحو قوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ [الفرقان: ١٦]، وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل: أن النبي ﷺ قال له: «يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ فإن حقهم عليه أن لا يعذبهم».

وقالت طائفة: ليس في هذا جواز التوسل به بعد مماته وفي مغيبه، بل إنما فيه التوسل في حياته بحضوره، كما في «صحيح البخاري»: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس، فقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا، فيسقون.

وقد بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون، وذلك التوسل به أنهم كانوا يسألونه أن يدعو الله لهم، فيدعو لهم، ويدعون معه، ويتوسلون بشفاعته ودعائه. اهـ. ملخصًا. انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٧/ ٨٣ ـ ٨٥).

(١) انظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» للمزي (٨/ ٦٦)، و«الإصابة» لابن حجر (٢/ ٢٣٤).

له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، عشرَ مرار، كان) القائلُ الذِّكْرَ المذكور (كمن أعتقَ أربعةَ أنفس) من الرق (من ولدِ إسماعيلَ)؛ إظهارًا لعظيم أجره، لمزيةِ ولدِ إسماعيلَ الذبيحِ عليه السلام على غيرهم؛ لأنهم أصول العرب، ولرحمهم من النبي ﷺ.

(رواه البخاري، ومسلم)، وغيرهما[1].

ورواه الإمام أحمد، والطبراني، فقالا: كُنَّ له عدلَ عشرِ رقاب من ولد إسماعيل[2].

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ»[3].

معنى الإخلاص: أن يخلص قلبه لله، فلا يبقى فيه شركة لغيره، فيكون الله تعالى محبوبَ قلبه، ومعبودَ قلبه، ومقصوداً به، ومعنى هذا مشروطٌ بسلامة العاقبة[4]؛ لأن اعتبار الأمور بخواتمها، على ما أفصح به قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤١٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٠٢٠)، من حديث أبي أيوب الأنصاري.

(٣) رواه البخاري (٩٩).

(٤) في الأصل: «العافية»، والصواب المثبت.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧] الآية.

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدُالله ورسوله، وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»، زاد جنادة: «من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء»[1].

وفي رواية لمسلم، والترمذي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، حرم الله عليه النار»[2].

وفي الصحيحين وغيرهما عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ ومعاذٌ رديفهُ على الرحل قال: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ!» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذ!» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثَلاثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ، فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا»، وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا[3]؛ أي: تحرجًا من الإثم، وخوفًا منه أن يلحقه إن كتمه.

* **تنبيه:**

ذكر الحافظ عبدُ العظيم المنذري: أنه ذهب طوائفُ من أساطين أهل

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) رواه مسلم (٢٩)، والترمذي (٢٦٣٨)، من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

(٣) رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

العلم إلى أن مثل هذه الإطلاقات التي وردت فيمن قال: (لا إله إلا الله) دخل الجنة، أو حرم عليه النار، ونحو ذلك، إنما كان في ابتداء الإسلام حين كانت الدعوة إلى مجرد الإقرار بالتوحيد، فلما فرضت الفرائض، وحُدَّت الحدود، نسخ ذلك، والدلائل على ذلك كثيرة متظاهرة؛ كما في أحاديث الصلاة والزكاة والصيام والحج؛ وذهب إلى هذا القول الضحاكُ، والزهري، وسفيان الثوري، وغيرهم.

وقالت طائفة: لا احتياج إلى ادعاء النسخ في ذلك؛ فإن كل ما هو من أركان الدين وفرائض الإسلام هو من لوازم الإقرار بالشهادتين وتتماته؛ فإذا أقر، ثم امتنع عن شيء من الفرائض، جحدًا أو تهاونًا ـ على تفصيل الخلاف فيه ـ، حكمنا عليه بالكفر، وعدم دخول الجنة، قال: وهذا القول قريب.

قال: وقالت طائفة: التلفظ بكلمة التوحيد سبب يقتضي دخولَ الجنة، والنجاةَ من النار، بشرط أن يأتي بالفرائض، ويتجنب الكبائر؛ فإن لم يأت بالفرائض، ولم يتجنب الكبائر، لم يمنعه التلفظُ بكلمة التوحيد من دخول النار، وهذا القول قريبٌ مما قبله، أو هو هو. انتهى[1].

قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية روَّح الله روحه: جميع أعمال البر داخلة في التوحيد؛ فإن التوحيد، وهو معنى: لا إله إلا الله، هو أن تعبد الله، وهو تعالى إنما يُعبد بما أمر به، فهو العمل لله بأمر الله، كما قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢].

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٦٦).

فكل عمل من أعمال البر جزءٌ من أجزاء التوحيد، فجميعُ الأعمال الحسنة تضاعف لصاحبها، وهي من عبادة الله وحده، ومن فروع قول: لا إله إلا الله، بل الأعمالُ تحقق قول: لا إله إلا الله[1].

ثم قال: قال النبي ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل»، فقال أبو بكر الصديق: فكيف ننجو منه يا رسول الله؟ قال: «قل: اللهمّ إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»[2].

فهذا مما يخفى على الإنسان في نفسه، فكيف بما لا يخفى؟ لكن إذا لم يعدل بالله [غيره][3]، فيُحبّ غيرَ الله مثلَ ما يحب الله، بل كان الله أحبَّ إليه، وأخوف عنده، وأرجى عنده من كل مخلوق، فهذا قد خلص من الشرك الأكبر، وأما الشرك الأصغر، فلا يخلص منه إلا من خلص من الذنوب كلها.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله، دخل الجنة»[4].

و«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة»[5].

---

(١) انظر: «تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء» لابن تيمية (ص: ٣٤٧ ـ ٣٤٨).

(٢) رواه إسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» لابن حجر (١٣/ ٤١٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٦)، من حديث معقل بن يسار ﷺ، وقال ابن حجر: ليث ضعيف لسوء حفظه واختلاطه، وشيخه مبهم.

(٣) ما بين معكوفتين من «تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء».

(٤) رواه مسلم (٢٦) من حديث عثمان بن عفان ﷺ.

(٥) رواه أبو داود (٣١١٦) من حديث معاذ بن جبل ﷺ.

وقال: «أسعدُ الناس بشفاعتي يومَ القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه»[1].

وذكر طرفًا من الأحاديث التي ذكرناها وغيرها[2].

ثم قال: وحقيقةُ التوحيد انجذابُ الروح إلى الله تعالى، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبه، وهو أن ينجذب إليه بكليته، دخل الجنة؛ لأن الإخلاص يجذب قلبه إلى الله، فيتوب إليه، فإذا مات على هذه الحال، دخل الجنة، وثبت عنه: أنه قال: «اخرجْ فمن لقيتَه يشهدُ أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه، فبشره بالجنة»[3].

وقال: «لا يشهد أحد أنه لا إله إلا الله، وأني رسولُ الله، فيدخل النار ـ أو قال: ـ فتطعمه النار»[4].

وقال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، وإن زنا، وإن سرق»، قال[5]: إذا تاب قبلَ الموت وندم، وقال: لا إله إلا الله[6].

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) انظر: «تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء» لابن تيمية (ص: ٣٥٣ ـ ٣٥٥).

(٣) رواه مسلم (٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه مسلم (٣٣) من حديث عتبان بن مالك ﷺ.

(٥) أي: البخاري.

(٦) رواه البخاري (٥٨٢٧) من حديث أبي ذر ﷺ.

وقال ﷺ: «الموجبتان[1]: من مات لا يشرك بالله شيئًا، دخلَ الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا، دخلَ النار»[2].

قال شيخ الإسلام: فهذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدةً، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة[3]، بل كثير ممن يقول: لا إله إلا الله يدخل النار، أو أكثرهم، ثم يخرج منها.

وتواترت الأحاديث بأنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله[4]، ولكن جاءت مقيدة بالإخلاص واليقين، وبموتٍ عليها، فكلها مقيدة بهذه القيود الثقال.

وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يُفتن عنها عند الموت، فيُحال بينه وبينها[5].

---

(١) في الأصل: «الموجبات»، والمثبت من «مسند الإمام أحمد».

(٢) انظر: «تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء» لابن تيمية (ص: ٣٥٦ ـ ٣٥٧)، والحديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٣) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٣) روى مسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرَّة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة».

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) انظر: «تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء» لابن تيمية (ص: ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

قال: وغالبُ من يقولها إنما يقولها تقليدًا، أو عادة، ولم يخالط الإيمان بها بشاشةَ قلبه، وغالبُ من يفتن عند الموت وفي القبور أمثالُ هؤلاء، كما في الحديث الصحيح: «فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون، فقلت»[1].

وغالبُ أعمال هؤلاء إنما هي تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، فإذا قالها العبد بإخلاص ويقين، ومات على ذلك، امتنع أن تكون سيئاته راجحة على حسناته، بل حسناته تكون راجحة، فيحرم على النار؛ لأنه إذا قالها العبد بإخلاص ويقين تام، لم يكن بهذه الحال مصرًّا على ذنب، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله تعالى أحبَّ إليه من كل شيء، وأخوفَ عنده من كل شيء، فلا يبقى في قلبه حينئذ إرادةٌ لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله، فهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كان له ذنوب قبل ذلك.

فهذا الإيمان، وهذه التوبة، وهذا الإخلاص، وهذه المحبة، وهذا اليقين، وهذه الكراهة، لا تترك له ذنبًا إلا محي عنه، كما يمحي الليل النهار.

فإن قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر، فهذا غيرُ مصرّ على ذنب أصلًا، فيغفر له، ويحرم على النار، وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دونَ الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فيرجح بها ميزان

---

(١) رواه البخاري (١٨٤)، ومسلم (٩٠٥)، من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

الحسنات؛ كما في حديث البطاقة[1]، فيحرم على النار، ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه.

وهذا بخلاف من رجحت سيئاته على حسناته، ومات على ذلك؛ فإنه يستوجب النار، وإن كان قال: لا إله إلا الله، وخلص بها من الشرك الأكبر، لكن لم يمت على ذلك، بل قالها وأتى بعدها بسيئات رجحت على هذه الحسنات؛ فإنه في حال قوله لها مخلصًا مستيقنًا بها قلبه تكون حسناته راجحة، ولا يكون مصرًّا على سيئة، فإن مات قبل ذلك، دخل الجنة.

ولكن بعد ذلك قد يأتي بسيئات راجحة، أو لا يقولها بالإخلاص واليقين المانع من جميع السيئات، ومن الشرك الأكبر والأصغر، بل يبقى معه الشرك الأصغر، ويأتي بعد ذلك بسيئات تنضم إلى ذلك الشرك، فترجح سيئاته؛ فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف بسبب ذلك قول: لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص في القلب، فيصير المتكلم بها كالهاذي، أو النائم، أو من يحسن صوته بآية من القرآن، يختبره بها من غير ذوق طعم، ولا حلاوة.

فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل قد يأتون بعدها بسيئات تنقص ذلك الصدق واليقين الضعيف، وقد يقولونها من غير يقين وصدق تام، ويموتون على ذلك، ولهم سيئات كثيرة، فالذي قالها بيقين وصدق تام إما أن لا يكون مصرًّا على سيئة أصلًا، أو يكون توحيده المتضمنُ لصدقه ويقينه رجح حسناته، فهذا لا يدخل النار.

---

(١) تقدم تخريجه.

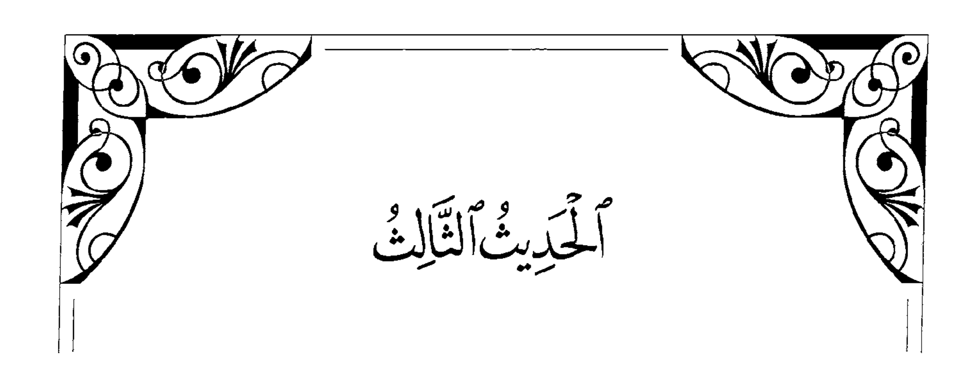
والذين دخلوا النار قد فات فيهم أحد الشرطين: إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التام المنافي للسيئات، أو لرجحانها على الحسنات، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم، فضعف لذلك صدقهم ويقينهم، فلم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين يمحو السيئات، أو يرجح الحسنات.

والشرك نوعان: أصغر، وأكبر، فمن خلص منهما وجبت له الجنة، ومن مات على الشرك الأكبر وجبت له النار، ومن خلص من الأكبر، وحصل له بعض الأصغر، مع حسنات راجحة على ذنوبه، دخل الجنة، فإن تلك الحسنات تَوْحيد كثير مع يسيرٍ من الشرك الأصغر؛ ومن خلص من الأكبر، ولكن كثر شركُه الأصغر حتى رجحت به سيئاته، دخل النار.

فالشركُ يؤاخَذ به العبد إذا كان أكبر، أو كان كثيرًا أصغر، فالأصغر القليلُ في جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخَذ به، والخلاص من الأكبر ومن أكثر الأصغر الذي يجعل السيئات راجحة على الحسنات فصاحبه ناجٍ، ومن نجا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، ورجحت حسناته على سيئاته، دخل الجنة. انتهى ملخصًا[1]. والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء» لابن تيمية (ص: ٣٥٩_٣٦٤).



الحَدِيثُ الثَّالِثُ

٩٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ». أخرجه البخاري، ومسلم[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: كلمتان)، قال في «الفتح»: فيه إطلاق كلمة على الكلام، وهو مثل: كلمة الإخلاص، وكلمة الشهادة، وقوله: (كلمتان) هو الخبر[2].

(خفيفتان على اللسان)، وما بعدها صفة، والمبتدأ هو قوله: (سبحان الله. . .) إلخ، والنكتة في تقديم الخبر تشويقُ السامع إلى المبتدأ، أو كلما طال الكلام في وصف الخبر، حَسُن تقديمه؛ لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقًا.

وقوله: **(ثقيلتان في الميزان)**: وصفهما بالخفة والثقل؛ لبيان قلة العمل، وكثرة الثواب، وفي هذه الألفاظ سجع مستعذَب، والسجع ـ بفتح

(١) رواه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٥٤٠).

السين المهملة وسكون الجيم بعدها عين مهملة ـ : موالاة الكـلام علـى رَوِيٍّ واحد، ويقال: هو مناسبة أواخر الكلمات لفظًا، ومنه: سَجَعت الحمامة: إذا رَدَّدت صوتها.

قال ابن دريد: السجع: هو الكلام المقفى من غير مراعاة وزن[1].

وفي مثل هذا الحديث مما ورد فيه السجع كقوله ﷺ: «اللهم إني أعـوذ بك من قلبٍ لا يخشع، ومن دعاء لا يُسمع، ومن نفس لا تَشبع، ومن علم لا يَنفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع»[2]، ونحوه، دليلٌ لما قاله العلماء: إن السجع المذموم في الدعاء هو المتكلَّف؛ لأنه يُذهِب الخـشوع والخـضوع والإخلاص، ويُلهي عن الضراعة والافتقار وفراغ القلب، وأما ما حصل بلا كُلفة ولا إعمال فكر؛ لكمال الفصاحة ونحوِ ذلك، فلا بـأس بـه، بـل هـو حسن كما قاله النووي وغيره[3]، وإنما كرهه ﷺ لمشاكلته كلامَ الكَهَنة.

والحاصل: أن المنهيَّ عنه من الـسجع مـا كـان متكلفًـا، أو متـضمنًا لباطل، لا ما جاء عفوًا من غير قصد إليه.

وفي قوله ﷺ: (خفيفتان) إشارة إلى قلة ألفاظهما، ولرشاقتهما.

قال الطيبي: الخفة مستعارة للسهولة، شبه سهولة جريانها علـى اللـسان

---

(١) قال ابن دريد في «جمهرة اللغة» (١/ ٤٧٤): السجع: موالاة الكلام علـى رويٍّ واحد.

(٢) رواه النسائي (٥٤٧٠) من حديث أنس بن مالك ﷺ. ورواه مسلم (٢٧٢٢) مـن حديث زيد بن أرقم ﷺ بنحوه.

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ٤١).

بما خف على الحامل من بعض الأمتعة، فلا يتعبه[1] كالشيء الثقيل؛ ففيه إشارة إلى أن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة، وهذه سهلة عليها، مع أنها تثقل في الميزان كثقل الشاقّ من التكاليف[2].

وقد سئل بعض السلف عن ثقل الحسنة وخفة السيئة، فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها، وغابت حلاوتها، فثقلت، فلا يحملنَّكَ ثقلُها على تركها، والسيئةُ حضرت حلاوتها، وغابت مرارتها، فلذلك خفَّت، فلا يحملنك خفتها على ارتكابها[3].

(حبيبتان)؛ أي: محبوبتان، والحبيب أبلغ من المحبوب؛ لأن المحبوب يقتضي أن يكون له محب، والحبيب لا يقتضي ذلك، بل هو من نفسه حبيب، سواء وجد له من يحبه، أو لا.

وهل المعنى: محبوبٌ قائلُها، أو هما في أنفسهما محبوبتان لدى الله تعالى؟ والثاني يستلزم الأول؛ فإن فاعل المحبوب لدى الله محبوب، ومحبة الله تعالى للعبد يردها المتكلمون للإرادة؛ لأنهم يمنعون إطلاق صفة المحبة عليه تعالى، بل هي إرادة الله تعالى إيصالَ الخير للعبد، والحق أنه تعالى يُحِب ويُحَب، فحركاتُ العَالَمِ العلوي والسفلي تابعة للإرادة والمحبة، وبها يحرك العالم ولأجلها، فهي العلة الفاعلية والغائية، بل هي التي بها ولأجلها وُجد العالَم، فما تحرك في العالم العلوي والسفلي حركةٌ إلا

---

(١) في الأصل: «تعيبة»، والتصويب من «الكاشف عن حقائق السنن».

(٢) انظر: «الكاشف عن حقائق السنن» للطيبي (٦/ ١٨٢٠ ـ ١٨٢١).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٥٤١).

والإرادةُ والمحبةُ سببها وغايتها، بل حقيقة المحبة في حقه تعالى غيرُ حقيقتها في عباده، كما أن الإرادة في حقه تعالى غير الإرادة في حق عباده، فلكلّ مقام مقال، والله ولي الأفضال.

قال الكرماني: فإن قيل: فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، ولا سيما إذا كان موصوفه معه، فلم عدلَ عن التذكير إلى التأنيث؟

فالجواب: أن ذلك جائز لا واجب، وهو ـ أيضًا ـ في المفرد لا المثنى، سلمنا، لكن لمناسبة الثقيلتين والخفيفتين[1].

وقوله: (للرحمن) إنما خص الرحمن بالذكر مع مناسبة الفقرات؛ لأن المقصود من الحديث سعةُ رحمة الله تعالى على عباده؛ حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل.

ثم بين الكلمتين بقوله: (**سبحان الله**)، ومعنى التسبيح: التنزيه؛ كما مر؛ أي: أُنزه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك[2] والصاحبة والولد وجميع الرذائل.

(**وبحمده**): قيل: الواو للحال، والتقدير: أسبح الله متلبسًا بحمدي له بتوفيقه، وقيل: إنها عاطفة، والتقدير: أسبح الله، وألتبس بحمده، ويحتمل أن الباء متعلقة بمحذوف، والتقدير: وأثني عليه بحمده، فتكون (سبحان الله) مستقلة، (وبحمده) جملة أخرى.

(**سبحان الله العظيم**): قال ابن بطال: هذه الفضائل الواردة في فضل

---

(١) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (٢٢/ ١٨٥).

(٢) في الأصل: «الشرك»، والتصويب من «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٢٠٦).

الذكر إنما لأهل الشرف في الدين والكمال والطهارة من الحرام والمعاصي العظام، فلا يظن أن من أدى الذكر وأصرَّ على ما شاء من شهواته، وانتهكَ دينَ الله وحُرماته، أنه يلتحق بالمطهرين المقدسين، ويبلغ منازلهم بكلام أجراه على لسانه، ليس معه تقوى ولا عمل صالح. انتهى[1].

ونظر في نحو هذا القاضي عياض، والأحاديث عامة.

وفي «الفتح»: قال الكرماني: صفات الله وجودية؛ كالعلم والقدرة، وهي صفات الإكرام، وعدمية؛ كلا شريك له، ولا مِثلَ له، وهي صفات الجلال، فالتسبيحُ إشارة إلى صفات الجلال، والتحميد إشارة إلى صفات الإكرام، وتركُ التقييد مُشعِر بالتعميم، والمعنى: أنزهه من جميع النقائص، وأحمده بجميع الكمالات[2].

قال: والنظم الطبيعي يقتضي تقديم التخلية على التحلية، فقدم التسبيح الدال على التخلي على التحميد الدال على التحلي، وقدم لفظ الله؛ لأنه اسم الذات المقدسة الجامعُ لجميع الصفات الكاملة، مستلزمة لعدم النظير والمثيل ونحو ذلك، وكذا العِلم بجميع المعلومات، والقدرة على جميع المقدورات، ونحو ذلك.

وذكر التسبيح متلبسًا بالحمد؛ ليعلم ثبوت الكمال له نفيًا وإثباتًا، وكرره تأكيدًا، أو لأن الاعتناء بشأن التنزيه أكثرُ من جهة المخالفين، ولهذا جاء في القرآن بعبارات مختلفة؛ نحو: سُبحان، وسَبِّح بلفظ الأمر، وسَبَّحَ بلفظ

---

(١) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠/ ١٣٤).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٥٤١).

الماضي، ويُسبح بلفظ المضارع، ولأن التنزيهات تدرَك بالعقل؛ بخلاف الكمالات؛ فإنها تقصر العقول عن إدراك حقائقها.

قال بعض المحققين: الحقائق الإلهية لا تعرف إلا بطريق السلب، كما في العلم لا يدرك منه إلا أنه ليس بجاهل، فأما معرفة حقيقة علمه، فلا سبيل إليه[1].

قلت: وفي هذا نظر، بل يدرك العقل أنه عالم بعلم، وإن لم يدرك كنه علمه تعالى.

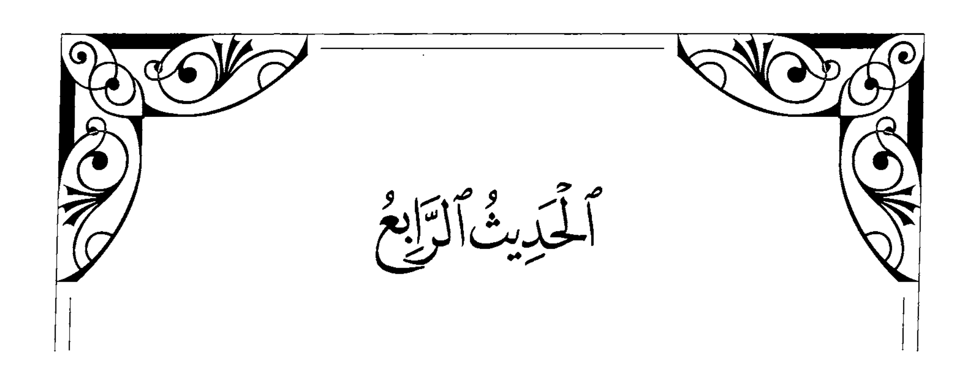
وفي الحديث ترغيبٌ وحثٌّ على الذكر المذكور؛ لمحبة الرحمن له، ولخفته بالنسبة إلى ما يتعلق بالعَمَل، والثقل بالنسبة لإظهار الثواب.

وترتيب هذا الحديث على أسلوب عظيم، وهو أن حبَّ الربِّ سبحانه سابقٌ، وذكرَ العبد وخفةَ الذكر على لسانه تالٍ، ثم بيان ما فيه من الثواب العظيم النافع يوم القيامة، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) المرجع السابق (١٣/ ٥٤١ ـ ٥٤٢).



الحَدِيثُ الرَّابِعُ

٩٧ ـ عَن أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَـنْ قَـالَ حِـينَ يُصْبِـحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِـحَمْدِهِ، مِئَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَـأْتِ أَحَـدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَـالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْـهِ». أخرجه مسلم[1].

(**عن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: **من قال حين يصبح**)؛ أيْ: وقت دخوله في الصباح من أول النهار، (**وحين يمسي**)؛ أي: وقت دخوله في المساء من الليل: (**سبحان الله**)؛ أي: أنزه الله عما لا يليق به، وأثني عليه (**بحمده**) من نعوت كماله، وصفات أفضاله، أو أسبح الله متلبسًا بحمده تعالى، (**مئة مرة**)، ولو متفرقة، أو قالها في أثناء الليل والنهار، لكن كونُها متواليةً، وفي أول النهارِ وأولِ الليل، أَولى وأفضل، مبادرةً لفعل المشروع، ودفع العوائق ورد الممنوع، (**جاء يوم القيامة**) العظمى والنشور لفصل القضاء (**بـ**) عملٍ ثوابُه: (**أفضلُ مِمّا جاء به**)؛ أي: بذلك الثواب (**أحدٌ**) من العباد، (**إلا أحدٌ**) بدل من الأحد الأول (**قالَ مثلَ ما**)؛ أي: مثل

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٢).

الذي (قال)، أو مثل قوله، (أو زاد عليه)؛ لأن لكل عمل ثوابًا، ولكل قول من الأذكار أجرًا.

(أخرجه مسلم) في «صحيحه»[1]، وأبو داود في «سننه»[2].

وفي لفظ: «لم يأت أحد يوم القيامة بأفضلَ مما جاء به إلا رجلٌ قال مثل ما قال، أو زاد عليه»[3].

ولفظ أبي داود: «سبحان الله العظيم وبحمده»[4]، وفي لفظ: «لم يُوَاف أحدٌ من الخلائق مثلَ ما وافى»[5]. وعزاه في جامع الأصول للبخاري، ومسلم، وأبي داود[6].

وأخرج مسلم، والنسائي، والترمذي من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم ـ وفي لفظ: ألا أخبرك ـ بأحبِّ الكلام إلى الله؟» قلت: يا رسول الله! أخبرني بأحبِّ الكلام إلى الله، فقال: «إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»[7].

---

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٩١) بلفظ: «من قال حين يصبح: سبحان الله العظيم وبحمده، مئة مرة، وإذا أمسى كذلك، لم يواف أحد من الخلائق بمثل ما وافى».

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٢) وفيه: «أحد» بدل «رجل».

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) وهي رواية أبي داود، وتقدم تخريجها.

(٦) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ٢٤٨)، والحديث رواه البخاري (٦٤٠٥).

(٧) رواه مسلم (٢٧٣١/ ٨٥).

ولفظ الترمذي: «سبحان ربي وبحمده»، وقال: حسن صحيح[١].

وفي رواية لمسلم: أن رسول الله ﷺ سئل: أيُّ الكلام أفضل؟ قال: «ما اصطفى لملائكته، أو لعباده: سبحان الله وبحمده»[٢].

ويأتي هذا الحديث في كلام الحافظ المصنف رحمه الله تعالى.

وروى الطبراني بإسناد منظور فيه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «من قال: سبحان الله وبحمده، كتب له مئة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة، ومن قال: لا إله إلا الله، كان له بها عهد عند الله يوم القيامة»[٣].

وفي رواية للطبراني أيضًا: فقال رجل: كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله؟ قال: «إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله، فتقوم النعمة من نعم الله، فتكاد أن تستنفد ذلك كله، إلا أن يتطاول الله برحمته»[٤].

ورواه الحاكم من حديث إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة، أو وجبت له الجنة، ومن قال: سبحان الله وبحمده، مئة مرة، كتب الله له مئة ألف حسنة، وأربعًا وعشرين ألف حسنة»، قالوا: يا رسول الله! إذًا لا يهلك

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٩٣).

(٢) رواه مسلم (٢٧٣١/ ٨٤).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٥٩٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٧): وفيه النضر بن عبيد، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٥٩٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٢٠): وفيه أيوب بن عتبة، وهو ضعيف.

منا أحد، قال: «بلى، إن أحدكم ليجيء بالحسنات لو وضعت على جبل أثقلته، ثم تجيء النعم، فتذهب بتلك، ثم يتطاول الربُّ بعد ذلك برحمته»[(١)]، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وروى البزار بإسناد جيد من حديث عبدالله بن عمرو[(٢)] رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة»[(٣)].

ورواه الترمذي من حديث جابر رضي الله عنه، ولفظه: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة»، وقال: حديث حسن[(٤)].

ورواه النسائي إلا أنه قال: «غرست له شجرة في الجنة»[(٥)].

ورواه ابن حبان في «صحيحه»[(٦)]، والحاكم في موضعين من «صحيحه»

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٦٣٨) من حديث أبي طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه، وفيه: «ومن قال: سبحان الله وبحمده، مئة، كتب الله له ألف حسنة، وأربعًا وعشرين حسنة» بدل «ومن قال: سبحان الله وبحمده، مئة مرة، كتب الله له مئة ألف حسنة، وأربعًا وعشرين ألف حسنة».

(٢) في الأصل: «عمر»، والتصويب من مصدر التخريج.

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٢٤٦٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٩٤): إسناده جيد.

(٤) رواه الترمذي (٣٤٦٤) وقال: حديث حسن صحيح غريب، و(٣٤٦٥) وقال: حديث حسن غريب.

(٥) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٦٣).

(٦) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨٢٦).

بإسنادين، قال في أحدهما: على شرط مسلم، وفي الآخر: على شرط البخاري[1].

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة، غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر»[2].

ورواه الترمذي[3]، والنسائي، وفي رواية للنسائي: «من قال: سبحان الله وبحمده، حَطَّ الله عنه ذنوبه وإن كانت أكثرَ من زبد البحر»، لم يقل في هذه الرواية: «في يوم»، ولم يقل: «مئة مرة»[4]، وإسنادها متصل، ورواتها ثقات. والله أعلم.

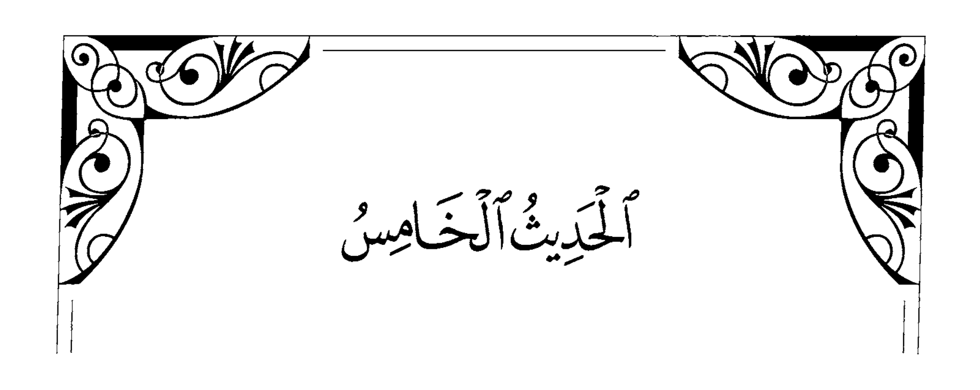
* * *

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٤٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وبرقم (١٨٨٨) ولم يعلِّق عليه.

(٢) رواه مسلم (٢٦٩١).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٦٦).

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٦٢).



ٱلْحَدِيثُ ٱلْخَامِسُ

٩٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ». أخرجه مسلم[١].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لأن) اللام في جواب قسم محذوف، والهمزة مفتوحة بعد لام القسم **(أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبُّ إلي مما)**؛ أي: من كل شيء **(طلعت عليه الشمس)**؛ لأنها هي الباقيات الصالحات، ولأنها أحبُّ الكلام إلى الله تعالى، كما يأتي[٢]، ولأنها غراس الجنة.

(أخرجه مسلم)[٣]، والترمذي[٤].

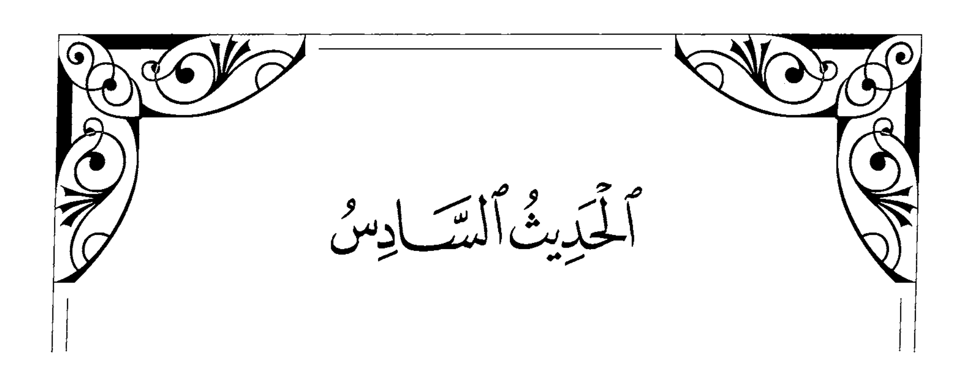
* * *

(١) رواه مسلم (٢٦٩٥).

(٢) سيأتي برقم (١٠٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الترمذي (٣٥٩٧) وقال: حديث حسن صحيح.



الحديث السادس

٩٩ ـ عن سَعْدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ ﷺ قال: كنَّا عندَ رسولِ الله ﷺ، فقالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُم أَن يَكسِبَ كلَّ يومٍ أَلفَ حسنة؟» فسأَلَهُ سائِلٌ مِن جُلَسَائِهِ: كيفَ يكسِبُ أحدُنا ألفَ حسنة؟ قال: «يُسبِّحُ مئةَ تَسبيحَةٍ، فيُكْتَب له ألفُ حسنةٍ، أَو يُحَطُّ عنه ألفُ خطيئة». رواه مسلم[1].

(عن) أبي إسحاقَ (سعدِ بنِ أبي وقاص)، واسم أبي وقاص مالكٌ (ﷺ)، وهو أحدُ العشرة المبشرين بالجنة رضوانُ الله عليهم، وتقدمت ترجمته في فضل الأذان.

(قال) سعدٌ ﷺ: **(كنا عند رسول الله ﷺ، فقال: أيعجز أحدكم)** معشرَ الصحابة ومن يجيء بعدكم من الأمة **(أن يكسِب كلَّ يوم)** من أيام حياته **(ألفَ حسنة؟)** فكأنهم استنكروا ذلك واستكثروه، **(فسأله سائل من جلسائه)**؛ أي: من أصحابه ﷺ: **(كيف يكسب أحدنا ألف حسنة)**؛ فإن هذا بظاهره نعجز عنه؟ **(قال)** مبيناً لكيفيةِ كسبِ ذلك: **(يسبح الله)** سبحانه وتعالى **(مئة تسبيحة)**، فيكتب **(له)** بها **(ألف حسنة، أو يحط عنه ألف**

(١) رواه مسلم (٢٦٩٨).

خطيئة)؛ أي: يمحى عنه ألف ذنب وسيئة. وفي رواية: «ويحط» بغير ألف[1]، **(رواه مسلم)**[2].

ورواه الترمذي، ولفظه: «ويحط عنه ألف سيئة»[3].

قال الحميدي ـ رحمه الله ـ: كذا هو في كتاب مسلم في جميع الروايات: (أو تحط)؛ يعني: بالألف قبل الواو، ورواه شعبة، وأبو عوانة، ويحيى القطان عن موسى الذي رواه مسلم من جهته، فقالوا: (ويحط) بغير ألف. انتهى[4].

قال الحافظ المنذري: هكذا رواية مسلم، وأما الترمذي، والنسائي، فإنهما قالا: «ويحط» بغير ألف. انتهى[5].

* * *

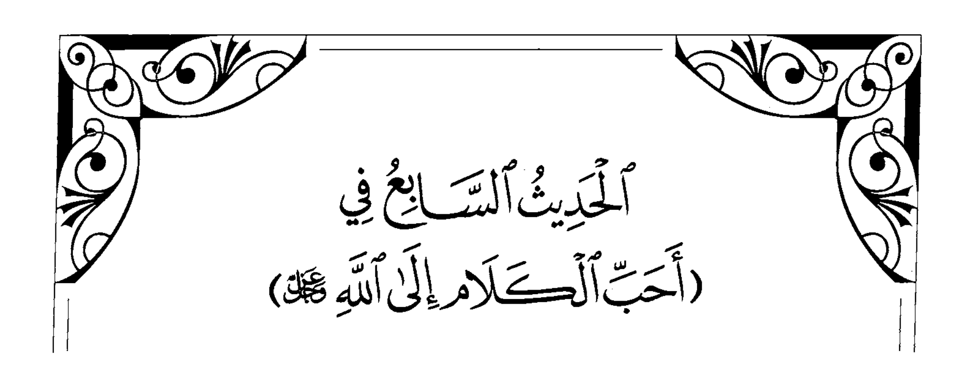
(١) رواه الترمذي (٣٤٦٣) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: «الجمع بين الصحيحين» للحميدي (١/ ١٩٩).

(٥) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٧٥)، والحديث رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٩٨٠).



الحديث السابع في (أحب الكلام إلى الله عز وجل)

١٠٠ ـ عن سَمُرة بنِ جُندبٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الكَلامِ إلى الله أَرْبَعٌ: سُبْحانَ الله، والحمْدُ لله، ولا إلـه إلا الله، والله أكْبَرُ، لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بدأتَ». رواه مسلم[1].

(عن سمرةَ بنِ جندُب) بضم الدال المهملة، وفتحها، وكنية سمرة: أبو سعيد، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو عبدالله، وقيل: أبو عبد الرحمن، وجندب بن هلال بن حَرِيج ـ بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وبالجيم ـ ابن مرة بن حَزْن ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي فنون ـ ابن عمر بن جابر الفزاري، حليف الأنصار، نزل الكوفة، وولي البصرة، وعِداده في البصريين.

توفي أبوه وهو صغير، فقدمت به أمه على النبي ﷺ المدينةَ، فتزوجها أنصاري، فكان سمرة في حِجْره حتى كبر.

قيل: أجازه النبي ﷺ في أُحد[2].

---

(١) رواه مسلم (٢١٣٧).

(٢) قال ابن هشام في «السيرة النبوية» (٤/ ١٢): وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سمرة ابن جندب الفزاري، ورافع بن خديج أخا بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة =

وكان زيادٌ يستخلفه على الكوفة ستة أشهر، وعلى البصرة ستة أشهر، وهو القدر الذي يكون فيه زياد في البلد الأخرى، فلما مات زياد، كان بالبصرة، فأقره معاويةُ عليها عامًا، ثم عزله.

وكان سمرة شديدًا على الحرورية، وكان من الحفاظ للأحاديث النبوية.

روى عنه: ابنهُ سليمانُ، وعمرانُ بنُ حصينٍ، والحسنُ البصريُّ، والشعبيُّ، وعليُّ بنُ ربيعةَ.

روي له عن رسول الله ﷺ مئة وثلاثة وستون حديثًا، اتفقا على حديثين، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بأربعة.

مات ﷺ بالبصرة سنة تسع وخمسين، وقيل: سنة ثمان، ويقال: سنة ستين، سقط في قدر مملوءة ماء حارًّا كان يتعالج بالصعود عليها من كزاز شديد أصابه، فكان ذلك مصداقَ قوله ﷺ له ولأبي هريرة ولثالثٍ معهما: «آخركم موتًا في النار»[1].

(قال) سمرة بن جندب ﷺ: **(قال رسول الله ﷺ: أحبُّ الكلام إلى الله ﷻ)** هذا محمول على كلام الآدميين، وإلا فالقرآن أحبُّ إلى الله تعالى

= سنة، وكان قد ردهما، فقيل له: يا رسول الله! إن رافعًا رام، فأجازه، فلما أجاز رافعًا قيل له: يا رسول الله! فإن سمرة يصرع رافعًا، فأجازه.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٢٠٦) من حديث أبي هريرة ﷺ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٩٠): وفيه علي بن زيد بن جدعان، وقد وثق، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

والرجل الثالث هو أبو محذورة ﷺ أجمعين كما في حديث آخر للطبراني في «المعجم الكبير» (٦٧٤٨) من حديث أبي محذورة ﷺ.

من التسبيح والذكر المطلق، وأما المأثور في وقت أو حال ونحو ذلك، فالاشتغال به أفضل.

(سبحان الله)؛ أي: أنزه الله تعالى عما لا يليق بجلال عظمته وبديع حكمته من الشريك والصاحبة والولد وسائر الرذائل.

(والحمدُ لله)؛ أي: الثناءُ الجميلُ اللائق بأسمائه وصفاته مُلكٌ مستحقٌّ لله، ومختصٌّ به تعالى.

(ولا إله) معبود بحقّ في الوجود **(إلا الله)** ﷻ، الغنيُّ بالذات عن كل ما سواه، والمفتقر بالذات إليه كلُّ ما عداه.

(والله أكبر) من كل كبير، وأعظمُ من كل عظيم، وأجلُّ من كل جليل، وأقدرُ من كل قدير، فهو الكبير المتعال.

(لا يضرك)؛ أي: لا حرجَ ولا ضَيْرَ عليك، **(بأيهن)**؛ أي: الكلمات الأربعِ، **(بدأتَ)** في أول ذكرك وكلامك.

(رواه مسلم) في «صحيحه»[1].

ورواه الإمام أحمد في «مسنده»، ورواه ابن ماجه في «سننه»، ورواه النسائي في «سننه» أيضًا، وزاد: «وهن ـ أي: الأربع كلمات ـ من القرآن»[2].

وروى الإمام أحمد في «المسند» ـ ورواته محتج بهم في الصحيح ـ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «أفضلُ الكلام إلى الله: سبحان الله،

---

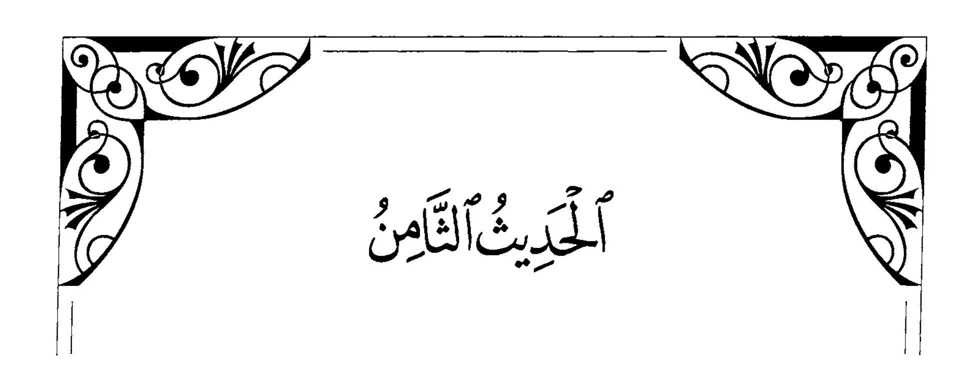
(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٠)، وابن ماجه (٣٨١١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٨٣).

والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[١].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦).



الحَدِيثُ الثَّامِنُ

١٠١ ـ عن أبي ذَرٍّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»[١].

وفي رواية: سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: «مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ، أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ». رواه مسلم[٢].

(عن أبي ذَرٍّ) جندب بن جُنادةَ الغِفَاريِّ (ﷺ **قال: قال رسول الله ﷺ: إن أحب الكلام إلى الله)** ﷻ أن يقول العبد: **(سبحان الله وبحمده.**

وفي رواية: سئل) بضم السين المهملة مبنيًّا لما لم يسم فاعله، ونائب الفاعل ضمير يعود على النبي ﷺ؛ أي: سأله بعض أصحابه: **(أي الكلام أفضل؟ قال)** ﷺ مجيبًا عن هذا السؤال: أفضلُ الكلام **(ما اصطفى الله)** ﷻ **(لملائكته)** الكرام عليهم السلام، **(أو)** قال: أفضلُ الكلام ما اصطفى الله؛ أي: اختار وأحبَّ **(لعباده)** الصالحين أن يذكروه به، وهو: **(سبحان الله وبحمده)**.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣١/ ٨٥).

(٢) رواه مسلم (٢٧٣١/ ٨٤).

(**رواه مسلم**)[1]، ورواه الإمام أحمد، والترمذي، وغيرهم[2]، ومر ذكره في الشرح قريبًا.

*** تنبيه:**

قد يعرض للمفضول من الذكر وغيره ما يجعله أولى من الفاضل، بل قد يعرض له ما يعينه، فلا يسوغ العدول عنه إلى الفاضل؛ كالتسبيح في الركوع والسجود؛ فإنه في هذه المحالّ أفضلُ من قراءة القرآن فيها، بل القراءة في الركوع والسجود منهيٌّ عنها، وكذلك التسميع والتحميد في محالهما أفضلُ من القراءة، وكذلك التشهد وقول: (ربِّ اغفرْ لي وارحمني واهدِني وعافني وارزقني)، بين السجدتين أفضلُ من القراءة، وكذلك الذكرُ عقبَ السلام من الصلاة من التهليل والتسبيح والتحميد والتكبير أفضلُ من الاشتغال عنه بالقراءة، وكذا إجابة المؤذن، والقولُ كما يقول أفضلُ من القراءة، وإن كان فضلُ القرآن على كل كلام كفضل الله على خلقه، لكن لكل مقام مقال، متى فات مقاله فيه، وعدل عنه إلى غيره، اختلت الحكمة، وفقدت المصلحة المطلوبة منه.

وهكذا الأذكارُ المقيدةُ بمحالَّ مخصوصةٍ، الاشتغالُ بها في محالها أفضلُ من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضلُ من الأذكار المطلقة، اللهم إلا ما يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفعَ له من قراءة القرآن،

---

(١) تقدم تخريجه.

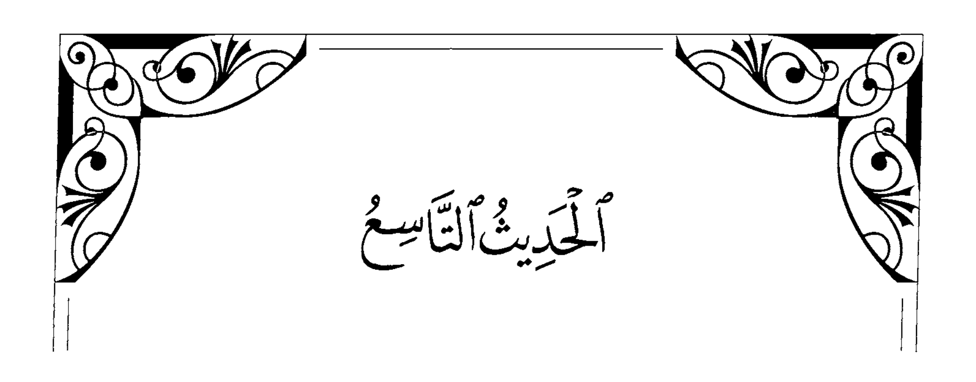
(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٤٨)، والترمذي (٣٥٩٣) وقال: حديث حسن صحيح.

كأن يتفكر في ذنوبه، فيحدث له ذلك توبة واستغفارًا، ويعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه، وكذلك إذا عرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عنها بنحو قراءة لم يحضر قلبه، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها اجتمع قلبه على الله، وأحدث له تضرعًا وخشوعًا وابتهالًا، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء في هذه الحالة أنفعَ له، وأجمعَ لقلبه، وإن كانت قراءة القرآن والذكر أفضلَ وأعظمَ أجرًا، كما نبه على هذا الإمامُ المحقق ابنُ القيم في كتابه «الكلم الطيب والعمل الصالح»[1].

والحاصل: أن الاشتغال بالأذكار الموظفة في محالَّ معينةٍ أفضلُ من الاشتغال بغيرها، وإن كان ذلك الغير أفضل في نفسه؛ كقراءة القرآن، والله ولي الإحسان.

* * *

(١) انظر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٢٢ ـ ١٢٣).



الحديث التاسع

١٠٢ ـ عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الحَمْدُ لِلهِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب[١].

(عن) أبي عبدِالله (جابرِ بنِ عبدالله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أفضل الذكر: لا إله إلا الله).

قال بعض المحققين: إنما جعل التهليل أفضل الذكر؛ لأن لها تأثيرًا في تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمة، التي هي معبودات في الظاهر، قال الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[الفرقان: ٤٣]، فيفيد نفي عموم الآلهة بقول: (لا إله)، ويثبت الواحد بقوله: (إلا الله)، ويعود الذكر من ظاهر لسانه إلى باطن قلبه، فيتمكن فيه، ويستولي على جوارحه، ويجد حلاوة هذا من ذاقه[٢].

قال العلامة أبو بكر بن أبي داود في كتابه «تحفة العباد في أدلة الأوراد»: هذه الكلمة الشريفة هي اسم الله الأعظم، وكلمةُ الإخلاص،

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٣).

(٢) انظر: «فيض القدير» للمناوي (٢/ ٣٣).

وكلمةُ التوحيد، وكلمةُ الإحسان، ودعوةُ الحق، وكلمة العدل، والطيبُ من القول، والكلمة الطيبة، وكلمة التقوى، والكلمة الباقية، وكلمة الله العليا، والمثلُ الأعلى، وكلمة العهد، وكلمة الاستقامة، ومقاليدُ السماوات والأرض، والقولُ السديد، والصراط المستقيم، وكلمة الحق، والعروة الوثقى، وكلمة الصدق، ومفتاح الجنة، وفضلُها معلوم بالنقل الصريح، ومفهومٌ بالعقل الصحيح، وهو باب واسع.

وقال: قال شيخنا العارف جمال الدين[1] البسطامي[2]: لما كانت المشايخ أطباءَ الطريقة، أمروا المريدين بذكر (لا إله إلا الله)؛ لإزالة المرض الحاصل بسبب نسيان الحق سبحانه، وذكر الغير؛ لأن هذه الكلمة معجون مركب من نفي وإثبات، أولها نفي، وآخرها إثبات، فنفي: (لا إله)، يزيل المواد الفاسدة التي يتولد منها مرض القلب والروح، وبإثبات: (إلا الله)، تحصل صحة القلب وسلامة الروح، وتتخلص الروح عن ذكر الغير، وتشتغل بالحق. انتهى[3].

---

(١) كذا في الأصل، وترجم له ابن حجر بجلال الدين.

(٢) واسمه عبدالله بن خليل الأسدأباذي، جلال الدين البسطامي، نزيل بيت المقدس، ولد ببغداد، وصحب الشيخ علاء الدين العشقي البسطامي لما قدم من خراسان، فلازمه وسلك طريقه وصحبه إلى الشام، ثم إلى بيت المقدس، واستمرت إقامته ببيت المقدس إلى أن اشتهر أمره وعلا شأنه، وكانت وفاته في المحرم سنة (٧٨٥هـ) بالقدس. انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر (٣/ ٣٢).

(٣) [كل كلام لم يدل عليه الكتاب والسنة ولم يكن من كلام السلف الصالح يحتاج إلى إثبات، وخاصة فيما يتعلق بأصول العقيدة وشروحها، فينظر ما ينقل هنا عن البسطامي وصحةِ كلامِه مطابِقةً لنصوص القرآن والسنة وكلام السلف الصالح]. [اللجنة العلمية].

قال العلامة أبو بكر: ذكر (لا إله إلا الله) مع التعظيم بقوة شديدة له تأثير عجيب كما ذكره مشايخ الطريقة، وعلماء الحقيقة، حتى قال بعضهم: القوة الشديدة شرطٌ في الذكر.

قال بعضهم: مقدار القوة ما يصل أثر قوة (إلا الله) في القلب إلى سائر الجسد؛ لأن مشاهدة ذلك التأثير مطلوبة في الذكر.

قال الشيخ المحقق جمال الدين يوسفُ العجميُّ الكوراني[(١)]: ذكرُ (لا إله إلا الله) مع التعظيم بقوة تامة في الهمة، وتصعيد (لا إله) من فوق السرة من النّفْسِ التي بين الجنبين، وإيصال (إلا الله) بالقلب اللحمي الكائن بين عظيمة الصدر والمعدة مائلًا رأسه إلى جانب اليسار قليلًا. انتهى[(٢)].

قال عليه الصلاة والسلام: (**وأفضلُ الدعاء: الحمدُ لله**)؛ أي: الثناء الجميل، وإطلاق الدعاء على الحمد من باب المجاز، ولعله جعل أفضل الدعاء من حيث إنه سؤال لطيف، يدقُّ مسلَكهُ، ومن ذلك قول أُميةَ بنِ أبي الصلْتِ[(٣)]

---

(١) هو جمال الوقت يوسف بن عبدالله بن عمر بن علي بن خضر العجمي الكوراني، كان ذا طريقة في الانقطاع والتسليك، وله التلامذة الكثيرة، وعدة زوايا، مات في زاويته بالقرافة الصغرى سنة (٧٦٨هـ)، وصلى عليه الخلق. انظر: «طبقات الأولياء» لابن الملقن (ص: ٧٩).

(٢) [هذه الطريقة في الذكر لم ترد عن السلف، ولم ينقلها أحد من العلماء المعتبرين، وورد هذا النص في كتاب «الأنوار القدسية» للشعراني نقلًا عن الكوراني]. [اللجنة العلمية].

(٣) أمية بن أبي الصلت عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، وكان في الجاهلية نظر الكتب وقرأها، ولبس المسوح تعبدًا، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية، وحرم الخمر، وتجنب الأوثان، وصام، والتمس الدين طمعًا في النبوة؛ لأنه كان قد قرأ في الكتب أن نبيًّا يبعث في الحجاز من العرب، وكان يرجو أن يكون هو، فلما=

وقد قصد بعضَ الملوك يطلب نائله[1]:

أَأَذْكُــرُ حــاجَتي أَم قَــد كَفــاني
ثنــائي، إِنَّ شــيمَتَكَ الحَيــاءُ
إِذا أَثنــى عَلَيــكَ المــرءُ يَومًــا
كَفــاهُ مِــن تَعَرُّضِــهِ الثَّنــاءُ[2]

وقال بعض العلماء: إنما كان التهليل أفضل الذكر؛ لأنه لا يصح الإيمان إلا به، وإنما جعل الحمد أفضل الدعاء؛ لأن الدعاء عبارة عن ذكر الله، وأن يطلب منه حاجته، والحمدُ يشملهما؛ فإن من حمد الله ﷻ إنما يحمده على نعمه، والحمدُ على النعمة طلبُ مزيد، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال الطيبي: ويمكن أن يكون قولُه: الحمد لله، من باب التلميح والإشارة إلى قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧]، وأي دعاء أفضل وأكمل وأرجح من ذلك[3].

وقال بعض العلماء: إنما كان أفضل الذكر: (لا إله إلا الله)؛ لأنه توحيده تعالى، وبه صح الإيمان، وفيه إثبات الألوهية لله تعالى، ونفيها

= بعث النبي ﷺ حسده، ولم يسلم. انظر: «خزانة الأدب» للبغدادي (١/ ٢٤٤، ٢٤٨).

(١) النَّوالُ والنَّالُ والنّائِلُ: العَطاءُ والمعروفُ تُصيبه من إنسان، وما أَنْوَلَـهُ؛ أَي: ما أَكْثَرَ نائِلَهُ، وما أَصَبْتُ منهُ نَوْلَةً؛ أَي: نَيْلًا. انظر: «تاج العروس» للزبيدي (مادة: نول).

(٢) انظر: «ديوان أمية بن أبي الصلت» (ص: ١٧، ١٩)، وفيه: «حياؤك» بدل «ثنائي».

(٣) انظر: «الكاشف عن حقائق السنن» للطيبي (٦/ ١٨٢٥).

عما عداه، وليس هذا فيما سواه من الأذكار، وإنما كان أفضل الدعاء: الحمد لله؛ لأن الحمد فاتحة أم القرآن، ولم يفتتح القرآن بغيره من الأدعية؛ لأن أفضل الدعاء أن يذكر العبد ربه، ويسأله من فضله، وقول: (الحمد لله) يشتمل على الدعاء، وطلب المزيد. انتهى.

قال المحقق ابن القيم في «الكلم الطيب والعمل الصالح»: الذكر أفضل من الدعاء؛ لأن الذكر ثناءٌ على الله ﷻ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤالُ العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟ ولهذا جاء في الحديث: «من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضلَ ما أعطي السائلين»[1].

ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناءِ عليه بين يَدَي حاجته، ثم يسأل حاجته؛ كما في حديث فَضالةَ بنِ عُبيد: أنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ سمع رَجُلًا يَدْعُو فِي صلاته لم يمجد اللَّه، ولم يُصَلِّ على النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجِلَ هَذَا»، ثُمَّ دَعَاهُ فقال له أو لغيره: «إذا صَلَّى أَحَدُكُم، فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ والثَّنَاءِ عليه، ثُمَّ يصلي على النَّبِيِّ ﷺ، ثمَّ يدعو بعدُ بما شاء»، رواه الإمام أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وروواه الحاكم في «صحيحه»[2].

وهكذا دعاء ذي النون الذي قال فيه النبي ﷺ: «دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٨)، والترمذي (٣٤٧٧) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٠).

﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»[1].

وفي الترمذي: «دعوة أخي ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فإنه لم يدعُ بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»[2].

قال: وهكذا عامة الأدعية النبوية.

ومنه: قوله ﷺ في دعاء الكرب: «لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ العَظِيمُ الْحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ الْعَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»[3].

ومنه: حديث بُرَيدةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ الذي رواه أهل السنن، وابنُ حبان في «صحيحه»: أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أَشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحدُ الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: «والذي نفسي بيده! لقد سأل اللهَ باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى»[4].

وروى أبو داودَ، والنسائيُّ من حديث أنس ﷺ: أنه كان مع رسول الله ﷺ

---

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٣) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٣) رواه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠)، من حديث ابن عباس ﷺ.

(٤) رواه أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥) وقال: حديث حسن غريب، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٦٦٦)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٩١).

جالسًا، ورجل يصلي ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديعُ السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم، فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»(١).

فأخبر ﷺ أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر، وأنه اسم الله الأعظم، فكان ذكر الله والثناء عليه أنجحَ ما طلب به العبد حوائجه.

وهذا من فوائد الذكر أن يجعل الدعاء مستجابًا، فالذي يتقدمه الذكر والثناء أفضلُ وأقربُ إلى الإجابة من الدعاء المجرد؛ فإن انضاف إلى ذلك إخبارُ العبد بحاله ومسكنته، وافتقاره واعترافه، كان أبلغَ في الإجابة وأفضلَ؛ فإنه يكون قد توسل إلى المدعو بصفات كماله وإحسانه وأفضاله، وعرض بل صرح بشدة حاجته وافتقاره، وعظم مسكنته واضطراره، فاجتمع المقتضى من السائل، والمقتضي من المسؤول في الدعاء، فكان أبلغ، وألطف موقعًا، وأتم معرفة وعبودية.

وتأمل قول موسى عليه السلام في دعائه: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤]، وقول ذي النون عليه السلام في دعائه: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧]، وقول أبينا آدم: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وفي الصحيحين: أن أبا بكر الصديق ﷺ قال: يا رسول الله! علمني

---

(١) رواه أبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (١٣٠٠).

دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: «قل: اللهمَّ إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندِك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[1].

فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيمِ القدرِ بين الاعتراف بحاله، والتوسل إلى ربه بفضله وجوده، وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معًا، فهكذا آداب الدعاء، وآدابُ العبودية[2].

(رواه)؛ أي: الحديث المشروح أبو عيسى **(الترمذي)** في «سننه»، **(وقال: حديث حسن غريب)**[3]، ورواه النسائي وابن ماجه في سننهما، وابن حبان والحاكم في صحيحيهما[4].

❐❐❐

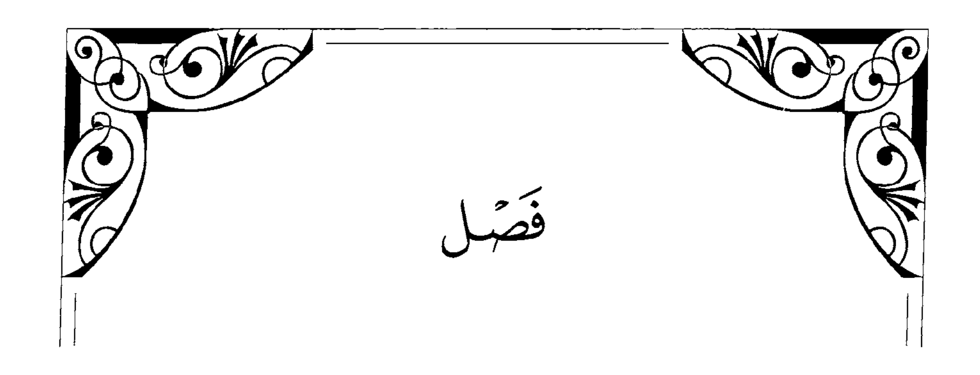
---

(١) رواه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٢) انظر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٢٠ ـ ١٢٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٦٧)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٣٤).



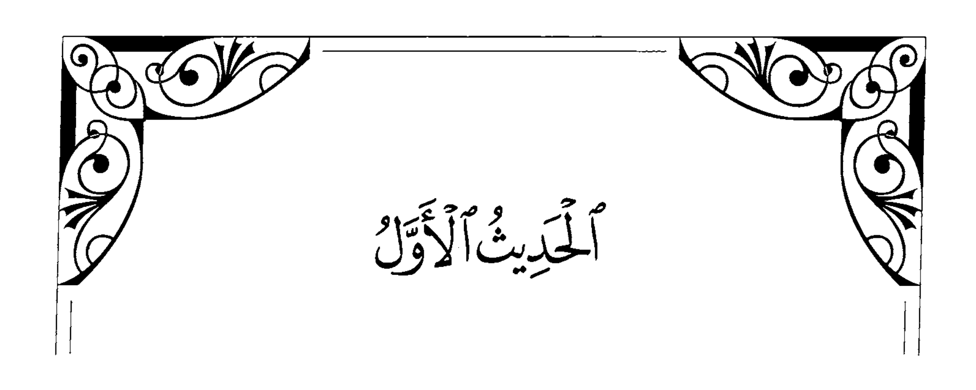
فَصْل

قال الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ :

(ومن فضائل الذكر أيضًا) : مصدرُ آض : إذا رجع عَودًا لبدءٍ؛ أي : من فضائل الذكر غير ما مرَّ.

وذكر الحافظ ـ طيب الله ثراه، وبرد مثواه ـ في هذا الفصل عشرة أحاديث.

* * *



الحديث الأول

١٠٣ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ». أخرجه مسلم[1].

(عن أبي ذر) جُندبِ بنِ جُنادةَ الغِفارِيِّ ﷺ: (أن ناسًا): جمع إنس، أصله أناس، جمعٌ عزيز، أُدخل عليه (ال)، فيقال: الناس، (من أصحاب): جمع صاحب بمعنى صحابي (رسول الله ﷺ).

والصحابي: من اجتمع بالنبي ﷺ مسلمًا ومات على الإسلام، ولو

(١) رواه مسلم (١٠٠٦/ ٥٣).

تخلل ذلك ردَّة. وتقدم أن منهم: أبا ذر، وأبا الدرداء، وأبا هريرة، وزيد ابن ثابت ﷺ.

(قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله! ذهب)؛ أي: مضى وسار، يريدون: فاز وظفر **(أهلُ الدثور)** ـ بضم الدال المهملة والمثلثة ـ جمع دَثْر ـ بفتح فسكون ـ، وهو المال الكثير.

ووقع عند الخطابي: «ذهب أهل الدور من الأموال»[1]، والصواب الأول.

يقال: مال دَثْر، ومالان دَثْر، وأموال دَثْر، لا يثنى، والدثور في غير هذا مصدرُ دَثَر الشيءُ: إذا درس.

(بالأجور) جمع أجر: وهو ما يعود على الإنسان من ثواب عمله الدنيوي والأخروي، والمراد هنا الثاني.

وفي رواية: «ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى، والنعيم المقيم»، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟»[2]، قالوا: **(يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم)**؛ أي: بأموالهم الفاضلة عن كفايتهم، وقيدوا بذلك بياناً لفضل الصدقة؛ فإنها بغير الفاضل قد تكون مكروهة، بل ربما تكون حرامًا؛ كما مر.

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«صحيح مسلم»، و«سنن النسائي» من حديث حكيم بن حزام ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «أفضلُ الصدقة ما كان عن

---

(١) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي (١/ ٥٥٠).

(٢) رواه مسلم (٥٩٥/ ١٤٢).

ظهرِ غنى، واليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول»[1]، ولما قال ﷺ: «أفضلُ الصدقة جهدُ المقل»، قال: «وابدأ بمن تعول» رواه أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا[2].

(قال) لهم النبي ﷺ جوابًا عما قالوا؛ تطمينًا لخواطرهم، وتقريرًا وتعريفًا لهم بما لعلهم يساوون به الأغنياء: **(أوَلَيس)** الهمزةُ للاستفهام الإنكاري **(قد جعل الله لكم ما)**؛ أي: شيئًا **(تَصَّدَّقون)** ـ بتشديد الصاد والدال المهملتين ـ، وأصله: تتصدقون، فأدغمت إحدى التاءين في الصاد بعد قلبها صادًا، وقد تحذف إحداهما فتخفف الصاد، وحُذف عائد الموصول ـ وهو الجار والمجرور؛ أي: به ـ للعلم بذلك.

ومعنى هذا: أن الفقراء ظنوا أن لا صدقة إلا بالمال، وهم عاجزون عنه، فأخبرهم النبي ﷺ أن جميع أنواع فعل المعروف والإحسان صدقة، فقال: **(إن كل تسبيحة)**؛ أي: قول: سبحان الله **(صدقة)**؛ أي: حسنة يثاب عليها، وقد تقدم في حديث أبي هريرة في (فضائل الأذكار بعد المكتوبة) معنى هذا الحديث، وقد تكلمنا هناك ما لعله يشفي ويكفي[3].

(و) بـ **(كلِّ تحميدة)**؛ أي: قول: الحمد لله **(صدقة، و)** بـ **(كلِّ تهليلة)**؛ أي: قول: لا إله إلا الله **(صدقة، و)** بـ **(كلِّ تكبيرة صدقة، وأمر**

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٠٢)، ومسلم (١٠٣٤/ ٩٥)، والنسائي (٢٥٤٣).

(٢) رواه أبو داود (١٦٧٧)، والحاكم (١٥٠٩) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) انظر شرح الحديث (٨٨) من هذا الكتاب.

بالمعروف صدقة)، ونكّر الأمر بالمعروف؛ إيذاناً بأن كل فرد من أفراده صدقة، ومثله: ونهيٌ، ولو عُرِّفا لاحتمل أن (ال) استغراقية، أو عهدية، فيتوهم أن كل الأمر بسائر المأمورات، أو جميع النهي عن سائر المناهي صدقة؛ وليس الأمر كذلك.

وهو إما مجرورٌ؛ بأن يقدر: وبكلِّ أمرٍ بالمعروف صدقة، وكذا في جانب النهي، أو مرفوعٌ على أنه مبتدأ، وسوغ الابتداء مع كونه نكرة، لعمله في الجار والمجرور، وإنما عرَّف المعروف، ولم يقل: وأمر بمعروف صدقة؛ إشارة لتعظيمه، ولتقرره وثبوته، وأنه مألوف معهود في عرف الشرع، على أنه ورد في رواية منكرًا أيضًا[1].

(ونهي عن منكر صدقة)، ونكر هنا المنكر إشارة لتحقيره، ولأنه في حيز المعدوم والمجهول الذي لا إلف للنفوس به.

ثم قال ﷺ: **(وفي بُضْع)** ـ بضم الموحدة وسكون الضاد المعجمة ـ يطلق ويراد به الفَرْج، ويراد به: الجماع، وإرادةُ كلٍّ منهما هنا صحيحة.

وقد روى الإمام أحمد من حديث أبي ذرّ ﷺ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَهَبَ الأَغْنِيَاءُ بِالأَجْرِ؛ [يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَحُجُّونَ، قَالَ: «وَأَنْتُمْ تُصَلُّونَ وَتَصُومُونَ وَتَحُجُّونَ»، قُلْتُ]: يَتَصَدَّقُونَ وَلا نَتَصَدَّقُ، قَالَ: «وَأَنْتَ فِيكَ صَدَقَةٌ: رَفْعُكَ الْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وَهِدَايَتُكَ الطَّرِيقَ صَدَقَةٌ، وَعَوْنُكَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٦٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٣٨)، من حديث أبي ذر ﷺ.

الضَّعِيفَ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ صَدَقَةٌ، وَبَيَانُكَ عَنِ الأغبياء[1] صَـدَقَةٌ، وَمُبَاضَـعَتُكَ امْرَأَتَكَ صَدَقَةٌ»، [قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نأْتِي شَـهْوَتَنَا وَنُـؤْجَرُ؟ قَـالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ جَعَلْتَهُ فِي حَرَامٍ أَكَانَ تَأْثَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَتَحْتَسِبُونَ بِالشَّرِّ وَلا تَحْتَسِبُونَ بِالْخَيْرِ؟»][2].

وهو كقوله: وفي بضع (أحدكم صدقةٌ) إذا قارنت ذلك نيةٌ صالحة.

وفي رواية للإمام أحمد قال: «إن من أبواب الصدقة: التكبير، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، وأَستغفر الله، وتأمر بـالمعروف، وتنهـى عن المنكر، وتعزل الشوكة عن طريق الناس، والعظـمَ والحجـرَ، وتهـدي الأعمى، وتُسمع الأصمَّ والأبكم حتى يفقه، وتدلُّ المستدلَّ على حاجة لـه قد علمتَ مكانها، وتسعى بشدَّة ساقيك إلى اللهفان المستغيث، وترفع بـشدّة ذراعيك مع الضعيف، كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك، ولك في جماعك زوجَتَك أجر»، قلت: كيف يكون لي أجرٌ في شهوتي[3]؟!

وهو معنى ما في الحديث المشروح: (**قـالوا: يـا رسـول الله! أيـأتي أحدُنا شهوتَه**) ليقضيَ وَطَره، (**ويكون له فيها أجر**)؛ أي: بسببها؛ استبعاداً

---

(١) كذا في الأصل، وفي «مسند الإمام أحمد»: «الأرثـم» بـدل: «الأغبيـاء»، وهـو الذي لا يفصح الكلام ولا يصححه لآفة في لسانه. انظر: «تـاج العـروس» للزبيـدي (مادة: رثم).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٥٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مـسنده» (٥/ ١٦٨) مـن حـديث أبـي ذر ﷺ، وسـيذكر الشارح بقيته قريبًا.

منهم أن يكون لهم أجر على قضاء أوطارهم، ومنال شهواتهم، ولاستشعار هذا الاستبعاد منهم واستغرابه أعاد ﷺ الجارَّ في قوله: «وفي بُضع أحدكم صدقة»، وكذا في حديث الإمام أحمد: «ولك في جماعك زوجتك أجر».

فقال أبو ذر: قلت: يكون لي أجر في شهوتي؟! فقال رسول الله ﷺ: «أرأيت لو كان لك ولد، فأدركَ ورجوتَ خيره، فمات، أكنتَ تحتسبُ به؟» قلت: نعم، قال: «فأنت خلقته؟» قلت: بل اللهُ خلقه، قال: «فأنت هديته؟» قلت: بل اللهُ هداه، قال: «فأنت كنت ترزقه؟» قلت: بل الله يرزقه، قال: «كذلك فضعْهُ في حلاله، وجنِّبه حرامَه»[1].

وهو معنى قوله في الحديث المشروح: **(قال ﷺ: أرأيتم لو وضعها)**؛ أي: شهوته **(في الحرام، أكان عليه فيها)**؛ أي: في وضعها في الحرام؛ بأن جامعَ غيرَ زوجته وأمته المباحة له **(وزرٌ)**؛ أي: إثم.

وأصل الوزر: الحملُ الثقيل، وأكثر ما يطلق في الحديث على الذنب والإثم، يقال: وزر يزر فهو وازر: إذا حمل ما يثقل ظهره من الأشياء المثقلة، ومن الذنوب، وجمعه أوزار، ومنه: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[محمد: ٤]، وفي الحديث: «قد وضعت الحرب أوزارها»[2]؛ أي: انقضى أمرها، وخفت أثقالها، فلم يبق قتال.

وجواب قوله ﷺ: «لو وضعها في حرام» محذوف، كأنهم قالوا: نعم،

---

(١) هذا تتمة الحديث السابق المشار إليه قريبًا، وتتمته: «فإن شاء الله أحياه، وإن شاء أماته، ولك أجر».

(٢) رواه النسائي (٣٥٦١) من حديث سلمة بن نفيل الكندي ﷺ.

قال ﷺ: **(فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجرٌ)** بالرفع، وهو ظاهر، وبالنصب كما في «شرح مسلم»[1]، والتقدير عليه: كان ذلك الوضع أجرًا، وهذا يسمى عند الأصوليين قياس العكس، ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه: قال النبي ﷺ كلمة، وقلت أنا أخرى، قال: «ومن مات يشرك بالله شيئًا، دخل النار»، وقلت: من مات لا يشرك بالله شيئًا، دخل الجنة[2].

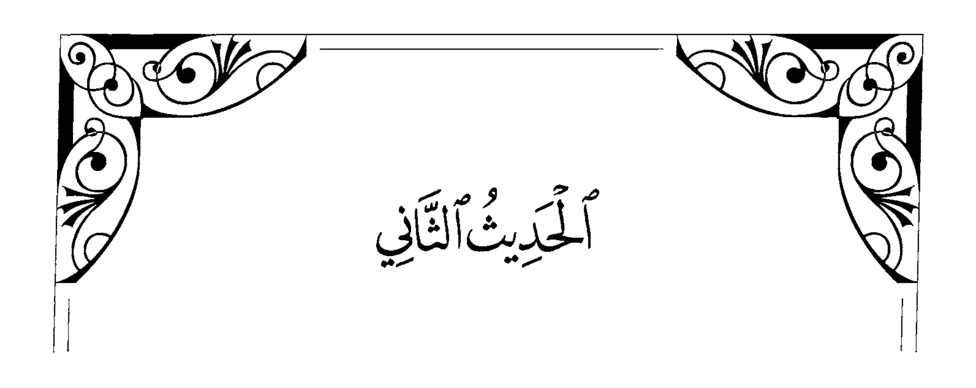
(أخرجه)؛ أي: الحديثَ المشروح الإمامُ أبو الحسين **(مسلمٌ)** في «صحيحه»، وتقدم في حديث أبي هريرة ما لهذا الحديث فيه تعلق، فليراجَعْ، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٧/ ٩٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٤٤٣).



الحَدِيثُ الثَّانِي

١٠٤ ـ عن عائشة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلاثِ مِئَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمِدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلاثِ مِئَةِ السُّلامَى، فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ». رواه مسلم[1].

(عن) أم المؤمنين (**عائشةَ**) الصدِّيقة بنتِ الصدِّيق (رضي الله عنهما) وعن أبيها: (**أن رسول الله ﷺ قال: إنه**)؛ أي: الشأن والأمر (**خُلق**) بضم الخاء المعجمة وكسر اللام مبنيًّا لما لم يسم فاعله (**كلُّ إنسان**) برفع (كل) نائب الفاعل؛ أي: خلق الله تعالى كل إنسان (**من بني آدم**) أبي البشر عليه الصلاة والسلام (**على ستين وثلاثمئة مفصل**)، فعلى كل مفصل، أو في كل مفصل صدقة، (**فمن كبر الله عز وجل**)؛ بأن قال: الله أكبر، (**وهلل الله عز وجل**)؛ أي: قال: لا إله إلا الله، (**وسبح الله عز وجل**)؛ أي: قال: سبحان الله، (**واستغفر الله عز وجل**)؛ أي:

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٧/ ٥٤).

طلب منه غفرانه؛ بأن يقول نحو: اللهم اغفر لي، (**وعزل**)؛ أي: حَوَّل وأماطَ (**حجرًا عن طريق الناس**) المسلوكة، (**أو**) عزل عنها (**شوكة أو عظمًا**) ونحوه، (**وأمر بمعروف**)؛ من نحو إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالصيام الواجب، والإرشاد للمستحَبِّ من ذلك كلِّه، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، (**أو نهى عن منكر**) من ارتكاب الفجور، وشرب الخمور، وقول الزور، ونحو ذلك من سائر المعاصي والمحرمات وكل محظور؛ بحيث يفعل من أفراد نحو هذه ما يبلغ (**عدد ستين وثلاثمئة سُلامى**) من السُّلامى ـ بضم السين المهملة المشددة، وتخفيف اللام، وفتح الميم، وقصر الألف ـ وهي في الأصل: عظمٌ يكون في فِرْسِنِ البعير كما قاله أبو عبيد[1].

قال الجوهري: والفِرسن من البعير بمنزلة الحافِر للدابة[2].

وقال بعضهم: السلامى اسمٌ لأصغر ما في البعير من العظام، ثم عبر بها عن مطلق العظم من الآدمي وغيره. فمعنى الحديث: على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة.

وقال بعضهم: السلامى عظمٌ في طرف اليد والرِّجْل، وكنَّى بذلك عن جميع عظام الجسد.

والسلامى جمع، وقيل: هو مفرد.

وقد ذكر علماء الطب أن جميع عظام البدن مئتان وثمانية وأربعون عظمًا سوى السمسمانيات، وبعضهم يقول: هي ثلاثمئة وستون عظمًا،

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ١٠).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: فرس).

يظهر منها للحس مئتان وخمسة وستون عظمًا، والباقية صغار لا تظهر تسمى السمسمانيات، وهذه الأحاديث تصدق هذا القول، ولعل السلامى عبر بها عن هذه العظام الصغار، كما أنها في الأصل اسم لأصغر ما في البعير من العظام، ورواية البزار لحديث أبي هريرة تشهد لهذا؛ حيث قال فيها: «أو ستة وثلاثون سلامى»[(١)]، وقد خرجه غير البزار وقال فيه: «إن في ابن آدم ستمئة وستين عظمًا»[(٢)].

قال الحافظ ابن رجب: وهذه الرواية غلط[(٣)].

وفي حديث عائشة المشروح، وحديث بريدة عند الإمام أحمد وأبي داود عن النبي ﷺ قال: «في الإنسان ثلاثمئة وستون مفصلًا، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة»[(٤)].

قال الحافظ ابن رجب: ومعنى هذا الحديث: أن تركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله على عبده، فيحتاج كلُّ عظم منها إلى صدقة يتصدق ابنُ آدم عنه؛ ليكون ذلك شكرًا لهذه النعمة[(٥)].

فإن فعل ذلك، (فإنه يُمسي)؛ أي: يدخل في المساء، وفي لفظ: (أمسى)[(٦)]؛ أي: دخل في المسيّ (يومئذ)؛ أي: في اليوم الذي تصدق فيه

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٩٢٠٠).

(٢) لم نقف عليه، وقد أورده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٢٤٢).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٥٩)، وأبو داود (٥٢٤٢).

(٥) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٢٤٢).

(٦) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٧٣).

العدد المذكور، (وقد) الواو للحال، و(قد) حرف تحقيق (زَحزح)؛ أي: نجا وباعد (نفسَه)؛ أي: ذاته (عن النار) المعهودة التي وقودها الناس والحجارة.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كلَّ يوم تطلُع فيه الشمس: تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»[1].

وخرَّجه البزار من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وفيه: «للإنسان ثلاثمئة وستون عظمًا، أو ستة وثلاثون سلامى، عليه في كل يوم صدقة»، قالوا: فمن لم يجد؟ قال: «يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر»، قالوا: فمن لم يستطع؟ قال: «يرفع عظمًا عن الطريق»، قالوا: فمن لم يستطع؟ قال: «فليعِنْ ضعيفًا»، قالوا: فمن لم يستطع ذلك؟ قال: «فليدعِ الناسَ من شَرِّه»[2].

وفي رواية عند مسلم من رواية أبي الأسود الدؤلي عن أبي ذر، عن النبي ﷺ: «ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»[3].

ومن حديث بريدة ﷺ عن النبي ﷺ عند الإمام أحمد وأبي داود: «فإن لم تجدْ، فركعتا الضحى تجزئك»[4].

---

(١) رواه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩/ ٥٦).

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٩٢٠٠)، وتقدم طرف منه قريبًا.

(٣) رواه مسلم (٧٢٠/ ٨٤).

(٤) تقدم تخريجه.

وعند ابن حبان في «صحيحه» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «على كل ميسمٍ[1] من ابن آدم صدقة كلَّ يوم»، فقال رجل من القوم: ومن يطيق هذا؟ قال: «أمر بالمعروف ونهي عن المنكر صدقة، والحمل على الضعيف صدقة، وكل خطوة يخطوها أحدكم إلى الصلاة صدقة»[2].

وخرجه البزار وغيره[3].

وفي رواية: «على كل ميسم من الإنسان صدقة كلّ يوم، أو صلاة»، فقال رجل: هذا من أشد ما أتيتنا به، فقال: «إن أَمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر صلاة، أو صدقة» الحديث[4].

قال الحافظ ابن رجب في «شرح الأربعين النووية»: يريد بالميسم كل عضو على حدة، مأخوذ من الوسم، وهو العلامة؛ إذ ما من عظم ولا عرق ولا عصب إلا وعليه أثر صنع الله، فيجب على العبد الشكر لله على ذلك، والحمد على خلقه سَوِيًّا صحيحًا، وهذا هو المراد بقوله ﷺ: «صلاة كل يوم»؛ لأن الصلاة تحتوي على الحمد والشكر والثناء.

وقد خرج الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «على

---

(١) في «صحيح ابن حبان» (منسم)، والمَنسِم: طرف خف البعير. انظر: «تاج العروس» (مادة: نسم).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٩٩).

(٣) رواه البزار كما في «كشف الأستار» للهيثمي (٩٢٦).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٧٩١).

كل سلامى، أو على كل عضو من بني آدم، في كل يـوم صـدقة، ويجـزئ من ذلك كله ركعتا الضحى»[1].

وورد عنه ﷺ أنه قال: «ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت عليه الشمس»، قيل: يا رسول الله! ومن أين لنا صدقة نتـصدق بها؟ قال: «إن أبواب الخير كثيرة: التسبيح، والتكبير، والتحميد، والتهليـل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتُـسمع الأصم، وتهدي الأعمى، وتـدل المـستدل علـى حاجتـه، وتـسعى بـشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الـضعيف، فهـذا كله صدقة منك على نفسك»[2].

وقد امتن الله على ابن آدم، وذكره ما أنعم عليه، ووبخه علـى غفلتـه عن شكره؛ كما في قوله تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار: ٦ ـ ٨]، وقال تعـالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[الملك: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ٨ ـ ١٠].

قال مجاهد: نعم الله متظاهرة يقررك بها كيما تشكر[3].

وتقدم في شرح حديث أبي ذر في فضل صلاة الضحى من ذلـك طـرف

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤٤٩).

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابـن رجـب (ص: ٢٤١)، والحـديث رواه ابـن حبان في «صحيحه» (٣٣٧٧) من حديث أبي ذر ﷺ.

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٢٤٢).

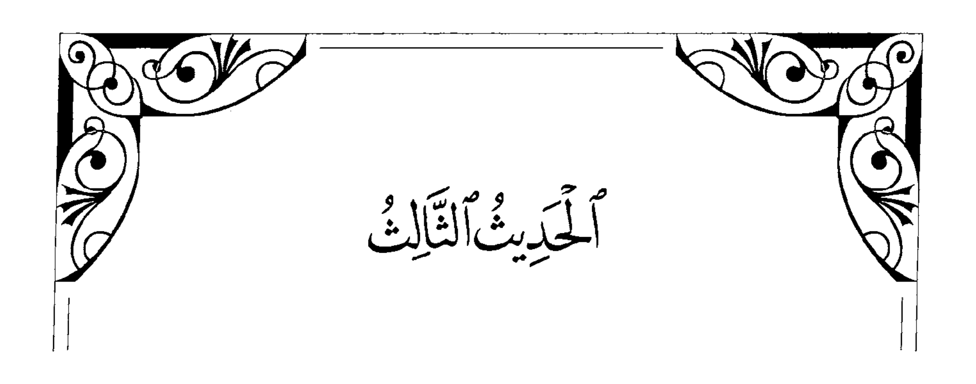
صالح، فعاوده إن شئت، والله تعالى أعلم[1].

(رواه)؛ أي: حديث أبي ذر هذا المشروح **(مسلمٌ)** وغيره ممن ذكرنا رواياتهم وغيرهم.

* * *

(١) في هامش الأصل: «وذكر الحديث هناك لبيان فضيلة ركعتي الضحى، وهنا لبيان فضل الذكر، على أنه ذكره هنا من غير الوجه الذي ذكره ثَمَّ، والله أعلم. مؤلف».

وقد يستدل من ذلك بأن الأصل المحقق هو نسخة منقولة عن نسخة المؤلف، خاصة وقد تكررت هذه الملاحظة مرارًا.



الحديث الثالث

١٠٥ ـ عَنْ أُمِّ هَانِئٍ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا إِلَهَ إلا اللَّهُ لا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ، وَلا تَتْرُكُ ذَنْبًا». رواه ابن ماجه[1].

(عن أم هانئ)، واسمها فاخِتَةُ بنتُ أبي طالبٍ (ﷺ) أختُ أمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب ـ رضوانُ الله عليه ـ، كان رسول الله ﷺ خطبها قبل أن يوحى إليه، وخطبها هبيرةُ بنُ أَبي وهب، فتزوجها هبيرة، وأسلمتْ، ففرق الإسلام بينهما، فخطبها النبي ﷺ، فقالت: والله! إن كنت لأحبك في الجاهلية، فكيف في الإسلام، ولكني امرأة ذات صبيان، فسكت عنها النبيّ ﷺ.

روى عنها خلق كثير، منهم: أمير المؤمنين أخوها علي بن أبي طالب، وابنُ عمها عبدُالله بنُ عباس، رضي الله عنهم.

روي لها عن رسول الله ﷺ ستة وأربعون حديثًا، أخرج الشيخان منها حديثًا واحدًا متفقًا عليه.

(قالت) أم هانئ: **(قال رسول الله ﷺ: لا إله إلا الله لا يسبقها عمل)**؛

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٧٩٧).

لأنها مبدأ الأعمال المُعْتَدّ بها، فعملُ الكافر لا يعتدُّ به إلا أن يُسلِم، فيثاب على ما تقدم من قُربات كان قد عملها مما لا يحتاج لصحتها نية، كعتق وصدقة، وأما العمل الذي النيةُ شرطٌ لصحته، فلا يصح من الكافر؛ لأن النية لا تصح إلا من مسلم، ولا بدّ من موته على الإسلام، وإلا تَحبط أعمالُه كلها، فإن مات على كفره الأصلي، فلا ثواب لشيء من أعماله في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان: ٢٣].

(ولا تترك) كلمةُ الإخلاص ـ وهي: لا إله إلا الله ـ على قائلها **(ذنبًا)** من الذنوب الموجبة للخلود في النار، وإذا قالها الكافر مع قرينتها ـ وهي الشهادة أن محمدًا ﷺ رسول الله ـ كَفَّر الله عنه كل ذنب؛ لأن الإسلام يجبُّ ما قبله.

وقد روى الإمام أحمد بإسناد حسن، والطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جددوا إيمانكم»، قيل: يا رسول الله! كيف نجدد إيماننا؟ قال: «أكثروا من لا إله إلا الله»[1].

وروى أبو يعلى الموصلي من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار، إلا طمست ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٥٩)، ولم نقف عليه عند الطبراني، وقد عزاه له المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٦٨)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨١) حيث قال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات.

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣٦١١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٢): فيه عثمان بن عبد الرحمن الزهري، وهو متروك.

وأخرج الترمذي ـ وقال: حسن غريب ـ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله مُسْتَخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سِجِلًا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتذكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول الله تعالى: إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة[1] فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، فيقول: احضرْ وزنَك، فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقال: فإنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كِفَّة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقُل مع اسم الله شيء»[2].

(رواه ابنُ ماجه)، وابن حبان والحاكم في صحيحيهما، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم[3]، ورواه البيهقي، وغيرهم[4].

* * *

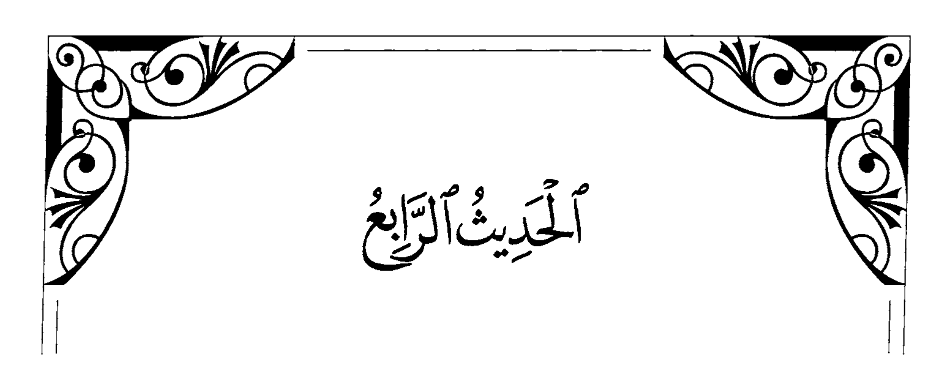
---

(١) في هامش الأصل: «البطاقة ـ بالكسر ـ: رقيقة توضع في الثوب فيها رقم الثمن بلغة أهل مصر، قيل: سميت بذلك؛ لأنها تشد بطاقةً من هذا الثوب. اهـ لغة».

(٢) رواه الترمذي (٢٦٣٩).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٩٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «إني قد كبرت ولي عيال...».

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢١).



الحديث الرابع

١٠٦ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا». رواه مسلم[1].

(عن) أبي حمزةَ (أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله) تعالى (ليرضى عن العبد) من عباده بني آدم (أن يأكل الأكلة) من الطعام، (أو يشرب الشربة) من الشراب، (فيحمده) ﷻ (عليها)، فيكون حمدُه تعالى شكرًا لما أطعم وسقى.

وقد روى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي في «الشمائل»، وابن ماجه، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» من حديث أبي سعيد ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من طعامه ـ وفي لفظ: إذا أكل أو شرب[2] ـ قال: «الحمدُ لله الذي أطعمَ وسقى وسَوَّغَه وجعلَ له مخرجًا»[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٤/ ٨٩).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٥٧).

(٣) رواه باللفظ المذكور أبو داود (٣٨٥١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٥)، من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ. ورواه الإمام أحمد في «مسنده» =

قال ابن بطال: اتفقوا على استحباب الحمد بعد الطعام، ووردت في ذلك أنواع لا يتعين شيء منها[1].

وأخرج الإمام أحمد، والشيخان، وأصحاب السنن من حديث أبي أمامة ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان إذا رفع مائدته، قال: «الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا[2] مباركًا فيه»[3].

وفي رواية: «الحمد لله الذي كفانا وأروانا غيرَ مكفيٍّ ولا مودَّع[4]

= (٣/ ٣٢)، وأبو داود (٣٨٥٠)، والترمذي في «الشمائل المحمدية» (١٩٢)، وابن ماجه (٣٢٨٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٩)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ بلفظ: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين».

(١) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٥٠٧).

(٢) في هامش الأصل: (أي: خالصًا عن الرياء والسمعة والأوصاف التي لا تليق بجنابه تقدس؛ لأنه طيب لا يقبل إلا طيبًا، أو خالصًا عن أن يرى الحامد أنه قضى حق نعمته. اهـ لكاتبه من المناوي).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٥٢)، والبخاري (٥٤٥٨)، وأبو داود (٣٨٤٩)، والترمذي (٣٤٥٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٨٩٧)، وابن ماجه (٣٢٨٤)، ولم نقف عليه عند مسلم، كما أن المزي لم يشر إليه في «تحفة الأشراف» (٤/ ١٦٢).

(٤) في هامش الأصل: «قوله: (مودَّع) ـ بتشديد الدال مع فتحها ـ ؛ أي: غير متروك الطاعة، ومع كسرها؛ أي: حال كوني غيرَ تارك له ومعرِض عنه، فمآل الروايتين واحد، وهو دوام الحمد واستمراره.

وقوله: (ولا مستغنى عنه)؛ أي: حمدًا لا نكتفي به، بل نعود إليه كرةً بعد كرة ولا نتركه، ولا يستغني عنه أحد، بل حمدًا يحتاج إليه كل أحد لبقاء نعمته =

ولا مستغنًى عنه رَبَّنَا»[1].

في هذه الرواية: (وأروانا) من الري، وفي رواية أخرى: (وآوانا)[2] بالمد من الإيواء.

ووقع في حديث أبي سعيد عند أبي داود: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»[3].

وروى الإمام أحمد عن رجل خدم النبي ﷺ: أنه كان إذا فرغ من طعامه قال: «اللهم أطعمتَ وسقيتَ، وأغنيت وأقنيت، وهديت وأحييت، فلك الحمدُ على ما أعطيت»[4].

ورواه النسائي، وسنده صحيح، وفي أوله: أنه كان يسمع النبي ﷺ إذا قُرِّبَ إليه طعامُه يقول: «باسم الله، فإذا فرغ قال. . .» فذكره[5].

وقوله في آخر الحديث: (ربُّنا) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو ربنا، أو على أنه مبتدأ خبره متقدم، ويجوز النصب على المدح، أو الاختصاص، أو إضمار أعني.

= واستمرارها». وهذا الهامش والذي سبقه آنفًا بخط الشيخ مراد الشطي، رحمه الله تعالى.

(1) رواه البخاري (٥٤٥٩).

(2) وهي رواية ابن السكن عن الفربري كما في «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٥٨١).

(3) رواه أبو داود (٣٨٥٠).

(4) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٦٢).

(5) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٦٨٧١ ـ ط الرسالة).

وقال ابن التين[1]: ويجوز جره على أنه بدل من الضمير (عنه).

وقال غيره: على البدل من الاسم في قوله: (الحمد لله).

وقال الحافظ ابنُ الجوزي: (ربنا) بالنصب على النداء مع حذف أداة النداء[2].

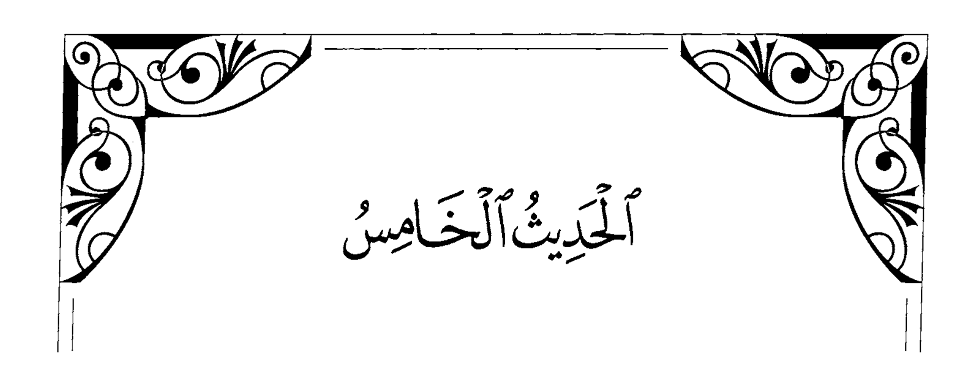
ولهذا تتمة في أواخر الكتاب في فضل الضيافة والطَّاعِم الشاكر. والله أعلم.

* * *

---

(١) الإمام العلامة المحدث أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقسي، التونسي، الراوية، المفسر، المتفنن، المتبحر، له شرح على البخاري سماه: «المخبر الفصيح الجامع لفوائد مسند البخاري الصحيح». توفي سنة (٦١١هـ). انظر: «شجرة النور الزكية» لمخلوف (١/ ٢٤٢).

(٢) انظر: «كشف المشكل» لابن الجوزي (٤/ ١٤٧).



الحديث الخامس

١٠٧ ـ عن أَنَسٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، إِلا كَانَ الَّذِي أُعطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ». رواه ابن ماجه[1].

(عن أنس) أيضًا (ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: ما أنعم الله ﷻ على عبدٍ نعمةً) ما من النعم الدنيوية أو الأخروية، (فقال) المنعَم عليه: (الحمد لله)، مستحضِرًا ما أنعم الله عليه به، وخالصًا في ثنائه وحمده على الله تعالى مخلصًا، (إلا كان الذي أُعطي) بالبناء للمفعول (أفضل مما أخذ)؛ لأن قولَ: الحمدُ لله نعمة، والمحمود عليه نعمة، وبعض النعم أجلّ وأفضل من بعض، فنعمة الشكر أجلُّ من نعمة المال وغيره.

(رواه ابن ماجه) في «سننه».

يوضح هذا حديث أبي أمامة ﷺ مرفوعًا عند الطبراني: «ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها، إلا كان ذلك الحمدُ أفضلَ من تلك النعمة وإن عَظُمت»[2].

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٠٥)، وفيه: «أعطاه» بدل: «أعطي».

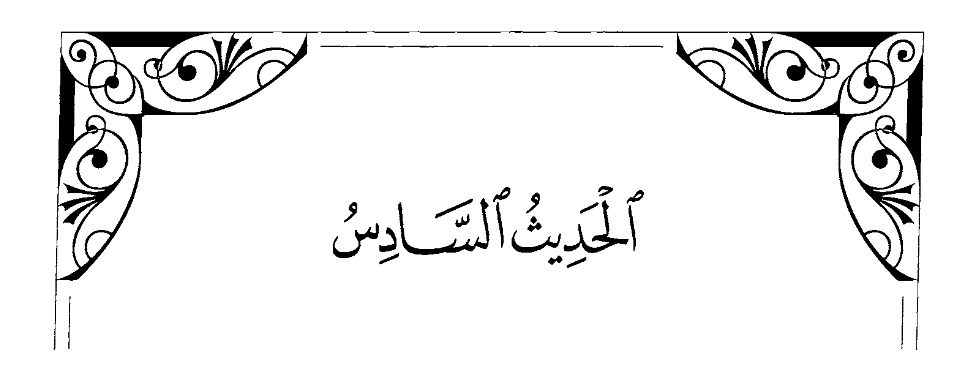
(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٩٤).

ولا يلزم عليه كون فعل الحمد أفضلَ من فعل الله تعالى؛ لأن فعـل العبـد من مفعولاته تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦]، وإنما فضل؛ لتعلق الحمد بالله تعالى، والثناء عليه، وأما النعمـة، فمتعلقـة بالعبد، وعَودُها عليه.

وروى الحاكم، والبيهقي من حديث جابر ﷺ ـ وصححه الحاكم ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «ما أنعم الله على عبد من نعمة فقال: الحمد لله، إلا أدى شكرها، فإن قالها الثانية، جدد الله له ثوابها، فإن قالها الثالثة، غفر الله له ذنوبه»[1]، والله الموفق.

* * *

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٧١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤٠٢).



الْحَدِيثُ السَّادِسُ

١٠٨ ـ عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟» قُلْتُ: غِرَاسًا لِـي، قَـالَ: «أَلا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ هَذَا؟» قَالَ: بَلَى يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ، قَالَ: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، يُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ». رواه ابن ماجه[1].

(عن أبي هريرة) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ: **أن رسول الله ﷺ مَـرَّ بـه وهو يغرس غرسًا، فقال ﷺ: يا أبا هريرة! ما الذي تغرس؟ قلت: غرسًا)** يا رسول الله، **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(ألا)** ـ بفتح الهمزة وتحقيق اللام ـ أداة افتتاح معناه التنبيه **(أدلك)** يا أبا هريرة **(على غراس هـو خيـر) لـك (من هذا)** الغراس الذي تغرسه من صغار النخل؟ **(قلت: بلى يـا رسـول الله، قال: تقول: سبحان الله والحمـد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبـر)**؛ فإنـك إذا قلت ذلك **(يغرس لك بكل)** كلمة **(واحدة)** من هذه الكلمات الأربـع **(شـجرة في الجنة)** المعهودة التي هي دار المتقين، ومأوى الصالحين.

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٠٧).

(رواه) محمد بن يزيد (بن ماجه) في «سننه».

قال الحافظ المنذري: إسناده حسن، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد[1].

وقد روى الطبراني من حديث سلمان الفارسي ﷺ مرفوعًا: «إن في الجنة قيعاناً، فأكثروا من غرسها»، قالوا: يا رسول الله! وما غراسها؟ قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[2].

وأخرج الترمذي، والطبراني في «الصغير» من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيتُ إبراهيمَ عليه السلام ليلة أُسري بي، فقال: يا محمد! أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[3]، ورواه الطبراني في «الأوسط»، وزاد: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»[4]، وقال الترمذي: حديث غريب.

وروى الطبراني بإسناد حسن لا بأس به في المتابعات[5] من حديث

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٧٥)، والحديث رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٧٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦١٠٥)، قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٧٦): إسناده واه.

(٣) رواه الترمذي (٣٤٦٢)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٣٢٦).

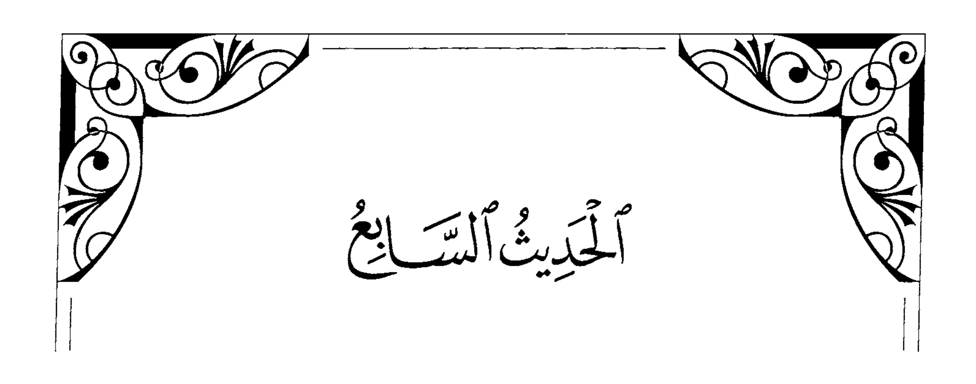
(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤١٧٠).

(٥) الاعتبار، والمتابعات، والشواهد، مصطلحات يتداولها علماء الحديث لتحديد حال الحديث: هل تفرد به راويه أو لا؟ وهل هو معروف أو لا؟.

ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، غرس له بكل واحدة منهن شجرة في الجنة»[1].

* * *

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٤٧٥).



الحديث السابع

١٠٩ ـ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكَ بِسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ فَإِنَّهُنَّ: يَحْطُطْنَ الْخَطَايَا كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا». رواه ابن ماجه[1].

(**عن أبي الدرداء**) عُويمرِ بنِ عامرٍ، ويقال: ابنِ قيس (ﷺ **قال: قال رسولُ الله ﷺ**): يا أبا الدرداء! (**عليك**)؛ أي: الزم ذكرَ الله تعالى (**بسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**)؛ أي: الزم الذكر، وداوِمْ عليه بهذه الكلمات الباقيات الصالحات؛ (**فإنهن**)، وفي لفظ: (**فإنها**)[2] (**يحططن**)؛ أي: يُسقطن ويمحون (**الخطايا**)؛ أي: الذنوبَ، أو العمدَ منها (**كما تحط**)؛ أي: تُسقط (**الشجرةُ ورقها**) أيامَ الشتاء، والمراد الصغائر؛ فإن لم يكن له صغائر، خُفف من الكبائر.

(**رواه ابن ماجه**).

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨١٣). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ١٣٣): إسناده ضعيف.

(٢) وهو لفظ حديث ابن ماجه كما في «سننه»، وأما لفظ «فإنهن» فقد رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ١٥).

وروى الطبراني من حديث أبي الدرداء ﷺ - أيضًا - قال: قال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن الباقيات الصالحات، وهنَّ يحطُطْن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها، وهن من كنوز الجنة»[1].

وروى النسائي، والحاكم، والبيهقي - وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم - من حديث أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟ قَالَ: «لا، وَلَكِنْ جُنَّتُكُمْ مِنَ النَّارِ، قَوْلُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ؛ فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَنَّبَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»[2].

قوله: (جُنتكم) - بضم الجيم وتشديد النون -؛ أي: ما يستركم ويقيكم.

وقوله: (مجنبات) - بفتح النون مشددة بعد الجيم -؛ أي: مقدمات أمامكم، وفي لفظ الحاكم: «منجيات» - بتقديم النون -.

وكذا رواه الطبراني في «الأوسط»، وزاد: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»[3].

---

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (١٦٩٨) بنحوه، قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٨١): رواه الطبراني بإسنادين أصلحهما فيه عمر بن راشد، وبقية رواته محتج بهم في الصحيح، ولا بأس بهذا الإسناد في المتابعات.

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٨٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٠٦).

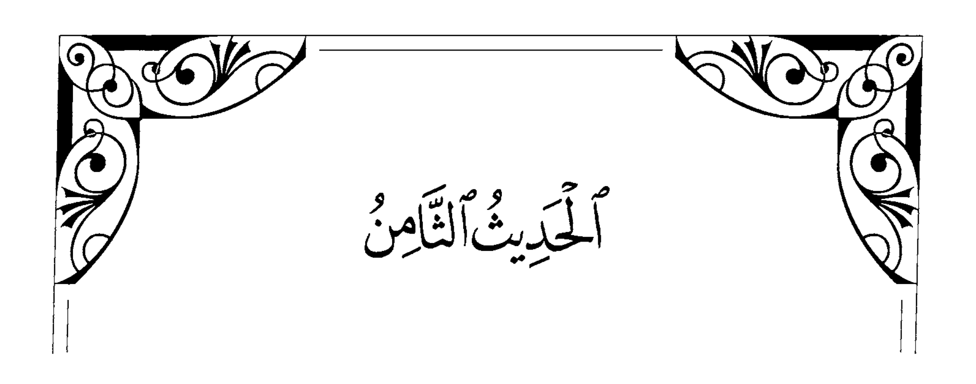
(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٠٢٧)، وروى هذه الزيادة من حديث أنس ﷺ (٣١٧٩).

ورواه في «الصغير» ـ أيضًا ـ من حديث أبي هريرة، فجمع بين اللفظين فقال: «ومنجيات»، و«مجنَّبات»، وإسناده جيد قوي[1].

و(المعقبات) ـ بكسر القاف المشددة ـ: هي التي تعقبكم، وتأتي من ورائكم.

* * *

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٢٤٩).



الحديث الثامن

١١٠ ـ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلالِ اللَّهِ: التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ـ أَوْ: لا يَزَالَ لَهُ ـ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟». رواه ابن ماجه[١].

(عن) أبي عبدالله (النعمانِ) بضم النون وسكون العين المهملة، فميم، فألف، فنون (ابنِ بَشير) ـ بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة ـ ابنِ سعدِ بنِ ثعلبةَ الخزرجيِّ الأنصاريِّ ﷺ، وهو أول مولود ولد للأنصار من المسلمين بعد الهجرة، وهو وأبوه صحابيان، وأمه عَمْرة بنتُ روَاحةَ.

قيل: لما مات النبيُّ ﷺ كان للنعمان ثمان سنين؛ لأن مولده في الثانية من الهجرة على رأس أربعة عشر شهرًا منها، قاله النووي وغيره[٢]، وبعض أهل الحديث يصحح سماعه من رسول الله ﷺ؛ لأنه صرح بذلك في حديثين أو ثلاثة.

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٠٩).

(٢) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢/ ٤٢٩).

قتل بالشام بقرية من قرى حمص في ذي الحجة سنة أربع وستين، وكان قد استعمله معاويةُ على حمصَ، ثم على الكوفة، واستعمله عليها يزيدُ بنُ معاويةِ.

وقال ابن الجوزي وابن الأثير: إنه حين كان واليًا على حمص بعد الكوفة، دعا لعبدالله بن الزبير، فطلبه أهل حمص فقتلوه[1].

روي له عن رسول الله ﷺ مئة وأربعة عشر حديثًا، اتفق الشيخان على خمسة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بأربعة، روى عنه جماعة، منهم: ابنه محمد، والشعبي.

(قال النعمان) بن بشير ﷺ: **(قال رسول الله ﷺ: إن مما تذكرون من جلال الله)** تعالى وعظمته، وتثنون عليه بجميل أوصافه وأسمائه الحسنى **(التسبيحَ)**، وهو التنزيه عما لا يليق بجلال عظمته من الشريك والصاحبة والولد، وجميعِ الرذائل والنقائصِ، **(والتهليلَ)** الذي هو من أوصاف العظمة والجلال، **(والتحميدَ)** الذي هو الثناء عليه بمحامده العظيمة، وأسمائه الحسنى الكريمة، وصفاته العلى الرحيمة، **(ينعطفن)** هو من قولهم: انعطف: إذا انثنى ومال، ومنعطَف الوادي: منحناه، وتعاطف في مشيته: إذا حرك رأسه وتهادى، أو تبختر، واستعطفه: سأله أن يعطف عليه، يقال: عطف يعطف: مال، وعلينا: شفق، كتعطف كما في «القاموس»[2].

والمراد: طُفن **(حول العرشِ)** المعهودِ؛ يعني: عرش الرحمن الذي

---

(١) انظر: «المنتظم» لابن الجوزي (٥/ ٣٣٤)، و«أسد الغابة» لابن الأثير (٥/ ٣٤٣).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (مادة: عطف).

هو فوق السماوات السبع والكرسي، وهو سقف الجنة (**لهن**)؛ أي: للتسبيح والتهليل والتحميد (**دَوِيّ**)؛ أي: صوت، وهو ـ بفتح الدال المهملة وكسر الواو، فياء تحتية مشددة ـ.

قال ابن قرقول في «المطالع»[1]: وجاء [عندنا] في البخاري بضم الدال، قال: والأول أصوب، وهو شدة الصوت وبعدُه في الهواء، كذا قال[2].

وقوله: (**كدوي النحل**)؛ أي: صوته، وهذا يُشعر بأنه ليس بالعالي، وفي حديث الأعرابي: «نسمع دوي صوته ولا نفقهُ ما يقول»[3].

وروى الإمام أحمدُ في «المسند»، والحاكم في «المستدرك»، والترمذي والنسائي في سننهما من حديث أمير المؤمنين عمرَ بنِ الخطاب ﵁ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي، سُمع عنده دويٌّ كدويِّ النحل» الحديث[4].

و(النحل): ذبابُ العسل، وواحدته نحلة؛ كنخل ونخلة.

(**يُذَكِّرن**)، وفي لفظ: (تذكر)[5] (**بصاحبها**)، وعلى الرواية الثانية:

---

(١) في الأصل: «المشارق»، والصواب المثبت.

(٢) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٣/ ٥٦).

(٣) رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١/ ٨)، من حديث طلحة بن عبيدالله ﵁.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٧٩)، والترمذي (٣١٧٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٤٣٩).

(٥) وهي رواية ابن ماجه (٣٨٠٩).

تذكر صاحبها؛ أي: قائلها.

(أَمَا) بتخفيف الميم والهمزة للاستفهام التقريري **(يحبُّ)** ويطلبُ ويودّ **(أحدُكم)** معشرَ العباد المؤمنين **(أن يكون له)** من يذكر به، **(أو)** قال: أما يحب أحدكم أن **(لا يزال)**؛ أي: لا يبرح ولا ينفكَّ **(له من يُذَكّر)** بضم الياء التحتية وفتح الذال المعجمة، والكاف المشددة، فراء **(به)** عند الله ﷻ وحول العرش؟ فكلٌّ أحد يودُّ ويحب ذلك، ويطلبه ويرغب فيه:

لك البشارةُ فاخلَعْ ما عليك فقدْ
ذُكرتَ ثَمَّ على ما فيك من عِوَجِ[1]

* * *

ويهتزُّ للمعروف في طلب العلا
لتذكرَ يومًا عند ليلى شمائِلُه[2]

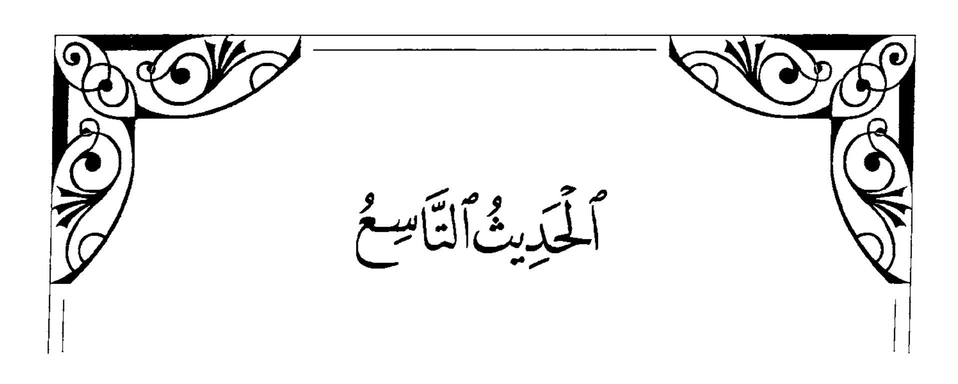
(رواه ابن ماجه)، ورواه ابن أبي الدنيا والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم[3].

* * *

(١) من البسيط، وهو من قصيدة شهيرة لابن الفارض (ص: ١٤٧).

(٢) من الطويل، وهو لكثير عزة. انظر: «ديوانه» (ص: ٤٢٠)، وفيه: «ويرتاح» بدل: «ويهتز»، و«لتحمد» بدل: «لتذكر».

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٥٥)، ولم نقف عليه عند ابن أبي الدنيا، وعزاه له المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٨١).



الحديث التاسع

١١١ ـ عن عبدالله بن بسر ﷺ: أن رجلًا قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ». رواه ابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن غريب[1].

(عن) أبي صفوانَ (عبدِالله بنِ بُسرٍ ﷺ) ـ بضم الموحدة وسكون السين المهملة ـ السلميِّ المازني ـ من مازن ـ ابن منصور، له ولأبيه بسرٍ ولأمه وأخيه عطيةَ وأخته الصماءِ صحبة، ويقال: إن الصماء لقب، واسمها بُهِية ـ بضم الموحدة وكسر الهاء ـ وقيل: إن عبدالله يكنى: أبا بسر، نزل الشام، ومات بحمص فجأة وهو يتوضأ سنة ثمان وثمانين، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام، وقيل: آخر من مات منهم بها أبو أمامة الباهلي.

وكان عبدالله بن بسر ﷺ فيمن صلى إلى القبلتين فيما قيل.

روى عنه: خالد بن معدان، وسليم بن عامر، وراشد بن سعد، وغيرهم.

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٧٩٣)، والترمذي (٣٣٧٥)، وهذا لفظه.

(أن رجلًا قال: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام): جمع شريعة، وهي: الطريق الظاهر المستقيم الموصِل إلى الماء، ومورد الشاربة، كالمشرعة[1]، وتضم راؤها.

والشرائع في الاصطلاح: عقائد دينية، وحدود إيمانية.

والشرعة والشريعة بمعنى، وشرعَ؛ أي: سَنَّ.

فالمراد من الحديث: أن عقائد الإسلام وسننه ومطلوباته العملية والقولية والاعتقادية (قد كثرت عليّ)، وفي رواية: أن الرجل قال: يا رسول الله! إن أبواب الخير كثيرة، ولا أستطيع القيام بكلها[2]، (فأخبرني بشيء) من ذلك (أتشبّث) ـ بفتح الهمزة والتاء المثناة فوق، فشين معجمة، فموحدة مشددة، فثاء مثلثة ـ ؛ أي: أتعلق (به)؛ أي: بالذي تخبرني به.

وزاد في رواية: (لا تُكثر عليَّ فأنسى)[3].

(قال) له النبي ﷺ: (لا يزال)؛ أي: لا ينفكُّ، ولا يبرحُ (لسانك)؛ أي: مِقْولك، والجمع ألسنة وألسُن (رطبًا)؛ أي: طريًّا نديًّا غيرَ جافٍّ ولا يابسٍ (من ذكر الله ﷻ)؛ لأن اللسان يندى ويترطب بمداومة الذكر والقول، ويجف بالسكوت، فحركةُ اللسان تجلب له الرطوبة كما هو مشاهدَ.

---

(١) في الأصل: «ومورد السارية، كالشرعة»، والتصويب من «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: شرع).

(٢) ذكرها ابن الأثير في «جامع الأصول» (٤/ ٤٧٤) وعزاها للترمذي، ولم نقف عليها في النسخ المطبوعة لدينا.

(٣) انظر التعليق السابق.

(رواه) الإمـام محمـدُ (بـن ماجـه، و) رواه ـ أيـضًا ـ أبـو عيـسى (الترمذي) في «سننه» (وقال: حديث حسن غريـب)، ورواه ـ أيـضًا ـ ابـنُ حبان والحاكم في صحيحيهما، وقال الحاكم: صحيح الإسناد[1].

وفي حديث الحارث الأشعري عنـد الإمـام أحمـد، والترمـذي: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تعـالى أَمَـرَ يَحْيَـى بْـنَ زَكَرِيَّـا عليهمـا الـسلام بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّـهُ كَـادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْـسِ كَلِمَـاتٍ لِتَعْمَـلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ وَإِمَّا أَنْ آمُـرَهُمْ، قَـالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَـذَّبَ، فَجَمَـعَ النَّـاسَ فِـي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَامْتَلأَ الْمَسْجِدُ، وَقَعَدُوا[2] عَلَى الشُّرَفِ[3]، فَقَالَ: إِنَّ اللَّـهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُـرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُـوا بِهِـنَّ، أَوَّلُهُـنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِـذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَـالَ: هَـذِهِ دَارِي، وَهَـذَا عَمَلِـي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّـدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاةِ، فَإِذَا صَـلَّيْتُمْ فَـلا تَلْتَفِتُـوا؛ فَـإِنَّ اللَّـهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِـتْ، وَآمُـرُكُمْ بِالـصِّيَامِ؛ فَـإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ[4] مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَـبُ أَوْ

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨١٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٢٢).

(٢) كذا في الأصل، وفي «المسند»: «وقعد»، وعند الترمذي: «وتعدوا».

(٣) في هامش الأصل: «شرف كل شيء أعلاه. اهـ».

(٤) في هامش الأصل: «العصابة: الجماعة من الناس. اهـ لغة».

يُعْجِبُهُ رِيحُهُ[١]، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تعالى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ[٢] رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَوْثَقَ[٣] يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْتَدِي[٤] مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي إِثْرِهِ[٥] سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ[٦] حَصِينٍ، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلا بِذِكْرِ اللَّهِ تعالى» الحديث[٧].

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال المحقق ابن القيم في كتابه «الكلم الطيب والعمل الصالح»: لو لم يكن في الذكر إلا هذه الخَصْلَةُ الواحدةُ، لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتر لسانُه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لَهِجًا[٨] بذكره؛ فإنه لا يحرز نفسَه من

---

(١) في الترمذي: «ريحها».

(٢) كذا في الأصل، وفي «المسند» والترمذي: «كمثل».

(٣) كذا في الأصل، وفي «المسند»: «فشدوا»، وعند الترمذي: «فأوثقوا». وفي هامش الأصل: «قوله: (أوثق)؛ أي: شدَّ. اهـ لغة».

(٤) كذا في الأصل و«المسند»، وعند الترمذي: «أفديه».

(٥) في هامش الأصل: «أي: أَثَره، والأَثَر ـ بفتحتين ـ: ما بقي من رسم الشيء. اهـ لغة».

(٦) في هامش الأصل: «قوله: (الحصن): واحد الحصون، وهو القوي المحكم من الأبنية، والقلاع يقال لها: حصن، وفي «المغرب»: الحصن: هو كل مكان محمي محرز لا يتوصل إلى جوفه. اهـ لغة».

(٧) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٠٢)، والترمذي (٢٨٦٣).

(٨) في هامش الأصل: «قوله: (لهجًا): اللَّهَج ـ بفتحتين ـ: الولوع، وهو ـ

عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدوُّ إلا من باب الغفلة، فهو يرصده[1]، فإذا غفل، وثب[2] عليه وافترسه[3]، وإذا ذكر الله تعالى، انخنس عدوُّ الله وتصاغر، وانقمع، حتى يكون كالوصع[4]، وكالذباب، ولهذا سُمي: الوسواس الخناس؛ أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله خنس؛ أي: كَفَّ وانقبض.

قال ابن عباس ﷺ: الشيطان جاثم[5] على قلب ابنِ آدم، فإذا سها وغفل، وسوسَ، فإذا ذكر الله، خنس[6].

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن معاذ بن جبل ﷺ مرفوعًا: «ما عمل آدميٌّ عملًا قَطُّ أنجى له من عذاب الله من ذكرِ الله ﷻ»[7].

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

= الحرص. اهـ لغة».

(١) في هامش الأصل: «أي: يترقبه. اهـ لغة».

(٢) في هامش الأصل: «قوله: (وثب): أي: شب عليه واستولى عليه ظلمًا. اهـ لغة».

(٣) في هامش الأصل: «أي: قتله».

(٤) في هامش الأصل: «قوله: (الوصع): هو طائر معروف صغير جدًّا. اهـ لغة».

(٥) في هامش الأصل: «أي: مجتمع».

(٦) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٧٧٤)، والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٣٥٥).

(٧) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ٥٦)، والحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٣٩).

«الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»[1].

ورواه الترمذي، ولفظه: قالوا: يا رسول الله! وما المفردون؟ قال: «المُسْتَهْتَرُون بذكر الله تعالى، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون الله تعالى يوم القيامة خِفافًا»[2].

قوله: (المُفَرِّدُون) هو بضم الميم وفتح الفاء وكسر الراء المشددة ـ وتخفف ـ وضم الدال المهملة، فواو ساكنة، فنون.

وقوله: (المستهترون) هو بضم الميم وسكون السين وفتح التاءين المثناتين[3] بينهما هاء ساكنة: المولعون بالذكر، المداومون عليه، لا يبالون ما قيل فيهم، ولا ما فُعل بهم.

وفي «مسند الإمام أحمد»، وأبي يعلى، و«صحيح ابن حبان» والحاكم ـ وقال: صحيح الإسناد ـ عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون»[4].

* * *

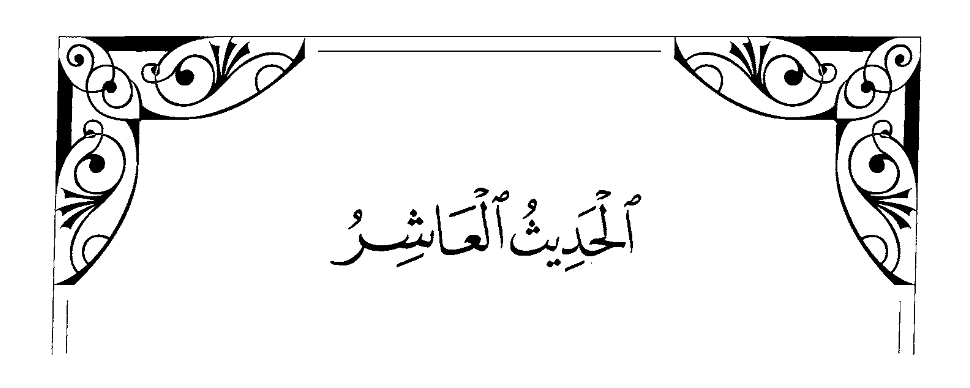
---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦/ ٤).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٩٦).

(٣) في الأصل: «المثنتيين»، والمثبت من «مجمع بحار الأنوار» للفتني (٥/ ٦٦٦).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٦٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٧٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٨١٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٣٩)، وفي إسناده أبو السمح دراج. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٥): رواه أحمد وأبو يعلى، وفيه دراج، وقد ضعفه جماعة، وضعفه غير واحد، وبقية رجال أحد إسنادي أحمد ثقات.



الحديث العاشر

١١٢ ـ عن أبي هريرةَ وأبي سعيدٍ الخدريِّ ﭭ: أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «ما مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرونَ اللهَ إلا حَفَّتْ بِهِمُ الملائِكَةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فيمَنْ عِنْدَهُ». رواه مسلم[1].

(**عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ﭭ: أنهما شهدا**)؛ أي: كل واحد منهما شهدَ (**على رسول الله ﷺ: أنه قال: ما من قوم**).

قال في «القاموس»: القوم: الجماعة من الرجال والنساء معًا، أو الرجال خاصة، أو يدخله النساء على التبعية، والجمع أقوام، وجمع الجمع أقاومُ، وأقاويمُ، وأقائمُ[2].

وفي «النهاية»: القوم في الأصل مصدرُ قام، ثم غلب على الرجال دون النساء، وسُمُّوا بذلك؛ لأنهم قوامون على النساء بالأمور التي ليس

---

(١) هذه رواية الترمذي ولفظه (٣٣٧٨)، أما رواية مسلم (٢٧٠٠/ ٣٩) فهي: «لا يقعد قوم يذكرون الله ﻷ إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده».

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قوم).

للنساء أن يقمن بها[1].

والمراد في هذا الحديث بالقوم الرجال والنساء معًا.

(يذكرون الله) تعالى؛ أي: يجتمعون لذكره بنحو تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير **(إلا حَفّت)** بفتح الحاء المهملة والفاء المشددة؛ أي: أحاطت **(بهم)** من جميع جهاتهم **(الملائكة)**؛ أي: دارت حولهم الملائكة الطوافون في الطرق، الملتمسون أهلَ الذكر، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكةً يطوفون في الطرق يلتمسون أهلَ الذِّكْر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله، تنادوا: هَلُمُّوا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء»[2].

وفي لفظ: «إن لله تبارك وتعالى ملائكةً سيارة فُضُلًا يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر، قعدوا معهم، وحَفَّ بعضُهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء» الحديث[3].

وفي لفظ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد المشروح: أنه ﷺ قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة»[4]، **(وغشيتهم الرحمة)**؛ أي: رحمة الله تعالى، **(ونزلت عليهم)** من السماء **(السكينة)** فعيلة من السكون؛ أي: الوقار.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ١٢٤).

(٢) رواه البخاري (٦٤٠٨)، أما مسلم فرواه باللفظ التالي. انظر الحاشية التالية.

(٣) رواه مسلم (٢٦٨٩/ ٢٥).

(٤) رواه مسلم (٢٧٠٠/ ٣٩).

قال في «القاموس»: السكينة ـ بفتح السين المهملة وكسر الكاف، وقال: السكينة ـ بالكسر ـ أي: كسر السين مشددة ـ أي: فيهما ـ: الطمأنينة، وقرئ بهما[1] قوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ﴾[البقرة: ٢٤٨]؛ أي: ما تسكنون به إذا أتاكم.

أو السكينة: شيء كأن له رأس الهر من زبرجد وياقوت، وجناحان[2].

وقد أخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: بينما رجل يقرأ سورة الكهف؛ إذ رأى فرسًا تركض، فنظر فإذا هي مثل الضبابة[3] أو الغمامة، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «تلك السكينة نزلت للقرآن»[4].

---

(١) قال الزبيدي في «تاج العروس» (مادة: سكن): أي: بالتخفيف والتشديد مع الكسر كما هو مقتضى سياقه، والصواب أنه قرئ بالفتح والكسر، والأخيرة قراءة الكسائي. اهـ.

أقول: بل اتفق العشرة في المتواتر على ﴿سَكِينَةٌ﴾.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: سكن)، وقال الزبيدي في «تاج العروس» (مادة: سكن): وهذا روي عن مجاهد، قال الراغب: هذا القول ما أراه بصحيح.

(٣) في هامش الأصل: «السحابة التي تغشى الأرض كالدخان اهـ. لغة».

(٤) رواه البخاري (٥٠١١)، ومسلم (٧٩٥/ ٢٤٠).

وخير ما يوضح معنى السكينة ما جاء في البخاري (٣٠٣٤)، ومسلم (١٨٠٣/ ١٢٥) عن البراء بن عازب قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ، حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعَرِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِاللَّهِ بنِ رَوَاحَةَ وَيَقُولُ: =

«**وذكرهم الله**» بالمدح والرضا «**فيمن عنده**» من الملائكة المقربين.

«**رواه مسلم**» في «صحيحه»، وكذا الترمذي وابن ماجه في سننهما[1].

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم» الحديث[2].

وروى الطبراني بإسناد حسن عن معاذ بنِ أنسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله جلَّ ذكرُه: لا يذكرني عبدي في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى»[3].

*** تتمة في الترهيب مِنْ أن يجلس الإنسان مجلسًا لا يذكر الله تعالى فيه، ولا يصلى على نبيه محمد ﷺ:**

روى أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم تِرةً، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم»، ورواه الترمذي وحسنه[4]، ورواه ابن

= اللهمَّ لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلَنْ سكينةً علينا ... وثبتِ الأقدامَ إن لاقينا

(1) رواه الترمذي (3378)، وابن ماجه (3791).

(2) رواه البخاري (7405)، ومسلم (2675/ 2).

(3) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (20/ 182).

(4) رواه الترمذي (3380).

أبي الدنيا، والبيهقي[1].

وفي لفظ أبي داود: «من قعد مقعدًا لم يذكر الله فيه، كانت عليه من الله تِرة، ومن اضطجع مضجعًا لا يذكر الله فيه، كانت عليه من الله ترة، وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه، إلا كانت عليه من الله ترة»[2].

ورواه الإمام أحمد، وابن أبي الدنيا، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»[3].

قوله: (تِرَة) بكسر التاء المثناة فوق وتخفيف الراء المفتوحة؛ أي: نقص، وقيل: تبعة.

وفي «النهاية»: الترة: النقص والتبعة، والهاء فيه عوض من الواو المحذوفة، مثل وعدته عِدَة، ويجوز رفعها ونصبها على اسم كان وخبرها[4].

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح، وابن حبان والحاكم في صحيحيهما ـ وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ـ من حديث أبي

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢١٠)، وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٦٢) وعزاه لابن أبي الدنيا، ولن نقف عليه في المطبوع من كتبه.

(٢) رواه أبو داود (٤٨٥٦)، وليس فيه: «وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله ترة»، وعزاها له ابن الأثير في «جامع الأصول» (٤/ ٤٧٢)، وهذه الزيادة عند النسائي وابن حبان.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٤٣٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٣٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٥٣)، ولم نقف عليه عند ابن أبي الدنيا.

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ١٨٩).

هريرة ﷺ ـ أيضًا ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قعد قوم مقعدًا لم يذكروا الله ﷻ فيه، ولم يصلّوا على النبي ﷺ، إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة للثواب»[1].

وأخرج أبو داود، والحاكم ـ وقال: صحيح على شرط مسلم ـ عن أبي هريرة ـ أيضًا ـ ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا عن مثلِ جيفةِ حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة»[2].

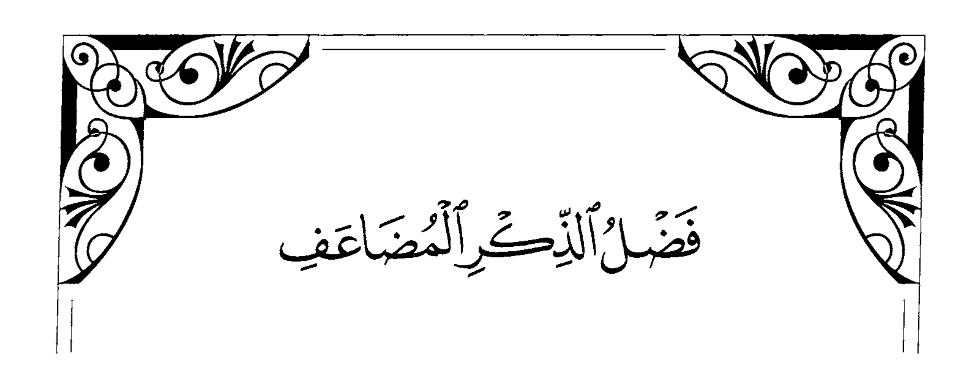
وروى الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، والبيهقي ـ ورواة الطبراني محتج بهم في الصحيح ـ عن عبدالله بن مغفَّل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قومٍ اجتمعوا في مجلس، فتفرقوا ولم يذكروا الله، إلا كان ذلك المجلس حسرةً عليهم يوم القيامة»[3]. والله تعالى أعلم.



(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٤٦٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠١٧).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٠٩).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٧٤٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٣)، ولم نقف عليه في «المعجم الكبير».



فَضْلُ ٱلذِّكْرِ ٱلْمُضَاعَفِ

أي: هذا بابه.

وذكر الحافظ المصنف ـ أغدق الله الرحمة على ضريحه ـ فيه خمسة أحاديث:

ٱلْحَدِيثُ ٱلْأَوَّلُ

١١٣ ـ عَنْ جُوَيْرِيَةَ قَالَتْ: مَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ صَلَّى صَلاةَ الْغَدَاةِ ـ أَوْ بَعْدَ مَا صَلَّى الْغَدَاةَ ـ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ، لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وبحمده عَدَدَ خَلْقِهِ، ورِضَا نَفْسِهِ، وزِنَةَ عَرْشِهِ، ومِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

وفي رواية: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ». رواه مسلم[١].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٦/ ٧٩).

(عن) أُمِّ المؤمنينَ (جُويريةَ) بنتِ الحارثِ بنِ أبي ضرارٍ سيدِ بني المصطَلِق، المصطلقيةِ، كان اسمها بَرَّةَ، فغيَّر رسول الله ﷺ اسمها، فسماها: جويرية[1].

روى ابن إسحاق، والإمام أحمد، وأبو داود، والواقدي، وغيرهم، عن أم المؤمنين عائشةَ الصدِّيقة بنتِ الصدِّيق رضي الله عنهما قالت: كانت جويرية امرأة حلوة ملاحةً، لا يكاد يراها أحدٌ إلا أخذَتْ بنفسه، فبينا النبي ﷺ عندي ونحن على الماء، إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها، فواللهِ! ما هو إلا أن رأيتُها فكرهتُ دخولَها على النبي ﷺ، وعرفت أنه سيرى منها مثلَ الذي رأيتُ، فقالت: يا رسولَ الله! إني امرأة مسلمة، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وأنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيدِ قومه، أصابنا من الأمر ما قد علمتَ، ووقعتُ في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابنِ عَمٍّ له، فتخلصني من ابن عمه بنخلات له بالمدينة، فكاتبني على ما لا طاقة لي به ولا يدان، وما أكرهني على ذلك إلا أني رجوتك صلى الله عليك، فأعني في مكاتبتي، فقال ﷺ: «أوَخير من ذلك؟» فقالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك»، قالت: نعم يا رسول الله، قد فعلت، فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت بن قيس، فطلبها منه، فقال ثابت: هي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فأدى رسول الله ﷺ ما كان من كتابتها، وأعتقها وتزوجها، وخرج الخبر إلى الناس، ورجالُ بني المصطلق قد اقتُسموا ومُلِكوا ووُطئت نساؤهم، فقال المسلمون: أصهارُ رسول الله ﷺ،

---

(١) رواه مسلم (٢١٤٠/ ١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فأَعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي.

قالت عائشة ﵂: فأعتق مئة أهل بيت بتزويج رسول الله ﷺ إياها، فلا أعلم امرأة أعظمَ بركةً منها على قومها ﵂[1].

قال البرماوي وغيرُه تبعًا لابن إسحاق وغيره: إنه ﷺ تزوج بها سنة ستٍّ من الهجرة، والذي رجحناه تبعًا لأئمة محققين أن ذلك كان في شعبان سنة خمس.

ووقع في «صحيح البخاري» عن موسى بن عقبة: أنها كانت في سنة أربع[2].

قال الحافظ ابن حجر في «شرح البخاري»: وكأنه سَبْقُ قلم، أراد أن يكتب: سنة خمس، فكتب: سنة أربع، يؤيده: أن الذي في «مغازي ابن عقبة» من عدة طرق أخرجها الحاكم، وأبو سعد النيسابوري، والبيهقي في «الدلائل»، وغيرهم: سنة خمس، ولفظه عن ابن شهاب: ثم قاتل رسول الله ﷺ بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس[3].

قال الحاكم: قول عروةَ وغيرِه: إنها كانت في سنة خمس أشبهُ من قول ابن إسحاق، وقد رجحناه في «معارج الأنوار» شرح النونية[4] بوجوهٍ

---

(١) رواه ابن إسحاق في (٥/ ٢٤٥)، والإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٢٧٧)، وأبو داود (٣٩٣١)، والواقدي (١/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ١١٥).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٤٣٠)، والحديث رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٤٥).

(٤) «معارج الأنوار السَّنِية ونتائج الآثار السُّنِّية في شرح القصيدة النونية في السيرة=

وأحاديثَ تفيد العلم بأن ذلك كان في الخامسة. والله الموفق.

وتوفيت جويرية في ربيع الأول سنة ست وخمسين.

قال الحافظ ابن الجوزي في «منتخب المنتخب»: وكانت جويرية عند مسافع بن صفوان[1]؛ يعني: قبل السبي.

قال: وروت عن رسول الله ﷺ تسعة أحاديث، منها في الصحيحين خمسة، ثلاثة للبخاري، ولمسلم حديثان.

(قالت) جويرية أم المؤمنين المصطلقية: إنه **(مر بها رسولُ الله ﷺ حين)**؛ أي: وقتَ **(صلاة الغداة)**؛ أي: الفجر.

والغُدوة ـ بالضم ـ: البكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوعِ الشمس؛ كالغَداة والغَدِيَّة، والجمع: غَدَوات، وغَدِيَّات، وغَدايا، وغُدُوٌّ، أو: لا يقال: غدايا إلا مع عشايا كما في «القاموس»[2].

(أو) قالت: إنه ﷺ مر بها **(بعدما صلى الغداة)**؛ أي: الصبح، **(وهي)**؛ أي: والحالُ أنها **(في مسجدها)** الذي صلت فيه الصبح، وفي لفظ: أنه ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها[3]، **(ثم رجع)** ﷺ **(بعد أن أضحى)**؛ أي: دخل وقت الضحى، وهو من ارتفاع الشمس قِيدَ

= النبوية»، تناول فيه السيرة النبوية من خلال شرحه القصيدة النونية المشهورة للشاعر الصرصري. وقد طبع لدى دار النوادر بتحقيق الشيخ نور الدين طالب.

(١) وقيل: صفوان بن مالك كما ذكره ابن الأثير في «جامع الأصول» (١٢/ ١٠١)، وروى كلا القولين الحاكم في «مستدركه» (٦٧٨١، ٦٧٨٢).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: غدو).

(٣) رواه مسلم (٢٧٢٦/ ٧٩).

رمح فصاعدًا إلى قبيل الزوال، والمراد: آخر وقت الضحى، (**وهي**)؛ أي: والحال أن جويرية (**جالسة**) في مصلاها تذكر الله تعالى، (**فقال**) لها رسولُ الله ﷺ: (**ما زلتِ**) في مصلَّاك تذكرين الله تعالى (**على الحال**)؛ أي: الهيئة والصفة (**التي فارقتك**) في مروري عنك بعدَ صلاة الغداة (**عليها**)، لم تبرحي من مكانك، ولم تقومي منه؟ (**قالت: نعم**) لم أزل في مصلاي منذ مررتَ عليّ وفارقتني في مرورك عني أذكرُ الله تعالى، (**قال النبي ﷺ: لقد**) اللام في جواب قسم مقدر، و(قد) حرف تحقيق، (**قلتُ**) أنا (**بعدَكِ**)؛ أي: بعد مفارقتي لك في مروري عنك (**أربعَ كلمات**) من الذكر (**ثلاثَ مرات**)؛ أي: كررت كلَّ واحدة منها ثلاثَ مرات، (**لو وزنت**) الأربعُ كلمات المكررة (**بـ**) جميع (**ما قلتِ**)؛ أي: بجميع الذي قلتيه، أو بجميع قولك (**اليومَ**)؛ أي: من حين صلاة الغداة إلى الضحى، (**لوزنتهنَّ**)؛ أي: عدلتهن في الأجر والثواب.

ثم فسر الكلماتِ الأربعَ بقوله: (**سبحان الله وبحمده عدد خلقه**) الذي خلقه فيما مضى، وما هو خالقه فيما بقي، مما لا يعلمه إلا هو سبحانه، (**وَرِضا نفسه**) تعالى؛ أي: ما يكون سببًا موجبًا لرضاه، (**وزنةَ عرشه**) لو تجسّم ذلك التسبيحُ والتحميد ودخل تحت الوزن، وهذا على سبيل المبالغة؛ لأن العرش أعظمُ المخلوقات، فلا شيء يوازنه، وكذا قوله: (**ومِداد**) بكسر الميم (**كلماته**)؛ أي: الحبر الذي يكتب به كلماته تعالى، مع أنه ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[لقمان: ٢٧]، وهذا نهاية الكثرة، فمن جهة العدد يعادل عدد جميع المخلوقات، الماضي والراهن والمستقبل، ومن جهة السَّعة والشمول

رضا الملكِ الجبار؛ فإنه لا نهاية لرضاه، ومن جهة الوزن يعادل زنة أعظم مخلوقات الله تعالى، وهو العرش الذي السمواتُ السبع والأرضون والكرسي بالنسبة إليه كحلقة مُلقاة في فلاة من الأرض، ومن جهة ما يمد ويكتب به ذلك الذكر، يعادل مداد كلمات الله تعالى.

وقيل: معناه: مثلها في العدد.

وقيل: مثلها في أنها لا تنفد.

وقيل: في الكثرة.

قال المحقق ابن القيم وغيرُه من العلماء: استعمال ذلك مجاز؛ لأن كلمات الله تعالى لا تنحصر بعدٍّ ولا غيره، وإنما ضرب بها المثل على الكثرة[1].

وقيل: المراد المبالغةُ في الكثرة؛ لأنه ذكر أوّلًا ما لا يحصره العد الكثير من الخلق، ثم زنة العرش، ثم ارتقى إلى ما هو أعظم من ذلك، وهو رضا نفسه تعالى، ومداد كلماته، وعبر عنه بهذا؛ أي: وما لا يحصيه عدّ كما لا تحصى كلمات الله ﷻ.

(وفي رواية) عند مسلم من حديث جويرية **(سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة)**؛ أي: ثقل **(عرشه)**؛ بحيث لو تجسم وَوُزن، لعادل زنةَ العرش على سبيل المبالغة وضربِ المثل، **(سبحان الله مدادَ كلماته.**

أخرجه) بالروايتين أبو الحسين بن الحجاج **(مسلمٌ)** في «صحيحه»،

---

(١) وانظر: «المنار المنيف» لابن قيم الجوزية (١/ ٣٤).

وأخرجه ـ أيضًا ـ أصحابُ السنن الأربع[1].

وفي رواية عند النسائي: «سبحان الله وبحمده، ولا إله إلا الله والله أكبر عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»[2].

ولفظ الترمذي: أن النبي ﷺ مرَّ عليها وهي في مسجد[ها]، ثم مر بها[3] قريب نصف النهار، فقال لها: «ما زلتِ على حالك؟» فقالت: نعم، فقال: «أُعَلِّمك كلماتٍ تقولينها: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه ـ ثلاث مرات ـ سبحان الله رضا نفسه» ثلاث مرات، وذكر زنة عرشه ومداد كلماته ثلاثًا ثلاثًا، وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية للنسائي تكرار كل واحدة ثلاثًا أيضًا مثل ما عند الترمذي. والله أعلم.

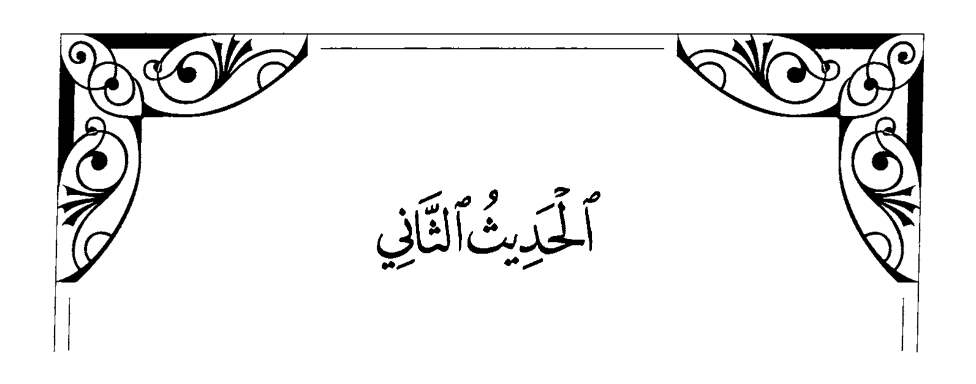
* * *

---

(١) رواه أبو داود (١٥٠٣)، والترمذي (٣٥٥٥)، والنسائي (١٣٥٢)، وابن ماجه (٣٨٠٨).

(٢) رواها النسائي في «السنن الكبرى» (٩٩٨٩)، وليس فيها: «والله أكبر».

(٣) كذا في الأصل بزيادة: «في المسجد»، والمثبت من «سنن الترمذي».



الحَدِيثُ الثَّانِي

١١٤ ـ عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ ﷺ: أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوًى ـ أَوْ حَصًى ـ تُسَبِّحُ بِهِ، فَقَالَ: «أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا وأَفْضَلُ؟» فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ». رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن غريب[1].

(عن) أبي إسحاق (سعدِ بنِ أبي وقاص)، واسم أبي وقاص: مالكٌ، وتقدمت ترجمته في فضل الأذان: (ﷺ: **أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها**) الواو للحال، و(نَوَى) مبتدأ مؤخر، وما قبله خبر، أو الخبر متعلقه والجملة حالية. وهذه المرأة هي صفية؛ كما يوضحه الحديث الثالث، (أو) قال: وبين يديها (حصى)، والنوى هو: عَجَمُ التمر،

(١) رواه أبو داود (١٥٠٠)، والترمذي (٣٥٦٨).

والحصى: صغارُ الحجارة، **(تسبح)** تلك المرأة الله سبحانه وتعالى، وتضبط عدد التسبيح به؛ أي: بالنوى أو الحصى، **(فقال)** لها النبي ﷺ: **(أُخبرك بما)**؛ أي: بشيء إذا فعلتيه **(هو أيسرُ عليك)** وأهونُ لديك **(من هذا)** الذي تفعلينه، والقول الذي تقولينه، **(و)** هو مع يسره وعدم المشقة به **(أفضلُ؟)**؛ أي: أكثر فضيلة، وأعظمُ أجرًا، وأعودُ ثوابًا، فقالت: علمني يا رسول الله، **(فقال)**: أيسر من ذلك وأفضل أن تقولي أنت أو غيرك: **(سبحان الله)**؛ أي: أنزهه تعالى عما لا يليق بجلاله وعزته من الشريك، والصاحبة، والولد، وسائر الرذائل مما لا يليق بجلال عظمته وبديع قدرته وحكمته **(عددَ ما خلق في السماء)** من الملأ الأعلى، والأفلاك والبروج والكواكب، والجنان وسكانها، والملائكة على اختلاف أنواعها وتباين أفعالها، مما لا يدخل تحت حصر، ولا يعلمه إلا الله تعالى، **(سبحان الله عددَ ما خلق في الأرض)** من الحيوان والنبات والأشجار، والمعادن والرمال، والحصى والأحجار والتراب، والبحار وسكانها، والقفار وقُطانها، مما لا يحصيه إلا الله تعالى، **(سبحان الله عددَ ما)**؛ أي: الذي **(بينَ ذلك)**؛ أي: ما بين السماء والأرض من الجو؛ من الرياح والعناصر، من جميع ما تحت فلك القمر وفوق الأرض من الطيور والغيوم وسكان الجو، مما لا يعلم علمه إلا الله تبارك وتعالى، **(سبحان الله عددَ ما هو)** تبارك وتعالى **(خالقٌ)** في الزمن المستقبل في السماء وفي الأرض، وفي ما بين ذلك، **(والله أكبرُ)** وأجلُّ وأعظمُ من كل كبير وجليل وعظيم **(مثل ذلك)**؛ أي: عدد ما خلق في السماوات، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بين ذلك، وعدد ما هو خالق، **(والحمدُ لله)**؛ أي: الثناء بأوصافه الحميدة وصفاته الجميلة باللسان، على الجميل الاختياري،

على جهة التعظيم والتبجيل **(مثل ذلك)**؛ أي: عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بين ذلك، وعدد ما هو خالق، **(ولا إله)** معبودَ بحقّ في الوجود **(إلا الله)** الغنيُّ بالذات عن كل ما سواه، المفتقرُ إليه بالذات كلُّ ما عداه، **(مثل ذلك)**؛ أي: عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بين ذلك، وعدد ما هو خالق، **(ولا حول)** عن معصية الله إلا بعصمة الله، **(ولا قوة)** على طاعة الله **(إلا بـ)** عون **(الله، مثل ذلك)**؛ أي: عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بين ذلك، وعدد ما هو خالق. وهذا مما لا يعلم ولا يحصي عدده إلا الله ﷻ.

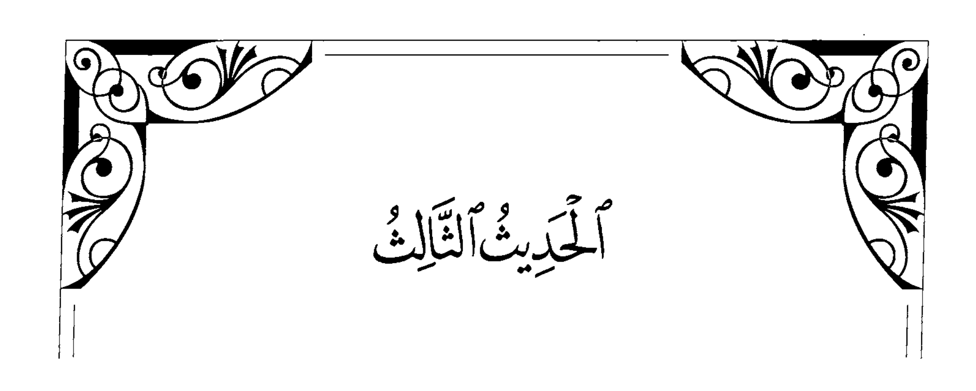
(رواه أبو داود، والترمذي، وقال) الترمذي: **(حديث حسن غريب)** من حديث سعد.

ورواه ـ أيضًا ـ النسائي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»[1]، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد[2].

* * *

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٩٢٢ ـ ط الرسالة)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٣٧). ولم نقف عليه عند ابن ماجه، كما أن الحافظ المزي لم يشر إليه في «تحفة الأشراف» (٣/ ٣٢٥).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٠٩).



الحديث الثالث

١١٥ ـ عن صفية ﵂ قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ يَدَيَّ أَرْبَعَةُ آلافِ نَوَاةٍ أُسَبِّحُ بِهَا، فَقَالَ: «لَقَدْ سَبَّحْتِ بِهَذِهِ، أَلا أُعَلِّمُكِ بِأَكْثَرَ مِمَّا سَبَّحْتِ بِهِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، عَلِّمْنِي، فَقَالَ: «قُولِي: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ». رواه الترمذي وقال: حديث غريب[١].

(عن) أُم المؤمنين (صفية) بنتِ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ ﵂ (قالت: دخل عليّ رسولُ الله ﷺ) في بيتي في بعض الأيام، (وبين يديَّ أربعة آلاف نواة) من عَجَم التمر (أُسبح) الله تعالى، وأضبط عددَ التسبيح (بها)؛ أي: بالأربعة آلاف نواة، (فقال) ﷺ لها: (لقد) اللام في جواب قسم مقدر؛ أي: والله! لقد (سبحت بـ) عدد (هذه) الأربعة آلاف.

وفي رواية عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وبين يديَّ أربعةُ آلاف نواة أُسبح بهن، فقال: «ما هذا؟» قلت: أُسبح بهنّ، قال: «قد سبحت منذ قمت على رأسك أكثر من هذا»[٢].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٥٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٧٤)، والحاكم في «المستدرك» =

(قال) ـ وفي لفظ: (فقال)[1]، بزيادة الفاء ـ: **(ألَا أُعلمك) (بأكثر مما سبحتِ؟)** زاد في لفظ: «به»[2]، **(فقلت: علمني)**، وفي لفظ: «فقالت: بلى علمني»[3]، **(فقال: قولي: سبحان الله عدد خلقه. رواه الترمذي وقال: حديث غريب)**.

ورواه الحاكم وقال: «قولي: سبحان الله عددَ ما خلق من شيء»[4].

قال الترمذي: لا نعرفه من حديث صفية إلا من هذا الوجه من حديث هاشم بن سعيد الكوفي، وليس إسناده بمعروف. انتهى.

* * *

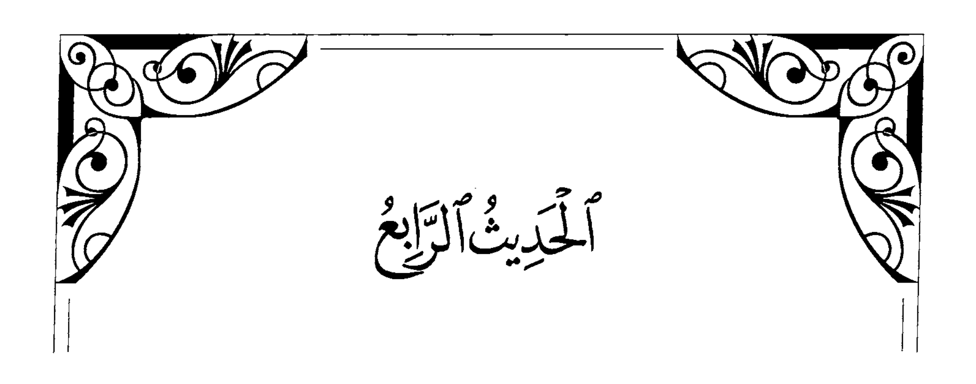
= (٢٠٠٨)، وقال: صحيح الإسناد.

(١) رواه الترمذي (٣٥٥٤).

(٢) وهو اللفظ الذي ذكره ابن الأثير في «جامع الأصول» (٤/ ٣٩٦) وعزاه للترمذي، ولم نقف على هذه الزيادة في النسخة المطبوعة من «سنن الترمذي» (٣٥٥٤).

(٣) وهي رواية الترمذي.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٠٨) وقال: صحيح الاسناد.



الحديث الرابع

١١٦ ـ عن أبي أُمامةَ الباهليِّ ﷺ: أن رسولَ الله ﷺ مر به وهو يحرك شفتيه، فقال: «ماذا تَقولُ يا أبا أُمامةَ؟» قال: أذكر ربي، فقال: «أَوَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَكْثَرَ وأَفْضَلَ مِنْ ذِكْرِ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ، والنَّهَارِ مَعَ اللَّيْلِ؟ تَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، وسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الأَرْضِ والسَّمَاءِ، وسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا فِي الأَرْضِ والسَّمَاءِ، وسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقول: الحمدُ لله مثلَ ذلك، ولا إله إلا اللهُ مثلَ ذلك، والله أكبرُ مثلَ ذلك». رواه الإمام أحمد في «المسند»، والنسائي في «عمل يوم وليلة»[1].

(عن أبي أُمامةَ الباهليِّ) واسمه صُدَيّ بضم الصاد وفتح الدال المهملتين وتشديد الياء التحتية كما مرَّ في ترجمته، (ﷺ: **أن رسول الله ﷺ مر به**

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٤٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٦٦)، ورواه آخرون بألفاظ أخرى قريبة مختصرة أو موسعة.

وهو **يحرك شفتيه)**، وفي لفظ: قال أبو أمامة ﷺ: زارنـي رسـول الله ﷺ وأنا أحرك شفتي[1]، **(فقال: ماذا تقول؟)** وفي الرواية الأخرى: «بأي شيء تحرك شفتيك»[2] **(يا أبا أمامة؟ قال: أذكر ربي)**، وفي لفظ: «فقلـت: أذكـر الله يا رسول الله»[3]، **(فقال: أولا أخبرك)**، وفي لفظ: «فقال لي: ألا أخبـرك»[4]، بإسقاط الواو **(بأكثر، أو)** قال: بـ **(أفضل)**، وفي لفظ: «بأكثر وأفضل»[5]، بإسقاط الألف قبل الواو **(من ذكر الليل مع النهار)** كلـه؛ بـأن يكـون مـصاحبًا لذكر الله تعالى من الليل إلى النهار، **(والنهار مع الليـل)**؛ يعنـي: بمـا هـو أفضلُ من ذكرك بالليل والنهار؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: **(أن تقـول: سبحان الله عـدد ما خلق، وسبحـان الله ملء مـا خلق، وسبحـان الله عدد ما في الأرض والسماء، وسبحان الله ملء ما في الأرض والسماء)** مـن سـائر الأجسام والأجرام والخلاء والملأ، **(وسبحان الله عدد ما أحـصى كتابُـه)**؛ أي: القرآن العظيم من سائر ما هو في ضمنه، **(وسبحان الله عدد كـل شـيء، وسبحان الله ملءَ كل شيء، وتقول: الحمد لله مثل ذلك)**؛ أي: الحمد لله

---

(١) رواه الروياني في «مسنده» (١٢٣٣)، والطبراني في «المعجم الكبيـر» (٧٩٣٠)، وفيهما: «رآني» بدل «زارني».

(٢) كذا أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٨٦) وعزاه لابن أبي الدنيا.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨١٢٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائـد» (١٠/ ٩٣): رواه الطبراني من طريقين وإسناد أحدهما حسن.

(٤) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٦٦)، وابن حبـان فـي «صـحيحه» (٨٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨١٢٢).

(٥) كذا أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٨٦) وعزاه لابن أبي الدنيا.

عدد خلق الله، والحمد لله ملء ما خلق، والحمد لله عدد ما في الأرض والسماء، والحمد لله ملء ما في الأرض والسماء، والحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، (و) تقول: **(لا إله إلا الله مثل ذلك)**؛ أي: لا إله إلا الله عددَ ما خلق، ولا إله إلا الله ملءَ ما خلق، ولا إله إلا الله عددَ ما في الأرض والسماء، ولا إله إلا الله ملءَ ما في الأرض والسماء، ولا إله إلا الله عدد ما أحصى كتابُه، ولا إله إلا الله عدد كل شيء، ولا إله إلا الله ملء كل شيء، وتقول: **(الله أكبر مثل ذلك)**؛ بأن تقول: الله أكبر عدد ما خلق، والله أكبر ملء ما خلق... إلخ.

(رواه الإمام أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلٍ في المسند، ورواه النسائي في كتابه عمل يوم وليلة)، ورواه ابن أبي الدنيا، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما باختصار[1]، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين[2].

ورواه الطبراني بإسنادين أحدُهما حسن، ولفظه: «ألا أخبرك بشيء إذا قلته، ثم دأبت الليلَ والنهار لم تبلغه؟» قلت: بلى، قال: «تقول: الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد ما في كتابه، والحمد لله عدد ما أحصى خلقه، والحمد لله ملء ما في خلقه، والحمد لله ملء سماواته وأرضه، والحمد لله ملء كل شيء، والحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله على كل

---

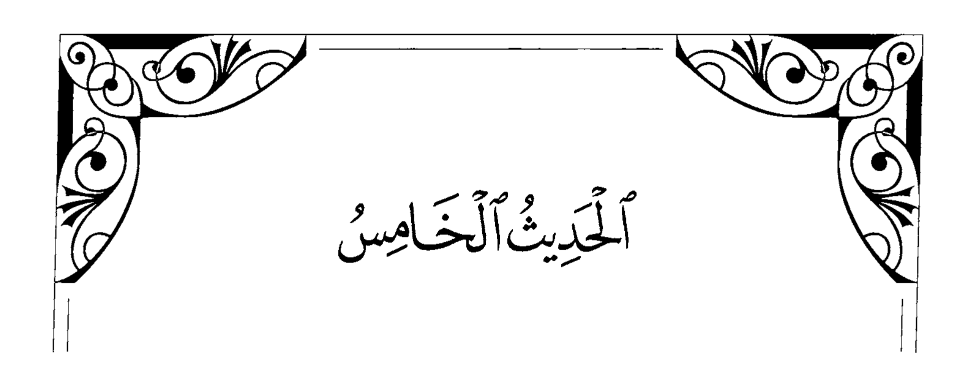
(١) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٧٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٣٠)، وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٨٧) وعزاه لابن أبي الدنيا، ولم نقف عليه في المطبوع من كتبه.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٩١).

شيء، وتسبح مثل ذلك، وتُكَبر مثل ذلك»[1]. والله تعالى الموفق.

* * *

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨١٢٢).



ٱلْحَدِيثُ ٱلْخَامِسُ

١١٧ ـ عن تَميمٍ الدارِيِّ ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ له، إلهًا وَاحِدًا، أَحَدًا، صَمَدًا، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ حَسَنَةٍ». رواه الترمذي وقال: حديث غريب[1].

(عن) أبي رُقَيَّةَ ـ بضم الراء وفتح القاف وتشديد التحتية ـ (تميمِ) بنِ أوسِ بنِ خارجةَ بنِ سودِ بنِ جذيمةَ بنِ دراع بن عدي بن الدار بن هانئ بن نمارةَ بن لخمٍ، وهو مالكُ بنُ الحارثِ بنِ مرةَ بنِ أدد (الداري ﷺ)، كان نصرانيًا فأسلم سنةَ تسع، وكان في جملة وفد الداريّين مُنْصَرَفَ النبي ﷺ من تبوك، وكان من عُبَّاد الصحابة وقُرَّائهم، فكان يختم القرآن في ركعة، وربما ردد الآيةَ الواحدة الليل كلَّه إلى الصباح.

سكن المدينة، ثم انتقل منها إلى الشام بعد مقتل عثمان ﷺ، وأقام بها إلى أن مات؛ وقيل: نزل فلسطين، وهو أولُ من أسرجَ السُّرج في المسجد.

روى عنه النبيُّ ﷺ قصةَ الدجال والجساسة في خطبةٍ خطبها، فقال:

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٣) وفيه: «أربعين ألف ألف حسنة».

«حدثني تميمٌ الداريُّ»، وذكر القصة[1]، وهذا من رواية الأكابر عن الأصاغر، وهو صاحب قصة الإقطاع النبوي من بيت عينون وغيرها، وهو مشهور[2].

روى عنه: عطاءُ بنُ يزيدَ الليثيُّ، وعبدُالله بنُ موهب، وسليم بن عامر، وشرحبيلُ بنُ مسلم، وقَبيصةُ بنُ ذويب، وغيرهم.

روي له عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثًا، أخرج مسلم منها حديثًا واحدًا، ولم يخرج البخاري في حرف التاء لأحد من الصحابة ﭫ.

قال الحافظ ابن الجوزي في «منتخب المنتخب»: اشترى تميم حُلَّة بألف درهم، فكان يقوم فيها بالليل، واستأذن أميرَ المؤمنين عمرَ في القصص، فكان يقصُّ؛ أي: يعظ.

ولم يولد لتميم ولد سوى ابنته رقيةَ، قاله ابن عبد البر، ونقله ابن

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٢/ ١١٩) مطولًا.

(٢) روى ابن زنجويه في «الأموال» (٢/ ٣٥٩) عن راشد بن سعد قال: قام تميم الداري ـ وهو تميم بن أوس، رجل من لخم ـ فقال: يا رسول الله! إن لي جيرة من الروم بفلسطين لهم قرية يقال لها: حبرى وأخرى يقال لها: بيت عينون، فإن الله فتح عليك الشام فهبهما لي، فقال: «هما لك»، قال: فاكتب لي بذلك كتابًا، فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الداري، أن له قرية حبرى وبيت عينون، قريتها كلَّها سهلها وجبلها، وماءها وحرثها، وأنباطها وبقرها، ولعقبه من بعده، لا يحاقه فيها أحد، ولا يَلِجه عليهم أحدٌ بظلم، فمن ظلمهم أو أخذ من أحد منهم شيئًا؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» الحديث.

الأثير في «جامع الأصول»[1].

روى تميمٌ الداريُّ رضي الله عنه **(عن رسول الله ﷺ أنه قال: من)**؛ أي: أيُّ شخص مسلم **(قال: أشهد)**؛ أي: أُقر بلساني، وأعتقد بجناني **(أن لا إله)** معبودَ بحقٍّ في الوجود **(إلا الله)** جل جلاله، **(وحدَه لا شريك له)** في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، **(إلهًا)**؛ أي: معبودًا، مشتق من التألُّه، وهو التعبد أو التحير؛ لأن العالم تحيروا في كنه ذاته تعالى، فلا يعلم كُنْهَ ذاته إلا هو تعالى، **(واحدًا)**؛ أي: فردًا لم يزل وحدَه، وقيل: المعدوم الشريك والنظير، وليس كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة؛ إذ كلُّ شيء سواه يدعى واحدًا، فهو واحد من جهة غير واحد من جهات، وأما الله تعالى، فهو الواحد الذي ليس كمثله شيء، والواحد الذي لا يثنّى من لفظه، فلا يقال: واحدان.

(أحدًا)؛ أي: منفردًا بالألوهية.

والفرق بين الواحد والأحد:

أن الواحد هو المنفرد بالذات، والأحد هو المنفرد بالمعنى، فلا يشارك فيها أحد.

وأن الواحد في جنس المعدود يفتتح به العدد.

وأن الأحد يصلح في الكلام في موضع الجحود، والواحد في موضع الإثبات.

وأما الوحيد؛ فإنما يوصف به في غالب العرف المنفردُ عن أصحابه،

---

(١) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ١٩٣)، و«جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٢٣٨).

المنقطعُ عنهم، فلا ينبغي إطلاقه في أسماء الله تعالى.

(صمدًا): هو الذي لا جوفَ له، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، رحمهم الله تعالى[1].

وقيل: الصمد: هو الذي لا يأكل ولا يشرب، قاله الشعبي[2].

وقيل: هو الذي لم يلد ولم يولد، قاله أبيٌّ بنُ كعب رضي الله عنه[3].

وقيل: هو السيد الذي كمل في جميع أنواع السؤدد.

وقيل: الكامل في صفاته وأفعاله.

وفي «نهاية ابن الأثير»: الصمد: هو السيد الذي انتهى إليه السؤدد.

وقيل: هو الدائم الباقي.

وقيل: هو الذي يُصْمَد في الحوائج إليه؛ أي: يقصَد، ومن هذا حديثُ عمر رضي الله عنه: إياكم وتعلم الأنساب والطعن فيها، فوالذي نفسُ عمر بيده! لو قلت: لا يخرج من هذا الباب إلا صمد، ما خرج إلا أقلكم[4].

يعني بالصمد: الذي انتهى في سؤدده، أو الذي يقصد في الحوائج[5].

(لم يتخذ) تعالى وتقدس **(صاحبة)**؛ أي: زوجة، **(ولا)** **(ولدًا)**؛

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٥، ٦٧٤، ٦٨٠، ٦٨٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١١٠).

(٢) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١١٣).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤).

(٤) أورده الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٢/ ١٠٦).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٥٢).

لأنه الدائم الباقي، فلا يجوز عليه الفناء، ولا اتخاذُ الصاحبة ولا الولد الذي يحتاجه الإنسان ليرثه، والله منزهٌ عن جميع ذلك، **(ولم يكن له كفوًا)** خبرُ (يكن)، و(له): متعلق بـ (كفوًا)، و**(أحد)** اسمُ (يكن)؛ أي: ولم يكن أحدٌ مكافئًا له تعالى، والكفؤ: النظير والمساوي، ومنه الكفاءة في النكاح، وهو أن يكون الزوج مساويًا للمرأة في حسبها ودينها ونسبها، وغير ذلك.

وفي شعر حسان ﷺ:

وروحُ القدس ليس له كِفاءُ[1]

أي: جبريل عليه السلام ليس له نظيرٌ.

من قال الذكرَ المذكور **(عشرَ مرات، كتب الله)** تعالى؛ أي: أمر أن يكتب **(له)** في صحيفة عمله **(أربعين ألف حسنة.**

رواه الترمذي وقال: حديث غريب)، والذي في نسختَيْ «جامع الأصول» لابن الأثير ما لفظه: «كتب الله له [أربعين] ألف ألف حسنة»، وكتب على (ألف) الثانية صورة (صح).

ثم قال: قال الترمذي: قال محمد بن إسماعيل ـ يعني: البخاري ـ: أحدُ رواته وهو الخليل بن مرة، منكَر الحديث. انتهى[2].

وروى الطبراني من حديث عبدالله بن أبي أوفى ﷺ قال: قال

---

(١) من الوافر، وتمامه:

وَجِبريلٌ أَمينُ اللَّهِ فينا ... وَروحُ القُدسِ لَيسَ لَهُ كِفاءُ

وانظر: «ديوانه» (ص: ٢).

(٢) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ٣٩٢).

رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحدًا صمدًا، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، كتب الله له ألفي ألف حسنة»[1]، ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» بصيغة التمريض[2]، وهي في اصطلاحه لما لم يتطرق إليه احتمال التحسين، والله تعالى الموفق.

* **تنبيهان:**

الأول: في إدخال هذا الحديث في الذكر المضاعف نظرٌ لا يخفى.

الثاني: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»: أن الصمد يتضمن إثباتَ صفات الكمال ونفيَ النقائص؛ فإنه العليم الكامل في علمه، القديرُ الكامل في قدرته، الحكيم الكامل في حكمته.

قال: ولنا مصنف مبسوط في تفسير هذه السورة، وآخَرُ في بيان أنها تعدل ثلثَ القرآن.

قال: وذكرنا كلام العلماء من الصحابة والتابعين في معنى الصمد، وأن عامة ما قالوه حق؛ كقول من قال منهم: إن الصمد الذي لا جوفَ له، وإنه السيد الذي انتهى سؤدده، وإنه المستغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه

---

(١) لم نقف عليه عند الطبراني، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٥): رواه الطبراني، وفيه فائد أبو الورقاء، وهو متروك. ورواه من حديث ابن أبي أوفى عبد بن حميد في «مسنده» (٥٢٩)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٥/ ٣٠٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٥٧)، وفي إسنادهم جميعًا أبو الورقاء فائد.

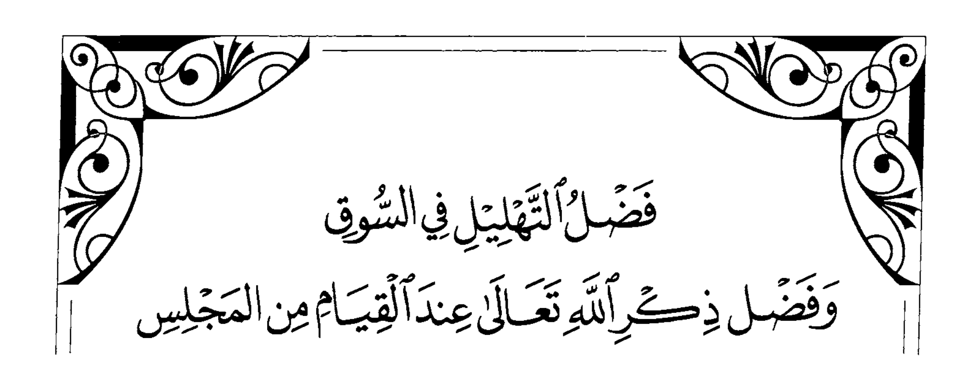
(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٧٢).

يحتاج إليه، وكما قيل: إنه العليم الكامل في علمه، والقدير الكامل في قدرته، إلى سائر صفات الكمال.

قال: وبيّن سبحانه أنه أحد ليس له كفوًا أحد، فنفى بذلك أن يكون شيء من الأشياء كفوًا له، وأنه أحد لا نظير له، وقال في آية أخرى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[النحل: ٧٤]، وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٢][1]، وأجلب في ذلك وأجنب. والله أعلم.

❐ ❐ ❐

(١) انظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية (٤/ ٤٠٧).



فَضْلُ ٱلتَّهْلِيلِ فِي ٱلسُّوقِ وَفَضْلِ ذِكْرِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ عِندَ ٱلْقِيَامِ مِنَ ٱلْمَجْلِسِ

أي: هذا بابه.

وذكر في كل واحدة من الترجمتين حديثًا واحدًا:

ٱلْحَدِيثُ ٱلْأَوَّلُ

١١٨ ـ عن أمير المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ». هكذا رواه الترمذي وقال: حديث غريب[1]، ورواه ابن ماجه بنحوه[2].

(١) رواه الترمذي (٣٤٢٨).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٣٥). قال ابن قيم الجوزية في حاشيته «تهذيب سنن أبي داود» (١٣/ ٢٨٥): هو حديث معلول لا يثبت مثله، وذكر له الترمذي طرقًا: ـ

(عن) أمير المؤمنين **(عمرَ بنِ الخطاب** ﷺ **: أن رسول الله ﷺ قال: من دخل السوق)** من المسلمين، واختصاص السوق؛ لغفلة أهله بما هم بصدده من البيع والشراء، والأخذ والعطاء؛ فإن الأسواق من مواطن الغفلة.

وقد قال الإمام مالك ﷺ: بلغني أن رسول الله ﷺ كان يقول: «ذاكرُ الله

= **أحدها:** أحمد بن منيع، حدثنا أزهر بن سنان، حدثنا محمد بن واسع قال: قدمت مكة، فلقيني أخي سالم بن عبدالله بن عمر، فحدثني عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ، فذكره وقال: هذا حديث غريب.

والثاني: رواه عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير عن سالم نحوه، قال الترمذي: حدثنا أحمد بن عبدة، حدثنا حماد بن عبدة، حدثنا حماد بن زيد والمعتمر بن سليمان قالا: حدثنا عمرو بن دينار ـ وهو قهرمان آل الزبير ـ عن سالم، عن أبيه، عن جده، وقال: وبني له بيت في الجنة، ولم يقل: ألف ألف درجة.

والثالث: رواه يحيى بن سليم الطائفي، عن عمران بن مسلم، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، ولم يذكر عمر، ذكره الترمذي تعليقًا عن يحيى.

فأما الطريق الأولى؛ فهي أمثل طرقه، وأزهر بن سنان لا بأس به، وقد تكلم فيه بعض الأئمة، وقد ذكر حديثه هذا الحافظ أبو عبدالله المقدسي في «المختارة».

وأما الطريق الثانية؛ ففيها عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير، قال البخاري في «التاريخ»: فيه نظر، وذكر هذا الإسناد بعينه ولم يذكر له متنًا، فقال: قال موسى ابن عبد الرحمن، حدثنا زيد بن خباب، حدثنا سعيد بن زيد عن عمرو بن دينار مولى الأنصاري، عن سالم، عن أبيه، عن عمر، وقال الترمذي: تكلم فيه بعض أصحاب الحديث، وقد روى عن سالم أحاديث لا يتابع عليها.

وأما الطريق الثالثة؛ ففيها عمران بن مسلم، وليس هو عمران بن مسلم القصير، فإن ذاك من رجال الصحيح، وهذا منكر الحديث، قاله البخاري وغيره.

وقد قيل: إنه القصير، والله أعلم.

في الغافلين كالمقاتل خلفَ الفارين، وذاكر الله في الغافلين كغصنٍ أخضرَ في شجر يابس ـ وفي رواية: مثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر اليابس ـ وذاكر الله في الغافلين مثلُ مصباح في بيت مظلم، وذاكر الله في الغافلين يريه الله مقعدَه من الجنة وهو حيٌّ، وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كلِّ فصيحٍ وأعجمَ»، والفصيحُ: بنو آدم، والأعجمُ: البهائم. ذكره رزين[1].

قال الحافظ المنذري: لم أره في شيء من نسخ «الموطأ»، إنما رواه البيهقي في «الشعب» عن عباد بن كثير ـ وفيه خلاف ـ عن عبدالله بن دينار، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره بنحوه[2].

ورواه ـ أيضًا ـ عن عباد بن كثير، عن محمد بن جحادة، عن سلمة ابن كهيل، عن ابن عمر، وزاد فيه: «وذاكر الله في الغافلين ينظر الله إليه نظرة لا يعذبه بعدها أبدًا، وذاكر الله في السوق له بكل شعرة نور يوم القيامة».

قال البيهقي: هكذا وجدته، ليس بين سلمة وبين ابن عمر أحد، وهو منقطع الإسناد ليس بقوي[3].

وقال في آخر كتابه «الترغيب والترهيب»: عباد بن كثير الرملي قال

---

(١) وانظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ٤٧٩). قال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١/ ٥٢٢): ضعيف معضل.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٥).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٣٣٨)، والحديث رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٧) عن العلاء بن كثير، عن محمد بن جحادة.

ابن معين: ضعيف، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن عيينة: ينهى عن ذكره إلا بخير، وقال البخاري: فيه نظر.

وقال أبو مطيع[1]: كان عندنا ثقة، أُخرج من قبره بعد ثلاث سنين، فلم يفقد منه إلا شعرات. انتهى[2].

(فقال) الداخلُ للسوق: **(لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك)** التام، **(وله الحمد)** العام في جميع الأحوال، وعلى كل حال، **(يحيي)** الموتى بعد موتهم يوم البعث والنشور، وكذلك يحيي الأجنة بعد كونهم مضغة لحم مواتاً لا أرواح فيهم، فيا من ينفخ الأرواح فيهم فيحيون، **(ويميت)** الأحياء بعد استيفاء آجالهم، **(وهو)** سبحانه وتعالى **(حيّ)** باقٍ دائم، **(لا يموت)** ولا يفنى ولا يزول، تعالى وتقدس عن الموت والزوال والفناء، **(بيده)** وفي حكمه وتحت أمره **(الخير)** كلُّه، وكذا ضدُّه، إلا أنه بالنسبة إليه تعالى خير، ومن ثم قال الرسول ﷺ: «والشر ليس إليك»[3].

ولشمول يده وقدرته تعالى على الخير وضده قال: **(وهو)** تبارك وتعالى **(على كل شيء)** من الممكنات دون الواجبات؛ كصفاته وأسمائه، ودون المستحيلات من نحو الشريك والصاحبة والولد **(قديرٌ)** من أبنية المبالغة؛

---

(١) رفاعة بن عوف ـ ويقال: أبو رفاعة، ويقال: أبو مطيع ـ الأنصاري، أحد بني رفاعة بن الحارث، روى عن أبي سعيد الخدري في العزل، روى له أبو داود وسماه في روايته: رفاعة، وروى له النسائي وسماه في رواية: أبا رفاعة، وفي رواية أخرى: أبا مطيع بن عوف. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٩/ ٢١١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩١٦٨).

(٣) رواه مسلم (٧٧١/ ٢٠١)، من حديث علي رضي الله عنه.

أي: قد بلغت قدرته النهاية، وتمامَ الغاية، جل شأنه، وتعالى سلطانه، فمن قال هذا الذكر في السوق (كتب)؛ أي: أمر بأن يكتب (له): لذاكر الذكر المذكور في السوق؛ لكونه من أعظم مواطن الغفلة (**ألف ألف حسنة**) مما لا يعلم كنهها وقدرها إلا هو تعالى، (**ومحا عنه ألف ألف سيئة**) من صغائر ذنوبه، فإن لم يكن له صغائر وكان له كبائر، خُفف من كبائره بمقدار ما يمحى من صغائره لو كانت، فإن لم يكن له صغائر ولا كبائر، رفع في درجاته أيضًا، (**ورفع له ألف ألف درجة**)، وهنا المراد بالدرجة: المنزلة فيما يظهر دون الحسنة؛ لتقدم ذكر الحسنة.

قال الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ: (**هكذا**)؛ يعني: على السياق المذكور (رواه) أبو عيسى (**الترمذي**) في «سننه»، (**وقال: حديث غريب**). انتهى.

لكن قال الحافظ المنذري: إسناده متصل حسن، ورواته ثقات أثبات، وفي أزهر بن سنان خلاف، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به.

وقال الترمذي في رواية له مكان «ورفع له ألف ألف درجة»: «وبنى له بيتًا في الجنة»[1].

قال الحافظ المصنف: (**ورواه ابن ماجه بنحوه**) إنما قال: بنحوه؛ لأنه قال مكان «ورفع له ألف ألف درجة»: «وبنى له بيتًا في الجنة».

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٣٣٧)، والرواية رواها الترمذي (٣٤٢٩). وقد أوضحنا في حاشية مضت من قريب الروايات العديدة لهذا الحديث، وما قيل فيها.

ورواه ابن أبي الدنيا، والحاكم وصححه، كلهم من رواية عمرِو بن دينار قهرمانِ[1] آلِ الزبير، عن سالم بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه[2]، ورواه الحاكم ـ أيضًا ـ من حديث عبدالله مرفوعًا ـ أيضًا ـ ، وقال: صحيح الإسناد[3]. وكذا قال، مع أن في إسناده مسروقَ بن المرزبان.

وأقول: أزهرُ بنُ سنان: قال فيه ابنُ معين: ليس بشيء، وقال ابن عدي: ليست أحاديثه بالمنكرة جدًّا، أرجو أنه لا بأس به[4]. ومسروق بن المرزبان قال أبو حاتم: ليس بالقوي[5]، ووثقه غيره.

وروى ابن أبي الدنيا وغيره من حديث أبي قِلابة ـ بكسر القاف وتخفيف اللام، وبالباء الموحدة، واسمه عبدالله بن زيد بن عمرو، وقيل: عامر، أنصاري بصري تابعي ثقة، روى له الجماعة، ومات بالشام سنة أربع

---

(١) قال الزبيدي في «تاج العروس» (مادة: قهرم): القهرمان: من أمناء الملك خاصته، فارسي معرب.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٧٦)، وفيه: عمران بن مسلم عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر. وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٣٧)، وعزاه لابن أبي الدنيا، ولم نقف عليه في المطبوع من كتبه.
قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٨١): وهذا الحديث خطأ، إنما أراد عمران ابن مسلم عن عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير عن سالم عن أبيه، فغلط وجعل بدل (عمرو): (عبدالله)، وأسقط سالمًا من الإسناد.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٧٥).

(٤) انظر: «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (١/ ٤٢٩).

(٥) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨/ ٣٩٧).

ومئة ـ قال: التقى رجلان في السوق، فقال أحدهما للآخر: تعال نستغفر الله في غفلة الناس، ففعلا، فمات أحدهما، فلقيه الآخر في النوم، فقال: علمت أن الله غفر لنا عشية التقينا في السوق[1].

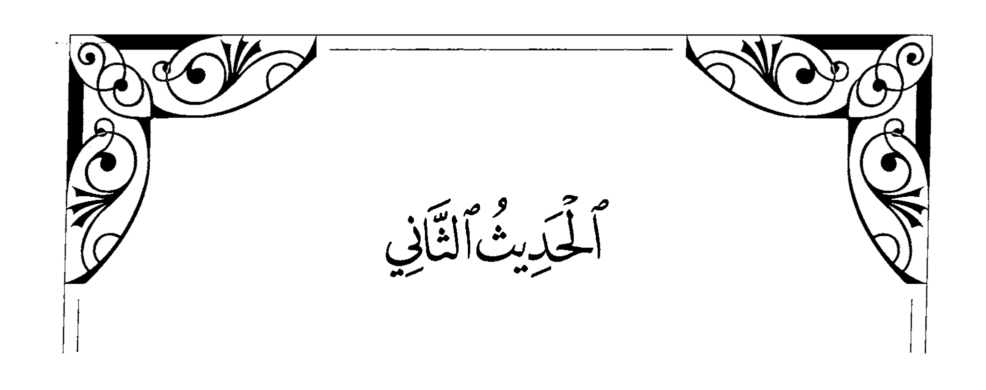
وعن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: «لا تزال مصليًا قانتًا ما ذكرت الله قائمًا أو قاعدًا، أو في سوقك، أو في ناديك»، رواه البيهقي مرسلًا[2].

* * *

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٨٩)، وفي «حسن الظن بالله» (١٢٠).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٩)، وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١/ ٥٢٢): ضعيف معضل.



الحَدِيثُ الثَّانِي

في ذكر الله تعالى عند القيام من المجلس:

١١٩ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ، فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب صحيح[1].

(عن أبي هريرة) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ **قال: قال رسولُ الله ﷺ: من جلس)** من المسلمين **(في مجلس)** من المجالس **(يكثر فيه)**؛ أي: في ذلك المجلس الذي جلس فيه **(لغطُه)**؛ أي: لغط الذي جلس، أو لغط المجلس، والأولُ أظهرُ.

قال في «النهاية»: اللغط: صوتٌ وضجة لا يفهم معناه[2]، والرديء من الكلام، والقبيح منه.

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٣٣).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٢٥٧).

(فقال) الذي جلس المجلس وكثر فيه لغطُه (قبل أن يقوم من مجلسه) ذلك، أو قال الذكرَ المذكور مع القيام قبلَ مفارقته المجلس؛ لِما في حديث جُبير بن مُطعم رضي الله عنه، وفيه: «فقالها في مجلسِ ذكرٍ، كان كالطابع يطبع عليه، ومن قالها في مجلس لغوٍ، كان كفارة له»[1]، فجعل المجلس ظرفًا للذكر، فيصدق على من قاله قبل مفارقة المجلس، وأصْرَحُ من هذا ما في لفظ ابن أبي الدنيا: قال ﷺ: «إذا جلس أحدكم في مجلس لا يبرحن منه حتى يقول» الحديث[2].

نعم، الأَوْلى أن يأتي بالذكر المذكور عند إرادة القيام.

وقوله: (ذلك) للإشارة إلى المجلس الذي كثر فيه لغطه، ثم صرح بمقول القول، وهو: (سبحانك)؛ أي: أنزهك عما لا يليق بجلال عظمتك من جميع شوائب النقائص؛ من الشريك والصاحبة والولد، وجميع الرذائل، وما لا يليق بعزة جلالك، وبهاء جمالك، (اللهم)؛ أي: يا ألله، فالميم عوض عن ياء النداء على المشهور، (وبحمدك)؛ أي: أنزهك وأنا متلبسٌ بحمدك.

فـ (سبحان): اسم مصدر من قولك: سبحت الله تسبيحًا؛ أي: نزهته

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٥٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٧٠) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٦٤)، وعزاه لابن أبي الدنيا، ولم نقف عليه في المطبوع من كتبه، ورواه الديلمي في «الفردوس» (١١٧٧)، قال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١/ ٢٣١): ضعيف جدًا.

من النقائص، وما لا يليق بجلاله، وهو منصوب بفعل مقدر لا يجوز إظهاره، ولا يستعمل إلا مضافًا، وقد جاء غيرَ مضاف في الضرورة، وتقدم.

وأما الواو في: (وبحمدك)، فقال المازني: المعنى: سبحانك اللهم بجميع آلائك، وبحمدك سبحانك؛ أي: وبنعمتك التي هي نعمة توجب عليَّ حمدًا سبحتُك، لا بحولي وقوتي.

وسئل أبو العباس ثعلب[1] عن قوله: (وبحمدك) [فقال: أراد سبحتك بحمدك][2]، قال أبو عمرو: كأنه يذهب إلى أن الواو صلة، وتقدم.

(أشهد)؛ أي: أُقر بلساني، وأعتقد بجناني **(أن لا إله)** معبود بحق **(إلا أنت)** يا ألله، **(أستغفرك)**؛ أي: أطلب منك غفرانَ ذنوبي، ومغفرة غيوبي، وستر عيوبي. والمغفرة: إلباسُ الله العفوَ للمذنبين، فالسين في قوله: (أستغفرك) للطلب، **(وأتوب)**؛ أي: أرجع من إباقي وارتكابي للذنوب والمعاصي، ومن شقاقي **(إليك)** يا مولاي، وفي الحديث: «التوبةُ من الذنب أن لا تعود إليه أبدًا»، رواه ابن مردويه، والبيهقي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا[3].

---

(١) الإمام النحوي اللغوي أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني مولاهم، إمام الكوفيين في النحو واللغة والثقة والديانة، رأى أحد عشر خليفة، أولهم المأمون، وآخرهم المكتفي، وثقل سمعه قبل موته. توفي سنة (٢٩١هـ). انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (٨/ ١٥٧).

(٢) ما بين معكوفين من «المطلع على ألفاظ المقنع» للبعلي (ص: ٨٩ ـ مكتبة السوادي).

(٣) لم نقف عليه عند ابن مردويه، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٣٦) =

وفي حديث أُبَيّ عند ابن مردويه وابن أبي حاتم مرفوعًا: «التوبة النصوحُ: الندم على الذنب حين يفرط منك، فتستغفر الله، ثم لا تعود إليه»[1].

فالتوبة أصلُ كل مقام، ومفتاح كل حال، فمن لا توبةَ له لا مقام له ولا حال، وهي لغةً: الرجوعُ من شيء إلى آخر، يقال: تاب، وثاب ـ بالمثلثة ـ، وآب، وأناب: رجع.

والتوبة اصطلاحًا: الرجوع عن الذنب؛ بأن يُقلع عنه، ويندم عليه، ويعزم على أن لا يعود إليه، ـ وسيأتي الكلام على التوبة في فضلها من كتاب العلم إن شاء الله تعالى ـ، فما من مسلم يقول الذكرَ المذكور عند قيامه من مجلسه الذي كثر لغطُه فيه **(إلا غُفِر)** ـ بضم الغين المعجمة وكسر الفاء، مبنيًا لما لم يسم فاعله ـ؛ أي: غفر الله له؛ أي: للقائل الذكر المذكور **(ما كان)**؛ أي: ما وجد **(في مجلسه ذلك)**؛ أي: الذي كثر فيه لغطه من صغائر ذنوبه مما لا يترتب عليه حقّ آدمي من حد ونحوه.

(رواه) أبو عيسى **(الترمذي، وقال: حديث حسن غريب صحيح)**، ورواه أبو داود، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم[2].

= مرفوعًا، و(٧٠٣٧) موقوفًا، وقال: رفعه ضعيف. ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٤٤٦) بنحوه.

(١) لم نقف عليه عندهما، وعزاه لهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٧) وقال: سنده ضعيف، ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ١٨١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٥٧)، وفي إسنادهما عبدالله بن محمد العدوي، قال ابن عدي: قال وكيع: كان يضع الحديث.

(٢) رواه أبو داود (٤٨٥٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠١٥٧ ـ ط الرسالة)، =

وروى أبو داود من حديث أبي برزة ـ واسمه نضلة بن عبيد الأسلمي ﷺ ـ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِأَخرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى، فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»(١).

وروى النسائي، وابن أبي الدنيا، والحاكم، والبيهقي من حديث أم المؤمنين عائشة الصدِّيقة ﷺ قالت: إن رسول الله ﷺ كان إذا جلس مجلسًا أو صلى تكلم بكلمات، فسألته عائشة ﷺ عن الكلمات، فقال: «إن تكلم بخير، كان طابعًا عليهن إلى يوم القيامة، أو تكلم بشر، كان كفارة له: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»(٢).

وعن جُبير بن مُطعِم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فقالها في مجلس ذكر، كان كالطابع يطبع عليه، ومن قالها في مجلس لغو، كان كفارة له»، رواه النسائي، والطبراني، ورجالهما

= وابن حبان في «صحيحه» (٥٩٤)، والحاكم (١٩٦٩) وقال: هذا الإسناد صحيح على شرط مسلم، إلا أن البخاري قد علله بحديث وهيب عن موسى بن عقبة، عن سهيل، عن أبيه، عن كعب الأحبار من قوله، فالله أعلم.

(١) رواه أبو داود (٤٨٥٩).

(٢) رواه النسائي (١٣٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢٩)، وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٦٤)، وعزاه لابن أبي الدنيا، ولم نقف عليه في المطبوع من كتبه.

رجال الصحيح، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم[1].

ورواه ابن أبي الدنيا، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «إذا جلس أحدكم في مجلس لا يبرحن منه حتى يقول ثلاثَ مرات: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، اغفرْ لي وتبْ علي، فإن كان أتى خيرًا، كان كالطابع عليه، وإن كان مجلس لغو، كان كفارة لما كان في ذلك المجلس»[2].

وروى النسائي والحاكم وصححه من حديث رافع بن خَديج ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ بأَخَرَةٍ إذا اجتمع عليه أصحابه، فأراد أن ينهض، قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، عَمِلتُ سوءًا وظلمتُ نفسي، فاغفرْ لي، إنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت»، قال: قلْنا: يا رسول الله! إن هذه كلمات أحدثتهن! قال: «أجل، جاءني جبريل فقال: يا محمد! هن كفارات المجلس»[3].

ورواه الطبراني في معاجمه الثلاثة باختصار بإسناد جيد[4].

قوله: (بِأَخَرَةٍ) بفتح الهمزة والخاء المعجمة جميعًا غير ممدود؛ أي: آخر أمره.

وروى أبو داود وابنُ حبان في «صحيحه» عن عبدالله بنِ عمرِو بن

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٧٢).

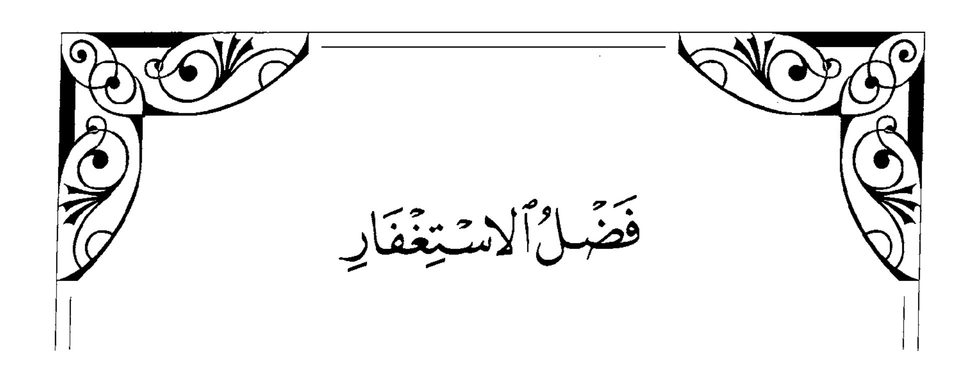
(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٤٤٥)، و«الأوسط» (٤٤٦٧)، و«الصغير» (١/ ٣٧٠).

العاص رضي الله عنهما: أنه قال: كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلس حق أو مجلس باطل عند قيامه ثلاثَ مرات إلا كفّر بهن عنه، ولا يقولهن في مجلس خير أو مجلس ذكر إلا ختم الله له بهن كما يختم بالخاتم على الصحيفة: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك[1]. والله الموفق.

❒❒❒

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٥٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٩٣).



فَضْلُ ٱلاسْتِغْفَارِ

أي: هذا بابه.

والاستغفار: الدعاء بطلب المغفرة، والمغفرة هي: وقاية شر الذنوب مع سترها، وقد كثر في القرآن ذكرُ الاستغفار، فتارة يأمر به؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾[المزمل: ٢٠]، وقوله: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾[هود: ٣].

وتارة يمدح أهله؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: ١٣٥].

وكثيرًا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلب والجوارح.

وتارة يفرد الاستغفار ويرتب عليه المغفرة، كما ذكر في الحديث القدسي: «ابنَ آدم! لو بلغتْ ذنوبُك عَنانَ السماء ثم استغفرتني، غفرتُ

لك»[1]، وما أشبهه.

فالاستغفار: طلب المغفرة والدعاء بها، فيكون حُكمه حكمَ سائر الدعاء لله، فإن شاء الله أجابه، وغفر لصاحبه، ولا سيما إذا خرج من قلب منكسر بالذنب، أو صادف ساعة من ساعات الإجابة؛ كالأسحار وأدبار الصلوات.

ويروى عن لقمان: أنه قال لابنه: يا بني! عود لسانك: اللهم اغفرْ لي؛ فإن لله ساعات لا يردّ فيها سائلًا[2].

وقال الحسن البصري: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم أين ما كنتم؛ فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة[3].

وذكر الحافظ المصنف ـ روَّح الله روحه ـ في هذا الباب تسعة أحاديث.

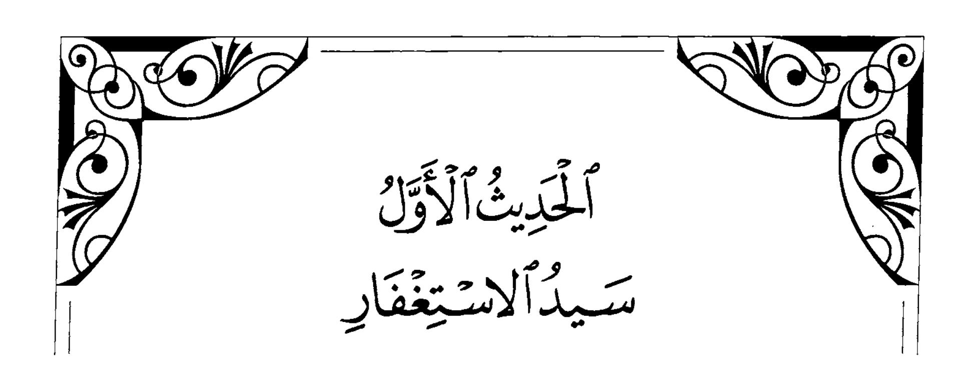
* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٠) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١/ ٤٠٨).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١/ ٢٧٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٦).



الحديث الأول
سيد الاستغفار

وبدأ به لكونه سيدَ صيغ الاستغفار، والسيدُ مقدمٌ معنًى، فقدمه حسًّا ووضعًا، وهو:

١٢٠ ـ عن شَدّادِ بنِ أَوسٍ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَإِنْ قَالَهَا بَعْدَ ما يُمْسِي فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ، دَخَلَ الجَنَّةَ، وَإِنْ قَالَهَا بَعْدَ مَا يُصْبِح مِنْ يَوْمِهِ، دَخَلَ الجَنَّةَ». أخرجه البخاري بمعناه[1].

(عن) أبي يَعْلَى (شَدّادِ) بفتح الشين المعجمة، فدالين مهملتين الأولى مشددة بينهما ألف (ابنِ أوسٍ) ـ بفتح الهمزة[2] فواو ساكنة فسين مهملة ـ ابنِ ثابتِ بنِ المنذرِ بنِ حَرامِ بنِ عمرِو بن زيدِ مناةَ بنِ عديِّ بنِ

(١) رواه البخاري (٦٣٠٦).

(٢) في الأصل: «بضم الهمزة»، والصواب المثبت. انظر: «تاج العروس» للزبيدي (مادة: أوس).

عمرِو بنِ مالكِ بنِ النجّار الأنصاريِّ، وهو ابن أخي حسانَ بنِ ثابتٍ شاعرِ النبي ﷺ. يقال: إنه شهد بدرًا، ولا يصحّ، نزل بيت المقدس، وعِدادُه في أهل الشام.

روى عنه: ابنه يعلى، ومحمود بن الربيع، وضمرة بن حبيب، مات بالشام سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين، وقيل: مات سنة إحدى وأربعين، وقيل: أربع وستين.

قال عُبادة بنُ الصامت، وأبو الدرداء رضي الله عنهما: كان شداد بنُ أوس رضي الله عنه ممن أُوتي العلم والحلم[1].

روي عنه: أنه لما دنت وفاة رسول الله ﷺ، قام ثم جلس، ثم قام ثم جلس، فقال له رسول الله ﷺ: «يا شداد! ما سبب فعلك؟» فقال: يا رسول الله! ضاقت بي الأرض ـ يعني: أني إذا تذكرتُ وفاتك، تضيق بي الأرض ـ فقال له النبي ﷺ: «إن الشام ستفتح، وبيت المقدس سيفتح إن شاء الله، وتكون أنت وولدك من بعدك»[2]؛ أي: بها إن شاء الله تعالى، فكان كما أخبر ﷺ.

وكان ذا عبادة واجتهاد، وقبره ظاهر بيت المقدس بباب الرحمة تحت

---

(١) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٢/ ٦٩٤)، و«جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٥٠٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢/ ٣٩٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧١٦٢)، وفي إسناده: محمد بن عبد الرحمن من ولد شداد عن أبيه، قال أبو حاتم: حديث منكر، محمد بن عبد الرحمن وأبوه لا يعرفان. وعند الطبراني: محمد بن عبد الرحمن بن شداد بن محمد بن شداد، قال: سمعت أبي يذكر عن أبيه، عن جده، عن شداد بن أوس: أنه كان عند رسول الله ﷺ، الحديث.

سور المسجد الأقصى، يزار ويُتبرك به ﷺ.

روى شدادُ بنُ أوس (ﷺ عن النبي ﷺ قال: **سيدُ الاستغفار**)، قال الطيبي: لما كان هذا الدعاء جامعًا لمعاني التوبة، استُعير له اسم السيد. انتهى[1].

فإن السيد يطلق على من ساد قومه، يقال: ساد قومه يسودهم سيادة وسؤددًا، أو سيدودة، فهو سيدهم، وهم سادة.

قال الراغب: والسيد: المتولي للسواد؛ أي: للجماعة، ولما كان من شرط المتولي للجماعة أن يكون مهذب النفس، قيل لكل من كان فاضلًا في نفسه: سيد، وعلى ذلك قوله تعالى في يحيى عليه السلام: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[آل عمران: ٣٩][2].

قال ابن الأثير في «النهاية»: يطلق السيد على الرب، والمالك، والشريف، والفاضل، والزعيم، والكريم، والحليم الذي لا يستفزه الغضب، ومتحمل الأذى من قومه، والزوج، والرئيس، والمقدم.

وورد في حديث: «كل ابن آدم سيد، فالرجلُ سيدُ أهل بيته، والمرأة سيدةُ أهل بيتها»[3].

---

(١) انظر: «شرح المشكاة» للطيبي (٦/ ١٨٤٤).

(٢) انظر: «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني (ص: ٤٣٢ ـ دار القلم).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٤١٨، ٤١٧)، والحديث رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٨٨)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٢٠٤)، والديلمي في «الفردوس» (٤٧٨١)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وفي الحديث الثابت الذي رواه أبو داود في «سننه» عن بريدة رضي الله عنه مرفوعًا: «لا تقولوا للمنافق: سيدنا، فإن كان سيدكم وهو منافق، فحالُكم دون حاله، والله لا يرضى لكم ذلك»[1].

واللائق من هذه المعاني بهذا الدعاء تسمية سيد الاستغفار: الفاضل؛ فإن الفاضل سيدُ المفضول.

وفي «المطلع»: السيد: هو الذي يفوق في الخير قومه[2]، ويرتفع عليهم بالسيادة، فعلى هذا سمي هذا الدعاء: سيدَ الاستغفار؛ لأنه فاق سائر صيغ الاستغفار في الفضيلة، وارتفع عليها بمزيد الثواب.

قال الجلال السيوطي: قال الطيبي: لما كان هذا الدعاء جامعًا لمعاني التوبة، استُعير له السيد. انتهى[3].

ووجهُ أفضليةِ هذا الدعاء على غيره من صيغ الاستغفار: أنه بدأ فيه بالثناء على الله بعدَ تصديره بـ (اللهم) التي هي بمعنى (يا ألله) التي معناها: أدعو الله، ثم أتى بتاء الخطاب للحليم التواب؛ استشعارًا بشدة القرب والحضور، واستغراقًا في مقام المشاهدة، ثم اعترف بأنه مفعول مربوب مخلوق للربِّ الفاعلِ دون غيره، ثم اعترف بأنه لا إله معبود بحق إلا هو

---

(١) كذا أورده ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٤١٨)، ولم نقف عليه بهذا اللفظ، ورواه أبو داود (٤٩٧٧) بنحوه.

(٢) انظر: «المطلع» للبعلي (ص: ٢).

(٣) انظر: «شرح المشكاة» للطيبي (٦/ ١٨٤٤)، و«قوت المغتذي» للسيوطي (٢/ ٨٣٧).

سبحانه، فأتى بما يُشعر بتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، ثم اعترف بالعبودية الخالصة له سبحانه، وأنه مقيم على ذلك بحسب طوقه واستطاعته؛ لأنه أعجزُ وأقلُّ وأضعفُ من أن يؤدِّيَ الربوبيةَ حقَّها، ويقومَ بما لها من سائر الواجبات، مع الاعتراف بالعبودية الخالصة له سبحانه، وأنه مقيم على الوعد، ثابتٌ على العهد؛ من الإيمان به وبكتبه، وجميع أنبيائه ورسله، ثم استدرك على نفسه أنه إنما هو مقيم على ذلك بحسب طوقه واستطاعته، لا بحسب ما يجب لربه ومعبوده، ثم استعاذ به تعالى من شر صنعه من التقصير بالقيام بكل ما يجب عليه من شكر الإنعام، وارتكاب الآثام، اعترف بترادف نِعم مولاه، وبما يقترفه من المعاصي وارتكاب هواه، ثم سأله ـ سبحانه وتعالى ـ مغفرة ذلك كلِّه من التقصير بشكر النِّعَم، واقتراف الذنوب والنِّقَم، معترفًا بأنه لا يغفر ذلك سواه، ولا ينجي من غَيِّها إلا إياه، ففي ضمن ذلك من جمل الثناء ما يليق بجميل أوصافه تعالى، والإقرار بآلائه وألطافه؛ من عدم المعاجلة بالعقوبة، ومن إيصال الرزق إلى العبد مع ارتكابه لما نهى عنه، وحفظه من الآفات من شياطين الإنس والجن ما يبهر العقول.

وفي «طبقات الحافظ ابن رجب»: أن بعض أصحاب الحافظ أبي موسى عبدالله بن الحافظ عبد الغني المقدسي ـ رحمهم الله تعالى ـ رآه في المنام، فسأله الرائي أن يوصيه، يعني بما يُنجيه من عذاب الله تعالى، فقال له: أوصيك بالدعاء الذي حفظتك إياه، فاحفظْه، فقال له: ما بقيت أحفظه، فقال: هو مكتوب في الورقة التي كتبتها لك، فما نفعني الله إلا به. وكان الدعاء: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك»،

الحديث[1]. انتهى[2].

في بعض روايات هذا الحديث: «أن يقول ـ أي: الداعي الطالبُ من مولاه علام الغيوب مغفرةَ الآثام والذنوب ـ: اللهم...» إلخ[3].

لا خلاف أن معنى (اللهم): يا ألله، ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني.

قال سيبويه: الميم المشددة عوض من حرف النداء[4].

ولذا لا يُجوّز البصريون الجمعَ بينهما إلا في ضرورة الشعر؛ كقول الشاعر:

إنــــي إذا مـــا حَـــدَثٌ أَلَمَّـــا

أَقـــولُ يـــا اللهـــمَّ يـــا اللهُمَّـــا[5]

(١) أي: حديث شداد الذي نحن في شرحه.

(٢) انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٣/ ٣٩٨).

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤١٦).

(٤) انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٢٥).

(٥) من الرجز، وقد نسبه في صدر الدين البصري في «الحماسة البصرية» (٢/ ٤٣١) لأبي خراش الهذلي، وقال البغدادي في «خزانة الأدب» (٢/ ٢٥٨): هذا البيت من الأبيات المتداولة في كتب العربية ولا يعرف قائله ولا بقيته، وزعم العيني أنه لأبي خراش الهذلي، قال: وقبله، وهذا خطأ؛ فإن هذا البيت الذي زعم أنه قبله بيت مفرد لا قرين له، وليس هو لأبي خراش، وإنما هو لأمية بن أبي الصلت قاله عند موته، وقد أخذه أبو خراش وضمه إلى بيت آخر، وكان يقولهما وهو يسعى بين الصفا والمروة، وقد تمثل به النبي ﷺ، وصار من جملة الأحاديث، =

قال ابن مالك في «ألفيته»:

والأكثرُ اللهمَّ بالتعويضِ

وشذَّ يا اللَّهُمَّ في قَريضِ[1]

قال المحقق ابن القيم في «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام»: ويسمى ما كان من هذا الضرب: عوضًا؛ إذ هو في غير محل المحذوف، فإن كان في محله، سمي: بدلًا؛ كالألف في قام وباع؛ فإنها بدل عن الواو والياء، ولا يجوز عنده أن يوصف هذا الاسم أيضًا، فلا يقال: يا اللهم الرحيم ارحمني، ولا يبدل منه، والضمة التي على الهاء ضمةُ الاسم المنادَى المفرد، وفتحت الميم لسكونها وسكون الميم التي قبلها، وهذا من خصائص اسم الجلالة، كما اختص بالتاء في القسم، وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف، وبقطع همزة وصله في النداء، وتفخيم لامه وجوبًا غير مسبوقة بحرف إطباق، وهذا كله ملخص مذهب الخليل وسيبويه.

وقال الكوفيون: الميم في (اللهم) عوض عن جملة محذوفة، والتقدير: يا ألله أُمّنا بخير؛ أي: اقصدنا، ثم حذف الجار والمجرور، وحذف المفعول، فبقي في التقدير: يا ألله أمّ، ثم حذفوا الهمزة؛ لكثرة دوران هذا الاسم في الدعاء على ألسنتهم، فبقي يا اللهم، وهذا قول الفراء، وصاحب هذا القول يجوّز دخول: (يا) عليه، ويحتج بقول الشاعر:

= أورده السيوطي في «جامعه الصغير» ورواه عن الترمذي في «تفسيره»، وعن الحاكم في الإيمان والتوبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما. انتهى بتصرف.

(١) انظر: «ألفية ابن مالك» (ص: ٣٨).

ومـــا عليـــك أن تقـــولي كلَّمـــا

صـــليتِ أو سَـــبَّحْتِ: يـــا اللهـــمَّ مـــا

أُرْدُدْ علينـــا شـــيخَنا مُـــسَلَّما

[مـــن أينمـــا وكيفمـــا وحيثمـــا][1]

وبالبيت المتقدم، وغيرهما.

ورد ابن القيم هذا القول بوجوهٍ جَمَّة.

وقيل: زيدت الميم للتعظيم والتفخيم؛ كزيادتها في: زرقم، لشديد الزرقة، فإذا قال الداعي: اللهم إني أسألك، كأنه قال: أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى بأسمائه كلها، ولهذا قال الحسن: (اللهمَّ) مجمعُ الدعاء[2].

وقال أبو رجاء العطاردي[3]: إن الميم في قوله: (اللهم) فيها تسعة

---

(١) قال البطليوسي في «الحلل في شرح أبيات الجمل» (ص: ١١٧): هذا الرجز لا أعلم قائله، وزاد فيه الكوفيون:

فإننـــا مـــن خيـــره لـــن نعـــدما

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٤١٧).

(٣) أبو رجاء عمران بن ملحان العطاردي، وقد اختلف في اسم أبيه، أدرك الجاهلية، ولم ير النبي ﷺ، ولم يسمع منه، قال أبو عمر: كان فيه غفلة، وكانت له عبادة، وعمر أزيد من مئة وعشرين عامًا. توفي سنة (١٠٥هـ)، وقد اجتمع في جنازته الحسن البصري والفرزدق. انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١٢٠٩).

وتسعون اسمًا من أسمائه تعالى[1].

وقال النضر بن شميل: من قال: (اللهمَّ)، فقد دعا الله بجميع أسمائه[2].

وقد وجه هذا القولَ طائفة بأن الميم هنا بمنزلة الواو الدالة على الجمع من مخرجها، فكأن الداعي بها يقول: يا أللهُ الذي اجتمعت له الأسماء الحسنى والصفات العلى، قالوا: ولذلك شُدِّدت؛ لتكون عوضًا عن علامَتَي الجمع، وهما: الواو والنون في (مسلمون) ونحوِه[3].

ولكن المذهب المنصور ما ذهب إليه الخليل وسيبويه، ومن وافقهما من البصريين. والله أعلم.

* تنبيهات:

الأول: قد تحذف (أل) من (اللهم)؛ كقوله:

لاهُمَّ إنْ كنتَ قبلتَ حجتي[4]

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٢) بلفظ: الميم في قوله: (اللهم) تجمع سبعين اسمًا من أسمائه ﷻ مالك الملك.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٤١٧).

(٣) انظر: «جلاء الأفهام» لابن قيم الجوزية (ص: ١٤٣ ـ ١٥٤)، وقد جاءت بعض الكلمات مطموسة في الأصل المخطوط، وأمكن استجلاؤها من الكتاب إلا ما قد تصرف به الشارح، فقد بذلنا جهدنا في تصحيحه، وننصح بالعودة إلى الكتاب الذي تم الاقتباس منه، ففيه تفصيل مفيد، والله الموفق.

(٤) كذا في الأصل، وهو من الرجز، ولم نقف على قائله، وعند الدينوري في «الشعر والشعراء» (ص: ١١)، وثعلب في «مجالسه» (ص: ٢٨)، والقالي في «الأمالي» (٢/ ٨٠): =

وهو كثير في كلامهم؛ كقوله:

لاهُــــمَّ لـــولا أنــــتَ مـــا اهتــــدينا

ولا تــــــــــصدَّقنا ولا صَـــــــــلَّينا[1]

الثاني: قال في «النهاية»: تستعمل (اللهم) على ثلاثة أنحاء:

أحدها: النداء المحض.

الثاني: أن يذكرها المجيب تمكينًا للجواب في نفس السامع؛ كأن يقول لك القائل: أزيدٌ قائم؟ فتقول: اللهم نعم، أو اللهم لا.

الثالث: أن تستعمل دليلًا على الندرة وقلةِ وقوع المذكور؛ كقول القائل: أنا أزورك اللهم إذا لم تدعني. ألا ترى أن الزيارة مقروناً بعدم الدعاية قليل. انتهى[2].

(أنت) ضمير خطاب منفصل مبني، والضمير أَعرفُ المعارف بعد اسم الجلالة، **(ربي)** لا غيرُك، واستُفيد الحصر من تعريف الطرفين، والربُّ من أسمائه تعالى، ولا يطلق على غيره إلا مضافًا؛ كقوله تعالى: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ

= لاهــمَّ إن كنــت قبلــت حجــتج فــلا يــزال شــاحج يأتيــك بــج

(١) من الرجز، وقد نسب هذا البيت لعامر بن الأكوع ﷺ كما في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤/ ٣٠٣)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤/ ٢٠٥٥)، ونسب لعبدالله بن رواحة كما في «فضائل الصحابة» للنسائي (ص: ٤٤)، و«معجم الصحابة» لابن قانع (٢/ ١٢٨).

(٢) لم نقف على هذا النص في «النهاية»، وقد نسبه لها المرادي في «توضيح المقاصد» (١/ ١٠٧٠)، والأشموني في «شرح ألفية ابن مالك» (٣/ ٣١).

رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ﴾ [يوسف: ٥٠].

قال في «المطالع»: أصل الربِّ: المالكُ، ومنه: ربُّ العالمين، وهو القائمُ بأمورهم، المصلحُ لهم، ومنه قول ابن عباس رضي الله عنهما: لأَنْ يَرُبَّنِي بنو عمي ـ بضم الراء ـ أحبُّ إليَّ من أن يربني غيرهم؛ أي: يملكني ويدبر أمري، ويصير وَالِيًا عليَّ[1].

(لا إله) معبود بحق في الوجود **(إلا أنت)** يا ألله؛ لأن كل معبود سواه باطل، وكل مألوه غيره تعالى عاطل، والإلـه كـ (فِعال) بمعنى: مألوه، وكل متخَذٍ معبوداً له عند مُتَّخِذِه، قال تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]، والتأله: التعبد، يقال: أَلِه ـ كفَرِح ـ: إذا تحير، وسمي به المعبود بحق؛ لأن الخلق تحيروا في كنه ذاته سبحانه وتعالى، وكف عنان اللسان عن الكلام في اشتقاقه واشتقاق الاسم الكريم الذي هو الجلالة، أليقُ بالأدب.

*** تنبيه:**

في قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت» إشعارٌ بتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية؛ لأن قول: (اللهم أنت ربي)، أي: لا غيرك، فليس لي ربٌّ ولا خالقٌ سواك، وهذا توحيد الربوبية، وقوله: (لا إله إلا أنت) توحيدُ الإلهية؛ أي: ليس لي معبود ولا مألوه إلا أنت، ولذلك أعقب ذلك بقوله:

(خلقتني) إشارة إلى توحيد الربوبية؛ أي: أنت الذي خلقتني لا غيرك،

---

(١) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٣/ ١٠٥)، والحديث رواه البخاري (٤٦٦٦).

فليس لي خالق سواك، ولا لي ربّ إلا أنت.

وقوله: **(وأنا عبدك)**؛ أي: أنت معبودي وإلهي، فليس لي معبود ولا إله إلا أنت وحدَك؛ إشارة إلى توحيد الإلهية، والتوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات من كونه تعالى حيًّا، موجودًا، عالمًا بجميع المعلومات، متكلمًا، سميعًا، قادرًا، مريدًا. . . إلى آخر ما ورد في الكتاب العزيز والسنة الغراء من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وفي الحديث دليل على ثبوت الصفات بطريق الالتزام؛ لأن الإله المعبود بحق لا يكونِ إلا كاملًا حيًّا قادرًا، والمتعطل عن الصفات الكمالية في غاية النقص؛ إذ هو بالجمادات أليقُ، تعالى الله وتنزه عن كل نقص وعيب.

الثاني: توحيد الربوبية، وهو أن يعلم ويعتقد أن لا خالق إلا الله، وليس لِلْعالَمِ صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد بحق لا ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام، وطائفة من الصوفية.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية ـ قدس الله روحه ـ في «شرح العقيدة الأصفهانية»: وهذا ـ يعني: توحيد الربوبية ـ لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم؛ فإنه لا يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال: للعالم صانعان متماثلان في الصفات والأفعال، فالثنويةُ من المجوس، والمانوية القائلون بالأصلين: النور، والظلمة، وأن العالَم صدَرَ عنهما، متفقون على أن النور خيرٌ من الظلمة، وهو الإلهُ المحمودُ عندهم، وأن الظُّلمة شريرة مذمومة، وهم متنازعون في الظلمة، هل هي قديمة أم محدثة؟ فلم يسووا

بين ربين متماثلين مع أنهم كفار ضلال، ولا اعتبار لما يبدونه، وكذا النصارى القائلون بالتثليث؛ فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثةَ أرباب ينفصل بعضُهم عن بعض، بل هم متفقون على أن صانع العالم واحد، مع أن قولهم في التثليث قولٌ متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول أفسدُ منه[1].

الثالث: توحيد الإلهية، وهذا هو المقصود الأعظم، وهو قطب فَلَك التوحيد، وهو الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، بل إنما خلق الله الخلق لهذا التوحيد بشاهد قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومشركو العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية؛ فإنهم لم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله تعالى في خلق العَالَم، بل كان حالهم كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم، يعتقدون أنها تماثيلُ قومٍ صالحين من الأنبياء ونحوهم يتخذونهم شفعاء، يتوسلون بهم إلى الله، وهذا كان أصل شرك العرب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: أن عَمْرَو بنَ لُحَي بن قمعةَ بن خِندف هو أولُ من غير دينَ إبراهيم عليه السلام، ونصبَ الأنصاب حولَ البيت، وسَيَّبَ السوائبَ، وأخبر النبيُّ ﷺ: أنه رآه يجرُّ قُصْبَه ـ أي: أمعاءه ـ في النار[2].

وكان عَمْرٌو هذا قدمَ البلقاءَ من الشام، فوجدهم يعبدون الأصنام،

---

(١) وانظر: «الجواب الصحيح» لابن تيمية (١/ ٣٥١)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ٨٠ ـ ط دار السلام).

(٢) رواه البخاري (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦/ ٥٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ويقولون: إنهم يطلبون بهم الرزق والنصر، فجاء بالأصنام إلى مكة، فكان ذلك أولَ الشرك الذي غير به دينَ إبراهيم عليه السلام، وفي القرآن العظيم: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا، عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، فلما طال عليهم الأمد، عبدوهم من دون الله تعالى[1]، مع أن محض العبودية خالصُ حَقِّهِ عز وجل على عباده.

وفي الحديث الصحيح: أنه ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «أتدري ما حق الله على عباده؟» قال: قلتُ: الله ورسولُه أعلم، قال: «حَقُّه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟» قال معاذ: قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «أن لا يعذبهم بالنار»[2].

قال المحقق ابن القيم: أشرفُ صفات العبد صفةُ العبودية، وأجلُّ

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٢/ ١٩٠)، وروى البخاري (٤٩٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودٌّ كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف، عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلمُ عُبِدت».

(٢) رواه البخاري (٥٩٦٧).

أسماء العبد إلى الله اسمُ العبودية، كما ثبت على النبي ﷺ أنه قال: «أحبُّ الأسماء إلى الله عبدُالله، وعبدُ الرحمن»[1].

وقال في كتابه «الكلم الطيب والعمل الصالح»: مدارُ العبودية على قاعدتين هما أصلها: حبٌّ كامل، وذلٌّ تامٌّ، ومنشأ هذين الأصلين مشاهدةُ المنة التي تورث المحبة، ومطالعةُ عيوب النفس والعمل التي تورث الذلَّ التام[2]. والله أعلم.

(**وأنا على عهدك ووعدك**) العهدُ غيرُ الوعد، ويكون العهد بمعنى اليمين، والأمان، والذمة، والحفظ والرعاية، والوصية.

ونقل أبو طالب عن الإمام أحمد رضي الله عنه قال: العهد شديد، ذكر في عشرةِ مواضعَ من كتاب الله[3]، ويتقرَّب إلى الله إذا حلف بالعهد بكل ما استطاع، ويكفِّر إذا حنث بأكثر من كفارة يمين[4].

---

(١) انظر: «روضة المحبين» لابن قيم الجوزية (ص: ٥٣)، والحديث رواه أبو داود (٤٩٤٩)، والترمذي (٢٨٣٣) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٣٧٢٨)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص: ١٥)، وهو الاسم الآخر لهذا الكتاب.

(٣) الواقع أن العهد ومشتقاته قد ذكر في القرآن الكريم أكثر من (٣٥) مرة.

(٤) قال أبو علي الهاشمي في «الإرشاد إلى سبيل الرشاد» (ص: ٤١٢): وليس على من وكَّد اليمين بالله تعالى يكررها في شيء واحد سوى كفارة واحدة، ومن حلف على أفعال أو أشياء مختلفة، إذا حنث في بعضها فكفر ثم حنث في باقيها، فعليه كفارة أخرى، فإن حلف بأيمان تختلف موجباتها في الكفارات ثم حنث فيها، =

وفي «المغني»: قوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[النحل: ٩١]؛ أي: في العهود والمواثيق؛ لقوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

قال: والعهد يجب الوفاء به بغير خلاف، فمع اليمين أولى[1].

وقال ابن الجوزي: العهد الذي يجب الوفاء به: الذي يحسُن فعلُه، والوعدُ من العهد.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: ٣٤]: عَامٌّ فيما بينه وبين ربه وبين الناس.

وقال الزجاج: كلُّ ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد. انتهى كلام ابن الجوزي[2].

وكأنه قال في هذا الدعاء: وأنا على عهدك من امتثال ما أمرتني به واجتناب ما نهيتني عنه، ولا يبعد إرادة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[الأعراف: ١٧٢]، وكان أَخْذُ هذا الميثاق من الملك الخلاق على خلقه في عَالَمِ الذَّر بأرض نَعْمَان الأراك من جبل عرفات؛ فقد روى الإمام الحافظ ابن الجوزي في كتابه: «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ

= لزمه في كل يمين يحنث فيها كفارتها.

(١) انظر: «المغني» لابن قدامة (٩/ ٣٩٠).

(٢) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٤٨٤، ٥/ ٣٦).

مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ ـ يَعْنِي: عَرَفَةَ ـ، فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾»[1]، ورواه الإمام أحمد في «المسند»[2].

فهذا الحديث دل على أن عرفات أولُ وطنِ النفوس بعد الجنة، ولهذا نتوق إلى تلك المعاهد بسبب ذلك العهد، ولذا أقول في قصيدة أذكر شوقي إلى تلك المعاهد والربوع، وأحِنُّ إليها من فرط القلق والولوع، وأذكر أن سبب الولَه والتوقان، أخذ العهد والميثاق بنَعْمَان، وأولها:

قلبي إلى أرض الحجاز يهيمُ
وعلى هُيامي شاهدٌ وزعيمُ
أما الشهيدُ فَعَبرتي وتَأَوُّهِي
ونحولُ جسمي والفؤادُ كليمُ
وزعيمُ أشواقي إلى تلك الحمى
عهدٌ بنعمان الأراكِ قديمُ
تِلْكَ المَعَاهِدُ وَالربُوعُ مَعًا هُدَى
فيها اللِّوى والسفحُ والتنعيمُ[3]

وقد روي: أن الله تعالى لما أخذ العهد على الذرية، كتب كتابًا عليهم،

---

(١) رواه ابن الجوزي في «مثير العزم الساكن» (١/ ١٠١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٧٢).

(٣) من الكامل. واللِّوَى: ما التَوى من الرمل. وكان قريب من مكة المكرمة.

وألقمه الحجَرَ الأسودَ، فهو يشهدُ للمؤمن بالوفاء، وعلى الكافر بالجحود.

وقال الحافظ ابن الجوزي: وهذا مروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال ابن الجوزي: قال العلماء: ولهذا يقولُ لامِسُهُ: إيمانًا بك، ووفاءً بعهدك. انتهى[1].

والوعد يستعمل في الخير والشر، يقال: وعدته خيرًا، ووعدته شرًّا، فإن أسقطوا الخير والشر، قالوا في الخير: الوعد والعِدة، وفي الشر: الإيعاد والوعيد، وقد أوعده يوعده؛ كما في «النهاية»[2].

وفي «القاموس»: وعده الأمر وبه، يَعِدُه عِدَةً ووعدًا، ومَوعِدًا وموعدة، وموعودًا وموعودة، وخيرًا وشرًّا، فإذا أُسقطا، قيل في الخير: وَعَد، وفي الشر: أوْعَدَ، وقالوا: أوعد الخير، وبالشرّ، والميعادُ: وقته، والوعيد: التهديد، والتوعُّد: التهدُّد؛ كالإيعاد، والاتعاد: قبول العِدَة، وأصله الاوتعاد، قلبوا الواو تاء، وأدغموها في تاء الافتعال، وناس يقولون: ائْتعد يأتعد، فهو مؤتعد ـ بالهمز ـ[3].

وفي الخبر: يا من إذا وعد وفى، وإذا أوعد عفا[4].

---

(١) انظر: «مثير العزم» لابن الجوزي (ص: ٢٢١).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٢٠٦).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: وعد).

(٤) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢٠٢٩) عن محمد بن القاسم من قول أحد الأعراب.

وقال الشاعر:

وَإِنِّـــــي وَإِنْ أَوْعَدْتُـــــهُ أَوْ وَعَدْتُـــــهُ
لَمُخْلِــفُ إِيعَــادِي وَمُنْجِــزُ مَوْعِــدِي[1]

والمراد من الحديث: وأنا على وعدك مقيم، لا أحول ولا أزول، أفعل المأمور، وأجتنب المحظور **(ما استطعتُ)**؛ أي: مدة استطاعتي، وإن كان قد جرى القضاء أن أنقُضَ العهد يومًا، فإني أخلُدُ عند ذلك إلى التنصل والاعتذار لعدم الاستطاعة في دفع القضاء والأقدار كما في «النهاية»[2].

وقال غيره: معناه: أني متمسك بما عهدتَه إلي من أمرك ونهيك، ومبدي العذر في الوفاء به قدَر الوسع والطاقة، وإن كنتُ لا أقدر أن أبلغ كنهَ الواجب فيه.

والاستطاعة: القدرةُ على الشيء، وقيل: هي استفعال من الطاعة؛ كما في «النهاية»[3].

وفي «القاموس»: استطاع: أطاق، ويقال: اسطاع، يحذفون التاء استثقالًا لها مع الطاء، ويكرهون إدغام التاء فيها، فتحرك السين، وهي لا تحرك أبدًا، وقرأ حمزة ـ غير خلاد ـ: (فما اسْطَّاعوا) بالإدغام[4]، فجمع بين الساكنين، وبعض العرب يقول: استاع يستيع، وبعضهم يقول: أسطاع

---

(١) من الطويل، وهو للشاعر المخضرم عامر بن الطفيل. انظر: «ديوانه» (ص: ٩٤).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٢٤).

(٣) المرجع السابق (٣/ ١٤٢).

(٤) انظر: «الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه (١/ ٢٣٢).

يُسطيع[1]، يقول: بقطع الهمزة، بمعنى: أطاع يطيع، ويقال: تطاوع لهـذا الأمر حتى يستطيعه[2].

وعلى كلٍّ فالمرادُ: القيام بالعهد والوعد ما دام له طوق وقـدرة بحـسب طوقه وقدرته، وحوله وقدرته. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(أعوذ)؛ أي: ألتجئ وألوذ **(بك)** يا ألله، فالله تعـالى المـستعاذُ بـه؛ لأنه هو الذي يلاذ به، ويُلتجأ إليه، ويعتصَم به.

والمعنى: أعـوذ برحمتـك وعفوك ورضاك وسَعَـة مغفرتك **(من شرّ ما صنعتُ)**؛ أي: من شر صنعي، على أن (ما) موصول حرفي، أو من شر الذي صنعته على أنها موصول اسمي، وهذا يعني: شـر صـنعي المـستعاذ منه، ولما كان الصنع يشتمل على خير وشر، خص الاستعاذة من شر صنعه فقط؛ لأن الخير محبوب لله تعالى، وهو مأمور بفعله عهدًا وميثاقًا ووعدًا، وأما الشر، فإن العهد والميثاق مأخوذ على تركه واجتنابـه، علـى أنـه قلمـا سلم فعل ـ وإن كان خيرًا ـ من آفة، من نحو شوائبِ الرياء والعُجْـب، فتكـون الآفات مستعاذًا منها؛ لأنها من الشر.

والمراد: أعوذ بك من غِبِّ[3] شر ما صنعت وعقوبته، وعـدم العفـو عنه وغفرانه، ومن العود إلى مثله من سيئ الأعمال وقبيح الأفعال.

---

(١) في الأصل: «أستطاع يستطيع»، والمثبت من «القاموس».

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: طوع).

(٣) في هامش الأصل: «هو ما يكون يومًا ولا يكون يومًا آخـر، وغـبُّ كـل شـيء: عقبه. اهـ».

(أبوء)؛ أي: أرجعُ وأعترف (لك) طوعًا؛ أي: أرجع إلى الإقرار والاعتراف (بنعمتك عليّ)، يقال: باء إليه: رجع وانقطع، وبُؤتُ به إليه، أو مأخوذ من اللزوم؛ أي: ألزمتُ نفسي ذلك، واحتملته لك يا مولاي.

قال في «الفتح»: وأصل البوء: اللزوم، ومنه: أبوء لك بنعمتك؛ أي: أُلزمها نفسي، وأُقر بها.

ولفظ النعمة وإن كان مفردًا لكنه مفرد مضاف، فيعم كلَّ نعمة من الظاهرة والباطنة؛ من نعمة الإيمان، والوجود من العدم، والسمع والبصر، والمعرفة والفهم، والعلم والصحة والعافية، وغير ذلك من النعم اللاتي أنعم الله تعالى بها على عباده مما لو أُتي العبدُ عمرَ الدنيا، وقطعَ ذلك العمرَ في طاعة الله تعالى وعبادته، ولم يعصِه في لفظه ولا لحظه، ما أَدَّى شكرَ عُشر معشار نعمه سبحانه، بل لو أنفق كل عمره مضاعفًا إلى ما لا نهاية له من الأعمال، ما أدى شكر نعمة واحدة، كيف والشكرُ نعمةٌ يحتاج إلى مثلها من الشكر، فلا سبيل إلى تأدية شكر نعمة إلا بالاعتراف بالعجز والتقصير.

ومبنى الشكر على ثلاثة أركان: الاعتراف بالنعمة باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، وتصريفها في مرضاة وليها ومُسديها؛ فإذا فعل ذلك، فقد شكر، مع تقصيره في شكرها.

* **تنبيه**:

في قوله: (أبوء لك بنعمتك علي) اعترافٌ وإذعانٌ بعظيم نعمِ المنان، وترادفِ الإحسان لديه، وفي ضمن ذلك شكرُ المنعم سبحانه وتعالى، والتبري من كفران النعم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ

﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقد روى أبو داود والترمذي ـ وحَسَّنه ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ أُبْلِيَ بَلاءً فَذَكَرَهُ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ، فَقَدْ كَفَرَهُ»[1].

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «من لم يشكرِ القليل، لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس، لم يشكر الله عز وجل، والتحدثُ بنعمته جل جلاله شكر، وتركُها كفر، والجماعةُ رحمة، والفرقةُ عذاب»[2].

وروى الطبراني بسند حسن عن سَخْبَرَة رضي الله عنه ـ بمهملة فمعجمة فموحدة، وزن (مَسْلَمَة) ـ، رفعه: «من أُعطي فشكر، وابتُلي فصبر، وظَلم فاستغفر، وظُلم فغفر، أولئك لهم الأجرُ وهم مهتدون»[3].

وقال سليمان التيمي[4] ـ رحمه الله تعالى ـ: إن الله أنعم على عباده

---

(١) رواه أبو داود (٤٨١٤) واللفظ له، والترمذي (٢٠٣٤) بلفظ: «من أعطي عطاءً فوجد فليُجز به، ومن لم يجد فليُثْن، فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر، ومن تحلَّى بما لم يعطه كان كلابس ثوبي زور».

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٧٥).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٦١٣).

(٤) شيخ الإسلام أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي، البصري، نزل في بني تيم فقيل: التيمي، من العباد المجتهدين، كثير الحديث، قال شعبة: ما رأيت أحدًا أصدق من سليمان التيمي، كان إذا حدث عن النبي ﷺ تغيَّر لونه. توفي سنة (١٤٣هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٦/ ١٩٥).

بقدر طاعتهم، وكلَّفهم الشكرَ بقدر طاقتهم، فكل شكر وإن قلَّ، ثمنٌ لكل نوالٍ وإن جَلَّ[1].

فإذا لم يشكر المرء على النعمة، فقد عرضها للزوال، ووسمها بسمة الإضلال.

وفي كلام بعضهم: إن حقًّا على من لعب بنعم الله ﷻ أن يسلبه إياها.

وقد قيل: الشكر قيدٌ للنعم الموجودة، وصيدٌ للنعم المفقودة.

* **فائدة:**

اختلف الناس هل لله تعالى على الكافر من نعمة أو لا؟

والجواب كما في كتاب المحقق ابن القيم «الجيوش الإسلامية»: إن نعم الله تعالى وإن كثرت أنواعها، وتعدد أفرادها، وتباينت حقائقها، من حيث هي نعمتان: نعمة مطلقة، ونعمة مقيدة، فالمطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد، وهي نعمة الإسلام والسنة، وهي التي أمرنا الله تعالى أن نسأله في صلاتنا أن يهدينا صراط أهلها، ومن خصهم بها وجعلهم من أهل الرفيق الأعلى؛ حيث يقول سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء: ٦٩]، فهؤلاء أهل النعمة المطلقة، فهي مختصة بالمؤمنين.

فإذا قيل: ليس لله على الكافرين نعمة بهذا الاعتبار، فهو صحيح.

وأما النعمة الثانية المقيدة؛ كنعمة السمع والبصر، والصحة والغنى

---

(١) انظر: «بهجة المجالس» لابن عبد البر (ق١/ ٢/ ٣١٦).

والعافية، وبسط الجاه وكثرة الولد، والزوجة الحسنة، ونحو ذلك، فهذه مشتركة بين البَرِّ والفاجر، والمؤمن والكافر.

فإذا قيل: لله تعالى على الكافر نعمة بهذا الاعتبار، فهو حق[1]، فلا يصح إطلاق السلب ولا الإيجاب، والله أعلم بالصواب.

(وأبوء)؛ أي: أرجعُ على نفسي بالإقرار والاعتراف، وأُلزمها الاعترافَ (بذنبي)؛ أي: إثمي، فالذنب هو الإثم، والجمع ذنوب، وجمع الجمع: ذنوبات.

قال في «لسان العرب»: الذنب: الإثم والجرم والمعصية، انتهى[2].

وإنما سمي ذنبًا لتوقع المؤاخَذَة عليه؛ لترتبها على فعله، ويشمل فعل كل محظور، وترك كل واجب.

والحاصل: أنه اعترف بكل ذنب من تقصير في أداء واجب، أو فعل محظور من موبقات الذنوب؛ كالزنا، وأكل الربا، وقتل النفس، والسحر، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، ومن فِعْلِ كل كبيرة وصغيرة من الذنوب المترتبِ عليها الذمّ والحُوب[3]، من الملك الجبار علامِ الغيوب، إلا أن يعفو الله ﷻ، أو يتوب العبد، فيتوب الله عليه.

---

(١) انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن قيم الجوزية (٢/ ٣٣).

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (مادة: ذنب).

(٣) حاب حوبًا من باب (قال): إذا اكتسب الإثم، والاسم الحُوب بالضم، وقيل: المضموم والمفتوح لغتان، فالضم لغة الحجاز، والفتح لغة تميم، والحَوبة بالفتح: الخطيئة. انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: حوب).

(فاغفر لي) يا غفورُ ذنوبي؛ فإن لفظ الذنب وإن كان مفردًا في الدعاء، يعمُّ كل ذنب؛ لأنه مضاف لياء المتكلم، والغفران والمغفرة والتكفير متقاربة المعاني، فالغفران والمغفرة مأخوذان من الغَفْر، وهو الستر، فكأنها تستر الذنوب، أو وقاية شرها مع سترها، ولهذا يسمى ما ستر الرأس ووقاه في الحرب: مِغْفَرًا، فلا يسمى كلُّ ساتر للرأس مغفرًا، بل لا بد أن يكون يقيه شرَّ ما يقع عليه من السلاح ونحوه، والتكفير من هذا الجنس؛ لأن أصل الكفر: الستر والتغطية.

وفرق بعضُ المتأخرين بين المغفرة والتكفير؛ بأن التكفير يمحو أثر الذنوب حتى كأنه لم يكن، والمغفرة تتضمن مع ذلك إفضالِ الله تعالى على العبد وإكرامه.

ونظر فيه الحافظ ابن رجب ثم قال: وقد يفسر بأن مغفرة الذنب بالأعمال الصالحة تقلبها حسنات، وتكفيرها بالمكفرات تمحوها فقط.

ثم نظر فيه ـ أيضًا ـ قال: لأنه قد صح أن الذنوب المعاقَبَ عليها بدخول النار تُبَدَّل حسنات، فالمكفَّرة بعمل صالح تكون كفارةً لها أولى.

قال: ويحتمل معنيين آخرين:

أحدهما: أن المغفرة لا تحصل إلا مع عدم العقوبة والمؤاخذة؛ لأنها وقاية شر الذنب بالكلية، والتكفير قد يقع بعد العقوبة؛ فإن المصائب الدنيوية كلها مكفِّرات للخطايا، وهي عقوبات، وكذلك العفو يقع مع العقوبة وبدونها، وكذلك الرحمة.

والثاني: أن الكفارات من الأعمال التي جعلها الله لمحو الذنوب

المكفرة بها، ويكون ذلك هو ثوابها، ليس لها ثواب غيره، والغالب عليها أن تكون من جنس مخالفة هوى النفوس، وتجشم المشاقّ؛ كاجتناب الكبائر الذي جعله الله كفارة للصغائر، وأما الأعمال التي تغفر بها الذنوب، فهي ما عدا ذلك، ويجتمع فيها المغفرة والثواب عليها؛ كالذكر الذي تُكتب به الحسنات، وتمحى به السيئات، وعلى هذا الوجه فيفرق بين الكفارات من الأعمال وغيرها. وأما تكفير الذنوب ومغفرتها إذا أُضيف ذلك إلى الله ﷻ؛ كغفر الله ذنبه، وكفر سيئته، فلا فرق بينهما، وعلى الوجه الأول يكون بينهما فرق أيضًا[1]. والله أعلم.

(فإنه)؛ أي: الشأن والأمر **(لا يغفر الذنوبَ)**؛ أي: يقي شرها، ويستر ضرها **(إلا أنت)** وحدَك لا شريك لك، والاعترافُ يمحو الاقتراف، وفيه الإقرار بالوحدانية، واستجلاب المغفرة، فهو كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: ١٣٥]، فأثنى على المستغفرين، وفي ضمن ثنائه عليهم بالاستغفار، تلويحٌ بالأمر به، كما قيل: إن كل شيء أثنى الله على فاعله، فهو آمرٌ به، وكل شيء ذم فاعله، فهو ناهٍ عنه، كما في «الفتح»[2].

ولما كان العبد لا ينفكُّ عن نعمة يشكرُ عليها مولاه، أو مصيبة يصبر عليها امتثالًا لأمر الله، ورضاءً بقضائه، أو معصية يستغفر الله تعالى عليها،

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٧٦).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٣٢٠).

ويتوب إليه منها، فيكون إذا أنعم الله عليه شكر، وإذا ابتلاه صبر، وإذا أذنب اعترف بذنبه واستغفر، اعترف في هذا الدعاء بالذنب، وطلب من مولاه غفرانه؛ لأنه لا يغفر الذنوب إلا هو سبحانه، بعد اعترافه بالنعم المترادفة عليه، والمنن المتواصلة إليه، ففي ضمن الاعتراف بالذنوب بعدَ الاعتراف بالنعم، اعترافٌ بالتقصير في الشكر، كما أشرنا إليه سابقًا.

ولما كان العبد المبتلَى بالشهوة والغفلة والغضب، وكان الشيطان مسلَّطًا على الإنسان في هذه الدار، وله عليه أعوانٌ من نفسه وغيرها، كان لا بد وأن ينال منه؛ لأن دخوله عليه من هذه الأبواب سهل، ولو احترز العبد؛ إذ لابد له من غفلة، ومن شهوة، ومن غضب، والنفس تطلب وتتمنى.

وقد كان آدمُ أبو البشر ـ عليه السلام ـ من أحكم الخلق وأرجحهم عقلًا، وأثبتهم قلبًا، ومع هذا، فلم يزل به عدوُّ الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه، فما الظنُّ بفراشة الحلم، ومَنْ عقلُه في جنب عقل أبيه كتفلةٍ في يَمّ؟! غير أن عدوّ الله لا يخلص إلى المؤمن إلا غِيلَةً، على غِرَّةٍ وغفلة، فيوقعه في الذنب، ويظن أنه لا يستقيل ربه بعدها، وأن تلك الوقعة قد اجتاحته وأهلكته، وعفو الله ومغفرته وراء ذلك، فإذا أراد الله سبحانه بعبده خيرًا، فتح له من باب التوبة والاستغفار، والندم والانكسار، والذل والافتقار، ما دام التضرع به والابتهال والدعاء والسؤال، ما تكون تلك السيئة سببًا لرحمته، حتى يقول عدو الله: يا ليتني تركتُه ولم أُوقعْه فيها، وهذا معنى قول بعض السلف: إن العبد ليعملُ الذنبَ يدخلُ به الجنة، ويعمل الحسنةَ يدخل بها النار، قالوا: كيف ذاك؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصبَ عينيه خائفًا منه، مشفقًا وجلًا باكيًا، نادمًا مستحيًا من ربه، ناكسَ الرأس بين يديه، منكسر القلب، فيكون

ذلك الذنبُ أنفعَ له من طاعات كثيرة، لما نزلت عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحُه، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة. ويفعل الحسنة، فلا يزال يمنُّ بها على ربه، ويتكبر بها، ويرى نفسَه، ويعجب بها، ويستطيل بها، ويقول: فعلت وفعلت، فتورثه من العُجْب والكِبْر والفخر والاستطالة، ما يكون سببَ هلاكه، فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيرًا، ابتلاه بأمر يكسر به قلبه، ويذلُّ به نفسه، وينكسُ به رأسه، ويخضع به عنقه. وإن أراد الله تعالى غير ذلك، خلاه وعُجبه وكبره، وهذا هو الخذلانُ الموجِبُ لهلاكه. والله المستعان.

فقد أجمع أهلُ المعرفة: أن الخذلان: أن يُخَلَّى العبد وما هو عليه من العُجب، وتحسين القبيح. وأن التوفيق: أن لا يكل الله العبدَ إلى نفسه، فمن وكله الله إلى نفسه، فقد خذله[1]. والله المستعان.

قال شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهرويُّ الأنصاريُّ الحنبليّ[2] صاحبُ «منازل السائرين»: العارفُ يسير إلى الله تعالى بين مشاهدة المِنَّةِ، ومطالعة عيبِ النفس والعمل[3].

---

(١) الكثير من أفكار وألفاظ هذا البحث اقتباس من كتاب «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٣).

(٢) الإمام القدوة الحافظ الكبير أبو إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي الهروي، الحنبلي، الصوفي، من ذرية أبي أيوب الأنصاري ﷺ، كان بارعًا في اللغة، حافظًا للحديث، آية في لسان التذكير والتصوف، يروي في مجالس وعظه الأحاديث بالإسناد. توفي سنة (٤٨١هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٥٠٣).

(٣) انظر: «منازل السائرين» (ص: ١٤).

قال المحقق ابنُ القيم: فالعارف يسير إلى الله تعالى بين هذين الجناحين، لا يمكنه أن يسير إلا بهما، فمتى فاته واحد منهما، فهو كالطير الذي فقد أحدَ جناحيه.

قال: وهذا معنى قوله ﷺ في حديث سيد الاستغفار: «أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، فجمع في قوله: «أبوء لك بنعمتك علي» مشاهدةَ المنة.

وفي قوله: «وأبوء بذنبي» مطالعة عيب النفس والعمل، فمشاهدةُ المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لمُولي النعم والإحسان، ومطالعةُ عيب النفس والعمل يوجب له الذلَّ والانكسار والافتقار، والتوبة والاستغفار في كل وقت، وأن لا يرى نفسه إلا مفلسًا.

وأقربُ باب يدخل منه العبدُ على الله بابُ الذل والانكسار والإفلاس، فلا يرى لنفسه حالًا ولا مقامًا، ولا سببًا يتعلق به، ولا وسيلة منه يمنُّ بها، بل يدخل على الله من باب الافتقار الصِّرْف، والإفلاس المحض، دخولَ مَنْ كسر الفقرُ والمسكنةُ قلبه، حتى وصلت تلك الكسرة إلى سُوَيداء قلبه فانصدع، وشملته من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه، وفاقته وفقره إليه، وأن له في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقةً تامة، وضرورةً كاملة إلى ربه، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين، هلك، وخسر خسارة لا تنجبر، إلا أن يعود الله عليه، ويتداركه برحمته[1].

فمن بنى سلوكه وسيره إلى الله تعالى على هذين الأصلين ـ أعْني:

---

(١) انظر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١١).

مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل ـ لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغيلَة، وما أسرعَ ما ينعشه الله ويجبره ويتداركه ويرحمه، ولا سيما مع اعترافه باقترافه، وأنه لا يغفر ذلك إلا هو سبحانه وتعالى.

قال النبي ﷺ: (**فإن قالها**)؛ أي: الكلمات المذكورة (**بعدَما يُمسي**)؛ أي: يدخل في المساء، (**فمات**) القائلُ الكلماتِ المذكورةَ في هذا الدعاء المذكورِ (**من ليلته**) التي قال الكلماتِ في مسائها، (**دخل الجنةَ**) المعهودة؛ أي: جنة عدن التي أُعدت للمتقين، (**وإن قالها بعدَ ما يصبح**)؛ أي: يدخل في الصباح، وفي لفظ: «من قالها من النهار ـ أي: فيه ـ موقنًا بها»[1]؛ أي: مخلصًا من قلبه، مصدِّقًا بثوابها، (**فمات من يومه**) ذلك الذي ذكر الذكر المذكور في صباحه، أو في أي جزء من ذلك النهار، (**دخل الجنة**.

أخرجه) الإمام محمد بن إسماعيل (**البخاري بمعناه**) في «صحيحه».

وفي لفظ: «من قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»، أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، والبخاري[2]، وكذا أخرج هذا الحديثَ النسائي[3].

وأخرجه ـ أيضًا ـ الترمذي، وأول حديثه: أن النبي ﷺ قال له ـ أي: لشداد بن أوس ﷺ ـ : «ألا أدلك على سيد الاستغفار ـ وذكر الحديث ـ لا يقولها

---

(١) وهي رواية البخاري (٦٣٠٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٤)، والبخاري (٦٣٠٦).

(٣) رواه النسائي (٥٥٢٢).

أحدُكم حين يمسي، فيأتي عليه قدر قبل أن يصبح إلا وجبت له الجنة، ولا يقولها حين يصبح، فيأتي عليه قدر قبل أن يمسي إلا وجبت له الجنة»[1]، وذلك لأنه افتتح نهاره بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والاعتراف بالعبودية.

ومشاهدةُ المنة من أشدّ النعم وترادف المنن، ومطالعةُ عيب النفس والعمل، من مقارفة المعاصي واللمم، وطلب المغفرة من الغفّار، وقيامه على قدم الذل والانكسار، ووقوفه بباب المسكنة والافتقار، يطلب بأكف الضراعة والابتهال الإقالةَ والرجوع، ويسفك الدماء والدموع، ويستمنح العفو والصفح، ويرتجي الدخولَ في حيز السلم والصلح، فلا جرم مَنْ هذا حالُه وفعلُه وقالُه، جديرٌ بالعفو والغفران، وأن يُنعم عليه الكريم المنان، بدخول الجنان، ولاسيما بعد هذا التنصُّل، المترجِمِ عن الذل والخجل، والانكسار والوَجَل، لدى الجواد الكريم الذي لا تضره المعاصي، ولا تنفعه الطاعات، جل شأنه، وتعالى سلطانه.

وحاصل ما ذكر: أن من قال الدعاء المذكور من أول نهاره، فمات في ذلك اليوم، كان من أهل الجنة، ومن قاله من أول ليله، فمات في تلك الليلة، كان من أهل الجنة.

والمراد: أن يقوله صباحًا ومساء في طرفي النهار.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ عند الترمذي وأبي داود: أن أبا بكر الصدِّيقَ ﷺ قال: يا رسول الله! مُرْني بكلمات أقولهنَّ إذا أمسيتُ وإذا أصبحتُ؛ قال: «قل: اللهمَّ فاطرَ السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، ربَّ

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٩٣).

كل شيء ومليكه، أشهدُ أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشِرْكه»، قال: «قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك»[1].

وأخرج أبو داود من حديث بُريدةَ: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح أو حين يمسي: اللهم أنت ربي»، فذكر حديث سيدِ الاستغفار بحروفه، وفي آخره: «فمات من يومه، أو من ليلته، دخل الجنة»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: طرفي النهار: ما بين الفجر وطلوع الشمس، وما بين العصر والمغرب.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ـ٤٢]، والأصيل كما قال الجوهري: هو الوقتُ بعدَ العصر إلى المغرب، وجمعه أُصُل وآصال، وأصائل، كأنه جمعُ أصيلة، قال الشاعر:

لَعَمري لأَنتَ البيتُ أُكرِمُ أَهلَهُ
وَأَجلِسُ في أَفيائِهِ بِالأَصائِلِ[3]

ويجمع ـ أيضًا ـ على أُصلان؛ مثل: بَعير وبُعران، ثم صغروا الجمع، فقالوا: أُصَيلان، ثم أبدلوا النون لامًا فقالوا: أُصَيْلال، قال الشاعر:

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٩٢)، وأبو داود (٥٠٦٧).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٧٠).

(٣) من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي. انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ١٤١).

وَقَفْـــتُ فيهـــا أُصَـــيلاناً أُســـائِلُها
عَيَّـتْ جَوابًـا وَمـا بِـالرَّبعِ مِـن أَحَـدِ[1]

وروى أبو القاسم الأصبهاني وغيره من حديث حذيفةَ بنِ اليمـانِ ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليس منا من حلف بالأمانة، وليس منا من خان امرأً مسلمًا في أهله وخادمه، ومن قال حين يمسي ويصبح: اللهم إني أُشهدُك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحـدَك لا شـريك لـك، وأن محمدًا عبدُك ورسولك، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفرْ لي؛ إنه لا يغفر الذنوبَ غيرك، فإن قالها من يومه ذلك حين يصبح، فمات من يومه ذلك قبل أن يمسي، مات شهيدًا، وإن قالها حين يمسي، فمات من ليلتـه، مات شهيدًا»[2].

وروى الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ـ واللفظ له ـ من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ، ورواه ابن أبي عاصم من حديث معاذِ بنِ جبـل ﷺ قـال: قال أبو أمامة: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِـحُ ثَلاثَ مَـرَّاتٍ: اللَّهُـمَّ لَكَ الْحَمْدُ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّـي وَأَنَا عَبْدُكَ، آمَنْتُ بِكَ مُخْلِـصًا لَـكَ

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: أصل)، والبيت مـن البـسيط، وهـو للنابغـة الذبياني. انظر: «ديوانه» (ص: ١٤).

(٢) رواه الأصفهاني في «الترغيب والترهيـب» (٢٥٨) ـ قـال الألبـاني فـي «ضـعيف الترغيب والترهيب» (١/ ١٩٢): حديث منكر، إلا طرفه: «ليس منا مـن حلـف بالأمانة وليس منا من خان امرأً مسلمًا في أهله وخادمـه»، فهـو صـحيح، وانظـر بحث النوافل في الكتاب المذكور.

دِينِي، أَصْبَحْتُ عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ سَيِّئِ عَمَلِي، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِذُنُوبِي الَّتِي لا يَغْفِرُهَا إِلا أَنْتَ، فَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنْ قَالَ[1] حِينَ يُمْسِي ثَلاثَ مَرَّاتٍ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، آمَنْتُ بِكَ مُخْلِصًا لَكَ دِينِي، إِنِّي أَمْسَيْتُ عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ سَيِّئِ عَمَلِي، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِذُنُوبِي الَّتِي لا يَغْفِرُهَا إِلا أَنْتَ، فَمَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ».

قال: ثم كان رسول الله ﷺ يحلف ما لا يحلف على غيره يقول: «والله! ما قالها عبدٌ في يوم، فيموت في ذلك اليوم، إلا دخل الجنة، وإن قالها حين يمسي، فتوفي في تلك الليلة، دخل الجنة»[2].

ولفظ حديث معاذٍ رضي الله عنه: سمعَ النبيَّ ﷺ يحلف ثلاث مرات لا يستثني أنه: «ما من عبد يقول هؤلاء الكلمات بعدَ الصبح، فيموت من يومه، إلا دخل الجنة، وإن قالها حين يمسي، فمات من ليلته، دخل الجنة»، فذكره باختصار، إلا أنه قال: «أتوب إليك من سَيِّئِ عملي»[3]، وهو أقربُ من قوله: (من شر عملي)، ولعله تصحيف كما قاله الحافظ المنذري، رحمه الله تعالى[4].

---

(١) في الأصل: «قالها»، والتصويب من مصدري التخريج.

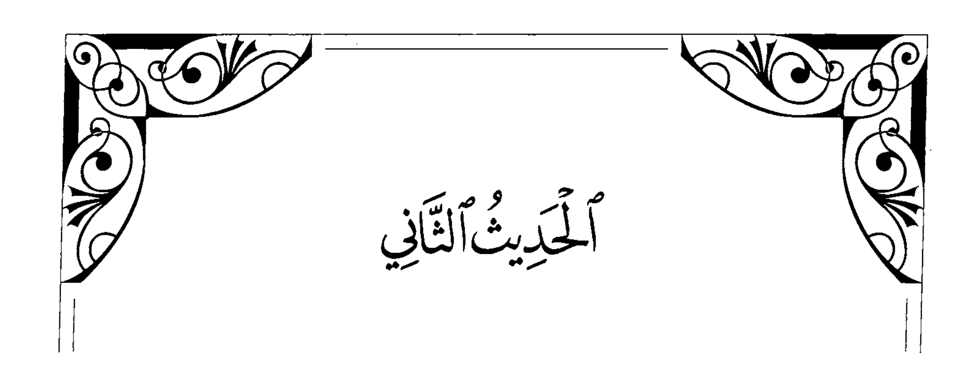
(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٠٢)، و«الأوسط» (٣٠٩٦).

(٣) لم نقف عليه عند ابن أبي عاصم، وعزاه له المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٦٠)، وابن الشيخ خليل في «بشارة المحبوب» (ص: ٩٣).

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٦٠).

وقد أفردتُ لشرح حديث سيدِ الاستغفار كتابًا سميته: «نتائج الأفكار لشرح حديث سيدِ الاستغفار»، ذكرت فيه ما لعله يشفي ويكفي، والله تعالى الموفق.

* * *



الْحَدِيثُ الثَّانِي

١٢١ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِئَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». رواه أبو داود، والنسائي، وابنُ ماجه، والترمذي وقال: حديث حسنٌ صحيح غريب[1].

(عن) أبي عبدِ الرحمنِ (عبدِالله بنِ) أميرِ المؤمنين (عمرَ) بنِ الخطاب ﷺ (قال: إِنْ) ـ بكسر الهمزة وسكون النون مخففة من الثقيلة ـ؛ أي: إن الشأن والأمر (كنا) معشرَ الصحابة (لنعدُّ في المجلس الواحد لرسول الله ﷺ مئة مرة من قبل أن يقوم) من مجلسه ذلك، ثم بين المعدود، وهو أن يقول ﷺ: (رَبِّ) منادى حذفت أداةُ النداء تخفيفًا، وحذفت ـ أيضًا ـ ياءُ الإضافة، والأصل: يا ربي (اغفر لي) تقدم الكلام على المغفرة في الحديث ـ سيد الاستغفار ـ قبل هذا، (وتب علي؛ إنك أنت التواب الغفور)، تقدم أن التوبة أصلُ كلِّ مقام، ومفتاحُ كل حال، فمن لا توبة له، لا مقام له ولا حال، وهي لغةً: الرجوعُ من شيء إلى آخر، يقال: تاب وثاب ـ بالمثلثة ـ،

---

(١) رواه أبو داود (١٥١٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢١٩ ـ ط الرسالة)، وابن ماجه (٣٨١٤)، والترمذي (٣٤٣٤).

وآب وأناب: رجع؛ والمراد بالتوبة: الرجوع عن الذنب، وهي في الاصطلاح: الرجوعُ عن الذنب؛ بأن يقلع عنه، ويندم عليه، ويعزم أن لا يعود لمثله؛ هذه التوبة الواجبة؛ أو المندوبة: الرجوع عن البطالات والمباحات إلى الطاعات، أو عن أدنى المندوبات إلى أرفعها في الدرجات.

وقال بعضهم: التوبة الواجبة: الرجوع عما كان مذمومًا في الشرع؛ من تركِ واجب، أو فعلِ محظور، إلى ما هو محمود شرعًا.

وأركانُ التوبة ثلاثة: الإقلاع، والندمُ على فعل تلك المعصية، والعزمُ على أن لا يعود إليها أبدًا.

واتفق أهل الحق على وجوب التوبة فورًا من كلِ معصية صغيرة أو كبيرة، وهي من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة، ووجوبُها عند أهل السنة بالشرع، وعند المعتزلة بالعقل، ونرجو من الله تعالى قبولَها كرمًا وفضلًا، ولا يجب على الله قبولها خلافًا للمعتزلة.

واستغفار النبي ﷺ وتوبته أولًا: لأجل التشريع والبيان لأمته، وثانيًا: لأنه دائمًا في الترقي، فإذا ارتقى من مقام إلى أعلى منه، استغفر الله تعالى وتاب من كونه كان في مقام أدنى من المقام الذي ترقى إليه، وهذا الحديث مثل ما يأتي في حديث الأغر المزني عند الإمام أحمد، ومسلم، وأبي داود، والنسائي: أنه ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢١١)، ومسلم (٢٧٠٢/ ٤١)، وأبو داود (١٥١٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٧٦).

قال العلماء: يغان ـ بغين معجمة ـ : من الغَيْن، وهو الغطاء والغيم، يقال: غُيِّنت السماءُ تغان: إذا أطبق عليها الغيم، وقيل: الغين: شجر ملتفّ.

أراد ﷺ ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر؛ لأن قلبه ﷺ أبدًا كان مشغولًا بالله تعالى، فإن عرض له وقتًا ما عارض بشري، أو ما يشغله من أمور الأمة والملة ومصالحهما، عدَّ ذلك ذنبًا وتقصيرًا، فيفزع إلى الاستغفار والتوبة.

وقال بعض المحققين من الصوفية: هذا غينُ أنوار لا غينُ أغيار، ولا حجاب ولا غفلة.

وأراد بالمئة: التكثيرَ.

وفي رواية: «حتى أَستغفر الله في اليوم سبعين مرة»[1].

وقد تكلم جماعة في شرح هذا الحديث، وأحجم جماعة تأدبًا مع المقام الرفيع المحمدي، الذي لا يبلغ كُنهَ حقيقته العارفون، ولا يصل إلى حقيقة كنهه العالمون، حتى إن أبا القاسم الجنيدَ[2] ـ قدس الله سره ـ سئل

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٥٩) من حديث أبي هريرة ﷺ، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٦٦) من حديث أنس ﷺ.

(٢) شيخ العارفين، وقدوة السالكين، وعلم الأولياء في زمانه أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد، النهاوندي، البغدادي، القواريري، الخزاز، سمع الكثير، وشاهد الصالحين وأهل المعرفة، ورزق الذكاء وصواب الرأي، لم ير في زمانه مثله في عفته وعزوفه عن الدنيا. توفي سنة (٢٩٨هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٦٦)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (١١/ ١٥٥).

عن معنى قول النبي ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأَستغفر الله في اليوم مئة مرة»، فسكت ساعة، ثم قال: لولا أنه حال النبي ﷺ، لتكلمتُ فيه، ولا يتكلم في حال إلا من كان مشرفًا عليها، وجَلَّ حالُ النبي ﷺ أن يشرف عليه أحدٌ من الخلق[1].

وقيل: كان حال النبي ﷺ مع ربه حالَ صفاء، فإذا ردَّ إلى حال الإبلاغ ومشاهدة الخلق، وجد إغانة في سره وقلبه، فيستغفر من ذلك.

وذكر بعض الصوفية: أن أبا بكر الصدِّيقَ ﷺ قال: ليتني شهدت ما استغفر منه رسولُ الله ﷺ[2].

فمتى يشرف أحدٌ على هذه الحال وأخصُّ الخلق به يتمنى أن يشرف على ذلك الحال وتلك الإغانة! وذلك حيث علم أن ذلك كان حال يختص هو ﷺ به دون غيره.

وقيل: إنه ﷺ أشرف على ما ترتكبه أمته من أنواع المخالفات، فشغل قلبه بذلك، وهي الإغانة، فيستغفر لهم.

وقيل: الإغانة: ما كان يتذكر من أيام الفترة قبل أن أوحي إليه، وكونه مع المخالفين، فيجد من ذلك إغانة، فيستغفر منه.

وقيل: الإغانة ما أشرنا إليه أولًا أن حال النبي ﷺ كان في كل ساعة أعلى وأرفع، فكان ينظر من الحال التي رفع إليها إلى الحال التي قبلها، فيستغفر منها.

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٨/ ٢٩٠).

(٢) رواه الرافعي في «أماليه» كما في «سبل الهدى والرشاد» للصالحى (٧/ ٦٣).

وقيل: إنه ﷺ كان في علم اليقين، فلما بدا له عين اليقين، وجد وحشته من الحالة الأولى، فلما بدا له حقّ اليقين، استوحش من الحالتين جميعًا، فوجد في قلبه إغانة عنها، وهذه من جنس ما قبلها، وهي حق وحقيقة.

وقيل غير ذلك، والله أعلم.

والحاصل: أن من تكلم من العلماء على هذه الإغانة لهم فيها منهجان:

أحدهما: حمل الغَيْن على حالة جميلة، ومَرتبةٍ عالية فضيلة يختص بها الأنبياء وكبارُ الأولياء، أو يختص بها الأنبياء فقط، أو النبي محمد ﷺ وحدَه، والمراد من استغفاره على هذا: خضوعُه، وإظهار حاجته إلى ربه، وملازمته للعبودية.

قال أبو سعيد الخراز[1] ـ فيما نقله عنه الرافعي[2] ـ الغين: شيء لا يجده إلا الأنبياء، وأكابرُ الأولياء؛ لصفاء أسرارهم، وهو الغيم الرقيق الذي لا يدوم.

والثاني: حمله على عارض من نحو ما ذكرناه آنفًا. والله الموفق.

(أخرجه)؛ أي: حديث ابن عمر رضي الله عنهما المشروح الإمامُ **(أبو داود)**

---

(١) الإمام الجليل أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز البغدادي، من أئمة القوم وجلة مشايخهم، أسند الحديث، قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، من كلامه: كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل. توفي سنة (٢٧٧هـ). انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (ص: ١٨٣).

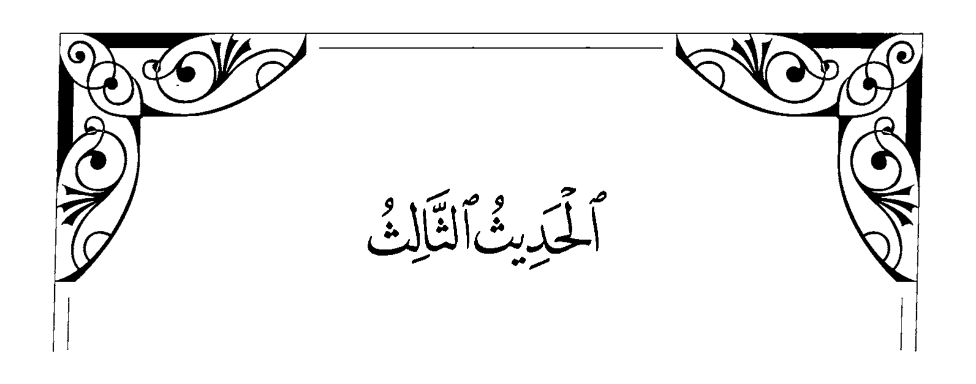
(٢) الإمام الفقيه أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني، الشافعي، عمدة المحققين، وأستاذ المصنفين، كان ورعًا، زاهدًا، تقيًّا، مراقبًا لله، له السيرة الرضية المرضية. توفي سنة (٦٢٣هـ). انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٨/ ٢٨١).

سليمانُ بنُ الأشعثِ السجستانيُّ، (والنسائي، وابن ماجه، والترمذي، وقال) أبو عيسى (الترمذي: حديث حسن صحيح غريب).

ورواه البخاري في «الأدب المفرد»، وابن أبي شيبة، وغيرهم[1].

* * *

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦١٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٤٤٣).



الحديث الثالث

١٢٢ ـ عن عبدِالله بنِ بسرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا». رواه ابن ماجه في «سننه»، والنسائي في «عمل يوم وليلة»(١).

(عن عبدِالله بنِ بُسْرٍ) السُّلَمِيِّ رضي الله عنه، تقدمت ترجمته في فضل الذكر، (قال: قال رسول الله ﷺ: طوبى).

قال في «النهاية»: طوبى اسم الجنة، وقيل: هي شجرة فيها، وأصلها فُعلى من الطيب، فلما ضمت الطاء انقلبت الياء واوًا، وقد تكررت في الحديث(٢).

وفي «حادي الأرواح» عن ابن وهب قال: حدثنا عمرو(٣) بن الحارث: أن دراجًا أبا السمح(٤) حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨١٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٥٥).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ١٤١).

(٣) في الأصل: «عمر»، والمثبت من «حادي الأرواح».

(٤) أبو السمح دراج بن سمعان ـ يقال: اسمه عبد الرحمن، ودراج لقب ـ القرشي، المصري، القاص، مولى عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال أحمد: حديثه =

قال: قال رجل: يا رسول الله! ما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»[1].

وقد رواه عنه حرملة بزيادة، وهي: أن رجلًا قال: يا رسول الله! طوبى لمن رآك وآمنَ بك، قال: «طوبى لمن رآني، وآمن بي، ثم طوبى، ثم طوبى، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني»، فقال رجل: يا رسول الله! وما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة، ثيابُ أهل الجنة تخرج من أكمامها»[2].

قال المحقق ابن القيم: وأولُ هذا الحديث في «المسند»، ولفظه: «طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني»، سبعَ مرات[3].

(لمن)؛ أي: لشخص من المسلمين **(وَجَدَ في صحيفته)**؛ أي: في صحيفة عمله يوم العرض على الله تعالى **(استغفارًا)**؛ أي: طلبَ المغفرةِ من الله؛ بأن وجد في صحيفة عمله لفظَ: أستغفرُ الله، أو اللهمَّ اغفرْ لي، ونحوها، **(كثيرًا)** فإنه يتلألأ في صحيفته نورًا؛ كما في خبر[4]، وليس شيء

= منكر، وقال ابن معين: ثقة، والنسائي: ليس بالقوي، وأبو حاتم والدارقطني: ضعيف. توفي سنة (١٢٦هـ). انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٨/ ٤٧٧).

(١) رواه ابن أبي داود في «البعث» (٦٨).

(٢) رواه ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص: ٤٦).

(٣) انظر: «حادي الأرواح» لابن قيم الجوزية (ص: ١٤٩)، والحديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٨).

(٤) روى الأصفهاني في «الترغيب والترهيب» (٢٢٠)، والديلمي في «الفردوس» (٤٢٩)، من حديث معاوية بن حيدة ﷺ مرفوعًا: «الاستغفار في الصحيفة نور يتلألأ».

أنجح منه، كما في خبر آخر[1].

(رواه ابن ماجه في سننه) بإسناد صحيح، والبيهقي[2]، **(والنسائي في «عمل يوم وليلة»)**.

ورواه أبو نعيم في «الحلية» من حديث عائشة ﵂[3].

ورواه الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي الدرداء موقوفًا[4].

قال النووي: وإسناد حديث عبدالله بن بسر جيد[5].

وروى البيهقي بإسناد لا بأس به عن البراء بن عازب ﵄ قال: «من أحبَّ أن تسره صحيفتُهُ، فليكثرْ من الاستغفار»[6].

* * *

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٠٥) من حديث أبي الدرداء ﵁ بلفظ: «إن استطعتم أن تستكثروا من الاستغفار؛ فافعلوا، فإنه ليس شيء أنجح عند الله تعالى ولا أحب إليه منه».

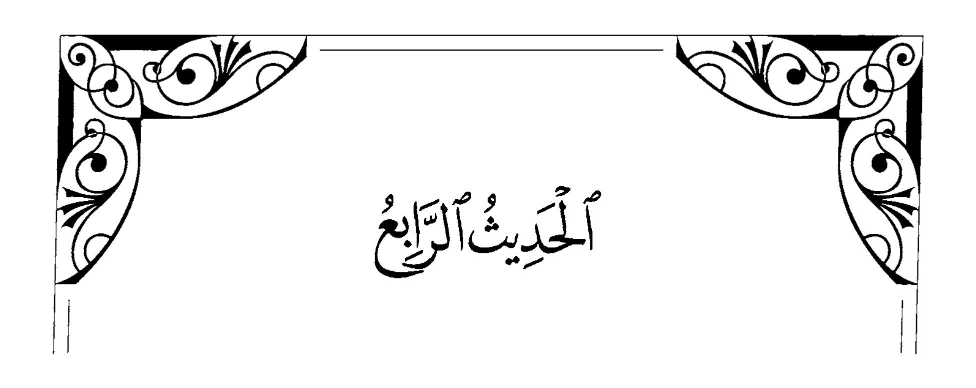
(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٤٧).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٩٥).

(٤) لم نقف عليه عند الإمام أحمد في «الزهد»، وعزاه له السيوطي في «الجامع الصغير». انظر: «فيض القدير» للمناوي (٤/ ٢٨٢) ورواه من حديثه الديلمي في «الفردوس» (١٧١٠).

(٥) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٣٢٣).

(٦) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٤٨) من حديث الزبير بن العوام ﵁.



الحديث الرابع

١٢٣ ـ عن عبدِالله بنِ عباسٍ ﭫ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ». رواه أبو داود، وابن ماجه[1].

(عن) أبي العباس **(عبدِالله بنِ عباسٍ ﭫ قال: قال رسول الله ﷺ: من)**؛ أي: أَيُّ شخصٍ مؤمنٍ من ذكرٍ وأنثى **(لزمَ الاستغفار)**؛ أي: داومَ وثابرَ على طلب مغفرة الذنوب من علام الغيوب، **(جعل الله)** ﷻ **(له)** بسبب ملازمته للاستغفار ومداومته عليه **(من كلِّ هَمٍّ)** من هموم الدنيا والآخرة.

والهم: هو توقُّعُ وقوعِ المكروه، أو فواتِ المحبوب.

قيل لأفلاطون الحكيم: ما الفرق بين الهمِّ والغمِّ؟ فقال: ما أنت تتوقعه من المكروه فهو هَمٌّ، وما نزل بك فهو غَمٌّ، فإن كان لفوات محبوب، فهو الحزن.

وقال بعضهم في الفرق بين الغضب والحزن ـ مع أنهما وقوع الشيء على خلاف هوى النفس ـ: فإذا أتاك ممن هو دونك، هاج عليك الغضب،

---

(١) رواه أبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩).

وإن أتاك ممن هو فوقك، هاج عليك الحزن.

وقال بعضهم: الهمُّ يُسَهِّر؛ لأنه توقعُ وقوعِ المكروه، والغمُّ يُنَوِّم.

وقوله: (فرجًا) هو مفعول ثانٍ لـ (جعل)، والمفعولُ الأول: الجار والمجرور السابق.

(و) جعل الله تعالى له (من كل ضيق) حِسِّيٍّ أو معنويٍّ (مخرجًا) يخرج منه، ووُسْعة وفُسْحة يتوسّع فيها، (ورزقه) سبحانه وتعالى رزقًا كافيًا (من حيثُ لا يحتسب)، ولا يطلبه من تلك الجهات، ودليل هذا في كتاب الله تعالى قوله: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢]، فمن لزم الاستغفار، انفرج همه، وزال غمه، وانفسح له في أمره، واتسع له في صدره، وساق الله تعالى له الرزق من أبواب كرمه، فأزال عنه الضيق والضنك من عميم حلمه.

(رواه)؛ أي: حديث ابن عباس رضي الله عنهما المشروح (أبو داود، وابن ماجه)، وكذا النسائي، والحاكم، والبيهقي، كلهم من رواية الحكم بن مصعب، وقال الحاكم: صحيح الإسناد[1].

قال الحافظ المنذري: الحكم بن مصعب: صويلحُ الحديث، لم يرو عنه غيرُ الوليد بن مسلم فيما أعلم، وذكره ابنُ حبان في «الثقات»، وفي

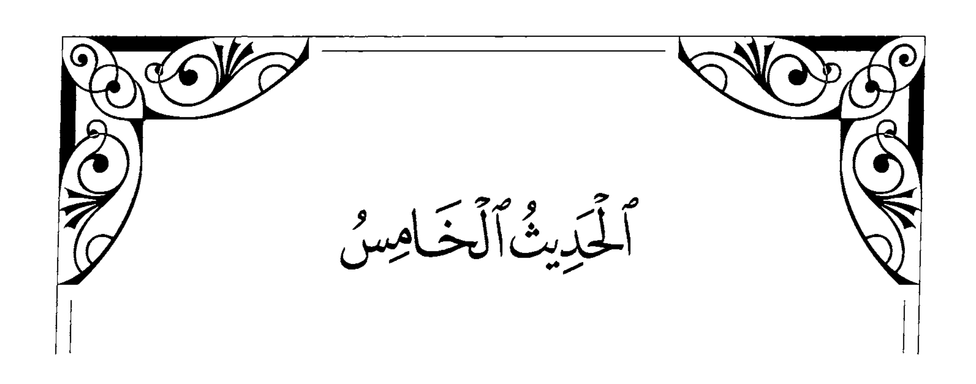
---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٥١).

«الضعفاء» ـ أيضًا ـ ، وقال: يخطئ. انتهى[1].

* * *

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٥٦٩ ـ دار إحياء التراث).



الحديث الخامس

١٢٤ ـ عن أبي بكر الصدِّيق ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً». رواه أبو داود، والترمذي[1].

(عن) خليفةِ رسولِ الله ﷺ (أبي بكرٍ الصدِّيق ﷺ)، وتأتي ترجمته في صدر الحديث الثامن من أحاديث الباب، (قال: قال رسول الله ﷺ: ما أصر) ـ بفتح الهمزة والصاد المهملة وتشديد الراء ـ: ما أقام على الذنب (مَن)؛ أي: الشخصُ الذي (استغفر) الله منه؛ أي: تاب توبة صحيحة، (وإن عاد في اليوم سبعين مرة) مبالغة في الكثرة؛ فإن رحمة الله تعالى لا نهاية لها، فذنوب العالم كلها متلاشية في جنب عفوه وَسَعة مغفرته.

(رواه أبو داود، والترمذي)، وقال أبو عيسى الترمذي: غريب، وليس إسناده بقوي.

وقد قال النبي ﷺ: «الندم توبة»، رواه ابن حبان في «صحيحه»، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد[2].

---

(١) رواه أبو داود (١٥١٤)، والترمذي (٣٥٥٩).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦١٢)، من حديث ابن مسعود ﷺ.

وعن عائشة ﵂، عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «ما علم الله من عبد ندامةً على ذنب إلا غفر له قبلَ أن يستغفر منه»، رواه الحاكم من رواية هشامِ ابنِ زياد ـ وهو ساقط ـ وقال: صحيح الإسناد[1].

وقد روى الحافظ أبو موسى محمدُ بنُ أبي بكرٍ المدينيُّ، وأبو يعلى الموصليُّ، من حديث أبي بكرٍ الصديق ﵁ مرفوعًا: «استكثروا من قول: لا إله إلا الله، والاستغفار؛ فإن الشيطان يقول: قد أهلكتهم بالذنوب وأهلكوني بقول: لا إله إلا الله، والاستغفار، فلما رأيت ذلك منهم، أهلكتهم بالأهواء حتى يحسبوا أنهم مهتدون، فلا يستغفرون»[2].

وروى سيدُنا الإمام أحمدُ بنُ حنبلٍ والحاكمُ من حديث أبي سعيد الخدري ﵁، عن النبي ﷺ قال: «قال إبليس: وعزَّتك! لا أزال أُغويهم ما دامت أرواحُهم في أجسادهم، فقال الله ﷿: وعزَّتي وجلالي! ولا أزال أغفرُ لهم ما استغفروني»[3].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٦٤٦). قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٧/ ٨٠): هشام بن زياد ضعفه أحمد وغيره، وقال النسائي: متروك، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات، وقال أبو داود: كان غير ثقة، وقال البخاري: يتكلمون فيه.

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (١٣٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٧): فيه عثمان بن مطر، وهو ضعيف.

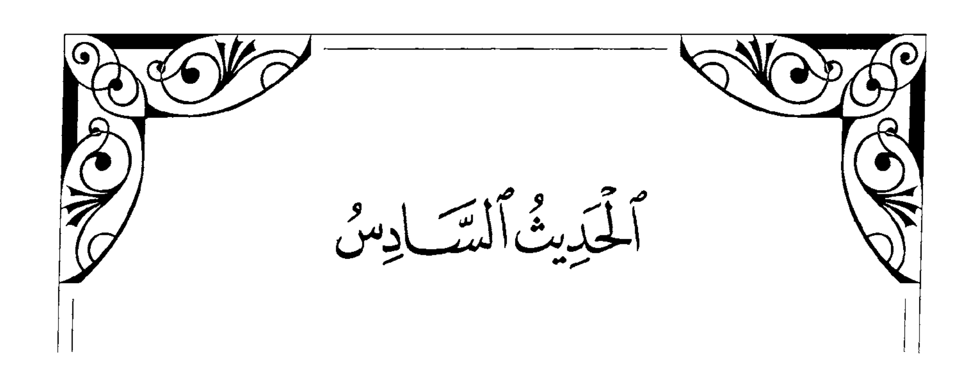
(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦٧٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٧): وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح.

وقال سيدنا أميرُ المؤمنين عليٌّ بنُ أبي طالب ﷺ: عجبت ممن يهلك ومعه النجاة، قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار[1].

* * *

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٢٠٧).



الحَدِيثُ السَّادِسُ

١٢٥ ـ عن الأغَرِّ المزني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ». رواه مسلم[1].

(**عن الأغَرّ المزني**) عِدادُ الأغر هذا في أهل الكوفة، وقيل: في أهل البصرة، روى عنه: ابنُ عمر، ومعاويةُ بنُ قرة المزني، وهو بفتح الهمزة وفتح الغين المعجمة وتشديد الراء ﷺ ـ، (**قال**) الأغرُّ المزني: (**قال رسول الله ﷺ: إنه**) ـ بكسر الهمزة وتشديد النون ـ؛ أي: الشأن والأمر (**ليغان**) اللامُ في جواب (إنَّ) للتأكيد، ويغان بغشاوة نورانية تمر (**على قلبي**)، فإذا انجلى ذلك عن القلب، استغفرتُ الله، ولذا قال: (**وإني لأستغفرُ الله**) تعالى (**في اليوم مئة مرة**)؛ بحسب تراكم الأنوار، أو بحسب خطرات الأغيار.

قال ابن عطاء: الغين كالنفَس في المرآة، لا دوام له، ولا يؤثر فيها أثرًا، وإنما هو لحظة، ثم يضمحلُّ.

---

(١) سبق للشارح أن ذكر هذا الحديث خلال شرحه للحديث رقم (١٢١)، وأطال في شرحه، وحشد الكثير من أقوال العلماء. والحديث رواه مسلم (٢٧٠٢/ ٤١).

وقد قيل: إن الإغانة كالسَّكِينة تنزل على قلب النبي ﷺ إذا أراد الله تعالى به رفقًا؛ فإن من صفته ﷺ أنه كان دائمَ الفكر، متواصلَ الأحزان، فإذا أراد الحقُّ به تخفيفًا، ضربَ على قلبه إغانة، فيكون رفقًا به مما هو فيه من الفكرة والأحزان، فسمي ذلك الرفق: سكينةً، وغيمًا.

فإذا وجد النبي ﷺ غيبة عن حاله التي هو بها[1] ثم عاد إلى حاله، استغفر من رفاهيته في وقته.

وقال بعضهم: بل هذه الإغانة قيامُه ﷺ بحظوظ نفسه من المأكل والمشرب، وقضاءِ حقوق أزواجه، وإن كان مباحًا؛ لبعده عن استغراق قلبه في أنوار الحقائق، فهي بالنسبة للاستغراق في الأنوار أغيار، فيستغفر الله تعالى منها.

وقيل: هذه الإغانة هي همه بسبب ما أطلعه الله عليه من أحوال أمته بعده؛ من قتل الحسين، وما جرى على والده، وما جرى على أهل بيته من بني أمية، وما جرى بين أمته من الحروب وسفك الدماء، وقتلِ بعضِهم بعضًا، فيهتم لذلك، مع أنه قضاء محتم، وقدر مبرم، فيستغفر الله تعالى من ذلك، ويستغفر لهم.

وقيل: الإغانة هي الغفلات والفترات عن الذكر، الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه، أو غفل، عَدَّ ذلك ذنبًا، فاستغفر منه، والعدد المذكور في الحديث عددٌ للاستغفار، لا للغين.

وتقدم في شرح حديث ابن عمر رضي الله عنهما ـ وهو ثاني أحاديث الباب ـ ما لعله

---

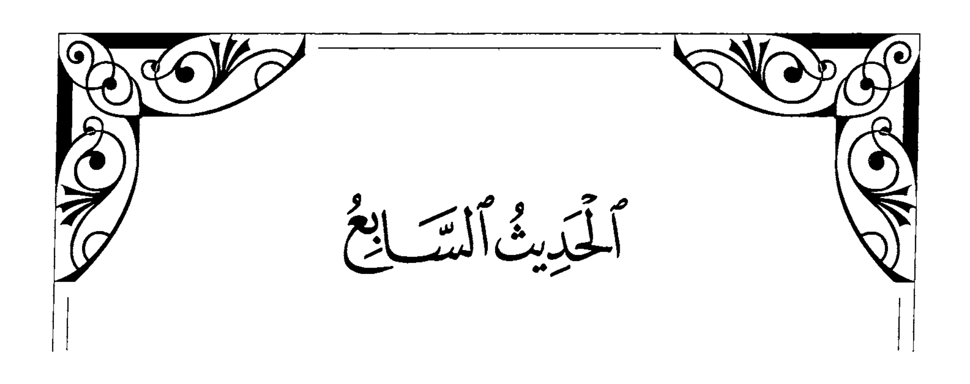
(١) في الأصل: «به»، والمثبت أنسب للسياق.

يشفي ويكفي. والله أعلم.

(رواه مسلم)، وكذا رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم[1]، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢١١)، وأبو داود (١٥١٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٧٦).



الحَدِيثُ السَّابِعُ

١٢٦ ـ عن زيدٍ مولى رسولِ الله ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ». رواه أبو داود، والترمذي وقال: غريب[1].

(عن زيدٍ مولى رسولِ الله ﷺ) هو أبو يَسارٍ ـ بفتح الياء المثناة تحت، وتخفيف السين المهملة ـ زيدٌ رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ، وليس هو زيدَ بنَ حارثة، والدَ أسامة رضي الله عنهما.

روى عن زيدٍ هذا ابنُه يسارٌ حديثه في الاستغفار هكذا، قال ابن الأثير في «جامع الأصول»: ولم يزد على ذلك شيئًا[2].

(أنه)؛ أي: زيدًا أبا يَسَار رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ: **(سمع النبيَّ ﷺ يقول: من قال)** من المسلمين: **(أستغفر الله)**؛ أي: أطلب مغفرته، فهو كقوله: اللهمَّ اغفرْ لي، **(الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ وأتوبُ إليه)**،

---

(١) رواه أبو داود (١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٧).

(٢) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ٣٨٩)، ولم نقف فيه على هذا القول.

وهذا هو التوبة، والمراد: الإقلاع بالقلب عن كل ذنب.

وهذا معنى قول بعض العارفين: من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته، فهو كاذب في استغفاره، فكيف وهذا قال في استغفاره: وأتوب إليه، فإن لم يكن تائبًا على الحقيقة فهو كاذب.

وكان الفُضيل بن عِياض[1] ـ قدس الله روحه ـ يقول: استغفار بلا إقلاع توبةُ الكذابين.

وقال بعض الحكماء: من قدم الاستغفار على الندم، كان مستهزئًا على الله تعالى وهو لا يعلم[2].

وصدق ـ رحمه الله ـ؛ فإن كثيرًا من العصاة يأتي بالاستغفار مع ارتكاب المعاصي والإصرار عليها، فيطلب الإقالة من شيء لا ينفكّ عنه، ولا يفارقه البتةَ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد كانت رابعةُ العدوية ـ قدس الله روحها ـ تقول: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير.

---

(١) الإمام القدوة الثبت أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي، اليربوعي، الخراساني، المجاور بحرم الله، قال ابن سعد: كان ثقة، نبيلًا، فاضلًا، عابدًا، ورعًا، كثير الحديث، وقال ابن مهدي: رجل صالح، ولم يكن بحافظ، وقال النسائي: ثقة، مأمون، رجل صالح. توفي سنة (١٨٧هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨/ ٤٢١).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٧٧) من قول أبي حفص النيسابوري. وقد نقل الكثير من مثل هذه الأقوال الغزالي في «الإحياء» وغيره.

(**غُفِر**) ـ بضم الغين المعجمة وكسر الفاء ـ ؛ أي: غفر الله (**له**)؛ أي: لقائل الذكر المذكور، (**وإن كان**) ارتكبَ الموبقاتِ من كبائر الذنوب، بأن كان قد (**فَرَّ**) ـ بفتح الفاء وتشديد الراء ـ ؛ أي: هرب (**من الزَّحف**) ـ بفتح الزاي المشددة وسكون الحاء المهملة ـ ؛ أي: لقاء العدو في الحرب، وهو أحدُ الموبقات.

ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبعَ الموبقات»، قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتلُ النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكلُ الربا، وأكلُ مال اليتيم، والتولي يومَ الزحف، وقذفُ المحصَنات الغافلات المؤمنات»[1].

ويأتي في كتاب الجهاد إن شاء الله تعالى.

(**رواه**)؛ أي روى حديث زيدٍ رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ المشروحَ الإمامُ (**أبو داود، والترمذيُّ وقال**) الإمامُ الترمذي: (**غريب**) لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال الحافظ المنذري في كتابه «الترغيب والترهيب»: إسناده جيد متصل، فقد ذكر البخاريُّ في «تاريخه الكبير»: أن بلالًا سمع من أبيه يسار، وأن يسارًا سمع من أبيه زيدٍ مولى رسولِ الله ﷺ، وقد اختلف في يسارٍ والدِ بلال هل هو بالباء الموحدة أم بالياء المثناة تحت؟ وذكر البخاري في «تاريخه» أنه بالموحدة. انتهى[2].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩/ ١٤٥).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٣١١).

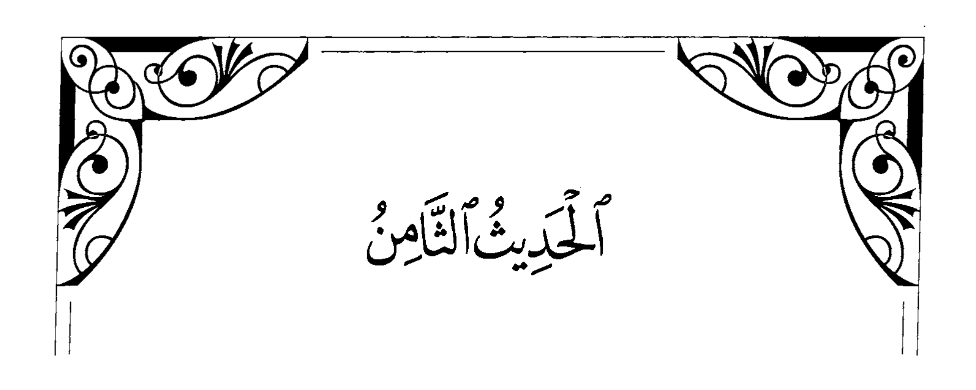
وذكر ابنُ الأثير في «جامع الأصول» أنه بالمثناة التحتية[1]، والله أعلم.

ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال: صحيح على شرطهما، إلا أنه قال: يقولها ثلاثًا[2].

* * *

(١) انظر: «جامع الأصول» للمنذري (١٢/ ٢٢١).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٨٤).



الحديث الثامن

١٢٧ ـ عن أبي بكرٍ الصدِّيقِ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إلا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ». رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن[1].

(عن) خليفةِ رسولِ الله ﷺ **(أبي بكرٍ الصدِّيقِ)** ﷺ، واسمه عبدُالله على الأصحّ، ونقل ابنُ عبد البر: أنه كان يسمى في الجاهلية: عبدَ الكعبة، فسماه النبي ﷺ: عبدالله، وقالت عائشة ﷺ: إن اسمه الذي سماه به أهله: عبدُالله[2].

ثم قال ابن عبد البر: لا خلاف في اسمه واسم أبيه، وهو عبدُالله بنُ

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٤٧)، وابن ماجه (١٣٩٥)، والترمذي (٤٠٦).

(٢) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ٩٦٣).

عثمان، وقيل: اسمه عتيق[1].

والأصحُّ أن عتيقًا لقبٌ له، وكنية عثمانَ والدِ الصديق ﵄: أبو قحافة، وقد جاء به ابنه يومَ الفتح إلى النبي ﷺ، فأسلم، وتوفي بعد موت أبي بكر في خلافة عمر ﵄.

وهو ابنُ عامرِ بنِ عمرِو بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ تيمِ بنِ مرةَ بنِ كعبِ بنِ لؤيِّ بنِ غالبٍ، يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في مرةَ بنِ كعب، وأمه: أمُّ الخير سلمى بنتُ صخرِ بن عامر.

قال ابن الجوزي: وهي بنتُ عم أبيه[2].

وهو أولُ من أسلم، وفي الترمذي: أنه ﵁ قال: ألستُ أولَ من أسلمَ؟ ألستُ صاحبَ كذا؟ ألستُ صاحبَ كذا؟[3].

وقيل: أول من أسلم عليُّ بن أبي طالب ﵁، ونقل الحاكمُ اتفاق المؤرخين عليه[4]، واستُنكر هذا منه.

وقيل: زيدُ بنُ حارثة.

وقيل: خديجة، وادعى الثعلبيُّ الإجماعَ فيه، وأن الخلاف فيمن بعدَها[5]، وصوبه كثير، وهو الظاهر.

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) انظر: «المنتظم» لابن الجوزي (٤/ ٥٣).

(٣) رواه الترمذي (٣٦٦٧).

(٤) انظر: «معرفة علوم الحديث» للحاكم (ص: ٢٢).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ٨٣).

وقيل: أولهم بلالُ بنُ حمامةَ، وقيل: خَبَّاب بن الأرتّ، حكاهما المسعودي[1].

ويروى عن الإمام أبي حنيفة ﷺ: أنه قال: الأورعُ أن يقال: أولُ من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان عليّ، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيدٌ، ومن العبيد بلالٌ.

وهذا من أحسن ما قيل؛ لجمعه الأقوال.

وكان أبو بكر ﷺ يعرف بألقاب، منها: الصِّدِّيق، أجمعوا على تسميته بذلك.

قال ابن عبد البر: لبِدارِهِ إلى تصديق رسول الله ﷺ، وقيل: لما صدّقه في الإسراء إذ كذّبه قومُه[2].

وقيل: إن جبريل لما قال له النبي ﷺ: «إن قومي لا يصدقوني»، قال: يصدقك أبو بكر، وهو الصِّدّيق[3].

وقيل لأنه أول من صدق، بناءً على أنه أول من آمن، ولهذا قال أبو محجن الثقفي[4]:

---

(١) انظر: «التنبيه والإشراف» للمسعودي (ص: ١٩٩).

(٢) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ٩٦٦).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٧٠) عن أبي وهب مرسلًا، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧١٧٣) عن أبي وهب، عن أبي هريرة ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤١): رواه الطبراني في «الأوسط»، وفي أحد إسناديه أبو وهب، لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٤) الصحابي الجليل أبو محجن الثقفي، اختلف في اسمه، فقيل: مالك بن حبيب، =

وسُميتَ صِدِّيقًا وكلُّ مهاجرٍ
سواكَ يُسَمَّى باسمه غيرَ منكرِ

سبقتَ إلى الإسلامِ واللهُ شاهدٌ
وكنتَ جليسًا في العريشِ المشهَّرِ[1]

ومنها: عتيق، قال الليث وجماعة: لجماله وعتاقة وجهه؛ أي: حسنه[2].

وقال السهيلي: لأنه أُعتق من الذم والعيب[3].

وقيل: لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به.

وقيل: إنه عتيق من النار، وذكره ابن عبد البر في حديث مرفوع[4]، وكذلك السهيلي روى: أنه ﷺ قال له حين أسلم: «أنت عتيقٌ من النار»[5].

وفي الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، فقال له: «أبشرْ؛ فأنت عتيقُ الله من النار»، قالت عائشةُ:

= وقيل: عبدالله بن حبيب، وقيل: اسمه كنيته، من الشجعان الأبطال في الجاهلية والإسلام، وقد أبلى بلاء حسنًا في القادسية وغيرها. انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٤٦).

(١) من الطويل. وانظر الأبيات في المرجع السابق.

(٢) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ٩٦٣).

(٣) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (١/ ٤٣٠).

(٤) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ٩٦٤).

(٥) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (١/ ٤٣٠).

فَمِنْ يومِئِذٍ سُمي عتيقًا[1].

ويعرف في التوراة بالصديق.

ومن ألقابه ﷺ: الأوَّاه، عن النخعي: أن أبا بكر يسمَّى: الأواه؛ لرأفته ورحمته[2].

ومنها: ذو الخِلال، قال ابن دريد في كتابه «الوشاح»: لقب بـذلك؛ لعباءة كان يخلها على صدره.

وكان أبو بكر ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام، فأسلم على يديه عثمانُ بـنُ عفان، وطلحة، والزبير، وعبدُ الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقـاص، والأرقمُ بن أبي الأرقم.

ولما أسلم الصديق، كان له من المال أربعون ألفًا، أنفقها كلَّها علـى رسول الله ﷺ.

ومنزلَتُه من رسول الله ﷺ، وخصوصيته به في الهجرة، وإقامتُه له مقامـه في الصلاة بالمسلمين، وغيرُ ذلك من أحواله لا يخفى، ومناقبـه لا تحـصى، وقد أفردها بالتصنيف كثيرٌ من العلماء.

روي له من حديث رسول الله ﷺ مئة حديث، واثنان وأربعـون حـديثًا، اتفق الشيخان منها على ستة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة عشر، ومسلمٌ بحديث، وسبب قلة ما نُقِل لنا من رواياته مع قدم صحبته، وكثـرة ملازمتـه

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٧٩) وقال: حديث غريب.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٧٠).

للنبي ﷺ، تَقَدُّمُ وفاته قبل انتشارِ الأحاديث، والاعتناء بتحصيلها وحفظها.

ولي الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ سنتين ونصفًا، وقيل: وأربعة أشهر وعشر ليال، ومات رضي الله عنه في جمادى الآخرة لثلاثٍ بقين منه سنة ثلاث عشرة، وكان عمره يومئذ ثلاثًا وستين سنة.

شهد مع النبي ﷺ المشاهدَ كلها، فلم يَفُتْه مشهد.

وكان أبيضَ، نحيفًا، خفيفَ العارضين، أجنأَ[1]، لا يستمسك إزاره، يسترخي عن حقويه[2]، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع[3].

ولما مات، أوصى أن تغسله زوجته أسماءُ بنتُ عُميس، فغسلته، وصلى عليه عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه.

ودفن بالحجرة الشريفة إلى جانب النبي ﷺ.

---

(١) أجنأ بالجيم والهمز: أي منحنيًا، يقال: جنأ يجنأ ـ بالقصر ـ جنوءًا، ومنه يسمى الترس مجنأً لانحنائه، ويقال: أحنا ـ بالحاء غير مهموز ـ بمعناه.

(٢) في هامش الأصل: «تثنية حقو، وهو في الأصل معقد الإزار، ثم يقال للإزار: حقو لأنه يشد على الحقو. اهـ مؤلفه».

(٣) كذا وصفته عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن صفته كما في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٨٨).

والأشاجع: جمع (أشجع) بوزن إصبع، وهي أصول الأصابع التي تتصل بأصول ظاهر الكف.

وانظر: «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي» للعصامي، باب ذكر الخلفاء الأربعة (٢/ ٣٢٤).

روى عنه: عمرُ بن الخطاب، وعبدالله بن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، والبراء بن عازب، وزيد بن ثابت، وعائشة، وقيس بن أبي حازم، وغير هؤلاء من الصحابة والتابعين.

قال أبو بكر الصديق ﷺ: **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد)** مؤمنٍ من ذكر وأنثى **(يُذنب ذنبًا)** من الذنوب؛ كبيرها وصغيرها، فيتوضأ، **(فيحسن الطهور)**؛ بإيصال الماء إلى محاله المشروعة، **(ثم يقوم فيصلي ركعتين[1])** فأكثرَ، **(ثم يستغفر الله)** تعالى؛ أي: يطلب منه المغفرة لذنوبه، وفي لفظ: «ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلي، ثم يستغفر الله»[2]، **(إلا غفر الله له)** ذنوبه، **(ثم قرأ)** النبي ﷺ هذه **(الآية)** الكريمة، وهي قوله تعالى: (﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً** ﴾)؛ أي: من الذنوب والمعاصي، وهو ما اشتدَّ قبحُه منها، وكثيرًا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا، وكل خَصْلة قبيحة فهي فاحشة من الأقوال والأفعال، (﴿ **أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ** ﴾) بارتكابهم المعاصي، ومخالفتهم المأمورَ، وتعاطيهم المحظورَ **(إلى آخر الآية)**؛ أي: ﴿ **ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾.

(رواه)؛ أي: هذا الحديث المشروح **(أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وقال)** الترمذي: **(حديث)** حسن.

ورواه ابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي، وقالا: «ثم يصلي

---

(١) في هامش الأصل: «ظاهر ما في السنن إسقاط لفظ الركعتين، فتفطن. مؤلفه».

(٢) رواه الترمذي (٤٠٦) وقال: حديث حسن، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٥٠).

ركعتين»[1]، وذكره ابن خزيمة في «صحيحه» بغير إسناد، وذكر فيه الركعتين[2]، وتسمى هذه: صلاة التوبة[3].

وعن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أذنب عبدٌ ذنبًا، ثم توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى بِراز من الأرض، فصلى فيه ركعتين، واستغفر الله من ذلك الذنب، إلا غفر الله له»، رواه البيهقي مرسلًا[4].

البِراز ـ بكسر الباء الموحدة وبعدها راء، فألف، فزاي ـ: هو الأرض الفضاء الخالي.

وروى ابن خزيمة في «صحيحه» عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ يومًا، فدعا بلالًا فقال: «يا بلال! بم سبقتني إلى الجنة؟ إني دخلتُ البارحةَ الجنةَ فسمعت خشخشتك أمامي»، فقال: يا رسول الله! ما أذنبت قَطُّ ـ وفي لفظ: ما أذَّنت قط بدل: ما أذنبت[5] ـ إلا

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٣)، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٧٧) بلفظ: «ويصلي ركعتين».

(٢) انظر: «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ٢١٦).

(٣) صلاة التوبة مستحبة باتفاق المذاهب الأربعة، وذلك للحديث الصحيح الذي رواه أبو بكر رضي الله عنه، (وهو الحديث المشروح).

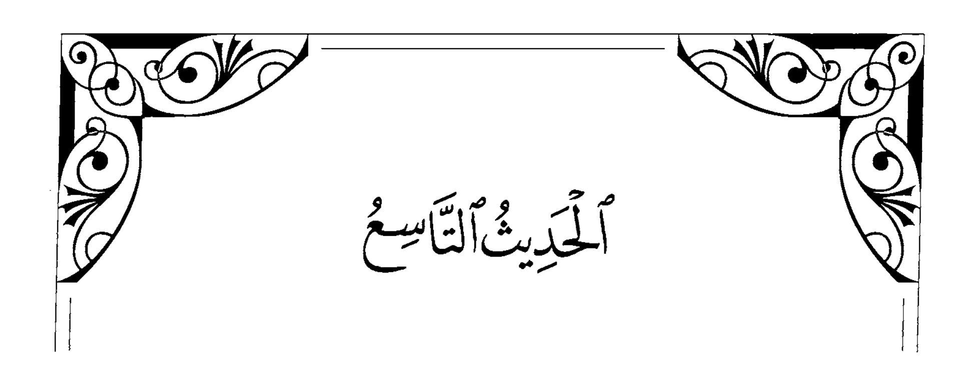
(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٨١)، وحكم الألباني بضعفه. انظر: «ضعيف الترغيب والترهيب» للألباني (١/ ١٠٤).

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (١١٧٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

صـليت ركعتـين، ومـا أصـابني حـدث قـط إلا توضـأت عنـدها وصـليت ركعتين[1]، والله تعالى الموفق.

* * *

(١) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٠٩)، وصححه الألبـاني فـي «صـحيح الترغيـب والترهيب» (١/ ٤٨).



الحَدِيثُ التَّاسِعُ

١٢٨ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا». رواه الترمذي وقال: حديث غريب[1].

(**عن أبي سعيدٍ**) سعدِ بنِ مالكٍ (**الخدريِّ**) رضي الله عنه (**عن النبيِّ ﷺ**): أنه (**قال: من قال حين يأوي**)؛ أي: يدخل (**إلى فراشه**) لينامَ فيه: (**أستغفر الله العظيمَ الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ وأتوبُ إليه**) هذا مقولُ مَنْ قال (**ثلاث مرات، غفر الله له ذنوبه وإن كانت**) في كثرتها (**مثلَ زبد البحر**) مبالغة في الكثرة.

وزبدُ البحر: رَغْوَةُ مائِهِ عند تموجه واضطرابه.

(**وإن كانت**) ذنوبه (**عددَ ورق الشجر**) على سبيل الكثرة والمبالغة، وإلا فهذا من المحال أن يكون لأحد من الذنوب العدد المذكور، (**وإن كانت**)

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٩٧).

ذنوبه على سبيل المبالغة في الكثرة (عددَ رملٍ عالج) الرملُ معروف، وعالج[1] موضعٌ كثير الرمل، (وإن كانت) ذنوبه (عددَ أيام الدنيا) من مبتداها إلى منتهاها، كل هذا يغفر ذنوبه البالغة في الكثرة ما بلغت بقوله الذكرَ المذكور.

(رواه) الإمام أبو عيسى (الترمذي وقال: حديث غريب)، وعزاه العلامة أبو بكر بن أبي داود في كتابه «تحفة العباد لتيسير أدلة الأوراد» للإمام أحمد[2]، والترمذي، وغيرهما، وزاد: «وإن كانت عدد النجوم»[3].

وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عبيدالله بن الوليد الوصافي[4]. انتهى.

قال تلميذه العلامة إبراهيم بن علي الديري[5] في تلخيصه للكتاب

---

(١) قال عاتق الحربي في «معجم المعالم الجغرافية» (ص: ١٩٧): عالج: رمل عظيم في بلاد العرب يمر في شمال نجد قرب مدينة حائل إلى شمال تيماء، ويسمى اليوم: النفود، جمع (نفد).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١٠).

(٣) لم نقف على هذه الزيادة عندهما، ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٧٨٤).

(٤) في الأصل: «عبدالله بن الوليد الرصافي»، والتصويب من «سنن الترمذي». وهو: أبو إسماعيل عبيدالله بن الوليد الوصَّافي، الكوفي، قال الإمام أحمد: ليس بمحكم الحديث، يكتب حديثه للمعرفة. وقال يحيى بن معين وأبو زرعة وأبو حاتم: ضعيف الحديث. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٩/ ١٧٣).

(٥) إبراهيم بن علي بن أحمد بن بريد الديري الحلبي، ثم القاهري، ثم الدمشقي الشافعي القادري، ولد سنة (٨١٦هـ)، وتفقَّه، وقرأ في الأصول، توفي سنة =

المذكور ـ بعد ما ذكر ما قدمناه عن شيخه ـ ما نصه: قال العراقي: قلتُ: الوصَّافي وإن كان ضعيفًا، فقد تابعه عليه عصام بنُ قدامة[1]، وهو ثقة.

قال: ورواه البخاري في «التاريخ» دون قوله: «حين يأوي إلى فراشه»، وقوله: «ثلاث مرات»، انتهى[2].

والاستغفار من حيث هو يدفع خلل الأعمال.

وقد روي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: الغيبة تخرق الصيام، والاستغفار يرقعه، فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مرقع، فليفعل[3].

وقد قيل لبعض السلف: كيف أنت في دينك؟ قال أمزقه بالمعاصي، وأرقعه بالاستغفار.

وقال المحقق ابن القيم: قلت يومًا لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ: سئل بعض أهل العلم: أيهما أنفعُ للعبد؛ التسبيحُ أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيًّا، فالبخور وماء الورد أنفعُ له، وإن كان دنسًا، فالصابون والماء الجاري أنفع له، فقال لي ـ رحمه الله ـ: فكيف والثياب

= (٨٨٠هـ)، وله مصنفات. انظر: «الضوء اللامع» للسخاوي (١/ ٨٠).

(١) أبو محمد عصام بن قدامة البجلي ـ ويقال: الجدلي ـ الكوفي، قال يحيى بن معين: صالح، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: لا بأس به، وقال أبو داود: ليس به بأس، وقال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في «الثقات». انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢٠/ ٦٠).

(٢) انظر: «المغني عن حمل الأسفار» للعراقي (١/ ٢٦٩).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٤٤) وقال: إسناده ضعيف.

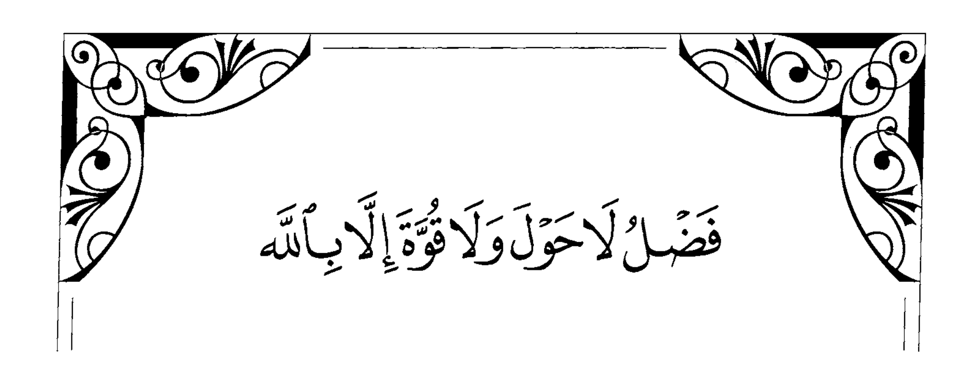
لا تزال دنسة؟! انتهى[1].

قلت: والمسؤول عن ذلك هو الإمام الحافظ أبو الفرج عبدُ الرحمن بن الجوزي، فأجاب بهذا الجواب الباهر. والله تعالى الموفق.

❐❐❐

---

(١) انظر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (١/ ٩٢). وذكر الشارح ذلك أيضًا في كتابه «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (٢/ ٢٩٦)، ثم أضاف: وَلَيْسَ قَصْدُنَا الاسْتِقْصَاءَ لِلْمَأْثُورِ، وَإِنَّمَا قَصْدُنَا التَّنْبِيهُ وَعَدَمُ الإخْلالِ بِالْفَائِدَةِ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ.



فَضْلُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ

أي: هذا بابه.

وذكر الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ ثلاثة أحاديث:

ٱلْحَدِيثُ ٱلْأَوَّلُ

١٢٩ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى عَبْدِاللهِ بنِ قَيْسٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ: «يا عَبْدَاللهِ بْنَ قَيْسٍ! أَلا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ». أخرجه البخاري، ومسلم[1].

(عن أبي موسى عبدِالله بنِ قيسٍ) الأشعريِّ (ﷺ)، تقدمت ترجمته في فضل المشي إلى الصلاة، **(قال: كنا)** معشرَ الصحابة ﷺ **(مع رسول الله ﷺ في سفر)** من أسفاره، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «أيها الناس! اربَعوا على أنفسكم ـ أي: تثبتوا عليها، يقال: اربعْ على نفسك؛ أي: تثبت وانتظر ـ إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا

---

(١) رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤/ ٤٤).

قريبًا، وهو معكم»، قال أبو موسى ﷺ: وأنا خلفه أقولُ: لا حول ولا قوة إلا بالله[1]، (**فقال ﷺ: يا عبدالله بنَ قيس**)، وفي رواية: «يا أبا موسى!»[2] (**ألا**) ـ بفتح الهمزة والتخفيف ـ: حرف تحضيض، تختص بالجمل الفعلية الخبرية، (**أدلك**) دلالة تنعقد على شيء نفيس من أنفسٍ ما يكون، (**على كنز من كنوز الجنة**).

قال العلماء: سبب كونِ هذا الذكرِ كنزًا من كنوز الجنة: أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله، واعتراف بالإذعان له، وأصلُ الكنز: المال المدفون تحت الأرض، ومعنى الكنز هنا: أنه ثواب نفيس مُدَّخر في الجنة، كما أن الكنز أنفسُ الأموال.

وفي الحديث: «كلُّ مال لا تؤدَّى زكاته فهو كنز، وكل مالٍ أُديت زكاته، فليس بكنز»[3]؛ أي: ليس بكنز مذموم، من مفهوم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[التوبة: ٣٤]، فإذا أدى زكاته، فليس بكنز مذموم، وإن كان مكنوزًا، وهو حكم شرعي تجوّز فيه عن الأصل.

قال أبو موسى: (**فقلت: بلى**)؛ أي: دلني على ذلك (**يا رسولَ الله**،

---

(١) وهي رواية الصحيحين المذكورة.

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٤/ ٤٥).

(٣) رواه الإمام الشافعي في «مسنده» (ص: ٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٨٢)، من حديث ابن عمر ﷺ موقوفًا بلفظ: كل مال تؤدى زكاته، فليس بكنز وإن كان مدفونًا، وكل مال لا تؤدى زكاته، فهو كنز وإن لم يكن مدفونًا. ورواه البيهقي مرفوعًا وقال: الصحيح موقوف.

قال) ﷺ: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

قال علماء العربية: في إعرابها خمسةُ أوجه: فتحُهما من غير تنوين؛ وفتح الأول بلا تنوين، ونصب الثاني منوناً؛ وفتح الأول بلا تنوين ورفع الثاني؛ ورفعُهما منونين؛ ورفع الأول منوناً وفتح الثاني بلا تنوين.

(أخرجه البخاري ومسلمٌ) في صحيحيهما، ورواه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وزاد فيه: «لا منجى من الله إلا إليه»[1]، وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الذكر».

ورواه الحاكم ـ وقال: صحيح لا علةَ فيه ـ ولفظه: أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أُعلمك، أوِ ألا أدلك على كلمةٍ من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوةَ إلا بالله، فيقول الله تعالى: أسلمَ عبدي واستسلم»[2].

وفي رواية له ـ وصححها ـ: قال: «يا أبا هريرة! ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا منجى من الله إلا إليه»[3]، ورواه الإمام أحمد وغيره[4].

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٠١) وقال: هذا حديث ليس إسناده بمتصل، مكحول لم يسمع من أبي هريرة.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٤).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٠١) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

والمنجى بألف مقصورة: مكان النجاة، وما ارتفع من الأرض؛ كما في «المعجم الوسيط» (مادة: نجو).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٥٢٠).

وروى الترمذي في «سننه» عن مكحول: أنه قال: من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ من الله إلا إليه، كشف الله عنه سبعين بابًا من الضر، أدناها الفقر[1]، هذا إسناده غيرُ متصل؛ لأن مكحولًا لم يسمع من أبي هريرة.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، كان دواء من تسعة وتسعين، أيسرُها الهم»، رواه الطبراني في «الأوسط»، والحاكم وقال: صحيح الإسناد[2]، واعترضه الحافظ المنذري بأن في سنده: بشرَ بنَ رافع[3]، ضعَّفه الإمام أحمد وغيره[4]، وقوَّاه ابن معين وغيره.

وقال ابن عدي: لا بأس بأخباره، لم أر له حديثًا منكرًا[5].

وأخرج الإمام أحمدُ من حديث معاذ بن جبل ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟» قال: وما هو يا رسول الله؟

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٠١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٠٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٩٠) وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، وبشر بن رافع الحارثي ليس بالمتروك وإن لم يخرجاه.

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٩١)، وقد نص على توثيقه في موضع آخر (٣/ ٢٥٩).

(٤) انظر: «العلل ومعرفة الرجال» للإمام أحمد (١/ ٥٤٦).

(٥) انظر: «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٢/ ١٢).

قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»[1]، ورواه الطبراني، إلا أنه قال: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟»[2]، وإسنادهما صحيح.

وروى الإمام أحمد من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ في حديث الإسراء: قال ﷺ: «مررت على إبراهيم عليه السلام، فقال: من معك يا جبريل؟ قال: هذا محمد، فقال له إبراهيم: يا محمدُ! مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة؛ فإن تربتها طيبة، وأرضها واسعة، قال: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»، وإسناده حسن[3]، وتقدم الحديث بتمامه في: سبحان الله والحمد لله... إلخ.

وعند الطبراني من حديث عقبةَ بنِ عامر ﷺ من وجه ضعيف: «من أنعم الله عليه نعمة، فأراد بقاءها، فليكثرْ من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله»[4].

قال الخطابي: معنى (لا حول ولا قوة إلا بالله): إظهارُ الفقر، وطلب المعونة على كل ما يزاوله من الأمور؛ أي: يعالجه، وهو حقيقة العبودية.

وقال ابن الأنباري: الحول معناه في كلام العرب: الحيلة، يقال: ما للرجل حولٌ، وما له احتيال، وما له محالة، وما له محال بمعنى واحد، يريد: أن لا حيلةَ له في دفع شر، ولا قوةَ له في درك خير إلا بالله، ومعناه:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٤٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٧٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٤١٨).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣١٠).

التبرؤ من حول نفسه ومن قوته، [والانقطاع إلى الله ﷻ في جميع الأمور][1].

وقد روى ابن مسعود رضي الله عنه: أنه [ﷺ] قال في تفسير (لا حول ولا قوة إلا بالله): «لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعته إلا بمعونته»[2].

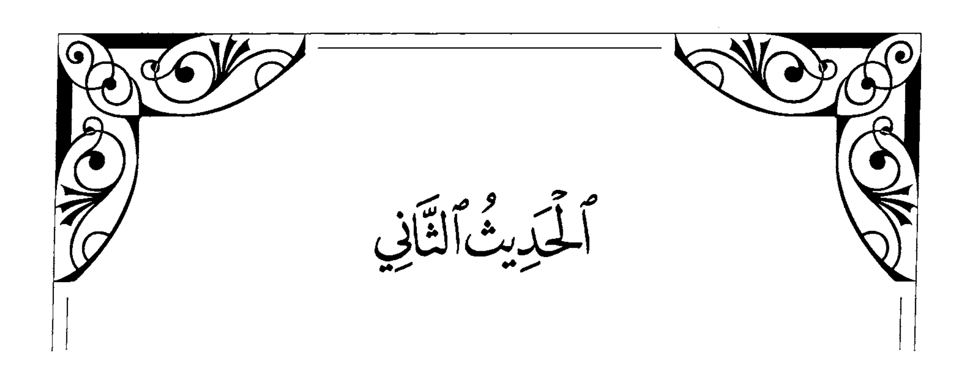
وتقدم في فضل الأذان الكلامُ على الحوقلة ـ ويقال لها: الحولقة ـ بأبسطَ من هذا. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) انظر: «شأن الدعاء» للخطابي (ص: ١٦١).

(٢) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٠٠)، والجرجاني في «تاريخ جرجان» (ص: ٢٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٤).

قال العقيلي: صالح بن بيان السيرافي الغالب على حديثه الوهم، ويحدث بالمناكير عمن لم يحتمل. ثم ساق هذا الحديث.



الحديث الثاني

١٣٠ ـ عن قيسِ بنِ سعدٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؟» قُلْتُ: بَلَى يا رسول الله، قَالَ: «لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب[1].

(عن قيس بنِ سعدِ) بنِ عُبادة ﷺ، أما قيسُ بنُ سعدِ بنِ عبادة، فيكنى: أبا عبدالله الأنصاريَّ الخزرجيّ، كان معدوداً من كرماء أصحاب النبي ﷺ، وقصته في سرية أبي عبيدة ﷺ سرية الخبط مشهورة[2].

وكان قيسٌ أحدَ الفضلاء الأجلّاء من ذوي الرأي والمكيدة في الحرب، وهو صاحبُ لواء الخزرج يومَ الفتح، وكان سيدَ قومه، وابنَ سيدِهم،

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٨١).

(٢) بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمئة رجل من المهاجرين والأنصار ـ وفيهم عمر بن الخطاب ـ إلى حي من جهينة بالقبلية مما يلي ساحل البحر ـ بينها وبين المدينة خمس ليال ـ وذلك في رجب سنة ثمان، فأصابهم في الطريق جوع شديد، فأكلوا الخبط ـ ورق نوع من الشجر ـ وابتاع قيس جُزرًا ونحرها لهم، وألقى لهم البحر حوتًا عظيمًا، فأكلوا منه، وانصرفوا ولم يلقوا كيدًا. انظر: «عيون الأثر» (٢/ ١٧٣).

وكان لرسول الله ﷺ لما قدم مكة مكانَ صاحب الشرطة من الأمراء، وكان واليًا لعليٍّ بن أبي طالب ـ رضوانُ الله عليه ـ على مصر، ولم يفارق عليًّا إلى أن قتل، ومات قيس بالمدينة سنة ستين.

وكان قيسُ بنُ [سعدِ بن] عبادة، وعبدُالله بن الزبير، وشريحٌ القاضي[1]، والأحنفُ بنُ قيس، ليس في وجوههم شعر، ولا لأحدهم لحية، وكان قيس مع ذلك جميلًا.

وأما أبوه سعدُ بن عبادة: فهو أبو ثابت، وأبو قيس، سعدُ بنُ عبادة بن دليمِ بنِ حارثةَ بنِ أبي حليمة ـ ويقال: ابن أبي خزيمة ـ ابنِ ثعلبةَ بن طريفِ ابنِ الخزرج بن ساعدةَ بنِ كعبِ بنِ الخزرجِ الأكبرِ الأنصاريُّ الخزرجيُّ الساعديُّ؛ شهد العقبة مع السبعين، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وزعم قوم أنه شهد بدرًا، والصحيح أنه كان من أكبر من يحض عليها، ثم نُهِس[2]، فتخلف عنها، وشهد ما بعدها من المشاهد.

وكان سيدَ الأنصار، مقدمًا فيهم، وجيهًا، له رئاسة وسيادة يعترف له قومه بها، ويقال: لم يكن في الأوس والخزرج أربعة مُطْعمون يتوالون في بيت واحد إلا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم، ولا كان في العرب إلا ما ذكر عن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب.

---

(١) القاضي أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكندي، من كبار التابعين، وأدرك الجاهلية، واستقضاه عمر بن الخطاب ؓ على الكوفة، فأقام قاضيًا خمسًا وسبعين سنة، لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين، ذا فطنة وذكاء، ومعرفة وعقل ورصانة. توفي سنة (٨٧هـ). انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٤٦٠).

(٢) أي: لدغ.

وكانت رايةُ رسول الله ﷺ يوم الفتح بيد سعد، ثم أخذها منه وأعطاها ابنه قيسًا.

روى عن سعد: ابنه قيس، وسعيد، وابن عباس، وأنس بن مالك، وغيرهم.

روي له عن رسول الله ﷺ أحد وعشرون حديثاً، لم يذكر في الصحيحين منها شيء.

وتخلف سعدُ بنُ عبادةَ عن بيعة أبي بكرٍ الصديق ﵁، وخرج من المدينة، ولم يعد إليها.

ومات بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف من خلافة عمر ﵁ سنة خمس عشرة، ولم يختلفوا أنه وُجد ميتًا في مغتسله وقد اخضرَّ جسده، ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلًا يقول ولا يرون أحدًا:

نحن قتلنا سيدَ الـ ... ـخزرج سعدَ بنَ عبادَهْ
ورميناه بسهـ ... ـمين فلم نُخطِ فؤادَهْ

وقال الحافظ ابن الجوزي في «منتخب المنتخب»: جلس سعد ﵁ يبول في نفق، فقتل من ساعته، وسمعوا قائلًا يقول في بئر، وذكر البيتين المتقدمين، فيقال: إن الجن قتلته[1]. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرج الحاكم في «المستدرك» (٥١٠٣) عن قتادة قال: قام سعد بن عبادة -

(قال) قيس بن سعد رضي الله عنهما: (قال رسول الله ﷺ: ألا أدلك) دلالةً نافعةً لك نفعًا عظيمًا توصلك وتهديك (على بابٍ من أبواب الجنـة) ـ أي: جنـة عدن ـ الثمانية؟

وفي الصحيحين من حديث أبي حازم عـن سـهلِ بـنِ سـعدٍ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قـال: «في الجنـة ثمانيـةُ أبـواب، بابٌ منها يسمى: الريان،

= ليبول، ثم رجع فقال: إني لأجد في ظهري شيئًا، فلم يلبـث أن مـات، فناحـت الجـن فقالوا:

نحـــن قتلنـــا ســـيدَ الـــ ـــخزرج ســـعدَ بـــن عبـــاده

ورمينـــــاه بـــــــــسهـ ـــمين فلـــم نخـــط فـــؤاده

وهذه الرواية من طريق إسحاق بن إبراهيم الدبري، وقد اختلفوا فيـه، كمـا روي من طرق أخرى.

قال المناوي في «فيض القـدير» (٦/ ٣٤٤) فـي موضـوع النهـي عـن البـول فـي الجحر: وعللوه بعلَّتين:

إحداهما: أنه مسكن الجن، ويؤيده الأثر الصحيح: أن سعد بن عبـادة بـال فـي جحر، فخر ميتًا، فسُمِعت الجن تقول: (نحن قتلنا... إلخ).

الثانية: أذى الهوام بلسعها، أو بعود الرشاش عليـه، أو تـأذي ذلـك الحيـوان إن كان ضعيفًا. اهـ.

وربما فسر ذلك سبب موته.

قال ابن رشيق القيرواني في كتابه «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» (١/ ١٤١): وأنشد الزجاج ـ وزعم أصحاب الحديث أن الجن قالته ـ: نحن قتلنا... إلـخ.

والله تعالى أعلم.

لا يدخله إلا الصائمون»[1]، ويأتي في فضل الصيام إن شاء الله تعالى.

قال قيس ﷺ: **(قلت: بلى يا رسول الله)**، دلني على ذلك الباب، **(قال)** رسول الله ﷺ: **(لا حول ولا قوة إلا بالله)**؛ أي: فإنها توصل قائلها بإخلاص إلى الجنة، كما أن الباب يتوصَّل منه إلى الجنة، فهي من الموصلات إلى الجنة، والدرجاتِ العالية، والنعيم المقيم.

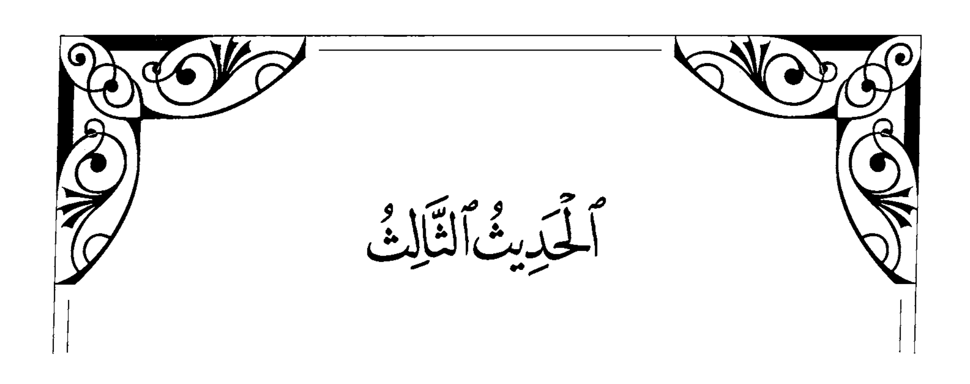
(رواه) أبو عيسى **(الترمذي)** في «سننه»، **(وقال: حديث حسن صحيح غريب)**، ورواه الحاكم في «صحيحه» وقال: صحيح على شرطهما، ولفظه: عن قيس بن سعد بن عبادة ﷺ: أن أباه دفعه إلى النبي ﷺ يخدمه، قال: فأتى عليَّ النبيُّ ﷺ وقد صليت ركعتين، فضربني برجله وقال: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟»[2]، فذكره.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٣٢٥٧)، واللفظ له، وفيه: «فيها باب يسمى الريان»، ومسلم (١١٥٢/ ١٦٦).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٧٨٧).



الحديث الثالث

١٣١ ـ عن حازمِ بنِ حرملةَ الأسلميِّ ﷺ قال: مَرَرْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي: «يَا حَازِمُ! أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ». رواه ابن ماجه[1].

(عن حازمِ بنِ حرملَةَ الأسلميِّ) ﷺ **(قال)** حازم: **(مررت بالنبي ﷺ، فقال: يا حازم! أكثرْ من قولِ: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنها)**؛ يعني: لا حول ولا قوة إلا بالله **(من كنوز الجنة)**، وذلك لأنها ـ كما تقدم ـ كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له، ومعنى الكنز هنا: أنه ثواب نفيس مُدَّخر في الجنة، كما أن الكنز أنفسُ الأموال المدخرة لملمات كانزها.

والحاصل: أن لهذه الكلمة تأثيرًا عظيمًا في رفع الفقر، ودفع الأدواء كلها، ولها ـ أيضًا ـ تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة؛ لما روى ابن أبي الدنيا بسنده عن معاوية بن صالح الحضرمي رحمه الله تعالى[2] قال:

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٢٦)، وليس لحازم إلا هذا الحديث.

(٢) القاضي أبو عمرو معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي، قاضي قرطبة، كان =

حدثنا مشايخنا أنهم بلغهم: أن أول ما خلق الله تعالى حين كان عرشه على الماء حملة العرش، قالوا: ربنا! لِمَ خلقتنا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشي، قالوا: ربنا! ومن يقوى على حمل عرشك، وعليه عظمتك وجلالك ووقارك؟ قال: لذلك خلقتكم، فأعادوا عليه ذلك مرارًا، فقال لهم: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فحملوه[1].

وروى محمد بن إسحاق ـ صاحب المغازي ـ قال: جاء مالك الأشجعي إلى النبي ﷺ، فقال: أُسر ابني عوف، فقال له: «أرسِلْ إليه: أن رسول الله ﷺ يأمرك أن تكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله»، فأتاه الرسول فأخبره، فأكبَّ عوفٌ يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وكانوا قد شدوه بالقِدّ[2]، فسقط القدُّ عنه، فخرج، فإذا هو بناقة لهم، فركبها،

= من جلة أهل العلم، وكبار رواة الحديث؛ شارك مالك بن أنس في بعض رجاله؛ كيحيى بن سعيد وأمثاله، وأخذ عنه جملة من الأئمة، منهم الليث بن سعد. توفي سنة (١٦٨هـ). انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢٨/ ١٨٦)، و«المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا» للمالقي (ص: ٤٣).

(١) لم نقف عليه، وذكره ابن قيم الجوزية في «الوابل الصيب» (ص: ١٠٦) عن ابن أبي الدنيا، وفيه عن الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح. والكلام الذي نقله لم يأت عليه بدليل، وعزاه إلى من سماهم: (مشايخنا)، ومثل ذلك لا وزن له، ولا ينبغي ذكره في الكتب المعتبرة، ولا فائدة من الاستدلال به؛ لأنه مجهول عن مجهول!.

(٢) القِدُّ: الإسار؛ أي: ما يُشد به الأسير. انظر: «مختار الصحاح» للرازي (مادة: قدد).

فأقبل، فإذا هو بسرحِ[1] القوم، فصاح بها، فاتبع آخرها أولها، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب، فقال أبوه: عوفٌ وربِّ الكعبة! فقالت أمه: واسوأتاه، وعوف كئيب يألم ما فيه مِنَ القدِّ، فاستبق الأب والخادم إليه، فإذا عوف ملأ الفناء إبلًا، فقص على أبيه أمره وأمر الإبل، فأتى أبوه رسولَ الله ﷺ، فأخبره بخبر عوف، وخبر الإبل، فقال له رسول الله ﷺ: «اصنع بها ما أحببتَ، وما كنت صانعًا بإبلك»، ونزل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[الطلاق: ٢ ـ ٣]، رواه آدم بن أبي إياس[2] في «تفسيره»، ومحمد بن إسحاق لم يدرك مالكًا[3].

وروى ابن أبي الدنيا عن حبيب بن مسلمةَ القرشيِّ الفهريِّ ـ وكان يقال له: حبيب الروم؛ لكثرة مجاهدته إياهم ـ ﷺ[4]: أنه كان يستحب إذا

---

(١) السَّرْحُ: المالُ السائِمُ، وعن اللّيث: السَّرْحُ: المالُ يُسام في المَرْعَى من الأنعام، وقال غيره: ولا يُسمَّى من المالِ سَرْحًا إِلّا ما يُغْدَى به ويُراحُ. انظر: «تاج العروس» للزبيدي (مادة: سرح).

(٢) أبو الحسن آدم بن أبي إياس، واسمه عبد الرحمن بن محمد، الخراساني المروذي، العسقلاني، نشأ ببغداد، وبها طلب الحديث وكتب عن شيوخها، قال النسائي: لا بأس به، وقال أبو حاتم: ثقة، مأمون، متعبد، من خيار عباد الله. توفي سنة (٢٢٠هـ). انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢/ ٣٠١).

(٣) ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣٦ ـ دار إحياء التراث) بسنده إلى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﷺ، ورواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٩٣) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٠٦)، من حديث ابن مسعود ﷺ، بنحوه وليس فيه ذكر للحوقلة.

(٤) قال المزي في «تهذيب الكمال» للمزي (٥/ ٣٦٦). مختلف في صحبته.

لقي عدوًّا، أو ناهضَ حصنًا قولَ: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنه ناهض حصنًا يومًا فانهزم الروم، وقالها المسلمون وكبروا فانصدع الحصن[1].

وكان حبيب ﷺ فاضلًا، مجابَ الدعوة، وكان قد ولاه أمير المؤمنين عمرُ أعمال الجزيرة، وضم إليه أرمينية وأذربيجان. مات بالشام ـ ويقال: بأرمينية ـ سنة اثنتين وأربعين.

(رواه)؛ أي: حديث حازم بن حرملة الأسلمي المشروح **(ابنُ ماجه)** في «سننه».

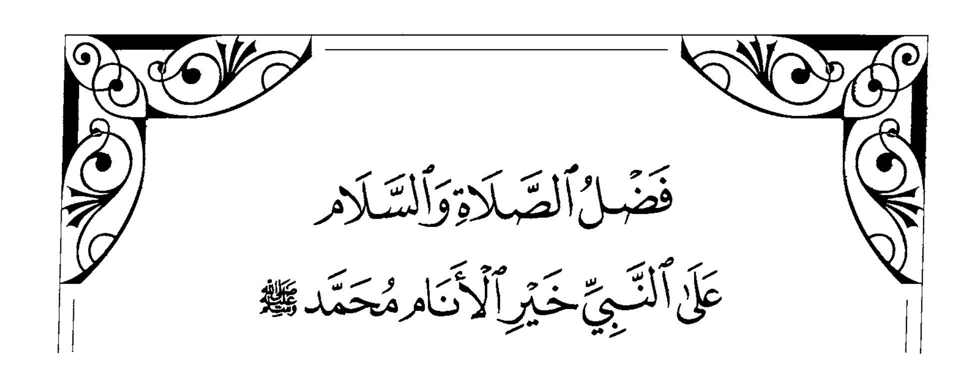
وقد روي عن جماعة من الصحابة ﷺ، منهم: أبو هريرة، وأم هانئ، وأبو سعيد، وعبدالله بن عمرو، وأبو المنذر، وأبو موسى، ومعاذ بن جبل، وقيس بن سعد بن عبادة، وأبو أيوب الأنصاري، وابن عمر، وعقبة بن عامر، ولفظه من حديث عقبة ـ ﷺ وعنهم أجمعين ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقاءها؛ فليكثِرْ من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله»، رواه الطبراني[2]. والله تعالى الموفق.



---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (١٨).

(٢) تقدم تخريجه.



فَضْلُ ٱلصَّلَاةِ وَٱلسَّلَام عَلَىٰ ٱلنَّبِيِّ خَيْرِ ٱلْأَنَامِ مُحَمَّدٍ ﷺ

أي: هذا بابه.

اعلم ـ رحمك الله تعالى ـ: أن هذا باب واسع جدًّا، وقد أُفرد بالتصنيف، وأكثرَ العلماء فيه التأليف، منهم الإمامِ المحقق شمسُ الدين ابنُ القيم، ألف كتابه «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام عليه الصلاة والسلام» وغيره من علماء الإسلام.

وقد روى أحاديثَ الصلاة على النبي ﷺ عدةٌ من الصحابة ﷺ، منهم: أبو بكر الصديق، وعمرُ بنُ الخطاب، وعليُّ بنُ أبي طالب، وابناه: الحسن والحسين، وأمهما، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيدالله[1]، وعبدالله بن عباس، وأبو مسعود الأنصاري البدري[2]، وكعب بن

---

(١) الصحابي الجليل أبو محمد طلحة بن عبيدالله بن عثمان القرشي التيمي، أحد العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذي أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى. توفي سنة (٣٦هـ). انظر: «الإصابة» لابن حجر (٣/ ٥٢٩).

(٢) الصحابي الجليل أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البدري، مشهور بكنيته، اتفقوا على أنه شهد العقبة، واختلفوا في شهوده بدرًا، نزل الكوفة، =

عُجْرَة[1]، وأبو حميد الساعدي[2]، وأبو سعيد الخُدري، وزيد بن حارثة[3]، ويقال: ابن خارجة[4]، وأبو هريرة، وبريدة بن الحُصيب[5]،

= وكان من أصحاب علي ﷺ، وقد صحح ابن حجر وفاته بعد سنة أربعين. انظر: «الإصابة» لابن حجر (٤/ ٥٢٤).

(١) الصحابي الجليل أبو محمد كعب بن عجرة بن أمية، زعم الواقدي أنه أنصاري، ورده ابن سعد بأن قال: طلبت نسبه في الأنصار فلم أجده. توفي بعد سنة الخمسين. انظر: «الإصابة» لابن حجر (٥/ ٥٩٩).

(٢) الصحابي الجليل أبو حميد عبد الرحمن بن سعد بن المنذر الساعدي، اختلف في اسمه، وغلبت عليه كنيته، شهد أحدًا وما بعدها، وتوفي في آخر خلافة معاوية، أو أول خلافة ابنه يزيد. انظر: «الإصابة» لابن حجر (٧/ ٩٤).

(٣) الصحابي الجليل، حبُّ رسول الله ﷺ أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي، قال ابن عمر: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزلت: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾. استشهد في غزوة مؤتة سنة (٨هـ) وكان أمير الجيش فيها. انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٢/ ٥٤٢).

(٤) الصحابي الجليل زيد بن خارجة بن زيد الأنصاري الخزرجي، قال ابن عبد البر: وهو الذي تكلم بعد الموت، لا يختلفون في ذلك، وقال ابن الأثير: زيد هذا هو الذي تكلم بعد الموت في أكثر الروايات، وهو الصحيح، وقيل: إن الذي تكلم بعد الموت أبوه خارجة، وليس بصحيح. انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٢/ ٥٤٧)، و«أسد الغابة» لابن الأثير (٢/ ٣٣٩).

(٥) الصحابي الجليل أبو عبدالله بريدة بن الحصيب بن عبدالله الأسلمي، قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد، فشهد معه مشاهده، وشهد الحديبية وبيعة الرضوان، غزا خراسان في زمن عثمان، ثم تحول إلى مرو، فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد ابن معاوية سنة (٦٣هـ). انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ٢٦٣). =

وسهل بن سعد الساعدي[1]، وابن مسعود، وفَضالةُ بنُ عُبيد[2]، وأبو طلحة الأنصاري، وأنس بن مالك، وعامر بن ربيعة، وأبيُّ بن كعب، وأوس بن أوس، والبراء بن عازب، ورويفع بن ثابت الأنصاري[3]، وجابر بن عبدالله، وجابر بن سمرة[4]، وأبو رافع مولى رسول الله ﷺ، وعبدالله بن أبي أوفى، وأبو أمامة الباهلي[5]، وعبد الرحمن بن بشر بن

= و«الإصابة» لابن حجر (١/ ٢٨٦).

(١) الصحابي الجليل أبو العباس سهل بن سعد بن مالك الساعدي الأنصاري، من مشاهير الصحابة، قال الزهري: مات النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة. توفي سنة (٩١هـ). انظر: «الإصابة» لابن حجر (٣/ ٢٠٠).

(٢) الصحابي الجليل أبو محمد فضالة بن عبيد بن نافذ الأنصاري الأوسي، أسلم قديمًا، ولم يشهد بدرًا، وشهد أُحدًا فما بعدها، وشهد فتح مصر والشام قبلها، ثم سكن الشام وولي الغزو، وولاه معاوية قضاء دمشق بعد أبي الدرداء، رضي الله عنه. توفي سنة (٥٣هـ). انظر: «الإصابة» لابن حجر (٥/ ٣٧١).

(٣) الصحابي الجليل رويفع بن ثابت بن السكن الأنصاري، سكن مصر واختط بها دارًا، وأمره معاوية على طرابلس سنة (٤٦هـ)، فغزا منها إفريقية سنة (٤٧هـ) ودخلها وانصرف من عامه. توفي سنة (٥٦هـ). انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٢/ ٥٠٤)، و«الإصابة» لابن حجر (٢/ ٥٠١).

(٤) الصحابي الجليل أبو عبدالله جابر بن سمرة بن جنادة العامري، السوائي، ابن أخت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، له ولأبيه صحبة، أخرج له أصحاب الصحيح، نزل الكوفة وابتنى بها دارًا، وتوفي في أيام بشر بن مروان على الكوفة سنة (٧٤هـ). انظر: «الإصابة» لابن حجر (١/ ٤٣١).

(٥) الصحابي الجليل أبو أمامة صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، غلبت عليه =

مسعود[1]، وأبو بردة بن نيار[2]، وعمار بن ياسر، وأبو أمامة بنُ سهل بنِ حُنيف[3]، ومالك بن الحويرث[4]، وعبدالله بن جَزْء الزبيدي[5]، وأبو ذر،

= كنيته، سكن مصر، ثم انتقل منها فسكن حمص ومات بها، كان من المكثرين في الرواية، وأكثر حديثه عند الشاميين. توفي سنة (٨١هـ). انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ١٦، ٦/ ١٩).

(١) أبو بشر عبد الرحمن بن بشر بن مسعود الأنصاري، الأزرق، روى عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وخباب بن الأرت، ذكره ابن حبان في «الثقات»، روى له مسلم وأبو داود والنسائي. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٦/ ٥٤٨).

(٢) الصحابي الجليل أبو بردة هانئ بن نيار بن عمرو البلوي، حليف الأنصار، خال البراء بن عازب، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، روى عنه البراء وجماعة من التابعين، وروى له الجماعة. توفي سنة (٤١هـ)، وقيل غير ذلك. انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/ ١٥٣٥)، و«تهذيب الكمال» للمزي (٣٣/ ٧١).

(٣) أبو أمامة أسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري، ولد قبل وفاة النبي ﷺ بعامين، وأتي به فحنكه وسماه باسم جده أسعد بن زرارة أبي أمه، وكناه بكنيته، ودعا له وبرك عليه، روى عن النبي ﷺ أحاديث أرسلها، وروى عن عدة من الصحابة. توفي سنة (١٠٠هـ). انظر: «الإصابة» لابن حجر (١/ ١٨١).

(٤) الصحابي الجليل أبو سليمان مالك بن الحويرث بن أشيم الليثي، البصري، قدم على النبي ﷺ في شببة من قومه، فعلمهم الصلاة، وأمرهم بتعليم قومهم إذا رجعوا إليهم. توفي سنة (٧٤هـ)، ووقع في «الاستيعاب» (٩٤هـ)، والصحيح الأول. انظر: «الإصابة» لابن حجر (٥/ ٧١٩).

(٥) الصحابي الجليل أبو الحارث عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي، روى عن النبي ﷺ أحاديث حفظها، وسكن مصر فروى عنه المصريون، ومن آخرهم يزيد =

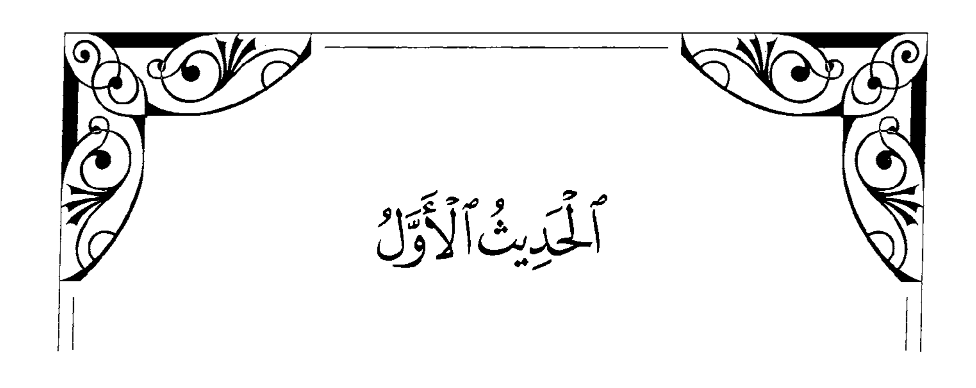
وواثلةُ بنُ الأسقع، وعبدالله بن عمرو، وسعيد بن عمير الأنصاري[1]، عن أبيه عمير، وهو من البدريين، وغيرهم ﷺ أجمعين.

واقتصر المصنف الحافظ ـ نور الله تعالى ضريحه، وطيب مضجعه ـ على ثلاثة أحاديث.

* * *

= ابن أبي حبيب، وهو آخر من مات بمصر من الصحابة. توفي سنة (٨٦هـ)، وقيل غير ذلك. انظر: «الإصابة» لابن حجر (٤/ ٤٦).

(١) سعيد بن عمير بن نيار، ويقال: سعيد بن عمير بن عقبة بن نيار الأنصاري، الحارثي، المدني، ابن أخي أبي بردة بن نيار، روى عن أبيه، وجده لأمه البراء ابن عازب، وابن عمر وأبي سعيد الخدري، ﷺ، وقد ذكره ابن حبان في «الثقات». انظر. «تهذيب الكمال» للمزي (١١/ ٢٥).



الحديث الأول

١٣٢ ـ عن أبي هريرة ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا». رواه مسلم[1].

(عن أبي هريرة) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: من صلى عليَّ) صلاةً (واحدة).

قال المحقق ابن القيم: أصلُ لفظة الصلاة في اللغة يرجع إلى معنيين: أحدهما: الدعاء والتبرك، والثاني: العبادة.

فمن الأول: قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[التوبة: ١٠٣]، وقوله تعالى في حق المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾[التوبة: ٨٤]، وقوله ﷺ: «إذا دعي أحدُكم إلى طعام، فليجِبْ، فإن كان صائمًا، فليصلِّ»[2]؛ أي: فليَدْعُ لهم بالبركة.

وقيل: يصلي عندهم بدلَ أكله.

---

(١) رواه مسلم (٤٠٨/ ٧٠).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٦٠)، والترمذي (٧٨٠)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقيل: معنى الصلاة لغة: الدعاء، والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، والعابد داعٍ كما أن السائل داعٍ.

فهذه صلاة الآدمي.

وأما صلاة الله تعالى على عبده، فنوعان: عامة، وخاصة.

أما العامة، فصلاته على عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ومن هذا قوله ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى»[١]، وفي حديث: أن امرأة قالت للنبي: صلِّ عليَّ وعلى زوجي، قال: «صلى الله عليك وعلى زوجك»[٢].

وأما صلاته تعالى الخاصةُ على أنبيائه ورسله ـ وخصوصًا على خاتمهم وخيرهم محمدٍ ﷺ ـ فاختلف الناسُ في معناها، والمشهور على ألسنة الناس أنها من الله تعالى رحمته.

قال الضحاك[٣]: صلاة الله رحمته، وصلاة الملائكة الدعاء[٤].

---

(١) رواه البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨/ ١٧٦)، من حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (١٥٣٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أبو أنيس الضحاك بن قيس بن خالد القرشي الفهري، اختلف في صحبته وسماعه من النبي ﷺ، حيث استبعد بعضهم صحة سماعه من النبي ﷺ، قال ابن حجر: ولا بعد فيه؛ فإن أقل ما قيل في سنه عند موت النبي ﷺ أنه كان ابن ثمان سنين، قتل الضحاك بموقعة مرج راهط بغوطة دمشق سنة (٦٤هـ). انظر: «الإصابة» لابن حجر (٣/ ٤٧٨).

(٤) رواه الجهضمي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٩٦).

وقال المبرد[1]: أصل الدعاء الرُّحم[2]، فهو من الله رحمة، ومن الملائكة رقةٌ واستدعاء للرحمة من الله.

وقال: الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الآدميين التضرع والدعاء بخير، وهذا هو المعروف عند كثير من المتأخرين[3].

وقيل: صلاة الله تعالى مغفرتُه.

وضعَّف في «جلاء الأفهام» و«البدائع» وغيرهما هذه الأقوال، واختار أن الصلاة معناها والمراد منها: ثناءُ الله عليه، وثناء ملائكته، وتنويه به، وإشارة لمحاسنه ومناقبه وذكره[4].

وذكر الإمام البخاري في «صحيحه» عن أبي العالية[5] قال: صلاة الله

---

(١) إمام النحو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، البصري، صاحب «الكامل»، كان آية في النحو، علَّامة، فصيحًا، مفوَّهًا، صاحب نوادر وطرف، كان ثعلب أعلم باللغة والنحو من المبرد، وكان المبرد أكثر تفننًا في جميع العلوم من ثعلب. توفي سنة (٢٨٦هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣/ ٥٧٦).

(٢) كذا ضبطت في الأصل، وفي «غذاء الألباب» للمؤلف (١/ ١٥): الرحمة، وفي «الشفا» للقاضي عياض (ص: ٥٤٤): أصل الصلاة الترحم. . .، وفي «جلاء الأفهام» لابن قيم الجوزية (ص: ١٥٨): أصل الصلاة الرحم. . .

(٣) لم نقف على القول الأخير في «جلاء الأفهام»، وقوله: «وهذا هو المعروف. . .» قد ذكر عقب قول المبرد السابق.

(٤) انظر: «جلاء الأفهام» (ص: ١٥٨)، و«بدائع الفوائد» (١/ ٢٩) كلاهما لابن قيم الجوزية.

(٥) الإمام المقرئ الحافظ المفسر أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، البصري، أدرك زمن النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل =

على رسوله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة عليه الدعاء[1].

وصلاة العباد مع الثناء عليه طلبُ ذلك من الله تعالى أن يثني على نبيه الثناءَ الجميل، ويرفع درجته وذكره وتقريبه، فنسأله تعالى أن يفعل ذلك به ﷺ.

فإذا صلى العبد على النبي المصطفى ﷺ واحدة؛ بأن سأل الله تعالى أن يثني على نبيه في الملأ الأعلى، ويرفع مقامه، وينوه به، ويقربه لديه= (صلى الله) ﷻ (عليه)؛ أي: على المصلي على نبيه وحبيبه محمد ﷺ (عشرًا) من المرات؛ أي: رحمه وغفر له، أو أثنى عليه ونوَّه بذكره في الملأ الأعلى.

(رواه) الإمام أبو الحسين (مسلم)، ورواه ـ أيضًا ـ أبو داود، والترمذي، والنسائي[2]، ورواه ابن حبان في «صحيحه»[3].

وفي بعض ألفاظ الترمذي: «من صلى عليَّ مرة واحدة، كتب الله له بها عشر حسنات»[4].

* * *

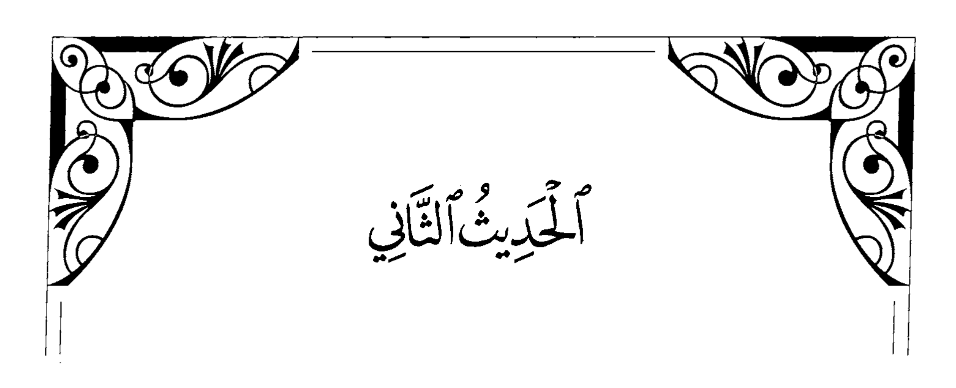
= عليه، سمع عدداً من الصحابة، وحفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر لإفادة العلم وبعد صيته. توفي سنة (٩٠هـ)، وقيل غير ذلك. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٢٠٧).

(١) انظر: «صحيح البخاري» كتاب التفسير، باب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (٦/ ١٢٠).

(٢) رواه أبو داود (١٥٣٠)، والترمذي (٤٨٥)، والنسائي (١٢٩٦).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٩٠٤).

(٤) لم نقف عليه عند الترمذي، ورواه بهذا اللفظ ابن حبان في «صحيحه» (٩٠٥).



ٱلحَدِيثُ ٱلثَّانِي

١٣٣ ـ عن أبي طلحة ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبُشْرَى فِي وَجْهِهِ، فَقُلْنَا: إِنَّا لنَرَى الْبُشْرَى فِي وَجْهِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّهُ لا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا». رواه النسائي[(١)].

(عن أبي طلحة) زيدِ بنِ سهلِ بنِ الأسودِ بنِ حرامِ بنِ عَمْرِو بنِ زيدِ مناةَ بنِ عديٍّ بنِ عمرِو بنِ مالكِ بنِ النجارِ الأنصاريِّ البخاريِّ، وهو مشهور بكنيته، شهد العقبة مع السبعين، ثم شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، وهو زوجُ أُم أنس ﷺ، وكان من الرماة المذكورين، قال النبي ﷺ: «لَصَوْتُ أبي طلحةَ في الجيش خيرٌ من فئة»[(٢)]، وفي رواية: «خير من مئة رجل»[(٣)]،

---

(١) رواه النسائي (١٢٨٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١١٢).

(٣) أورده ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٦٩٨). ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٥٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٥٥٠٣) ـ وقال: رواته عن آخرهم ثقات ـ من حديث جابر وأنس ﷺ بلفظ: «خير من ألف رجل».

وكان يسرد الصوم كثيرًا بعد النبي ﷺ، يقال: إنه سردَ الصومَ بعد النبي ﷺ أربعين سنة.

روى عنه: ابن عباس، وأنس بن مالك، وزيد بن خالد.

روي له عن رسول الله ﷺ اثنان وسبعون حديثًا، كما في شرح «الزهر البسام» للبرماوي.

وفي «منتخب المنتخب» للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي: روى عن النبي ﷺ خمسة وعشرين حديثًا، اتفق الشيخان على حديثين، وانفرد البخاري بواحد، ومسلم بآخر.

وهو القائل:

أنا أبو طلحةَ واسمي زيدُ
وكلَّ يوم في سلاحي صيدُ[1]

روي عن أنس: أن أبا طلحة رضي الله عنه قرأ سورة براءة، فأتى على قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٤١]، فقال: لا أرى ربَّنا إلا يستنفرُنا شبابًا وشيوخًا، يا بني! جهزوني، فقالوا: يرحمك الله، لقد غزوتَ مع رسول الله ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فدعنا ننفر عنك، فقال: لا، جهزوني، فغزا البحر فمات في البحر، فلم يجدوا له جزيرة إلا بعد سبعة أيام، فدفنوه فيها

---

(١) من الرجز. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٥٠٤)، و«الثقات» لابن حبان (٣/ ١٣٧).

ولم يتغير[1].

ورواه البيهقي بإسناد صحيح[2]، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن الحسن[3]، وعطاء[4].

وقيل: مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: أربع، وله سبعون سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان.

قال أبو زرعة الدمشقي: عاش أبو طلحة بعد النبي ﷺ أربعين سنة، وفي هذا نظر.

قال أبو طلحة (رضي الله عنه: **إن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم**)؛ أي: في يوم من الأيام.

قال في «المطالع»: وتكون (ذي) صلة، ودعمًا للكلام؛ كقولهم: ذات يوم، وذات ليلة[5].

(**والبِشْرُ**)؛ أي: الطلاقة والسرور ظاهر (**في وجهه**) ﷺ، وجملة المبتدأ والخبر جملة حالية، (**فقلنا**) معشرَ من كان من أصحابه حاضرًا: (**إنا لنرى البشر**)؛ أي: السرور والطلاقة (**في وجهك**)؛ أي: الكريمِ؛ أي: فأخبرنا عن سبب ذلك، (**فقال**) ﷺ: (**أتاني الملَكُ**) أصله: ملأك، ثم حذفت

(١) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٨٨٩).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٣٧٠، ١٩٣٧٤).

(٤) لم نقف عليه عند ابن أبي شيبة.

(٥) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٣/ ٨٦).

همزته لكثرة الاستعمال، فقيل: ملك، والجمع الملائكة، وقد تحذف الهاء، فيقال: ملائك.

وقيل: أصله مألك ـ بتقديم الهمزة ـ من الألوكة: الرسالة، ثم قدمت الهمزة.

والمراد بالملك في الحديث: جبريل عليه السلام.

(فقال: يا محمد! إن ربك) تبارك وتعالى **(يقول)** لك: **(أما يرضيك أنه)**؛ أي: الشأن والأمر **(لا يصلي عليك أحدٌ)** من آحاد أمتك مرة واحدة **(إلا صليت عليه)**؛ أي: على ذلك المصلي عليك **(عشرًا)** من المرات؛ كرامة لك، وتعظيمًا لمقامك، وحثًّا لأمتك على الإكثارِ من الصلاة والسلام عليك، **(ولا يسلم عليك أحد)** من أمتك **(مرة)**؛ أي: سلامًا واحدًا **(إلا سلمت عليه)**؛ أي: على المسلِّم عليك **(عشرًا)**؛ أي: عشر مرات؛ تعظيمًا لك، وتنويهًا بفضلك وعلو شأنك ومنزلتك عندنا.

(رواه النسائي)، وكذا الإمام أحمد[١].

وفي لفظ عند النسائي وغيره: عن أبي طلحة ﷺ قال: أصبح رسول الله ﷺ يومًا طيبَ النفس، يُرى في وجهه البِشْر، قالوا: يا رسول الله! أصبحت اليوم طيب النفس، نرى في وجهك البشر، قال: «أجل، أتاني آتٍ من ربي ﷻ فقال: يا محمد! من صلى عليك من أمتك صلاة، كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات»[٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٩).

(٢) لم نقف عليه عند النسائي، ورواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في «مسنده». =

ورواه ابن حبان في «صحيحه» بنحو اللفظ الأول، وكذا الإمام أحمد[1].

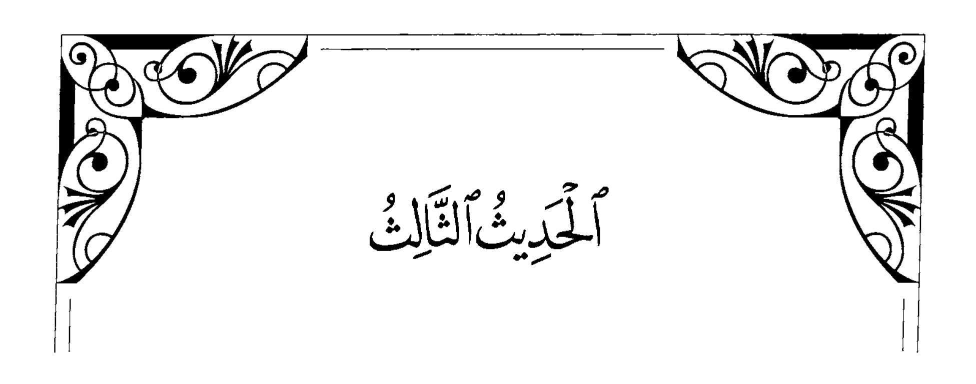
ورواه الطبراني، ولفظه: قال: دخلت على رسول الله ﷺ وأساريرُ وجهه ـ عليه السلام ـ تبرق، فقلت: يا رسول الله! ما رأيتك أطيبَ نفسًا، ولا أظهر بِشْرًا من يومك هذا، قال: «وما لي لا تطيب نفسي ويظهر بشري وإنما فارقني جبريلُ ـ عليه السلام ـ الساعةَ، فقال: يا محمد! من صلى عليك من أمتك صلاة، كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات، وقال له الملك مثلَ ما قال لك، قلت: يا جبريل! وما ذاك الملك؟ قال: إن الله ﷻ وكل ملكًا من لدن خلقك إلى أن يبعثك، لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا قال: وأنت صلى الله عليك»[2].

* * *

= انظر التعليق السابق.

(1) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٩١٥)، والإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٩).

(2) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٧٢٠)، وفي سنده إبراهيم بن الوليد الطبراني، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦١): لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.



الحديث الثالث

١٣٤ ـ عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً، صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ بِها عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَهُ بِها عَشْرَ دَرَجَاتٍ». رواه النسائي[1].

(عن) أبي حمزةَ (أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من صلى عليَّ) من أمتي (صلاة واحدة)؛ بأن قال: اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبيِّ الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلِّم، أو قال غيرها من صيغ الصلاة عليه ﷺ، (صلى الله عليه عشرَ صلوات) في مقابلة تلك الصلاة الواحدة، (وحطَّ)؛ أي: محا وأسقطَ (عنه)؛ أي: عن المصلي على النبي ﷺ صلاةً واحدة (بها)؛ أي: بسبب تلك الصلاة الواحدة (عشرَ سيئات) من صغائر ذنوبه، (ورفعه بها عشر درجات)، أي: منازلَ عاليةً في دار النعيم، والسرورِ الدائم المقيم.

وفي رواية من حديث أنس ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «من ذُكرت عنده فليصلِّ عليَّ، ومن صلى عليَّ مرة، صلى الله عليه عشرًا»[2].

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٩٠).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٨٩).

(رواه النسائي) واللفظ له، ورواه الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم، ولفظه: قال رسول ﷺ: «من صلى علي واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحطَّ عنه عشر خطيئات»[1].

ورواه الطبراني في «المعجم الصغير» و«الأوسط» ولفظه: «من صلى عليَّ صلاة واحدة، صلى الله عليه عشرًا، ومن صلى علي عشرًا، صلى الله عليه مئة، ومن صلى علي مئة، كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق، وبراءة من النار، وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء»، وفي إسناده إبراهيم ابن سلم بن رشيد الهجيمي[2]، لا يُعرف بجهل ولا عدالة[3].

وروى ابن أبي عاصم في كتاب «الصلاة» عن البراء بن عازب رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «من صلى علي مرة، كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه بها عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات، وكُنَّ له عدلَ عشر رقاب»[4].

وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف، وعن أبي بردة بن نيار، وعن

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠١٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) في الأصل: «شبل البجيمي» بدل «رشيد الهجيمي»، والتصويب من «المعجم الأوسط» للطبراني.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٨٩٩)، و«المعجم الأوسط» (٧٢٣٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦٣): وفيه إبراهيم بن سالم بن سلم الهجيمي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في «الصلاة» (٥٢)، ذكره الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١/ ٢٥٨) وقال: ضعيف.

عبدالله بن عمرو بن العاص، وعن أبي أمامة، وغيرهم من الصحابة، ﷺ.

وروى محمدُ بنُ يحيى بنِ حَبَّان عن أبيه عن جده[1]: أن رجلًا قال: يا رسول الله! أجعلُ ثلثَ صلاتي عليك؟ قال: «نعم إن شئت»، قال: الثلثين؟ قال: «نعم»، قال: فصلاتي كلها؟ قال رسولُ الله ﷺ: «إذًا يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك»، رواه الطبراني بإسناد حسن[2].

ورواه الإمام أحمد، والحاكم، والترمذي ـ وقال: حسن صحيح، وصححه الحاكم ـ من حديث أُبي بن كعب، وفيه: قال أُبي بن كعب: فقلتُ: يا رسول الله! إني أُكثر الصلاةَ، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت»، قلت: الربع؟ قال: «ما شئت، وإن زدْتَ فهو خير لك»، قلت: النصف؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك»، قال: فقلت: الثلثين؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قال: أجعلُ لك صلاتي كلها؟ قال: «إذًا تُكفى هَمَّك، ويُغْفَرُ لك ذنبُك»[3].

قوله: (فإني أكثر الصلاة، فكم أجعل لك من صلاتي؟) معناه: أُكثر الدعاء، فكم أجعل لك من دعائي صلاةً عليك؟

---

(١) الصحابي الجليل حَبَّان بن منقذ بن عمرو الأنصاري، الخزرجي، شهد أُحُدًا وما بعدها، وهو جدُّ محمد بن يحيى بن حبان شيخ مالك، وهو الذي قال له النبي ﷺ: «إذا بعت فقل: لا خلابة». توفي في خلافة عثمان ﷺ. انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ٥٣٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٥٧٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٧٨)، والترمذي (٢٤٥٧).

وقال المحقق ابن القيم في «جلاء الأفهام»: سئل شيخُنا شيخ الإسلام أبو العباس ـ يعني: ابن تيمية ـ عن تفسير هذا الحديث، فقال: كَانَ لأُبي ابن كَعْب دُعَاء يَدْعُو بِهِ لنفسِهِ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: هَل يَجْعَل لَهُ مِنْهُ ربعه صَلاة عَلَيْهِ ﷺ؟ فَقَالَ: «إِن زِدْت فَهُوَ خير لَك»، فَقَالَ لَهُ: النّصْف؟ فَقَالَ: «إِن زِدْت فَهُوَ خير لَك»، إِلَى أَن قَالَ: أجعَل لَك صَلاتي كلهَا؛ أَي: أجعَل دعائي كُله صَلاة عَلَيْك، قَالَ: «إِذًا تُكْفى همك، وَيُغْفر لَك ذَنْبك»؛ لأن من صلى على النَّبِي ﷺ صَلاة، صلى الله عَلَيْهِ بهَا عشرًا، وَمن صلى الله عَلَيْهِ، كَفَاهُ همه، وَغفر لَهُ ذَنبه. انتهى[1].

وروى ابن ماجه بإسناد حسن عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه موقوفًا عليه، قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ، فأحسنوا الصلاة؛ فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه، قال: فقالوا له: فعلّمنا، قال: فقولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين محمدٍ عبدِك ورسولك إمامِ الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه الأولون والآخِرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد[2].

---

(١) انظر: «جلاء الأفهام» لابن قيم الجوزية (ص: ٧٩).

(٢) رواه ابن ماجه (٩٠٦).

* **تتمة في ذمِّ من ذُكِرَ النبي ﷺ عنده فلم يصلِّ عليه:**

عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احضروا المنبر»، فحضرنا، فلما ارتقى درجة، قال: «آمين»، فلما ارتقى الدرجة الثانية، قال: «آمين»، فلما ارتقى الدرجة الثالثة، قال: «آمين»، فلما نزل، قلنا: يا رسول الله! لقد سمعنا منك اليوم شيئًا ما كنا نسمعه! قال: «إن جبريل عرض لي فقال: بَعُدَ من أدرك رمضان فلم يُغفَر له، فقلت: آمين، فلما رقيت الثانية، قال: بَعُدَ من ذُكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك، فقلت: آمين، فلما رقيت الثالثة، قال: بَعُدَ من أدرك أبويه الكبر أو أحدَهما، فلم يدخلاه الجنة، قلت: آمين»، رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد[1].

وروى ابن حبان في «صحيحه» نحوه من حديث مالك بن الحسن بن مالك بن الحويرث، عن أبيه، عن جدِّه رضي الله عنه، ولفظه في أثنائه: «ومن ذكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك، فأبعدَه الله، قل: آمين، فقلت: آمين»[2].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٢٥٦).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٠٩) وقال: في هذا الخبر دليل على أن المرء قد استحب له ترك الانتصار لنفسه، ولا سيما إذا كان المرء ممن يُتأسى بفعله، وذاك أن المصطفى ﷺ لما قال له جبريل: من أدرك رمضان فلم يغفر له، فأبعده الله، بادر ﷺ بأن قال: «آمين»، وكذلك في قوله: ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار، أبعده الله، فلما قال له: ومن ذكرتَ عنده فلم يصل عليك، فأبعده الله، فلم يبادر إلى قوله: آمين عند وجود حظ النفس فيه، حتى قال جبريل: قل: آمين، قال: «قلت: آمين»، أراد به ﷺ التأسي به في ترك الانتصار للنفس بالنفس؛ إذ الله جل وعلا هو ناصر أوليائه في الدارين، وإن كرهوا نصرة الأنفس في الدنيا.

ورواه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عنه ﷺ: أنه ارتقى المنبر، فأمن ثلاث مرات، ثم قال: «أتدرون لِمَ أمَّنت؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «جاءني جبريل عليه السلام قال: إنه من ذُكرتَ عنده فلم يصل عليك، فأبعده الله وأسحقه، قلت: آمين» الحديث[1].

وروى نحوه البزار والطبراني من حديث عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه: «ومن ذُكِرْتَ عنده فلم يصل عليك، فأبعده الله، ثم أبعده، فقلت: آمين»[2].

ورواه ابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحه»، وفيه: «ومن ذُكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك فمات فدخل النار، فأبعده الله، فقل: آمين، فقلت: آمين»[3].

ورواه الترمذي ـ وقال: حسن غريب ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أنفُ رجلٍ ذكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ» الحديث[4].

وفي الطبراني من حديث سيدنا الحُسين بن أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما قال:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٥٥١).

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٣٧٩٠)، ولم نقف عليه عند الطبراني، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦٥): رواه البزار والطبراني بنحوه، وفيه من لم أعرفهم.

(٣) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٨٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي (٣٥٤٥).

قال رسول الله ﷺ: «من ذكرتُ عنده فخطئ الصلاة عليَّ، خطئ طريق الجنة»[1].

وفي رواية لابن أبي عاصم عن محمد بن الحنفية قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذكرتُ عندَه فنسي الصلاةَ عليّ، خطئ طريق الجنة»[2].

ورواه الطبراني وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا[3].

وروى النسائي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وصحَّحه، والترمذي ـ وزاد في سنده أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح ـ من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ»[4].

وروى ابن أبي عاصم في كتاب «الصلاة» من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: خرجت ذات يوم فأتيت رسولَ الله ﷺ، قال: «ألا أخبركم بأبخلِ الناس؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من ذُكرت عنده فلم يصل عليَّ، فذاك أبخلُ الناس»[5].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٨٨٧).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «الصلاة على النبي ﷺ» (٨٣) من حديث جعفر بن محمد عن أبيه.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٨١٩).

(٤) رواه النسائي (٨١٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠١٥)، والترمذي (٣٥٤٦).

(٥) رواه ابن أبي عاصم في «الصلاة» (٢٩)، قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٠١): صحيح لغيره.

* تنبيه:

قد اختلف في وجوب الصلاة عليه ﷺ كلما ذُكر اسمه، فقال أبو جعفر الطحاوي من الحنفية، وأبو عبدالله الحليمي من الشافعية: تجب الصلاة عليه كلما ذُكر اسمه ﷺ، وقال غيرهما: ذلك مستحب، وليس بفرض يأثم تاركُه.

ثم اختلفوا، فقالت طائفة: تجب الصلاة عليه في العمر مرة؛ لأن الأمر المطلق لا يقتضي تكرارًا، والماهيةُ تحصل بمرة واحدة، وهذا محكِيٌّ عن الإمام أبي حنيفة، والإمام مالك، والثوري، والأوزاعي، قال القاضي عياض وابن عبد البر: وهو قول جمهور الأمة[1]، كذا قالا.

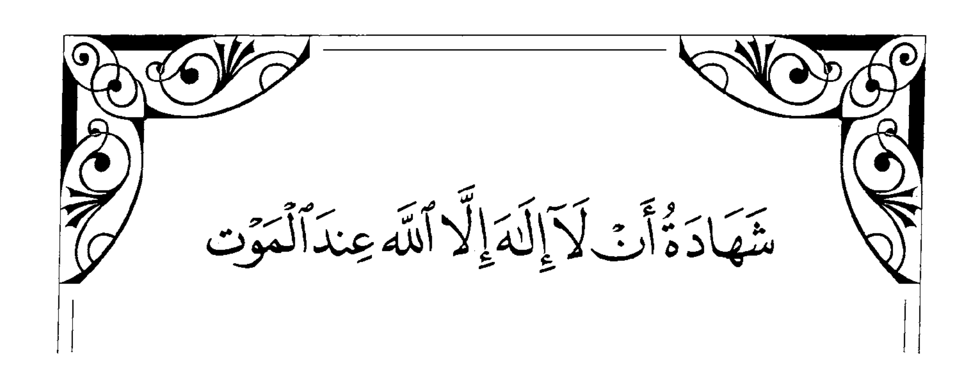
وقالت فرقة: بل تجب الصلاة عليه ﷺ في كل صلاة في تشهدها الأخير، وهذا قول الإمام الشافعي، والإمام أحمد، ومن وافقهما.

وقالت فرقة: الأمر بالصلاة عليه ﷺ أمرُ استحباب، لا أمر إيجاب، وهذا قول ابن جرير وطائفة[2]، وادعى فيه ابن جرير الإجماع، وهذا على أصله، فإنه إذا رأى الأكثرين على قول، جعله إجماعًا يجب اتباعه، والمقدمتان هنا باطلتان، ولا شك أن الكتاب والسنة والآثار تدل على وجوب الصلاة على النبي المختار في الجملة، والله تعالى الموفق.

❑ ❑ ❑

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (ص: ٤٤٥).

(٢) انظر: «تهذيب الآثار» للطبري (ص: ٢٢٤). وانظر: «جلاء الأفهام» لابن قيم الجوزية (ص: ٣٨٢).



شهادة أن لا إله إلا الله عند الموت

أي: هذا باب فضلها.

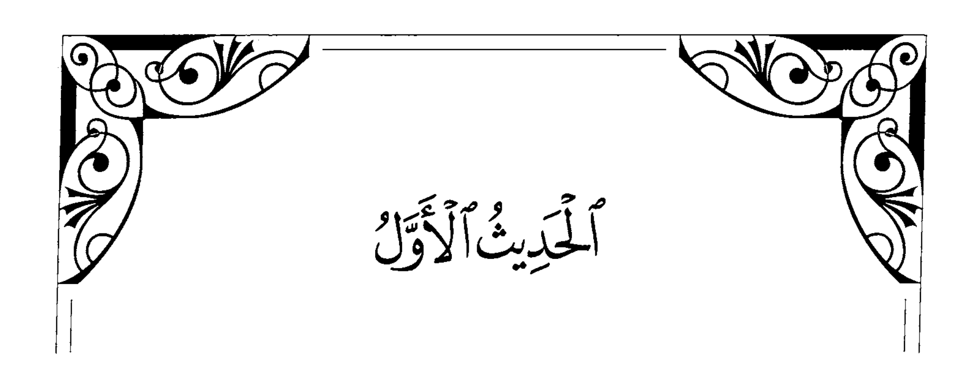
وقد تكرر من ذكر فضلها ـ فيما تقدم ـ ما يشفي ويكفي؛ فإنها الكلمة الشريفة، وهي اسم الله الأعظم عند أكثر الصوفية، وهي كلمة الإخلاص، وكلمة التوحيد، وكلمة الإحسان، ودعوة الحق، وكلمة العدل، والكلمة الطيبة، وكلمة التقوى، والكلمة الباقية، وكلمة الله العليا، والمثل الأعلى، وكلمة العهد، وكلمة الاستقامة، ومقاليد السماوات والأرض، والقول السديد، والصراط المستقيم، وكلمة الحق، والعروة الوثقى، وكلمة الصدق، ومفتاح الجنة(١).

وفضلُها معلوم بالنقل الصريح، ومفهوم بالعقل الصحيح، وهو باب واسع ليس هذا محل استيعابه.

وقد ذكر المصنف الحافظ ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ في هذا الباب ثلاثة أحاديث.

---

(١) أشار إلى آيات قرآنية وردت فيها (لا إله إلا الله) بلفظها؛ مثل: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[محمد: ١٩]، أو بمعناها؛ مثل: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾[الحج: ٢٤].



الحديث الأول

١٣٥ ـ عن أبي سعيد الْخُدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قَالَ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ». رواه مسلم[1].

(**عن أبي سعيدٍ الخدريِّ**) واسمه سعدُ بنُ مالكٍ، وتقدمت ترجمته، (**و**) عن (**أبي هريرة**) أيضًا، واسمه عبدُ الرحمن بنُ صخر (رضي الله عنهما **قالا: قال رسول الله ﷺ: لقنوا**) التلقين: التفهيم، واللقنة واللقانة واللقانية: سرعة الفهم، يقال: لَقِنَ؛ كفرح، وألقن: حفظ بالعجلة[2]، وفي حديث الهجرة: ويبيتُ عندهما ـ أي: عند النبي ﷺ، وأبي بكر رضي الله عنه ـ عبدُالله بنُ أبي بكر، وهو غُلامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ[3]؛ أي: فهم حسن التلقن لما يسمعه.

وفي حديث علي رضي الله عنه: إن هاهنا علمًا ـ وأشار إلى صدره ـ لو وجدت

---

(١) رواه مسلم (٩١٦).

(٢) قال الجوهري في «الصحاح» (مادة: لقن): لَقِنْتُ الكلام ـ بالكسر ـ: فهمته، لَقَنًا، وتَلَقَّنْتُهُ: أخذته، لَقَانِيَةً، والتَّلْقِينُ كالتفهيم، وغلامٌ لَقِنٌ: سريع الفهم، والاسم اللَّقانةُ.

(٣) رواه البخاري (٣٩٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

له حَمَلَةً، بل أصبت لقِنًا غير مأمون؛ أي: فهِمًا غير ثقة[1].

(موتاكم)؛ أي: فهموهم عند الموت، وسماهم موتى لأن الموت قد حضرهم (لا إله إلا الله) هذه الكلمة مفعولٌ ثان لـ (لقِّنوا)، والفاعل الواو في (لقنوا)، والموتى مفعول أول.

وتلقينُ الموتى هذه الكلمة سنةٌ مأثورة عملَ بها المسلمون؛ ليختم للميت بالسعادة، فيدخل الجنة، وليتنبه المحتضَر على ما يدرأ به الشيطان؛ فإنه يتعرض للمحتضر حينئذ ليفسد عليه عقيدته، ولا ينبغي أن يلحّ عليه بالتلقين؛ لئلا يضجر، فيمتنع من ذلك، فيشمت به الشيطان.

ولا يقول له: قُلْ: لا إله إلا الله، بل يقول بحضرته ذلك حتى يسمع ليتفطن فيقولها، إلا أن يكون كافرًا، فيقول له: قل: لا إله إلا الله؛ كما قال النبي ﷺ لعمه أبي طالب، وللغلام اليهودي.

فإذا قال المحتضر مرة، فلا يكرر عليه، ما لم يتكلم، ولا يُكلَّم بعدها، ليكون آخر كلامه، فإن تكلم بعدها، أعيدَ التلقين؛ ليختم بها أقواله.

أماتنا الله عليها بمنه وكرمه.

* **تنبيه:**

كل الروايات فيها الاقتصار على كلمة (لا إله إلا الله)، واقتصر عليها

---

(١) رواه ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢/ ٧٥)، وفي سنده أبو مخنف لوط بن يحيى، قال ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/ ٤٩٢): أخباري تالف، لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره، وقال الدارقطني: ضعيف، وقال يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال مرة: ليس بشيء.

أكثرُ العلماء.

قال بعض علمائنا: اقتُصِر عليها لأن إقراره بها إقرار بالأخرى، وفي هذا شيء، وفي «الفروع»: احتمال[1].

وقال بعض العلماء: يلقن الشهادتين؛ لأن الثانية تبع، فلهذا اقتصر في الخبر على الأولى.

وقال الدميري من الشافعية: نقل في «الروضة»[2] عن الجمهور الاقتصار على (لا إله إلا الله)، وعن جماعة من الأصحاب: أنه يضيف إليها: (محمد رسول الله)؛ لأن المقصود ذكرُ التوحيد، والمراد موتُه مسلمًا، وهو لا يسمى مسلمًا إلا بهما.

قال: والأول أصح.

أما إذا كان المحتضَر كافرًا، فينبغي الجزمُ بتلقين الشهادتين؛ لأنه لا يصير مسلمًا إلا بهما[3].

* **فائدة:**

قال أبو المعالي من علمائنا ـ ومشى عليه في «الإقناع»[4] ـ: يكره تلقين الورثة ـ أي: أحدٍ منهم ـ للمحتضَر بلا عذر، بل يلقنه بعض محبيه

---

(١) انظر: «الفروع» لابن مفلح (٢/ ١٥٠).

(٢) «روضة الطالبين وعمدة المتقين» للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المتوفى سنة (٦٧٦هـ). انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٩٢٩).

(٣) انظر: «النجم الوهاج» للدميري (٣/ ١٠).

(٤) انظر: «الإقناع» للحجاوى (١/ ٢١١).

مرة، فإن لم يُجب أو تكلم بعدها، أعاد تلقينه، ويكون ذلك بلطف ومداراة، ذكره الإمام النووي إجماعًا[1]؛ لأن ذلك مطلوب في كل موضع، فهاهنا أولى.

* **تتمة:**

هذا التلقين المذكور عند الموت كما عُلم، وأما تلقين الميت على قبره بعدَ دفنه، فيروى فيه حديث ضعيف رواه الطبراني في «معجمه» من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات أحدُكم، فسوَّيتم عليه التراب، فليقم أحدُكم على رأس قبره، ثم يقول: يا فلانُ ابنَ فلانة؛ فإنه يسمع ولا يجيب، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة الثانية؛ فإنه يستوي قاعدًا، ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة، فيقول: أرشدْنا رحمك الله، ولكنكم لا تسمعون، فيقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأنك رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وبالقرآن إمامًا؛ فإن منكرًا ونكيرًا يتأخر كل واحد منهما ويقول: انطلق بنا ما يُقعدنا عند هذا وقد لُقِّن حجته، ويكون الله حجيجَه دونهما»، فقال رجل: يا رسول الله! فإن لم يعرف أمه؟ قال: «ينسبه إلى أمه حواء»[2].

---

(١) انظر: «المجموع» (٥/ ١٠٤)، و«الأذكار» (ص: ١١٣)، كلاهما للنووي.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٧٩)، قال ابن قيم الجوزية في حاشيته على «سنن أبي داود» (١٣/ ١٩٩): هذا الحديث متفق على ضعفه، فلا تقوم به حجة فضلًا عن أن يعارض به ما هو أصح منه. وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٥/ ٣٣٤): إسناده لا أعلم به بأسًا، وقال في «خلاصة البدر المنير» (١/ ٢٧٥): رواه الطبراني في أكبر معاجمه هكذا، وليس في إسناده إلا سعيد بن عبدالله، فلا =

قال في «الفروع»: رواه أبو بكر في «الشافي»[1]، والطبراني، وابن شاهين، وغيرهم.

وللطبراني زيادة: «وأن الجنة حقٌّ، وأن النار حقٌّ، وأن البعث حقٌّ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَنْ في القبور»، وفيه: «وأنك رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخوانًا»[2].

قال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «الروح»: فهذا الحديث وإن لم يثبت، فاتصالُ العمل به في سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار، كافٍ في العمل به، وما أجرى الله تعالى العادة قطُّ بأن أمة أطبقت مشارق الأرض ومغاربها، وهي أكملُ الأمم عقولًا، وأوفرها معارفَ، تُطبق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل، وتستحسن ذلك، ولا يُنكره منها منكِر، بل سَنّه الأولُ للآخِر، ويقتدي فيه الآخِرُ بالأول، فلولا أن المخاطب يسمع وإلا كان بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر، أو للمعدوم، ومثل هذا وإن استحسنه واحد فالعقلاء قاطبة على استقباحه واستهجانه كما لا يخفى[3]، فلولا أنه يسمع ذلك وينتفع به، لم يكن فيه فائدة، وكان عبثًا.

= أعرفه، وله شواهد كثيرة يعتضد بها ذكرتها في الأصل.

(١) «الشافي» لأبي بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد الحنبلي، المعروف بغلام الخلال، المتوفى سنة (٣٦٣هـ).

(٢) انظر: «الفروع» لابن المفلح (٢/ ٢١٥)، والحديث رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٧٩)، ولم نقف فيه على قوله: «وأن الجنة الحق...».

(٣) انظر: «الروح» لابن قيم الجوزية (ص: ١٣).

وقد سئل عنه الإمام أحمد ﷺ فاستحسنه، واحتج له بالعمل.

وذكر المحقق في «الروح»، وعبد الحق الإشبيلي في كتابه «العاقبة» عن شبيب بن شيبة: أوصتني أمي عند موتها، فقالت: يا بُني! إذا دفنتني فقم عند قبري وقل: يا أم شبيب! قولي: لا إله إلا الله، فلما دفنتها، قمت عند قبرها، فقلت: يا أم شبيب! قولي: لا إله إلا الله، ثم انصرفت، فلما كان من الليل، رأيتها في النوم، فقالت: يا بني! كدت أن أهلك لولا تداركني لا إله إلا الله، فقد حفظتَ وصيتي يا بني[1]. والله أعلم.

(رواه)؛ أي: الحديث المشروح: أبو الحسين (مسلمُ) بنُ الحجاج في «صحيحه»، ورواه الإمام أحمد، وأصحاب السنن الأربع عن أبي سعيد وأبي هريرة[2]، وعن عائشة[3] ﵃.

وذكروه في الأحاديث المتواترة، وبالله التوفيق.

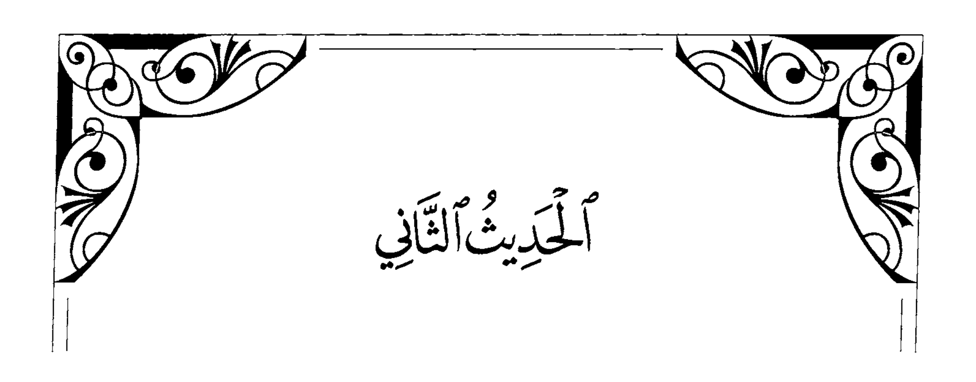
* * *

---

(١) انظر: «الروح» لابن قيم الجوزية (ص: ١٣)، و«العاقبة في ذكر الموت» للإشبيلي (ص: ١٨٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٣)، وأبو داود (٣١١٧)، والترمذي (٩٧٦)، والنسائي (١٨٢٦)، وابن ماجه (١٤٤٤، ١٤٤٥).

(٣) رواه النسائي (١٨٢٧).



الحَدِيثُ الثَّانِي

١٣٦ ـ عن عَبْدِاللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ لِلأَحْيَاءِ؟ قَالَ: «أَجْوَدُ وَأَجْوَدُ». رواه ابن ماجه[1].

(عن) أبي جعفرٍ (عبدِالله بنِ جعفرٍ ﷺ)، أمـا عبـدُالله بـنُ جعفـر، فهـو: ابـنُ جعفـرِ بنِ أبـي طالـبِ بنِ عبـدِ المطلـبِ الهاشـميّ القرشـيّ، وأمه أسماء بنت عُميس، ولد بأرض الحبشة، وهـو أول مولـود ولـد فـي الإسلام بها، وتوفي بالمدينة سنة ثمـانين، وقيـل: سـنة خمـس، أو سـت وثمانين، وله تسعون سنة، وكان جواداً ظريفًا حليمًا عفيفًا، يـسمى: بحـر الجود.

قيل: لم يكن في الإسلام أسخى منه.

روى عنه: محمد بن علي ـ يعني: ابن الحنفية ـ، وعروة بن الزبيـر،

---

(١) رواه ابن ماجه (١٤٤٦).

والقاسم بن محمد، وابن مليكة[1]، والشعبي[2]، وروى عنه من أولاده: إسماعيل، ومعاوية، وإسحاق، وخلق كثير سواهم.

وأما سيدُنا والدُه جعفرٌ، فهو: جعفرٌ أبو عبدالله الطيار بن أبي طالب، عمُّ النبي ﷺ، وكان يلقَّب جعفرٌ ﷺ بالطيار، وبذي الجناحين، وبصاحب الهجرتين.

أما الأول، فلما روى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة»[3].

وأما الثاني، فروى ابن عبد البر، وابن أبي شيبة عن سالم بن أبي الجعد قال: رأى النبي ﷺ في النوم جعفرَ بنَ أبي طالب ذا جناحين مُضَرَّجًا بالدم[4].

---

(١) فقيه أهل الكوفة أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، وأمه مليكة بنت يزيد، أخت الأسود بن يزيد، لم يحدث عن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، وقد أدرك منهم جماعة، كان رجلًا صالحًا، متوقيًا، قليل التكلف. توفي سنة (٩٦هـ). انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢/ ٢٣٣).

(٢) الإمام الفقيه أبو عمرو عامر بن شراحيل ـ وقيل: ابن عبدالله بن شراحيل ـ الشعبي، الكوفي، من شعب همدان، ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب، قال العجلي: مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحًا. توفي سنة (١٠٣هـ)، وقيل غير ذلك. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٤/ ٢٨).

(٣) رواه الترمذي (٣٧٦٣) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال: هذا حديث غريب.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٣٦٥)، وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٢٤٣) نقلًا عن ابن أبي شيبة.

والمضرج ـ بضم الميم وفتح الضاد المعجمة وتشديد الراء بعدها جيم ـ ؛ أي : ملطخ به .

ويروى : أنه لما أتى النبيَّ ﷺ نعيُ جعفر ، أتى امرأته أسماءَ بنتَ عُميس ، فعزاها في زوجها جعفرٍ ، ودخلت فاطمةُ عليها السلام وهي تبكي ، وتقول : وا عماه! قال النبي ﷺ : «على مثل جعفرٍ فلتبكِ البواكي»[1] .

قاتَلَ في مؤتة حتى قطعت يداه ، ثم قاتل حتى مات ، فأبدله الله جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء .

وأما الثالث ـ يعني : صاحب الهجرتين ـ ؛ فلأنه هاجر للحبشة وللمدينة ، ولما قدم من أرض الحبشة على رسول الله ﷺ حين فتح خيبر ، تلقاه رسول الله ﷺ واعتنقه ، وقال : «ما أدري بأيهما أنا أشدُّ فرحًا ، بقدوم جعفر ، أم بفتح خيبر»[2] .

وكان جعفرٌ وأصحابه سببَ إسلام النجاشي ، وكان إسلام جعفر قديمًا .

وقال ابن الأثير : إنه أسلم بعد أحد وثلاثين إنساناً[3] ، كما قال ابن إسحاق .

وقال الذهبي : ويروى أن عليًا أسلم ، ثم زيد ، ثم جعفر ، قال : وكان

---

(١) انظر : «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٢٤٣) ، ورواه بنحوه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢١٤) ، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٦٦٦٦) ، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٨٢) .

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٦٩) .

(٣) انظر : «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٢٦٠) .

أبو بكر رابعهم[1].

وكان جعفر يشبه بالنبي ﷺ، ولهذا قال له في الحديث الصحيح: «أشبهتَ خَلْقي وخُلُقي»[2]، والمشبهون بالنبي ﷺ جماعة، منهم: جعفر، والحسن، والحسين.

وفي الترمذي، و«صحيح ابن حبان» عن عليٍّ ﷺ عنه قال: من سره أن ينظر إلى أشبهِ الناسِ برسول الله ﷺ ما بين عنقه إلى وجهه، فلينظر إلى الحسن بن علي، ومن سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين عنقه إلى كعبه، فلينظر إلى الحسين بن علي[3] ﵄.

ومنهم: قُثَمُ بن العباس.

ومنهم: أبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبد المطلب، واسمُ ابن أبي سفيان: المغيرةُ.

ومنهم: السائبُ بنُ عبيد[4]، جدُّ الإمام الشافعي ﷺ، نقله الخطيب في «تاريخ بغداد»[5].

---

(١) انظر: «تذهيب تهذيب الكمال» للذهبي (٢/ ١٤٥).

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٩) من حديث البراء بن عازب ﷺ.

(٣) رواه الترمذي (٣٧٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٧٤) بنحوه.

(٤) الصحابي الجليل السائب بن عبيد بن عبد يزيد الشافعي، كان صاحب راية بني هاشم يوم بدر مع المشركين، فأسر، ففدى نفسه، ثم أسلم. وأم السائب الشفاء بنت الأرقم بن هاشم بن عبد مناف، وأم الشفاء خالدة بنت أسد خالة علي بن أبي طالب ﷺ. انظر: «الإصابة» لابن حجر (٣/ ٢٣).

(٥) انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب (٢/ ٥٧).

ومنهم: عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، ففي «السنن الكبرى» للنسائي: أن النبي ﷺ لما قُتل جعفرٌ بمؤتةَ، دعا الحلاق، فحلق رؤوسَ بني جعفر، فقال: «أما محمد، فشبيهُ عمنا أبي طالب، وأما عبدُالله، فشبيه خَلْقي وخُلُقي»[1].

وقد نظم الحافظ أبو الفتح محمد بن سيد الناس منهم خمسة في قوله:

فخمسةٌ شبهُ المختار من مُضَرٍ
يا حُسْنَ ما خولوا من شبههِ الحسنِ
بجعفرٍ وابنِ عمِّ المصطفى قُثَمٍ
وسائبٍ وأبي سفيانَ والحسنِ[2]

ونظم السبعةَ الحافظُ زينُ الدين عبدُ الرحيم العراقيُّ في قوله:

وسبعة شبهوا بالمصطفى فَسَمَا
لهم بذلك قدرٌ قد زكا ونما
سِبْطا النبيِّ أبو سفيانَ سائِبُهم
وجعفرٌ وابنُه ذو الجود مع قُثَما[3]

روى عن جعفر: ابنُه عبدالله، وأبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، وامرأته أسماءُ بنتُ عُميس، بضم العين وبالسين المهملتين.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٦٠٤) من حديث عبدالله بن جعفر ﷺ.

(٢) انظر: «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٢/ ٣٦٧).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٩٧).

استشهد يوم مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة، وله إحدى وأربعون سنة، وقيل: ثلاث وثلاثون.

يقال: إنه وجد فيما أقبل من جسده سبعون ضربة، ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، كما في «صحيح البخاري» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما[1].

أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ**): (**لقنوا**)؛ أي: فَهِّموا (**موتاكم**)؛ أي: المحتضَرين الذين قرب موتُهم؛ أي: ذكروهم أن يقولوا: (**لا إله إلا الله**) وحدَه لا شريك له، (**الحليمُ**)؛ أي: ذو الصفح والأناة، الذي لا تحمله زلاتُ العصاة على استعجال عقوباتهم مع غاية الاقتدار.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[النحل: ٦١].

قال بعضهم: لا يستحق اسمَ الحلم الصافحُ مع العجز، إنما الحليم: الصفوح مع القدرة.

(**الكريم**): هو الكثير الخير، والعرب تسمي الشيء النافع الذي يدوم نفعه ويسهل تناوله: كريمًا.

وقيل: الكريم الذي إذا وعد وفى، وإذا توعَّد عفا، وإذا سئل أعطى.

ومن كرم الله سبحانه وتعالى: أنه يبتدئ بالنعم قبل استحقاقها، ويغفر الذنوب، ويعفو عن المسيء.

(**سبحان الله**)؛ أي: أنزهه تعالى عن كل نقص وعيب، وعما لا يليق

---

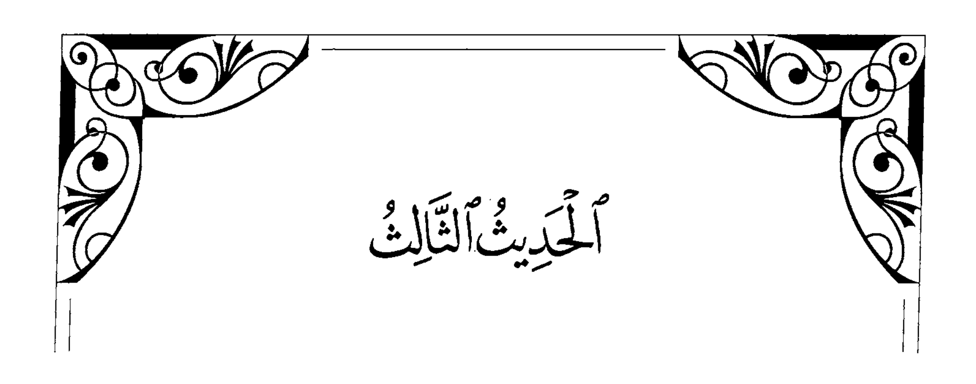
(١) رواه البخاري (٤٢٦٠) بلفظ: فعددت به خمسين بين طعنة وضربة، ليس منها شيء في دبره، و(٤٢٦١) بلفظ: ووجدنا ما في جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية.

بعظيم قدرته، وبديع حكمته؛ من الصاحبة والولد، وكلٍّ ما لا يليق بجلال عظمته، (**ربِّ**)؛ أي: خالقِ وموجِدِ ومالكِ (**العرشِ العظيم**) أعظمِ مخلوقاته تعالى، الذي هو سقفُ الجنة، (**الحمدُ**)؛ أي: الثناء الجميل باللسان على جهة التعظيم والتبجيل (**لله ربِّ العالمين**)؛ أي: خالقهم وبارئهم.

(**قالوا**)؛ أي: مَنْ حضره وقته من الصحابة ﷺ: (**يا رسول الله! كيف**) يكون هذا الذكر (**للأحياء؟ قال:**) هو للأحياء (**أجودُ**)؛ أي: أنفع، (**وأجود**)؛ أي: أكثر عوداً ونفعًا؛ لأنهم يكثرون منه، وهو ثناء على الله تعالى بجميل صفاته، وعظيم أسمائه.

(**رواه ابن ماجه**).

* * *



الحديث الثالث

١٣٧ ـ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ». رواه أبو داود[١].

(عن) سيدِ الفقهاء (معاذ) بالذال المعجمة (ابنِ جبل) بن عمرِو بنِ أوسِ الخزرجيِّ الأنصاريِّ، أبو عبد الرحمن، أسلم وهو ابنُ ثمان عشرةَ سنة، وشهد بدرًا والمشاهدَ كلها، وهو أحدُ الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ: معاذ، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، متفق عليه[٢].

روي: أن النبي ﷺ قال له: «والله يا معاذ! إني أحبك»، قال: والله! وأنا أحبك يا رسولَ الله، قال: «فلا تَدَعْ أن تقول دُبر كلِّ صلاة: اللهم أَعني على ذكرك وشكرك وحسنِ عبادتك»[٣].

---

(١) رواه أبو داود (٣١١٦).

(٢) لعله قصد الحديث الذي رواه البخاري من حديث عبدالله بن عمرو ﷺ (٣٨٠٨)، وفيه: سمعت النبي ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود ـ فبدأ به ـ وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب».

(٣) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، والإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٤٤).

مات سيدنا معاذُ بنُ جبل رضي الله عنه بناحية الأُرْدُن، في طاعون عمواس - بفتح العين المهملة والميم - قرية بين الرملة وبيت المقدس، نسب الطاعون إليها؛ لأنه أول ما نجم منها.

وكانت وفاة معاذ سنة ثمان عشرة، وقيل: سبع عشرة، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وقيل: ثلاث، ورجحه النووي[1]، وقيل: أربع، وقيل غير ذلك.

وكان قد أمّرهُ عمرُ على عسكر الشام بعد أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وقبره في شرقي غور بيسان مشهور يزار ويتبرك به[2]، وقد زرناه مرارًا، وعند قبره قبران يقال: إنهما قبر ابنه وزوجته.

ومعاذ أحد السبعة الذين شهدوا العقبة، وبعثه النبي ﷺ إلى اليمن قاضيًا ومعلمًا، وجعل إليه قبضَ الصدقات من العمال الذين على اليمن.

روى عنه: عمر، وابنه، وابن عباس، وأنس، وغيرهم.

روي له عن رسول الله ﷺ مئة حديث وسبعة وخمسون حديثًا، اتفق الشيخان على حديثين، وانفرد البخاري بثلاث، ومسلم بحديث.

(قال) معاذ بن جبل رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: من)**؛ أي: أيّ شخص مسلمٍ من هذه الأمة من ذكر وأنثى **(كان آخر كلامه)** في الدنيا: **(لا إله إلا الله، دخل الجنة)**؛ لأنها شهادة شهد بها عند الموت، وقد ماتت شهواته،

---

(١) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢/ ٤٠٣).

(٢) قد بينا من خلال التعليق على شرح الحديث رقم (٧٠) حكم الشرع في مسألة زيارة القبور والتبرك بها وما يتعلق بذلك، فارجع إليه

واستوى ظاهره وباطنه، فغفر له بها، ولأنها تطمس ما في صحيفة قائلها حتى تعود إلى مثلها؛ كما تقدم[1].

(رواه)؛ أي: الحديث المشروح (أبو داود) في «سننه»، ورواه الإمام أحمد، والحاكم في «صحيحه» وقال: صحيح[2].

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«صحيح البخاري» من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبدٍ قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»، قال أبو ذر: قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قال في الرابعة: وإن رغم أنفُ أبي ذَرٍّ[3].

قال ابن رسلان: معنى ذلك: أنه لا بد له من دخول الجنة، فإن كان عاصيًا غيرَ تائب، فهو في أول أمره في محض المشيئة، يحتمل أن يغفر له ويدخله الجنة، ويحتمل أن يعاقبه ثم يدخله الجنة بعد العقاب، ويحتمل أن يكون من وفق لأن يكون آخر كلامه لا إله إلا الله، يكون ذلك علامة على أن الله تعالى يعفو عنه، فلا يكون في خطر المشيئة؛ تشريفًا له على غيره ممن لم يوفق أن تكون آخر كلامه. انتهى.

وقد قدمنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ، وفيه: إن من قالها بإخلاص ويقين ومات على ذلك، امتنع أن تكون سيئاته راجحة على حسناته، بل كانت حسناته راجحة، فيحرم على النار؛ لأنه إذا قالها

---

(١) انظر شرح الحديث رقم (١٠٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣١١٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٦٦)، والبخاري (٥٨٢٧).

العبد بإخلاص ويقين تام، لم يكن في هذه الحال مصرًّا على ذنب، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحبَّ إليه من كل شيء، وأخوفَ عنده من كل شيء، فلا يبقى في قلبه حينئذ إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله، فهذا هو الذي يحرم على النار وإن كان له ذنوب قبل ذلك، فهذا الإيمان، وهذه التوبة، وهذا الإخلاص، وهذه المحبة، وهذا اليقين، وهذه الكراهة لا يتركْنَ له ذنبًا إلا مُحي عنه، كما يمحي النهار الليل، فإن قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأصغر والأكبر، فهذا غير مصر على ذنب أصلًا، فيغفر له، ويحرم على النار، وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فيرجح بها ميزان الحسنات كما في حديث البطاقة، فيحرم على النار، ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه.

وأما من قال: (لا إله إلا الله) ولم يمت على ذلك، بل قالها وأتى بعدها بسيئات، فهذا في المشيئة.

وأما إن قالها مستيقنًا بها قلبه، تكون حسناته راجحة، ولا يكون مصرًّا على سيئة، فإن مات في هذه الحالة، دخل الجنة.

والحاصل: أن من خُتم له بـ (لا إله إلا الله) مخلصًا بها قلبه، دخل الجنة؛ لأن (لا إله إلا الله) لا يقاومها سيئة، ولم يأت بعدها بسيئة، فيحرم على النار، وهذه تمام السعادة.

وفي حديث جابر ﷺ مرفوعًا عند ابن عساكر: «من خُتم له عند موته

بلا إله إلا الله، دخل الجنة»[1].

وفي أوسط الطبراني عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، لم يدخل النار»[2].

وفي حديث بلال ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بلال! ناد في الناس: من قال: لا إله إلا الله قبل موته بسنة، دخل الجنة، أو بشهر، أو جمعة، أو يوم، أو ساعة»، قال: إذًا يتكلوا، رواه الطبراني بسند يُعمل به في الفضائل[3].

وروى الطبراني ـ أيضًا ـ بسند نحو الذي قبلَه من حديث ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لُقن لا إله إلا الله عند موته، دخل الجنة»[4].

وظاهر هذا: أن من لقنها دخل الجنة ولو لم يقلها، وأن المراد أن يُقبض على اعتقادها، وهذا أوسعُ من الأحاديث المارة، والفضل واسع.

وعن طلحةَ بنِ عُبيدِالله وعمر ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلمُ كلمةً لا يقولها رجل حين يحضره الموتُ إلا وجد روحه لها رَوْح حين تخرج من جسده، وكانت له نورًا يوم القيامة: لا إله إلا الله»، رواه الإمام أحمد، وابن أبي شيبة، وأبو يعلى، والحاكم في «المستدرك» بسند صحيح[5].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ١٨٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧٤).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٣).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٧٤١ ـ طبعة الجريسي)، و«المعجم الأوسط» (٣٨٣٠).

(٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٢٩٧).

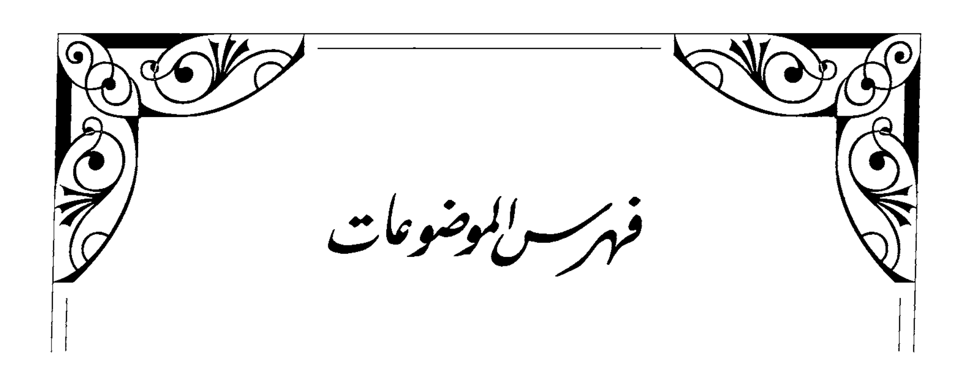
ومعنى الرَّوح ـ بفتح الراء ـ : الراحة، والأنس.

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمةً لا يقولها عبدٌ حقًّا من قلبه فيموت إلا حَرَّمه الله على النار»، رواه ابن حبان بسند صحيح[1].

والله تعالى الموفق.

❐❐❐

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٠٤).



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❐❐❐